

الدكتور عبد الرحمن علي الحجي وجهوده في خدمة الثقافة الإسلامية

(دراسة تحليلية)

رسالة علمية مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير

في تخصص الثقافة الإسلامية

إعداد الطالبة:

عزة مبارك الزهراني

الرقم الجامعي: ٤٤٢٨٦٤٠٠

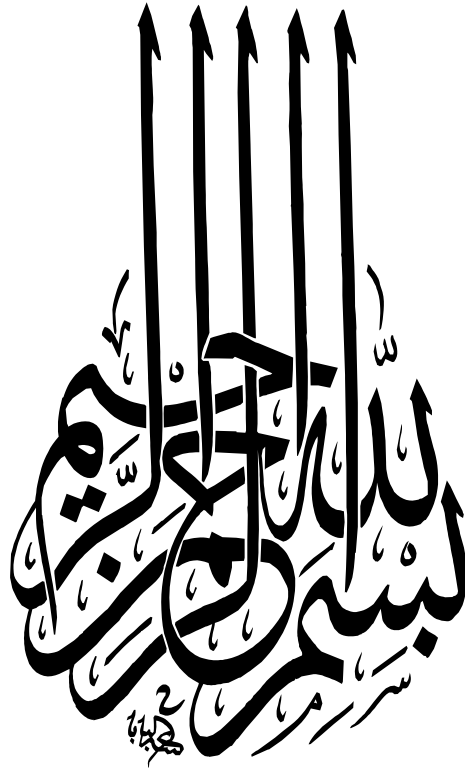
إشراف الدكتور:

فيصل محمد حسن

أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد بالكلية

العام الجامعي

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م



ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد.
هذا البحث بعنوان :

الدكتور عبد الرحمن علي الحجى وجهوده في خدمة الثقافة الإسلامية "دراسة تحليلية"

يهدف هذا البحث إلى دراسة حياته الشخصية والعلمية والعملية، وبيان جهوده في الثقافة الإسلامية، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمه وفهارس. أما المقدمة فقد احتوت على أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والإجراءات المتبعة فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وأما التمهيد فقد احتوى التعريف بالثقافة الإسلامية، وتوضيح أهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في خدمة الثقافة الإسلامية. وتناولت في الفصل الأول: التعريف بالدكتور عبد الرحمن علي الحجى وحياته العلمية والعملية وتضمن الفصل الثاني: على جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجى في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية وأما الفصل الثالث فقد تناولت فيه: جهود الدكتور الحجى في خدمة التاريخ الإسلامي، وفي الفصل الرابع: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجى في خدمة الحضارة الإسلامية، ثم ختمت بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: يرى الدكتور الحجى رحمه الله أن التاريخ الإسلامي مرتبط بالعقيدة الإسلامية من حيث الدافع والتأثير، ومن حيث المحرك والصبغة الدائمة. وبين الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، وأهمها أنها حضارة إيمانية، ومن أهم التوصيات: عمل المشروعات التي اقترحتها الدكتور الحجى من قبل المختصين وأهل العلم وإقامة منها، ودراسة السيرة النبوية من منظور الدكتور عبد الرحمن الحجى.

المشرف على الرسالة

د. فيصل محمد حسن

الباحثة

عزة مبارك الزهراني.

Abstract

Praise be to Allah. Prayers and peace be upon the Messenger of Allah,
Dr. Abdulrahman Ali AlHajji and His Efforts in Serving Islamic Culture: An Analytical Study

The current research aims to study the personal, academic, and professional life of Dr. Abdulrahman Ali AlHajji and his contributions to Islamic culture. The paper is divided into four chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion and indexes.

The introduction included the importance of the topic and the reason for choosing it, research objectives, research problem, research methodology, scope of the study, and previous studies in the field. As for the background, it included defining Islamic culture and explaining the importance of studying media in Islamic culture.

Chapter One: Introduction to Dr. Abdulrahman Ali AlHajji, his academic and professional life, consisting of three parts. The first part discusses His birth, name, lineage, and upbringing. The second part discusses his academic life. And the third part discusses his professional life.

Chapter Two: Dr. Abdulrahman Ali AlHajji's Efforts in Serving Islamic Cultural Sources, consisting of two parts.

The First Part: discuss his efforts in serving the Holy Quran.

The Second Part: discuss his efforts in serving the Prophetic traditions (Hadith).

Chapter Three: Dr. Abdulrahman Ali AlHajji's Efforts in Serving Islamic History, consisting of four parts.

The First Part: deals with his efforts in elucidating the trends of historical interpretation and strengthening them. The second Part deals with his efforts in serving the Prophetic biography (Seerah). The third chapter deals with his efforts in serving the history of Al-Andalus. The fourth Part deals with his efforts in highlighting extremist positions and deviant views from Islamic history.

Chapter Four: Dr. Abdulrahman Ali AlHajji's Efforts in Serving Islamic Civilization, consisting of four parts as follows;

Findings: Abdulrahman Ali AlHajji, may he rest in peace, believed that Islamic history is closely related to Islamic faith in terms of motivation and influence, as well as being the driving force and the enduring essence. He emphasized the foundations upon which Islamic civilization was built, highlighting its fundamental nature as a civilization rooted in faith. One of the key recommendations he made was the development of legislation proposed by experts and scholars, guided by Dr. Al-Hajji's teachings. He also emphasized the importance of studying the Prophet's biography from Dr. Abdulrahman Al-Hajji's perspective.

Researcher
Azza Mubarak AlZahrani

Supervisor
Faisal mohammed Hassan

الإهداء

إلى من تربيته على يده، وعلمني القيم والمبادئ
إلى من كان له الفضل الأول بعد توفيق الله في اهتمامي بالعلم

والدي الحبيب حفظه الله

وإلى من كانت الداعم الأول لي لتحقيق طموحاتي
إلى من غمرتني بالحب والحنان، إلى جنتي وحببتي
إلى من رفعتني بكفيها لأصل، ولا تنساني في الدعاء ليلاً ونهاراً

أمي الغالية حفظها الله

إلى من مَدَّتْ إليَّ يديها في أوقات ضعفي، ورافقتني مثل ظلي،
وراهنت على نجاتي ونجاحي، وكانت تذكرني بقوتي واستطاعتي،
وتؤمن بشجاعتي مهما ضعفتُ (أختي أسماء)

وإلى الشموع التي تنير لي الطريق دوماً (إخواني وأخواتي)

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده كثيراً أن يسّر لي إكمال هذا العمل، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أوليتني نعمًا أبوح بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلاشكرنك ما حييت وإن أمت فلتشكرنك أعظمي في قبرها^(١)

فالشكر إلى والدي الكريمين؛ على ما ربياني عليه من القيم والمبادئ، وحب العلم والتعلم، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وبارك في حياتهما، وحفظهما على طاعته.

والشكر موصول إلى إخواني وأخواتي، على وجودهم بجاني، ودعمهم المتواصل ومساعدتي في إكمال تعليمي، شكر الله لهم ما قدموه.

وأقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الكريم سعادة الدكتور / محمد عبدان الغامدي؛ تقديرًا لما قدمه لي من إرشاد في اختيار هذا الموضوع، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأسعده في الدارين.

كما أتقدم بأسمى معاني الشكر والامتنان والعرفان، لأستاذي فضيلة الدكتور / فيصل محمد حسن، أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد بالكلية، الذي غمرني بلطفه وعطفه وحلمه وصبره وحسن توجيهه، فجسد العلم والأخلاق مجتمعين؛ فجزاه الله عني خير ما جزى شيخًا عن تلميذته، وبارك في عمره وعلمه وعمله، ورفع قدره في الدارين.

(١) سراج الملوك ، لأبي بكر الفهري الطرطوشي المالكي، من أوائل المطبوعات العربية - مصر ١٢٨٩هـ-١٨٧٢م، (ص: ١١٠).

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذين الفاضلين، الدكتور/ عبد الله القرني، والدكتور/ صالح الغامدي؛ لما قدماه لي طيلة دراستي من نصح وإرشاد، فجزاهما الله خيراً، وأجزل لهما المثوبة، وأحسن لهما العاقبة.

وأسجل جميل الشكر وعظيم الامتنان للعالمين الفاضلين والأستاذين الجليلين: الدكتور/عبدالله القرني، والدكتورة/خولة العقلا اللذين قبلاً مناقشة هذا البحث، وتجشما تعب قراءته، وحرصاً كل الحرص على إبداء النصائح والتوجيهات إلى ابنتهم الباحثة؛ ليخرج في أحسن صورة، فجزاهما الله عن طلاب العلم خيراً، وبارك فيهما.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للجامعة العريقة؛ جامعة أم القرى ممثلة في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين بها، على إتاحة الفرصة لي في الدراسة بهذا الصرح العلمي الشامخ العريق، فجزى الله القائمين عليها خيراً، وبارك لنا في أساتذة قسمنا الذين نهلنا من علومهم، وتريننا على أيديهم.

والشكر موصول لأهل العراق الحبيب، وأخص بالذكر الدكتور/ عامر ممدوح، والدكتور/ أحمد عبد الرحمن الحجي، فجزاهما الله خيراً؛ نظير ما بذلا وقدما.

وأخيراً أشكر كل من أعانني، أو أسدى إليّ معروفاً، أو قدّم لي مشورة؛ فجزى الله الجميع خيراً، والحمد لله أولاً وآخراً.

المقدمة

وتتضمن النقاط الآتية:

- أهمية الموضوع وسبب اختياره.
- مشكلة البحث.
- أهداف البحث.
- حدود الدراسة.
- منهج البحث.
- الإجراءات المتبعة في البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن من عوامل تعميق الإيمان في نفس المسلم، وتحقيق ارتباطه بدينه على الوجه الأمثل معرفته بهذا الدين، وإدراكه حقائقه وغاياته، وهذا ما تُسهم في بيانه الثقافة الإسلامية التي من ثمراتها ترسيخ مبادئ الإسلام، وفهم نظمها، ورد الشبهات عنه، وقد قيَّض الله عز وجل لهذه الأمة علماء مفكرين وقادة مستنيرين، تميَّزوا بالفهم والإدراك وعلو الهمة، فميَّزوا بين الغث والسمين من المعارف والعلوم التي درسوها، وعاشوا مبدعين فيها، فشخصوا العِللَ، وقَدَّموا الحلولَ لمواطنِ الخللِ، ورَدُّوا عن دينهم الشبهاتِ، وعن ثقافتهم الإسلامية الافتراءاتِ، وعملوا جاهدين لتقديم الرؤية السليمة للثقافة الإسلامية، فكانوا أعلام اهتداء، وأئمة اقتداء، وكان من أبرزهم في العصر الحديث الدكتور عبد الرحمن علي الحجري رحمه الله الذي قَدَّمَ فِكْرًا زاخرًا أثرى به الثقافة الإسلامية؛ فقد كان له دورٌ بارزٌ في خدمة الإسلام والمسلمين، وَنَصَّبَ نفسه لرد

مكائد أعداء الإسلام وكشف أهدافهم، بالإضافة إلى ما حَلَفَهُ من تراثٍ عمليٍّ بارزٍ بين التحقيق والكتابة.

ومن هنا جاء هذا البحث لإبراز جهوده رحمه الله تحت عنوان (الدكتور عبد الرحمن علي الحجى وجهوده في خدمة الثقافة الإسلامية: دراسة تحليلية)، وأسأل الله التوفيق والسداد.

﴿ أهمية الموضوع وسبب اختياره: ﴾

إن سيرة الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله ممتلئة بجهوده العلمية والفكرية في خدمة الثقافة الإسلامية، وإن الإرث الثقافي والفكري والعلمي الذي وَرَّثَهُ الدكتور الحجى رحمه الله لأمتة الإسلامية والعربية ثروة عظيمة تستحق من الباحثين الدراسة؛ للمساهمة في إبرازها وبيان تنوعها، والإفادة منها في الحياة الفكرية والعلمية، وإثراء المكتبة الإسلامية في الجانب الثقافي.

﴿ مشكلة البحث: ﴾

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما الجهود التي قَدَّمَهَا الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله في خدمة الثقافة الإسلامية؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة عدة، منها ما يأتي:

- ١- من الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله ، وما سيرته الذاتية والعلمية؟
- ٢- ما جهود الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية؟
- ٣- ما القضايا التي تناولها الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله في مؤلفاته، وساهمت في خدمة التاريخ الإسلامي؟

٤- ما الجهود التي قام بها الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله في خدمة الحضارة الإسلامية؟

- ٥- ما الفوائد من دراسة شخصية الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله وجهوده في خدمة الثقافة الإسلامية في الواقع المعاصر؟

🔗 أهداف البحث:

- ١- التعريف بسيرة الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله الذاتية والعلمية.
- ٢- ذكر جهود الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله في خدمة القرآن الكريم، والسنة النبوية.
- ٣- توضيح أهم القضايا التي تناولها الدكتور الحجي رحمه الله في السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي عمومًا، والأندلسي خصوصًا، وما قام به في مواجهة حملات التشوية التي تعرّض لها التاريخ الإسلامي.
- ٤- بيان جهود الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله في إثبات دور المسلمين وسبقهم في المنجزات الحضارية في شتى المجالات.
- ٥- الإفادة من جهود الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله في تكوين شخصية المسلم المثقف، وتزويده بالعلم الذي يدفع به الشبهات حول التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

🔗 حدود الدراسة:

تشتمل الدراسة على جميع جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي رحمه الله العلمية والفكرية في خدمة الثقافة الإسلامية.

🔗 منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، من خلال قراءة مؤلفات الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله؛ لإبراز الجوانب الثقافية وتصنيفها حسب خطة البحث.

الإجراءات المتبعة في البحث:

- ١- قمتُ بحصر مؤلفات الدكتور عبد الرحمن علي الحجري وقراءتها بتأن ودقة؛ لكي أضع تصوُّراً كاملاً عن فكر الدكتور عبد الرحمن علي الحجري، وأستخرج جهوده الثقافية، وما له من أثرٍ في خدمة القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية.
- ٢- حرصتُ كل الحرص علي إبراز كل ما للدكتور من فضلٍ وسبقٍ في ميدان الثقافة الإسلامية، وتصنيف جهوده في ذلك حسب الفصول والمباحث.
- ٣- عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في المتن، مع الالتزام بكتابتها بالرسم العثماني من مصحف المدينة.
- ٤- عرفت ببعض المصطلحات الغريبة.
- ٥- عند توثيق المصدر أو المرجع في الهامش أذكر معلومات المرجع والمصدر كاملة عند أول ذكر لها، ثم إذا تكرر أكتفي بذكر الكتاب والمؤلف مختصراً مع ذكر رقم الجزء والصفحة.
- ٦- ترجمت ترجمة موجزة لبعض الأعلام، واجتهدت في توثيق ذلك من الكتب.
- ٧- زودت البحث بفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في كافة أنواع الكشافات عن الرسائل الجامعية في الجامعات السعودية والمكتبات التابعة لها، بالإضافة الى قواعد المعلومات العربية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات تبيَّن لي عدم وجود دراسات سابقة عن الموضوع، خاصة أن الدكتور عبد الرحمن علي الحجري حديث الوفاة؛ فقد وافته المنية بتاريخ ١٨ يناير ٢٠٢١م، وقد تم التواصل مع ابنه، وأفاد بعدم تسجيل رسالة علمية عن جهود والده في خدمة الثقافة الإسلامية.

وقد وقفتُ على بعض الدراسات التي تناولت جهوده في مجالٍ معينٍ، منها:

١- منهج عبد الرحمن علي الحجي في كتابة التاريخ الأندلسي "كتاب التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة أمودجا"، وهي رسالة ماجستير، للباحث فكري محمد، من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، بإشراف الدكتورة/خديجة ثلجوم، ونوقشت عام: ١٤٤٣هـ-٢٠٢١م

وقد جاءت هذه الرسالة في مائة وثلاث وثلاثين (١٣٣) صفحة، وتناولت منهج الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله في كتابة التاريخ الأندلسي من خلال مؤلفٍ واحدٍ، وركزت على التعريف بالكتاب وأهم القضايا التاريخية التي تناولها، ومنهج الحجي في المصادر التي اعتمدها.

٢- عبد الرحمن علي الحجي: حياته ومنظوره التاريخي "دراسة مقارنة"، وهي رسالة ماجستير، للباحثة مريم علي زيدان، من كلية الآداب، الجامعة العراقية، بإشراف الدكتور/عامر ممدوح خيرو، ونوقشت عام ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م.

وقد جاءت الرسالة في مائتين وإحدى وسبعين (٢٧١) صفحة، وتناولت المنظور التاريخي في فكر الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله، وركزت على موضوعات معينة، منها: أهمية دراسة التاريخ الإسلامي وهويته، والأسلوب العاطفي والأدبي للدكتور الحجي، وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي من منظور الحجي مقارنة مع غيره من المؤرخين الأندلسيين والمستشرقين.

وتفرق هاتان الدراستان عن دراستي في أن هذه الدراسات تخص المنظور التاريخي فقط عند الدكتور الحجي.

وبذلك يظهر عدم وجود دراسة علمية متخصصة في الثقافة الإسلامية تناولت الجهود الثقافية للدكتور الحجى في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وخدمة التاريخ الإسلامي والأندلسي، والحضارة الإسلامية.

📌 خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس علمية على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والإجراءات المتبعة فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بالثقافة الإسلامية، وأهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في

خدمة الثقافة الإسلامية، وفيه:

أولاً: التعريف بالثقافة الإسلامية.

ثانياً: أهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في خدمة الثقافة الإسلامية.

الفصل الأول: التعريف بالدكتور عبد الرحمن علي الحجى وحياته العلمية

والعملية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مولده، واسمه، ونسبه، ونشأته.

المبحث الثاني: الحياة العلمية.

المبحث الثالث: الحياة العملية.

الفصل الثاني: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجى في خدمة مصادر الثقافة

الإسلامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهوده في خدمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية.

الفصل الثالث: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي في خدمة التاريخ

الإسلامي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في بيان اتجاهات تفسير التاريخ وتقومها.

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السيرة النبوية.

المبحث الثالث: جهوده في خدمة تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس.

المبحث الرابع: جهوده في إبراز المواقف المتطرفة، والآراء الشاذة من التاريخ الإسلامي .

الفصل الرابع: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي في خدمة الحضارة

الإسلامية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية وأُسُسها وخصائصها.

المبحث الثاني: جهوده في إبراز إسهام العلماء المسلمين في علوم الكون والإنسان.

المبحث الثالث: جهوده في إبراز قيمة العمران في الحضارة الإسلامية.

المبحث الرابع: جهوده في إبراز خصائص الشخصية الحضارية النموذجية للأمة

الإسلامية.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج، والتوصيات.

الفهارس: وهي فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث والآثار، وفهرس الأعلام

المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: التعريف بالثقافة الإسلامية

ثانياً: أهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في خدمة

الثقافة الإسلامية

أولاً : التعريف بالثقافة الإسلامية

إن البحث عن مفهوم الثقافة يتطلب توضيح معناها اللغوي في المعاجم؛ لأن المعنى المعجمي غالباً يُعَيَّنُ في وضع المفهوم الاصطلاحي للكلمة؛ لذا سأحدث عن المعنى اللغوي للكلمة، ومن ثم المعنى الاصطلاحي، ثم أُبَيِّنُ المراد بالثقافة الإسلامية كعلم مستقل بذاته.

التعريف اللغوي لكلمة (الثقافة) :

يقال: ثَقَفَ الشَّيْءَ ثَقْفًا وَثِقَافًا وَثُقُوفَةً: حَذَقَهُ، وَرَجُلٌ ثَقْفٌ وَثَقِفٌ وَثَقْفٌ: حَادِقٌ فَهْمٌ، وَثَقِفَ الرَّجُلُ ثِقَافَةً أَي: صَارَ حَادِقًا حَفِيظًا - مِثْلَ ضَحْمٍ فَهُوَ ضَحْمٌ -، وَمِنْهُ الْمُثَاقِفَةُ، وَثَقِفَ أَيْضًا ثَقْفًا - مِثْلَ تَعَبَ تَعَبًا - أَي: صَارَ حَادِقًا فَطِنًا، فَهُوَ ثَقِفٌ وَثَقْفٌ، فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ: وَهُوَ عَلَامٌ لَقِبْتُ ثَقِفًا^(١) أَي: ذُو فِطْنَةٍ وَذَكَاءٍ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ ثَابِتُ الْمَعْرِفَةِ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ^(٢). وَثَقِفْتُ الشَّيْءَ وَهُوَ سُرْعَةُ تَعَلُّمِهِ، وَقَلْبٌ ثَقِفٌ أَي: سَرِيعُ التَّعَلُّمِ وَالتَّفْهَمِ^(٣). وَثَقَفَهُ: صَادَفَهُ، أَوْ أَخَذَهُ، أَوْ ظَفَرَ بِهِ، أَوْ أَدْرَكَهُ، وَامْرَأَةٌ ثَقَافٌ: فَطِنَةٌ^(٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب اللباس، باب التثقب، رقم (٥٨٠٧)، (١٤٥/٧)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببلاط مصر، عام: ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صوّرها بعنايته: د/مُحَمَّدُ زَهَيْرُ النَّاصِرِ، وطبعها الطبعة الأولى عام: ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة، بيروت، مع إثراء الهوامش بتزقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط(٣) ١٤١٤ هـ، (١٩/٩).

(٣) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د/مهدي المخزومي، ود/إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (١٣٨/٥-١٣٩).

(٤) القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر مُحَمَّدُ بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: مُحَمَّدُ نَعِيمُ العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(٨) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (ص ٧٩٥).

وتتقف الطالب أي: تَعَلَّمَ، تزوّد بفروع من المعرفة، وتتقف على يد أستاذه أي: تعلّم وتدرّب، تلقى العلم والمعرفة منه^(١).

يتبين مما سبق أن المعاني اللغوية تدور حول معاني: الحذق والفتنة والفهم والذكاء وتلقي العلم والمعرفة وسرعة التعلم والتفهم، وهي كلها أمور من لوازم التثقف.

التعريف الاصطلاحي لكلمة (الثقافة):

تعددت أقوال العلماء والمفكرين في تعريف الثقافة، ومن تلك الأقوال ما يأتي:

١- الثقافة هي: "التراث الحضاري والفكري من جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به أمة، وينسب إليها، ويتلقاه الفرد من ميلاده حتى وفاته، من ثمرات الفكر والعلم والفن والقانون والأخلاق"^(٢).

٢- وقيل: هي "الراقي في الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقي في القانون، والسياسة، والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والراقي كذلك في الأخلاق، أو السلوك، وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية"^(٣).

٣- وقيل هي: "جملة من المعارف والفنون التي يُطلَبُ الحذق فيها"^(٤).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط(١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (٣١٨/١).

(٢) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، مكتبة الفلاح، الكويت، عام: ١٩٩٨م، (ص ٨) وفي الثقافة الإسلامية، عادل العوضي، وفايزة العوضي، الشركة الكويتية العربية، ط(١) ٢٠٠٤م، (ص ٢١-٢٢).

(٣) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط(٩) ٢٠٠١م، (ص ٩).

(٤) مقدمات في الثقافة الإسلامية، مفرح سليمان القوسي، الرياض، ط(٣) ١٤٢٤هـ، (ص ٣٦).

٤- وقيل: "مجموع ما توصلت إليه أمةٌ أو بلدٌ في الحقول المختلفة من أدب وفكر وصناعة وعلم وفن ونحوها، بهدف استنارة الذهن، وتهذيب الذوق، وتنمية ملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع" (١).

٥- وقيل هي: "أعمال وممارسات النشاط الفكري" (٢).

يتضح لنا مما سبق أن المعنى الاصطلاحي لا يتخلف عن المعنى اللغوي للثقافة، فكلمة ثقافة في معناها العام تعني الحدق والفهم والقدرة، ويتخلف المعنى فيها بحسب ما يُضَافُ إليها من علوم وفنون، فتطلق على الثقافة الشرعية، أو العلمية، أو السياسية، أو الطبية، أو الأدبية، أو غير ذلك من العلوم والفنون (٣).

مفهوم الثقافة الإسلامية:

تعددت أقوال العلماء والمفكرين والمتقنين وآراؤهم حول مفهوم الثقافة الإسلامية، ولا يوجد تعريف مُتَّفَقٌ عليه للثقافة الإسلامية؛ لجدّة هذا المصطلح وحدثته، وما قيل في تعريفه هو اجتهادات لبعض العلماء والمفكرين الذين تناول كل واحدٍ منهم هذا المصطلح من جانب دون غيره؛ لذا تعددت تعريفات هذا المصطلح بتعدد اتجاهات هؤلاء العلماء والمفكرين، ومن أبرز هذه التعريفات ما يأتي:

١- قيل: "المفاهيم الصحيحة عن الله، والكون، والإنسان، والحياة عن الله كخالق للكون، وعن الكون كمسخر للانتفاع الإنساني، وعن الإنسان كمستخلف في الأرض

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (١/٣١٨).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الثقافة الإسلامية ١٠١، اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، عام: ١٤٤٢ هـ، (ص ١٨).

لاستعمار الكون، ومسئول عن تصرفاته الحسنة والسيئة، وعن الحياة كمجال للعمل الإنساني على أسس إسلامية" (١).

٢- وَعَرَّفَهَا بعضُ المتخصصين بأنها "العلم بمنهج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني" (٢).

٣- وقيل: هي "الشخصية الإسلامية التي تقوم على عقيدة التوحيد، وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والأخلاق الإيمانية المستقاة من مصادر الإسلام الأساسية، وهي الكتاب والسنة" (٣).

إذن الثقافة الإسلامية يرسخها العلم الصحيح بالإسلام؛ فهي مستمدة من أصول التشريع الإلهي، وهذا يُبَعِّدُهَا عن سيطرة الأفكار الأجنبية والأغلاط والشبهات التي تخالف عقيدة المسلم الصافية.

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، أحمد فؤاد محمود، إشبيلية للنشر والتوزيع، ط (١) ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (١٣).

(٢) الثقافة الإسلامية علمًا وتخصُّصًا ومادةً علميةً، عبد الله إبراهيم الطريفي وآخرون، الرياض، ط (١) ١٤١٧هـ، (ص ١٣).

(٣) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري (ص ١٧).

ثانياً: أهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في خدمة الثقافة الإسلامية

القرآن الكريم هو دستور المسلمين، وهو مع كونه كتاب هداية نزل ليتخذه المسلمون قائداً ودليلاً لهم في كل أمورهم، وإن من يقرأ القرآن الكريم يجد أنه حَلَّدَ ذِكْرَ بعض العلماء والمفكرين والمصلحين؛ فنجد في القرآن قصة الخضر مع موسى عليه السلام، وقد وصف الله عز وجل الخضر بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، والمقصود به الخضر كما قال المفسرون^(١).

وفي سورة الكهف أيضاً نُجِدُ ذِكْرَ ذي القرنين، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا ۗ (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ۗ (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبِيًّا ۗ (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنِينَ إِمَامًا أَن تَعَذِّبَ وَإِمَامًا أَن تُسَخَّرَ فِيهِمْ حُسْنًا ۗ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۗ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِن أَمْرٍ يُسْرًا ۗ﴾ [الكهف: ٨٣-٨٨].

وسمى سورة في القرآن باسم لقمان الحكيم، وجاء فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۗ﴾ [١٣] وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ ۗ وَهُوَ يُعْطِيهِ ۗ يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۗ﴾ [لقمان: ١٢-١٣].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط (٢) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (٥/١٧٥).

وإنه مما ينبغي أن يُعَلَّمَ أن دراسة سير العلماء والمفكرين والمؤثرين في تاريخ أمة من الأمم ليس المقصود منه مجرد الوقوف على أخبارهم، بل الهدف الأعظم استخلاص العبر والدروس من حياتهم، وقد قصَّ القرآن قصصًا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وأمر نبيه ﷺ أن يقصص القصص لحكمة عظيمة يُبَيِّنُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقد بيَّن القرآن الكريم مكانة أولي العلم وفضلهم، وجعلهم شهودًا على أجلِّ مشهودٍ عليه، وهو توحيدُه سبحانه وتعالى؛ فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وهذا يدلُّ على فضل العلم وأهله من وجوه: أحدها: استشهادهم دون غيرهم من الناس، والثاني: اقترانُ شهادتهم بشهادته، والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته، والرابع: أنَّ في ضمن هذا تركيتهم وتعديلهم؛ فإنَّ الله لا يستشهدُ من خلقه إلاَّ العُدول^(١).

وترجع أهمية دراسة جهود العلماء إلى الأمور الآتية:

١- أن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم بمنزلة النجوم التي يُهْتَدَى بها في ظلمات البر والبحر.

٢- ضرورة تعريف الناس بهؤلاء المفكرين والأعلام، وإطلاعهم على مصنفاتهم وحكاياتهم، وبيان كيف سارت حياتهم ونشأتهم، والظروف التي عاشوا فيها، وإلقاء الضوء على دورهم في خدمة مجتمعاتهم، وقد حرص العلماء على مطالعة حكايات العلماء وسيرهم، يقول

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي، وسليمان بن عبد الله العمير، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ط(٣) ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، (الأولى لدار ابن حزم)، (١/١٣١).

الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم" (١).

ويقول الامام ابن الجوزي رحمه الله: "وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم؛ فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم" (٢).

٣- محاولة إبراز قدوات حسنة يقتدي بها أفراد المجتمع؛ فإن للقدوة الحسنة تأثيراً بالغاً على الفرد والمجتمع؛ لذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالافتداء بالأنبياء -عليهم السلام- في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأمرته تبع له فيما يشعره لهم، ويأمرهم به (٣).

٤- أن الأمم الحية هي الأمم التي تُكْرِمُ علماءها، وتُعْرِفُ بفضلهم وأثرهم؛ لأنهم حملة فكرٍ، وبناء حضارةٍ، ورافعو مشعل الثقافة التي تُنيرُ العالمَ كله، وقد قال ﷺ: «وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم؛ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ» (٤).

(١) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، المحقق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط (١) ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (٥٠٩/١).

(٢) صيد الخاطر، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (ص ٤٥٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٩٩/٣).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم (٣٦٤١)، (٤٨٥/٥)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - مُجدد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط (١) ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، وحسن محققا الكتاب الحديث بشواهده.

وَحَسَنَةُ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ، انظر: مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: مُجدد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٣) ١٩٨٥م، (٧٤/١).

وَيُعَدُّ تَكْرِيمُ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ، وَالتَّنْوِيَةُ بِهِمْ، وَالْإِشَادَةُ بِأَعْمَالِهِمْ امْتِدَادًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْذَاذِ الَّذِينَ عَرَفُوا فَضْلَ الْعُلَمَاءِ، فَكَانُوا يَذْكُرُونَهُمْ بِالْفَضْلِ، وَيُتَمَنُّونَ لَهُمْ الْجُهُودَ، وَيَكْتُبُونَ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَالتَّرْحِيمِ عَلَيْهِمْ.

٥- استثمار وقت المسلم فيما ينفعه في دنياه وآخرته؛ لأن في مطالعة سير العلماء اقتداءً بهم، وانتفاعاً بعلمهم وفقهم، ف "لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوسوسِ المضنية، ومطرحِ الآمالِ التي لا تفيد غيرَ الهَمِّ، وكفاية الأفكارِ المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظمَ داعٍ إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطُولُ ذِكْرُهُ"^(١).



(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٢) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (ص ٢١).

الفصل الأول

التعريف بالدكتور عبد الرحمن علي الحجي، وحياته العلمية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مولده، واسمه، ونسبه، ونشأته.

المبحث الثاني: الحياة العلمية.

المبحث الثالث: الحياة العملية.

المبحث الأول

مولده، واسمه، ونسبه، ونشأته

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: أسرته، ونشأته.

المطلب الثالث: زواجه، وأبناؤه.

المطلب الرابع: صفاته، وأخلاقه.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب السادس: ثناء العلماء عليه.

المطلب الأول:**اسمه، ونسبه، مولده****اسمه، ونسبه:**

هو عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن خطاب بن عمر بن موسى بن إسماعيل بن إبراهيم العبادي، ينتمي إلى عشيرة (١) المهداوي (٢).

وقد اشتهرت عائلته بلقب (الحجى) الذي يعود إلى الجد مُحَمَّد؛ لأنه ذهب إلى الحج، واشتهر بالحاج مُحَمَّد (٣).

لقبه:

لُقّب بِرَحْمَةِ اللَّهِ بعد رحيله ببعض الألقاب، مثل: عاشق الأندلس، وفارسها، وشيخ مؤرخي الأندلس، وخاتمة جيل الفاتحين (٤).

مولده:

وُلد الدكتور عبد الرحمن الحجى رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مدينة المقدادية بمحافظة ديالى شرقي العراق الأشم في ١/١٢/١٩٣٥م (٥).

(١) المهداوي: هي من عشائر قيس بالعراق، وتسكن أراضي بلور وبابلان في المقدادية، ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن عبد الغني كحالة الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٩٩٤م، (٥/٢٤١).

(٢) أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجى، يوم الأحد ٥ سبتمبر ٢٠٢٢، الساعة ٣٨:٢٠م.

(٣) نقلاً عن ليالي أندلسية، وهو لقاء مع أحمد عبد الرحمن الحجى، منشور على اليوتيوب:

<https://youtu.be/jWI3wzfuQC4>

(٤) انظر: الدكتور الحجى خاتمة الفاتحين، عامر ممدوح، مجلة روى، العدد الخامس، فبراير عام: ٢٠٢٣م، (ص ٥٣).

(٥) أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجى، يوم الأحد ٥ سبتمبر ٢٠٢٢، الساعة ٣٠:٢٠م.

المطلب الثاني:

أسرته ونشأته

أولاً: الأسرة:

الأسرة هي الركن والأساس والمعتمد بعد الله ﷻ في بناء شخصية الفرد وتكوينه، فمتى كانت الأسرة ذات تربية دينية وعلمية صحيحة كان الأثر في تكوين عقلية الشخص واضحاً جلياً، والدكتور عبد الرحمن الحجي ﷻ نشأ في أسرة متدينة، فتأثر بها، وأخذ عنها، حتى تكونت عقليته العلمية وشخصيته الإسلامية، فأصبح أحد المؤرخين العظماء في العالم الإسلامي.

فوالده علي بن مُجَّد^(١)، ووالدته زكية بنت أحمد^(٢)، وأما إخوته فهم سبعة أفراد، أربعة ذكور، وكان الدكتور عبد الرحمن ﷻ أكبرهم، وعبد الكريم وفائق ومُجَّد، وأربع إناث: فوزية، وتماضر، وسهيلة، ولائقة^(٣)، ولائقة هي الشقيقة الصغرى للدكتور عبد الرحمن الحجي، وتوفيت رحمها الله بجادث سيارة أثناء ذهابها لعملها سنة ١٩٧٧م، حيث كانت تعمل صيدلانية مع زوجها وابنتها، وكان رحليها صدمة للدكتور الحجي، وقد نعاها وراثها في كتابه أضواء على الحضارة والتراث، وأهداها جهد عمله، وحزن لفقدائها حزناً شديداً، وذكر من شدة حزنه عليها

(١) هو: علي بن مُجَّد بن خطاب بن عمر بن موسى بن إسماعيل بن إبراهيم العبادي، كان منشغلاً بالفلاحة والزراعة وتربية المواشي، ولم يتعلم في المدرسة إلا بضع سنوات، وتوفي سنة ١٩٧١م.

أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجي، يوم ٩ نوفمبر سنة ٢٠٢٢م، الساعة ٥:٢٣م.

(٢) هي: زكية بنت أحمد، ولدت سنة ١٩٠٤م، وكانت -رحمها الله- أمية، لم تلتحق بالمدرسة، وتوفيت سنة ١٩٩٣م.

أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجي، ي يوم ٩ نوفمبر سنة ٢٠٢٢م، الساعة ٥:٢٣م.

(٣) أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجي، يوم السبت ١٨ ديسمبر سنة ٢٠٢٢م، الساعة ١١:٣٧م.

أنه ابيض شعر رأسه (١).

ثانياً: النشأة:

ترى الدكتور عبد الرحمن الحجى وترعرع في أسرة ريفية متدينة، في كنف والده الوقور الذي كان يعمل في فلاحه الأرض ورعاية البساتين، ويجتهد في عمله؛ ليربي أبناءه من كد عرقه، وكان جده الأعلى مُجَّد صاحب علم وفقه، فكان حينذاك فقيه المدينة (المقدادية) (٢)، ونشأ ﷺ مكافحاً، يعمل مع والده في رعاية البساتين وهو طالب في المدرسة إلى أن أكمل الثانوية (٣).



(١) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى، الكويت، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط (١) ١٤٠٨ هـ - ١٩٧٨ م، (ص ٤١-٤٢).

(٢) لقاء ليالي أندلسية، الجزء الأول، الحلقة الخامسة، حياة مؤرخ أندلسي، أحمد عبد الرحمن الحجى.

<https://youtu.be/fjFqBfr4fik>

(٣) انظر: عبد الرحمن الحجى عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجَّد القاعود، الجمعة ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ، ١٩ من يناير ٢٠٢١ م.

<https://www.msf-online.com>

المطلب الثالث:

زواجه ، وأبنائه

زواجه:

اختار الدكتور عبد الرحمن الحجى السيدة منال بنت عبد اللطيف لتكون شريكة حياته وزوجاً له بعد عودته من دراسته للدكتوراه عام ١٩٦٧م، وهي من أسرة عراقية، ولدت في مدينة شهربان (المقدادية)، وتعلمت في دار المعلمات، وأصبحت بعدها معلمة في رياض الأطفال والابتدائية، وقد كانت خير رفيقة، صابرة ومحتسبة، انتقلت معه من بلد لآخر، حيثما يتاح له العمل، ووقفت مع شريك حياتها ترعى البيت، وتربي الأبناء، وساعدته كثيراً في الكتابة والتأليف، فكان ﷺ يملي عليها وهي تكتب له، فجمعتهما علاقة محبة ووفاء، وعندما بدأ كتابة الشعر كانت أول من كتبت فيه؛ فقد عبر عن شوقه إليها بأبيات يقول فيها:

حبيرة قلبي هيا تعالي	فأنت أنسي وكل مالي
أنا لا أطيق عنك بعداً	بين غربتي ووحش الليالي
أما علمت الحب كيف براني	أضناني شوقاً وأساء حالي
فلا نوم يطيب ولا طعام	ولم يروني ماء الزلال
قضيت الصيف منتظراً لقاءً	مللت الصيف وعيشاً في الجبال
تهيم النفس في آفاق شوق	بين شرق وغرب في توال
أقرض الشعر فيك ولست	كثير القوافي ربيت خيال
لا جعل الله ساعة وهي تمر	دونما ذكرك يحتل بالي
وولدتنا صبرت عنها ستاً	من الشهور دون ابتهال

فلا بعدتم بعد اليوم عني ولا بعدت عنكم يا منالي (١)

ولم تمكث بعد رحيله طويلاً؛ فقد وافتها المنية يوم الأحد ٥ سبتمبر ٢٠٢١م (٢).

الأبناء:

رزق الله الدكتور الحجري رحمه الله بمولودته الأولى ابتهال، وهي خريجة بكالوريوس علوم حياة، ثم بعدها رُزقَ بابنته الثانية مآب، وهي خريجة ماجستير في علوم الحاسب، ثم رزقه الله بأبناء ذكور، رُزق ببلال وكان ﷺ يكتي به، وهو خريج بكالوريوس هندسة زراعية، ثم رزقه الله بأيمن، وهو خريج بكالوريوس إدارة صناعية، ثم رزقه الله بآخر مولود له، وهو أحمد، وهو حاصل على الدكتوراه في العلوم المالية (٣).

ونلاحظ هنا التنوع الثقافي لدى أبناء الدكتور الحجري، وعدم إلزامه لهم بالتوجه نحو ما اتجه إليه، وإنما جعل المجال حسب رغبتهم.

وهذا ما أخبرني به ابنه الدكتور أحمد الذي ذكر أنه حينما أخبر والده عن رغبته في دراسة العلوم الشرعية فنصحته بدراسة علم آخر مع العلوم الشرعية، وذكر له كيف كان مسلمو الأندلس بارعين في العلوم الأخرى مع العلوم الشرعية (٤).



(١) انظر: أمي الحبيبة وداعاً، أحمد عبد الرحمن الحجري، غير منشور، (ص ٢-٤).

(٢) انظر: عبد الرحمن علي الحجري سيرة ومسيرة، أحمد عبد الرحمن الحجري، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م، (ص ٢٣).

(٣) أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجري، عبر تطبيق الواتس يوم ١٨ ديسمبر ٢٠٢٢م، الساعة ٤٦:١١م.

(٤) أفاد الباحثة بهذا أحمد عبد الرحمن الحجري، عبر تطبيق الواتس يوم ٢٤ مايو ٢٠٢٢م، الساعة ٣٥:١١م.

المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه

تعد الأخلاق أساسًا في ارتقاء الفرد والأمم، ولها الأثر الكبير في حياة الإنسان وسلوكه وعلاقته مع غيره، وهي الأصل من بعثة سيد المرسلين؛ فقد قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(١)، وشهد كل من له علاقة وصلة بالدكتور عبد الرحمن الحجري ﷺ أنه اتسم بجملة وافرة من الصفات والأخلاق الحميدة التي تُكَوِّن شخصية المسلم عمومًا والعالم خصوصًا، ويمكن تقسيم تلك الصفات إلى صفاته المهنية والشخصية.

أولاً: صفاته المهنية:

١- سعة العلم:

تعد هذه الصفة من أهم الصفات التي تميَّز بها الدكتور عبد الرحمن الحجري، حيث يُعد أساسًا وقبلة لمن أراد أن يعرف التاريخ الإسلامي، ومن مظاهر ذلك:

- أنه كان من الحريصين على البحث عن التطور الذاتي المستمر.
- تلقيه العلم في جملة من كبار الجامعات، والحصول على شهاداتها، وهو من أهم ملامح سعة علم الدكتور عبد الرحمن.
- إضافة إلى ذلك فإن الدكتور ﷺ أتقن كثيرًا من اللغات والعلوم؛ فملك بذلك حصيلة علمية قوية.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم (٨٩٥٢)، (٥١٢/١٤-٥١٣)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١) ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، وصَحَّحَهُ الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها، رقم (٤٥)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (١١٢/١).

٢- الإخلاص في العمل:

إن الإخلاص نعمة عظيمة، يهبها الله للموفقين من أهل العلم؛ فهو زادهم ومزادهم، وموردتهم ومصدرهم، وبه يجعل الله لهم في النفوس حبًا وتعلقًا، وآثار الدكتور عبد الرحمن تجعل الباحث يستشعر منها إخلاص الدكتور الحجي رحمته الله؛ فأثاره بادية، وخدمته المعرفة بإخلاص وصدقٍ ظاهرة، وقد آثر الغربة والحمول، وصبر على ما لقيه مما يُصاب به عادةً أمثاله من ذوي الصدق في الاختيار، والوضوح في التعبير^(١).

ويؤكد هذا ما ذكره الدكتور الحجي في مقدمة كتابة التاريخ الأندلسي؛ فقد ذكر أنه لم يكن الدافع لتأليفه رغبة في ترقية علمية جامعية، أو تحلية باسم أو مال وثروة وسمعة، بل كان لله خالصًا كما يفعل العلماء المسلمون، شائه شأن جميع الكتب والأعمال العلمية الأخرى، وهو حصيلة تدريس مادة التاريخ الأندلسي لعشر سنين، بمتابعة مستمرة، ورغبة أكيدة، تَخَصُّصًا وهوايةً بلغت حدًّا بعيدًا من التعلق قد يصل إلى حد العشق، على الرغم من صعوبة توفر التكاليف المالية، والمتاعب العلمية والوظيفية، والاضطهادات الجامعية والاجتماعية^(٢).

٣- علو الهمة:

الجدية والهمة العالية قاسم مشترك بين كل العلماء والباحثين الصادقين، ولا تتفتق لهم العلوم، وتتجلى لهم المسائل إلا بذلك؛ "ولو لم يتحلوا بعلو الهمة لما كان لهم موضع في قوائم

(١) انظر: ذكرى الدكتور عبد الرحمن الحجي، مُجد السرار، مركز ابن القطان لدراسة الحديث والسيرة النبوية العطرة.

<https://www.arrabita.ma/blo>

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، بيروت، ط(٩) ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، (ص ١٣-١٤).

العظماء، ولما تربعوا في قلوب أبناء ملتهم، ولا تزينت بذكرهم صحائف التاريخ، ولا جعل الله لهم لسان صدق في الآخرين" (١).

وقد تبينت هذه الصفة في الكثير من الأمور، ولعلها تتضح في طيات البحث، ومنها حرصه الشديد على قضاء حوائج الناس على الرغم من انشغاله، فكان ﷺ يقول: "لا يطلب أحدٌ مني شيئاً إلا وأستجيب له في الحال ما دام ممكناً، حتى إنني أترك ما في يدي وأنجز حاجته" (٢).

٤ - التحمل والاجتهاد:

وقد تجسّد ذلك في مواصلة العمل لأجل نجاح دعوته وهدفه السامي؛ فقد تحمل واجتهد من أجل أن يعرف المسلم تاريخه الناصع من غير تشويه، وتحمل مشاق السفر والفقر والتنقل بين الدول العربية والأوربية لتحقيق ذلك، وفي فترة دراسة الدكتوراة في جامعة كامبريدج قضى فيها شتاءه الأول بمعطف صيفي مُتَحَمِّلاً مختلف الصعوبات من أجل تحقيق هدفه (٣).

٥ - الأمانة العلمية:

من الصفات المهمة التي ينبغي أن يتمتع بها الباحث المسلم استقامته وتحليه بالصدق والأمانة؛ فالأصل الأخلاقي ركن ركين في الثقافة الإسلامية، والأمانة والصدق هما جناحا هذا الطائر الذي يخلق بالباحث في آفاق سماء البحث الجاد (٤).

(١) علو الهمة، للدكتور مُجَّد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار القمة، ودار الإيمان، مصر، عام النشر: ٢٠٠٤م، (ص ٢٥٥).

(٢) المفكرة الشخصية للدكتور عبد الرحمن الحجي، أحمد عبد الرحمن الحجي، ١١ أكتوبر ٢٠٢١، الساعة ٨:٣٠م.

(٣) انظر: عبد الرحمن الحجي سيرة ومسيرة، أحمد الحجي (ص ١)، وهو غير منشور.

(٤) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للعلامة محمود مُجَّد شاکر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ص ٣٣).

وقد تميَّزَ الدكتور الحجي رحمته الله بالأمانة، وكان يعرض أقوال المؤرخين، ويقارن بينها كأنها ماثلة بين عينيه، ثم يستخرج الصواب فيما يظهر له على الرغم مما يكنه في نفسه من عاطفة، غير أنه لا يعدل عن الحقيقة (١).

ثانياً: صفاته الشخصية:

جمع الله للدكتور عبد الرحمن الحجي رحمته الله صفات حميدة، منها ما يأتي:

١- التواضع:

كان رحمته الله متواضعاً في نفسه، حسن المظهر دون إسراف، محبباً للخير والنصح، فقد كان يسعى إلى توثيق روابط الصداقة مع إخوانه ومحبيه، ويسارع في مشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، ويواسي كلَّ مَنْ مرَّ بضائقةٍ أو شدَّةٍ (٢).

٢- الكرم:

لقد عُرفَ الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمته الله بالكرم، فكان بيته ومكتبته مفتوحين لطلاب العلم، كما أنه كان يستقبل العلماء في منزله، ويحسن ضيافتهم، وشهد له بذلك أهل العلم، يقول الأستاذ الدكتور منجد بهجت (٣): حين كنت أعد رسالتي في الماجستير في اللغة العربية

(١) انظر: في ذكرى العلامة عبد الرحمن الحجي، قيس بن مُجد آل الشيخ مبارك، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م، (ص ٣٨).

(٢) انظر: مجلس الغزاء الدكتور عبد الرحمن الحجي، مقطع على الشبكة العنكبوتية:

<https://youtu.be/kEO8U0Pr5EU>

(٣) هو: منجد مصطفى بهجت، ولد في مدينة كركوك في شمال العراق سنة ١٩٤٧، وأنهى تعليمه المدرسي في أربيل سنة ١٩٦٤، ثم التحق بجامعة بغداد وحصل منها على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية سنة ١٩٦٨، ثم حصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر في مصر سنة ١٩٧٣م، وأعقبها بالدكتوراة من الجامعة نفسها سنة ١٩٨٢م، وهو أديب له اهتمام كبير بالأدب الأندلسي، وقد نشر ما لا يقل عن خمسين بحثاً في المجالات المحكَّمة في عدد من البلاد العربية وغيرها. انظر: موقع ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D8%AC%D8%AF_%D8%A8%D9%87%D8%AC%D8%AA

كنت أذهب إلى منزل الدكتور عبد الرحمن؛ للإفادة من مصادره، ففتح لي منزله ومكتبته، فكان رَحِمَهُ اللهُ كريمًا حُلُمًا وَعِلْمًا^(١).

٣- البعد عن الشهرة:

مما يدل على بعد الدكتور الحجّي رحمه الله عن الشهرة أن العائلة أصرت عليه أن ينشر سيرته ومذكراته التي كتب أكثرها ثم تناقل في إتمامها، وَتَبَيَّنَ بعد وفاته عدم رغبته في هذا، فوجدوا في مذكراته أنه يقول: "ما كنت أبحث عن الشهرة، ولا أريدها، فقط أريد أن يعرف المسلم تاريخه من خلال ما أقدّمه له"^(٢).

٤- الانشغال بالعلم والعبادة:

كان رَحِمَهُ اللهُ يعتبر دراسته للتاريخ من العبادة، وأن دراسته واجبة على كل مسلم ومسلمة، بل يَعُدُّه نوعًا من أنواع الجهاد؛ لذا سلك هذا الطريق، وهو كثير القراءة والبحث فيه، ويدل على ذلك هذا النتاج العلمي الذي خلفه؛ فهي تزيد عن العشرين كتابًا ما بين تحقيق وتأليف، وقد غدا بعضها مقررات تدرس في الجامعات ومعاهد إعداد المعلمين، ومراجع لمختلف المناهج الدراسية، كما قاده هذا الاستبصار التاريخي إلى العكوف على تأليف كتاب (إعجاز القرآن والنبوة)، وظلّ منصرفًا نحوه حتى آخر ساعة في حياته كما يذكر نجله أيمن الذي ذكر أن والده كان على وشك إنهائه، ويستعد لإرساله إلى المطبعة، وقد صبَّ جهده كلُّه خلال سنته الأخيرة في العمل على هذا الكتاب إلى منتصف الليل، وصرف لأجله أكثر من ثماني ساعات يوميًا في البحث والتأليف^(٣).

(١) أفاد الباحثة بهذا الدكتور منجد بججت، ١٢ أكتوبر ٢٠٢١م، الساعة ٠١:٠٨م.

(٢) انظر: عبد الرحمن الحجّي سيرة ومسيرة، أحمد عبد الرحمن الحجّي (ص ٢)، غير منشور.

(٣) انظر: عبد الرحمن الحجّي المؤرخ الفارس، أحمد عبد المحسن العساف، ٢٧ يناير ٢٠٢١م:

وهذا هو عمله في كبر سنّه، ونحول عظمه، وهذا السن كثيراً ما ينقطع فيه الكثير من العلماء، ومن كان مجتهداً في هذا الوقت فكيف حاله في غيره من أوقات عنفوان الشباب!؟

٥- النصح للباحثين في المجال الأكاديمي:

مما يتميز به أهل العلم الحرص على تقديم النصح والإرشاد لغيرهم كلما سنحت لهم الفرصة، والدكتور عبد الرحمن كان ناصحاً مرشداً لكثير من الطلاب والباحثين، يقول عنه الأستاذ الدكتور صالح مُجّد السندي^(١): "بدأت علاقتي مع الدكتور عبد الرحمن الحجى عندما اخترت موضوعي للماجستير عن دولة بني جهور بقرطبة، سمعت من بعض الزملاء الذين درسوا في جامعة الملك سعود عن فضله وعلمه، وتعاونه مع الطلاب الباحثين، فسافرت إليه ليوصلنا ويرشدنا فيما يخدم موضوعنا، فغلاً حصل اللقاء، فقد استقبلنا بالترحيب، وأرشدنا إلى ما يخدم موضوعنا، وبقي أكثر شخصية عالقة في ذهني"^(٢).

(١) صالح مُجّد السندي، من مواليد الربيعة بالقصيم ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، وهو أستاذ تاريخ الأندلس بجامعة الإمام مُجّد بن سعود بالرياض، حصل على الليسانس من كلية العلوم الاجتماعية من جامعة الإمام مُجّد بن سعود بالرياض، ثم حصل على الماجستير في التاريخ الأندلسي من الجامعة نفسها، وحصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي (الأندلسي) من جامعة غرناطة. ينظر: السيرة الذاتية المنشورة على موقع جامعة الإمام مُجّد بن سعود.

<https://units.imamu.edu.sa/colleges/SocialScience/AcademicDepts/Documents/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9-%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D9%8A%D8%AF%D9%8A-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE.pdf>

(٢) انظر: مع الدكتور الحجى ذكريات ومواقف، صالح مُجّد السندي، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م. (ص

المطلب الخامس:**وفاته**

فقدت الأمة الإسلامية في مساء يوم الاثنين ١٨ يناير ٢٠٢١م^(١) الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله، أستاذ السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، والمدافع الغيور عن دينه وتراث أمته، ولكن حين سكت قلب راحلنا الكبير لم يسكت قلمه، بل حجز لحامله مقعداً في سجل الخالدين الكبار، وأصبح فارساً في ميدانٍ وعريٍّ وإن لم يشارك مع جيوش الفاتحين الأوائل، وفوق ذلك أكَّد الدكتور الحجى بجهاده العلمي والمعرفي للأعداء قبل الأصدقاء، وثبَّت في نفوس أبناء الأمة المحمدية أننا قومٌ لا ننسى أمجادنا^(٢)، فقد وَقَفَ رحمه الله قلمه في التأليف والدفاع عن التاريخ الإسلامي والأندلسي، فعليه رحمة من الله ورضوان.

(١) انظر: عبد الرحمن الحجى سيرة ومسيرة، أحمد عبد الرحمن الحجى (ص ٢٣).

(٢) انظر: عبد الرحمن الحجى المؤرخ الفارس، أحمد عبد المحسن العساف، ٢٧ يناير ٢٠٢١م.

المطلب السادس :**ثناء العلماء عليه**

لقد تتابعت شهادات أهل العلم، ونازلي ميدان التاريخ الإسلامي، والدعاة الأفاضل على الثناء على راحلنا المؤرخ الكبير د. عبد الرحمن حجّي، ومن هذه الطائفة الزهرية أقطف باقة ورود؛ فمن ذلك:

قال عنه المؤرخ الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل^(١): "ما يُميّزُ الدكتورَ عبدَ الرحمن الحجّيَّ عن باقي المؤرخين هو التزامُهُ بالمنهج الإسلامي الأصيل في عرضه للتاريخ الأندلسي، وهو ثالث ثلاثة من جيل المؤرخين العراقيين الإسلاميين الذين طالما أشاد ببحوثهم في ساحة الكتابة في التاريخ الإسلامي الطلبة والباحثون والمتابعون"^(٢)، والثلاثة هم: الأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحجّي، والأستاذ الدكتور عماد خليل.

(١) هو: عماد الدين خليل الطائي، ولد في الموصل سنة ١٩٤١م، وهو أديب ومفكر ومؤرخ عراقي، حصل على بكالوريوس الآداب من جامعة بغداد سنة ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م، ثم على الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد أيضًا سنة ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ثم حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس بمصر سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، وله عدد كبير من المؤلفات التاريخية والأدبية، ولا سيما في المسرح والقصة والشعر، وله دراسات نقدية عدة.

انظر: موسوعة الأسر الموصلية، الجزء الثاني، شبكة البصرة، أزهر سعد الله العبيدي، الأسر الطائنية، الطائي عماد الدين خليل ١٩٤١م، وأعلام الموصل في القرن العشرين للعلامة الدكتور عمر مُجّد الطالب (نسخة مؤرشفة)، مؤرشف من الأصل في ٢٧ مايو ٢٠١٦م، و(الدكتور عماد الدين خليل)، إسلام ويب، مؤرشف من الأصل في ٥ مارس ٢٠١٦م، اطلع عليه بتاريخ ٥ كانون الثاني ٢٠١٢م.

(٢) جهود الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحجّي في التاريخ الأندلسي، عماد الدين خليل، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م، (ص ٣٥).

وقال عنه الأستاذ الدكتور حلمي مُجَّد القاعود^(١): "كان رحيله هزة عنيفة في الواقع الثقافي والفكري للأمة؛ حيث فقدت ركنًا شديدًا من أركان الجهاد الفكري والحضاري"^(٢).
وقال عنه ابنه الدكتور أحمد الحججي: "يمكنني القول بارتياح: إن مشهد التاريخ الأندلسي بعد عبد الرحمن الحججي ليس كَقَبْلِهِ"^(٣).
وقال عنه الدكتور خالد يوسف الشطي^(٤): "لقد أفنى حياته دفاعًا عن القرآن الكريم والسنة النبوية، وتاريخ المسلمين وحضارتهم، وقد نذر نفسه لتوثيق سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة و اتم التسليم، وسيرة بلاد الأندلس والحديث عن حضارتها وازدهار تاريخها"^(٥).

(١) هو: حلمي مُجَّد قاعود، من مواليد محافظة البحيرة في مصر سنة ١٣٦٦هـ، وهو أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة طنطا، وعضو اتحاد الكتاب في مصر، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، عمل في جامعات عدة، وشارك في مؤتمرات أدبية عدة داخل مصر وخارجها، ويشارك باستمرار في الكتابة لعدد من الصحف والدوريات العربية والإسلامية، وله أكثر من ثلاثين مؤلفًا في الإسلاميات والأدبيات والإعلام، وحصل على جوائز عدة، كجائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عام ١٣٨٨هـ، وجائزة المجلس الأعلى للثقافة بمصر عام ١٣٩٤هـ.
ينظر: مجلة البيان، مجموعة من المؤلفين، جمادى الأولى ١٤٢١هـ، الأديب الإسلامي الدكتور حلمي مُجَّد القاعود في حوار مع البيان.

(٢) انظر: عبد الرحمن الحججي عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجَّد القاعود، الجمعة ١٦ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ، ١٩ يناير ٢٠٢١م.

<https://www.msf-online.com>

(٣) عبد الرحمن الحججي سيرة ومسيرة، أحمد الحججي، مجلة روى، العدد الخامس، (ص ٢٠).

(٤) هو: خالد يوسف الشطي، من مواليد دولة الكويت عام ١٩٦٥م، حصل على البكالوريوس من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، ثم حصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة القرويين بدولة المغرب، ثم حصل على الدكتوراه في العمل التطوعي في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع مع تجربة دولة الكويت من جامعة القرويين بالمغرب، وهو مؤسس ومدير عام مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني.

https://dr-kshatti.com/ar/?page_id=18 .

(٥) عاشق السيرة النبوية وتاريخ الأندلس عبد الرحمن الحججي كما عرفته، خالد يوسف الشطي، مجلة روى، العدد الخامس، (ص ٤٧).

وقال عنه الدكتور مرتضى عبد الرزاق مجيد^(١): "يُعَدُّ الدكتور عبد الرحمن الحجي أحد الركائز الأساسية في دراسات التاريخ الأندلسي؛ لأنه كتب عن هذا التاريخ من الفتح إلى السقوط"^(٢).

وقال عنه الأستاذ الدكتور صالح مُجَدِّ السنيدي: "الدكتور عبد الرحمن الحجي قامة من قامات المختصين بالتاريخ الأندلسي، فرض نفسه على هذه الساحة بمؤلفاته التي غطت جوانب مهمة في هذا الاختصاص"^(٣).

وأختم بما أثنى به عليه أحد تلاميذه: "لقد رحل أستاذنا عبد الرحمن الحجي جسداً، لكن روحه وذكره ستبقى على مر السنين مهما طالت، تذكر ما قَدَّمَهُ للبحث التاريخي من مؤلفات وبحوث، أصبحت من المراجع الثقة لكل باحث تاريخي لبلاد الفردوس المفقود، والتي جعلته حياً لم يمض بذكره وسيرته وعلمه"^(٤).

(١) هو: مرتضى عبد الرزاق مجيد، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة دهوك، حصل على البكالوريوس من قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الموصل، ثم حصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي، ثم حصل على الدكتوراه في التخصص ذاته، وله العديد من المشاركات في الندوات والمؤتمرات، وقد شارك في دورة طرائق التدريس وغيرها، ينظر: السيرة الذاتية جامعة دهوك.

<https://uod.ac/ac/c/cse/departments/history/academic-members/drmurtatha-abdulrazaq-majeed/?lang=ar>

(٢) عاشق الفردوس المفقود يرحل عنه، الموت يغيب شيخ المؤرخين الأندلسيين عبد الرحمن الحجي، طه العاني، ١٩-١-٢٠٢١م.

<https://www.aljazeera.net/culture/2021/1/19/%d8%b9%d8%a7%d8%b4%d9%82-%d8%a7%d9%84%d9%81%d8%b1%d8%af%d9%88%d8%b3-%d8%a7%d9%84%d9%85%d9%81%d9%82%d9%88%d8%af-%d9%8a%d8%b1%d8%ad%d9%84-%d8%b9%d9%86%d9%87-%d8%a7%d9%84%d9%85%d9%88%d8%aa>

(٣) مع الدكتور عبد الرحمن الحجي ذكريات ومواقف، صالح مُجَدِّ السنيدي (ص ٤١).

(٤) عبد الرحمن الحجي الأستاذ والإنسان، عبد الواحد عبد الجبار التركي، مجلة روى، العدد الخامس، (ص ٥٠).

المبحث الثاني

حياة الدكتور عبد الرحمن علي الحجي العلمية

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: بداية طلبه العلم.

المطلب الثاني: أساتذته، وتلاميذه.

المطلب الثالث: آثاره العلمية، ومؤلفاته.

المطلب الأول: بداية طلبه العلم

لا شك أن طلب العلم من الأمور العظيمة، والتي لا تخلو من التعب والمشقة، لذا جعله الإسلام سبباً من أسباب دخول الجنة، كما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنة»^(١).

والمتصفح لكتب التاريخ التي تحدّثت عن العلماء ليعجّب من أبناء رحلاتهم المضنية التي قاموا بها من أجل العلم؛ فقد تحملوا مخاطر السفر ومشاقه، واجتازوا العقبات مستهينين بالصعوبات في طلب العلم الذي لا يطمحون من ورائه إلى منصب أو وظيفة يشغلونها، ولا يطمعون في دنيا يصيبنها^(٢).

والدكتور عبد الرحمن الحجي خير من سار على سنن الصحابة والسلف؛ فقد طلب العلم منذ صباه، ويَمَّمَّ وجهه قِبَلِ حواضر العلم في وقته غير آبه بمشاق السفر والطلب، بل كان همه الوحيد دراسة التاريخ الإسلامي، وأن يعرفه المسلم من غير تشويه، وقد مرت هذه الرحلة بمراحل على النحو الآتي:

أولاً: طلبه العلم في الكتاب:

بدأ الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمته الله تعليمه قبل أن يلتحق بالتعليم النظامي فيما يُعرف بالكتّاب الذي كان يشرف عليه شيخ الحي أو إمام المسجد، ويقوم بتعليم الأطفال أساسيات

(١) أخرجه مُسلم في صَحِيحِهِ، كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ، باب فضل الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، رقم (٢٦٩٩)، تحقيق: مُجَدِّ فُوَادِ عَبْدِ الْبَاقِي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، (٤/٢٠٧٤).

(٢) انظر: الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق نور الدين عتر، ط(١) ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، (ص ٩).

القراءة والكتابة، وتلاوة القرآن الكريم وحفظه، ومن هذا المكان بدأ ﷺ تلقي العلم، فتعلم قراءة القرآن وهو في سن الرابعة^(١) من عمره على يد معلمة تُدعى حلمية رحمها الله التي عُرِفَتْ بأخلاقها العالية، وكان يصفها ﷺ بأنها امرأة سمحة مخلصه، مناسبة لهذه المهمة العظيمة^(٢).

وكان الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله من الطلاب المتميزين، قال رحمه الله: "إني أسمع القرآن في الإذاعة، وأعرف أي سورة هي، ولا أذكر أنني أخطأت"^(٣).

وقد خرّجت هذه الكتاتيب حُفَاطًا وقراءً وعلماء كبارًا، وكان طلاب الكتاتيب متميزين في العلم؛ لحذقهم وفهمهم وَتَوْقُؤِدِ ذَاكِرَاتِهِمْ بسبب أخذهم القرآن الكريم غَضًّا طَرِيًّا منذ نعومة أظفارهم.

ثانيًا: طلبه العلم في المدارس:

التحق ﷺ بالمدرسة الابتدائية في شهربان (المقدادية) في سن الرابعة، قبل سن المدرسة بسنة، وكان ﷺ متفوقًا ومتميزًا بين أقرانه، وَتَمَتَّعَ ببناء الكثير من الأساتذة عليه، وصار يكتب ويقرأ وهو في الصف الثالث، ويشارك في المناسبات، وقد تَمَيَّزَ على زملائه بما ملكه من قوة شخصية ونباهة، وعرفه المعلمون بحسن أدبه ورفي أخلاقه^(٤).

ثالثًا: السفر إلى بعقوبة:

أراد الدكتور الحجى رحمه الله بعد إكماله الابتدائية السفرَ إلى بعقوبة؛ لمواصلة تعليمه في مرحلتي المتوسطة والثانوية، لكنه لم يتكمن من الالتحاق بها؛ لعدم وجود ما يحتاج إليه تكاليف

(١) أفاد الباحثة بهذا الدكتور أحمد عبد الرحمن علي الحجى، ١٩ ديسمبر ٢٠٢١م، ٤٠:٩٠م.

(٢) انظر: مع الدكتور عبد الرحمن لقاء ووداع، عبد المنعم جمعة صالح، غياث، من منشورات الفيس بوك.

facebook.com/15207790715499

(٣) من مفكرة الدكتور عبد الرحمن الحجى الشخصية، وهي غير منشورة.

(٤) أفاد الباحثة بهذا الدكتور أحمد عبد الرحمن الحجى، ١٩ ديسمبر ٢٠٢١م، ٤٠:٩٠م.

مادية كثيرة للسكن وغيره، فما كان لديه إلا أن يلتحق بدار المعلمين الريفية التي تتيح للطالب الدراسة فيها لمدة خمس سنوات، وبعدها يتخرج ليعمل معلمًا في الأرياف والقرى، وقد سافر رحمه الله مع والده إلى بعقوبة قاصدًا مديرية التربية بالمحافظة؛ لمقابلة المدير وطلب قبول الدكتور الحجي رحمه الله في دار المعلمين الريفية، لكن المدير قال لوالده: ابنك صغير السن، ومتقدم وذكي، وخسارة أن يذهب ويدرس في دار المعلمين الريفية؛ لأنه لا مستقبل لها إلا أن يبقى معلمًا في الأرياف؛ لذلك لا بد من أن يدرس في الثانوية، فأجابه والده بأنهم لا يملكون المال اللازم لذلك، فعرض المدير مساعدتهم في ذلك، وأخبرهم أن مديرية التربية في (ديالا) ستفتح لأول مرة هذا العام مجالًا لقبول عشرة من التلاميذ على حسابها من كافة المحافظات، وهي تتكفل بنفقات السكن والمعيشة، وأراد المدير أن يسجله من العشرة، فوافق الوالد، وكان فرحًا جدًا على الرغم من أن ذلك سَيَقْوَتْ عليه فرصة إيجاد عمل يُعِينُ به الدكتور الحجي العائلة، لكن الوالد أراد له مستقبلًا أفضل (١).

وبعد نجاحه في الامتحان الوزاري للمرحلة المتوسطة تقدّم للحصول على الموافقة من أجل الدراسة في دار المعلمين الابتدائية، لكنه لم يُقبل فيها ابتداءً، ثم عاد إلى بعقوبة من أجل أن يلتحق بثانويتها، واختار الفرع العلمي فيها، لكنه لم يلبث فيها إلا أيامًا قليلة حتى أتيحت له الفرصة بالالتحاق بدار المعلمين الابتدائية في بغداد بمحافظة الأعظمية (٢).

وقد أحب الدكتور عبد الرحمن الأعظمية؛ لما تمتاز بأجوائها، فقد كانت في ذلك الوقت أفضل مدينة في العراق، ولكون أهلها من المتعلمين والمثقفين الذين لديهم توجه إسلامي

(١) من مفكرة الدكتور عبد الرحمن الحجي الشخصية، وهي غير منشورة.

(٢) أفاد الباحثة بهذا الدكتور أحمد عبد الرحمن علي الحجي، ١٩ ديسمبر ٢٠٢١م، ٤٠: ٢٩م.

صحيح، ومحبة للدين الإسلامي، وقد تميزت الأعظمية بجمالها الهادئ؛ لهذا السبب أحبها الدكتور عبد الرحمن حباً عظيماً، وكانت مناسبة لبقائه فيها خلال تلك الفترة^(١).
وقد أوّلَى الدكتور الحجى الدراسة أهمية كبيرة، وكانت تأخذ جُلَّ وقته، وشُغِلَ بها عن مساعدة الأهل، ولما رأى ﷺ أنه قَصَرَ في حق العائلة قرر أن يقترض مبلغاً من المال من أجل إرساله إلى الأهل في المقدادية؛ لكي يعوض هذا التقصير، وبعدها واجه ﷺ صعوبة في رد هذا الدَّيْن، ووصل به الأمر إلى أن ينهي الدراسة، ويعود إلى والده في المقدادية، إلا أن الوالد رفض فكرة العودة قبل إتمام الدراسة، وقال له: إنه من الممكن أن يبيع البستان الذي كان أعلى شيء يملكه ومصدر معيشتهم، وضحى به في سبيل مواصلة ابنه دراسته عندما رأى منه الإصرار والنجاحات التي كان يُحَقِّقُهَا^(٢).

وبعد حصوله على شهادة من معهد المعلمين أَهْلَتْهُ ليكون معلماً عين في مدرسة المقدادية الابتدائية^(٣).

رابعاً: السفر إلى مصر ومعارضة العائلة:

أراد الدكتور الحجى رحمه الله بعد أن أكمل الثانوية أن يسافر إلى مصر لإكمال المرحلة الجامعية، لكنه عورض في البداية من الجميع^(٤)؛ لأن هذا سيؤدي إلى تركه العمل في البستان مع والده من أجل التفرغ التام للدراسة، وعندما أخبر والده بأمر السفر رفض رفضاً شديداً؛ لأنه كان يعتمد عليه بشكلٍ كليٍّ في مساعدة الأهل في العمل، إلا أن الدكتور الحجى رحمه الله كان مُصِرّاً على رأيه، وعندها أرسل إليه والده شفعاء من المدينة، ومنهم شيخ الجامع؛ لإقناعه

(١) أفاد الباحثة بهذا الدكتور أحمد عبد الرحمن علي الحجى، ١٩ ديسمبر ٢٠٢١م، ٤٠: ٩م.

(٢) أفاد الباحثة بهذا الدكتور أحمد عبد الرحمن الحجى، ٢٥ مايو ٢٠٢٢م، الساعة ٢: ٤ص.

(٣) انظر: شهادة دار المعلمين، ملحق (٦)، (ص ٥١١).

(٤) من مفكرة الدكتور عبد الرحمن الحجى الشخصية، وهي غير منشورة.

بالعدول عن رأيه، فأخبره إمام الجامع بأن الدراسة شيءٌ جيدٌ، لكن مساعدة أهله تُعدُّ من الضروريات في تلك الفترة، ويعد إصر الدكتور عبد الرحمن ﷺ في هذه الفترة أمرًا عجيبيًا مستهجنًا وقليل الحدوث؛ إذ لم يكن لدى الناس اهتمام بالتعليم مثل الوقت الحالي، وقد كان قرار رفض العائلة شديدًا؛ لأنه عليه السكن في القسم الداخلي تلك الفترة^(١).

خامسًا: طلبه العلم علي يد العلماء في الإجازة الصيفية:

تلقى ﷺ العلوم الشرعية علي يد بعض العلماء الذين يُقدّمون إلى المقدادية أثناء الصيف، بل هو من كان يشرف على رحلتهم واستقبالهم وحسن ضيافتهم، ومن تلقى على يده العلم الشيخ مُحمَّد الصواف الذي قَدِمَ إلى المقدادية، وألقى خطبة بليغة شديدة التأثير في نفوس الناس، وافتتح فيها مكتبة إسلامية^(٢).

ثم بعد ذلك حصل على دبلوم المعلمين، وعُيِّنَ معلمًا في المقدادية، وكان حب التاريخ يشغل فكره، فقام ﷺ بالبحث عن الجامعات التي تهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، فتبين له أن جامعة القاهرة لها اهتمام؛ فسارع إليها^(٣).

سادسًا: طلبه العلم في الجامعات:

لقد كان من مظاهر رسوخه في العلم أنه تنقل بين أكناف بيئات علمية وقورة، وكان من أبرزها جملةً من أجلّ الجامعات في العالم العربي والإسلامي، بل ومن أشهر الجامعات العالمية، منها:

(١) أفاد الباحثة بهذا الدكتور أحمد عبد الرحمن علي الحجي، ١٩ ديسمبر ٢٠٢١م، ٤٠: ٤٠م.

(٢) انظر: ذكريات ومواقف، وليد الأعظمي (ص ٥٠-٥١).

(٣) انظر: مع الدكتور عبد الرحمن الحجي لقاء ووداع، عبد المنعم جمعة صالح، صفحة غياث، منشورات الفيس بوك.

facebook.com/15207790715499.

١ - جامعة القاهرة:

لقد أحب الدكتور عبد الرحمن الحجى التاريخ الإسلامى أياً حب، وبالأخص الأندلسى منه، ولقد دفعه هذا الحب لينطلق من حقول الفلاحة فى المقدادية فى خمسينيات القرن الماضى مُتَوَكِّلاً على الله ليلتحق بجامعة القاهرة، وكان حينها أمام خيارين: إما أن يلتحق بدراسة التاريخ بشكل عام بكلية الآداب، أو بدراسة التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم، فتقدم ﷺ إلى كلية دار العلوم من أجل دراسة التاريخ الإسلامى (١).

وكان الدكتور الحجى يعمل حينها معلماً للصفوف الابتدائية فى إحدى مدارس المقدادية، ويواجه صعوبة فى السماح له بالسفر؛ مما أدى به الأمر إلى ترك مهنته لمواصلة الدراسة فى جامعة القاهرة التى انتسب إليها، وحصل فيها على الليسانس (البكالوريوس) فى بداية ستينيات القرن الماضى، وقد استمر فى مواصلة طلبه للعلم بين الجامعات (٢).

إذن كانت المحطة الأولى فى دراسة التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم، وهى من أعرق الكليات الثقافية الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى، وأسأتدتها بحار لا تكدرها الدلاء، ومن هذا البحر المتلاطم الزخار غرف دكتورنا الراحل ﷺ.

(١) انظر: عبد الرحمن الحجى شيخ المؤرخين والأندلسى العتيق، قصى أبو يوسف، ١٩ يناير ٢٠٢١.

<https://www.msf-online.com>

(٢) قصة دراستى الليسانس فى جامعة القاهرة وعملي فى التدريس الابتدائى فى العراق، عبد الرحمن الحجى، مقطع على الشبكة العنكبوتية.

<https://youtu.be/UH3pAsnqI-U>

ثم تقدم ﷺ إلى جامعة القاهرة لمواصلة تعليمه في مرحلة الماجستير في التاريخ الإسلامي، ودرس فيها السنة التحضيرية، ولكن أدى به الأمر إلى إنهاؤها قبل إتمامها بسبب ظروفه المادية، ليعود إلى أهله في المقدادية^(١).

٢ - جامعة عين شمس:

على الرغم من الوضع المادي الذي كان فيه لم يكتفِ الدكتور عبد الرحمن الحجى بالدراسة السابقة، وقرر أن يزداد من العلم، وأن يستمر في طلبه بين الجامعات، فانتقل إلى جامعة عين شمس، فدرس فيها دبلومًا عاليًا في التربية وعلم النفس^(٢)، وعاد بعد حصوله عليه إلى موطنه الأصلي المرتبط في ذهنه طيلة دراسته، وهو الأندلس؛ لبدأ الدراسات العليا في جامعة مدريد^(٣).

٣ - جامعة مدريد:

لم يزل الارتباط بالأندلس يعاود الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله، فقرر بعد حصوله على الشهادة الجامعية السفر إلى مدريد، ليسجل الماجستير في جامعتها في علم الساميات في كلية الفلسفة والآداب التي لم يلبث فيها إلا عامًا حتى غادرها بعد السنة التحضيرية من غير

(١) انظر: مع الدكتور عبد الرحمن الحجى لقاء ووداع، عبد المنعم جمعة صالح، صفحة غياث، منشورات الفيس بوك.
facebook.com/15207790715499

(٢) انظر: عبد الرحمن الحجى عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجد القاعود، الجمعة ١٦ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ، ١٩ يناير ٢٠٢١م.

<https://www.msf-online.com>

(٣) انظر: عبد الرحمن الحجى شيخ المؤرخين والأندلسي العتيق، قصي أبو يوسف ١٩ يناير ٢٠٢١م.
<https://www.msf-online.com/>

كتابة رسالة؛ لأن نظام الدراسة حينها يعطي المشرف الحق في تزكية الطالب إن رآه مُجِدًّا ومجتهدًا في الانتقال بعد عام من تسجيله إلى مرحلة الدكتوراه^(١).

٤ - جامعة كامبردج:

واصل الدكتور الحجى رحمه الله رحلته في طلب العلم، واستقر به الحال في واحدة من أرقى الجامعات العالمية؛ جامعة كامبردج في بريطانيا عام ١٩٦٦م^(٢)، وقضى ﷺ خمسة أعوام في كتابة أطروحة الدكتوراه، الموسومة بـ (العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وأوروبا الغربية)، منها عام ونص قضاها في القراءة وجمع المادة العلمية، وكان نتاج هذه الرحلة بفضل الله باهرًا؛ فقد قدّم أطروحة في غاية التخصص، استُمدت من مصادر باثني عشرة لغة، أثنى عليها مشرفه جون هوبكنز، وذكر أنه لو أتى أي باحث ولو بعد مائة عام فإنه لن يضيف للبحث في هذا الموضوع حرفًا واحدًا، ويعد الدكتور الحجى ﷺ أول من حصل على الدكتوراه في المقدادية^(٣)، ثم بعد ذلك استمر في الانتقال بين الجامعات، إلى أن نال درجة الأستاذية من جامعة بغداد عام ١٩٧٩م^(٤).

يتضح مما سبق تدرُّج الدكتور عبد الرحمن الحجى في طلب العلم، فالعلم لا يؤخذ جملة واحدة؛ فأول ما بدأ به تلاوة القرآن وحفظه، فهو بدايته ونهاية؛ فقد كانت بدايته تعلم القرآن في الكتاتيب، أما النهاية فكانت ما خط قلمه في كتابه (إعجاز القرآن والنبوة).

(١) انظر: مع الدكتور عبد الرحمن علي الحجى لقاء ووداع، عبد المنعم جمعة صالح، غياث، من منشورات الفيس بوك.
facebook.com/15207790715499

(٢) انظر: عبد الرحمن الحجى شيخ المؤرخين والأندلسي العتيق، قصي أبو يوسف، ١٩ يناير ٢٠٢١.
https://www.msf-online.com/

(٣) انظر: عبد الرحمن الحجى سيرة ومسيرة، أحمد عبد الرحمن الحجى (ص ١٩).

(٤) انظر: عبد الرحمن الحجى عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجِد القاعد، الجمعة ١٦ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ، ١٩ يناير ٢٠٢١م.

https://www.msf-online.com

وقد لاقى ﷺ طيلة رحلاته مشاقا ومتاعب كثيرة، صبر فيها أشد الصبر على نصب الأسفار ومتاعب الفقر وغيرها، ومن هنا استشعرت ما ذكره الإمام ابن الجوزي ﷺ في تجربته في مطالعة سير مَنْ سبقه من علماء السلف الصالح، والفائدة التي استقاها من خلال مطالعة سير العظماء بقوله: "فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر همهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائب علومهم ما لا يعرفه مَنْ لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر هم الطلاب" (١).



(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي (ص ٤٥٤).

المطلب الثاني: أساتذته وتلاميذه

أولاً: أساتذته:

لا شك أن للدكتور عبد الرحمن الحجي عددًا كبيرًا من الأساتذة، وهذا حري به، وقد جمع في دراسته بين الجامعات العربية والجامعات الأجنبية؛ مما أسهم في تَعَلُّمِهِ منهجيات البحث العلمي العربية والأجنبية، وذكر ﷺ أنه تأثر ببعض الأساتذة خاصة في المرحلة الابتدائية، وذكر منهم الأستاذ علي حبيب، والأستاذ سعيد علوان، والأستاذ خطاب عمران (١).

ثانياً: تلاميذه:

من خلال البحث في سيرة الدكتور عبد الرحمن الحجي وجدت أن له الكثير من التلاميذ في الجامعات التي درّس بها في الكويت والعراق والسعودية وغيرها، ولعل من أشهرهم كلاً من:

١- الأستاذ الدكتور كريم عجيل، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي الذي أشرف الدكتور عبد الرحمن الحجي على رسالته للماجستير، كما أهدى جهده وعمله لمشرفه الحجي؛ تعبيراً عن امتنانه وشكره (٢).

٢- الأستاذ الدكتور عبد الله السيف أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، وتأثر به بعض التلاميذ الذين لم يحظوا بأن يتعلموا على يده، وإنما تأثروا به من خلال اجتماعهم به وبمؤلفاته.

(١) مع الدكتور عبد الرحمن علي الحجي لقاء ووداع، عبد المنعم جمعة صالح، على صفحته في الفيس بوك.
(٢) انظر: الحياة العلمية في مدينة بنسنية الإسلامية، كريم عجيل حسين، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب بجامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، (صفحة الإهداء).

٣- الأستاذ الدكتور منجد بهجت، أستاذ اللغة العربية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وقد تتلمذ على يده مباشرة، وفي ذلك يقول: "كنت أزوره في المنزل، ويفتح لي مكتبته، وتعلمت منه منهجيات البحث العلمي"، وقد تأثر الدكتور منجد بالدكتور الحججي، وسار على نهجه في التأليف^(١)، فألف كتابه (الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة) محاكيًا كتاب الدكتور الحججي (التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة)، وقد أهدى إليه بعض أعماله، قال الدكتور منجد: "يمثل تحقيق هذا الديوان باكورة أعمالي، فحقيق بي أن أهديه للدكتور عبد الرحمن علي الحججي، أول رسول إلى العراق بشهادة الدكتوراه في التاريخ الأندلسي؛ تحية إكبار لجهوده العلمية، واعتزازًا بفضلته في غرس حب الأندلس وتراثه بين جوانحي"^(٢).

وتأثر به أيضًا الدكتور حمد بن صراي^(٣) الذي ذكر أن عددًا من أساتذة التاريخ كان لهم أثر كبير في مسيرته، وذكر منهم الدكتور عبد الرحمن الحججي^(٤).

(١) أفاد الباحثة بهذا الدكتور منجد بهجت، ١٢ أكتوبر ٢٠٢١م، الساعة ٨:٠١م.

(٢) انظر: ديوان ابن اللبانة الأندلسي، منجد مصطفى بهجت، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط (٢) ٢٠٠٦م، (صفحة الإهداء).

(٣) هو: حمد بن محمد بن جمعة بن صراي، ولد في رأس الخيمة بالإمارات عام ١٩٦٣م، وهو مؤرخ إماراتي، وأستاذ جامعي، وباحث في التراث، ومستشار ثقافي، وعضو في العديد من الجمعيات المتخصصة في التاريخ، والآثار، والتراث، وقد حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة مانشستر بالملكة المتحدة، وهو أستاذ في قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات العربية المتحدة، وله سبعة وثلاثون (٣٧) كتابًا منشورًا، وقد تُرجم بعضها إلى اللغات الأجنبية، وله أكثر من خمسين (٥٠) بحثًا علميًا في مؤتمرات علمية وعربية، وهو رئيس تحرير مجلة بشت الفنون، ومجلة دراسات، وعضو استشاري لعدد من المجالات والدوريات العربية المعنية بالتراث والتاريخ.

ينظر: موسوعة ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D9%8A

(٤) انظر: حكايات جدي وطدت صلتني بالتاريخ، حمد بن صراي، ٢ سبتمبر ٢٠٢١م.

<https://www.alkhaleej.ae/2021-09-02>

المطلب الثالث: آثاره العلمية ومؤلفاته

لم يقصد الدكتور عبد الرحمن رحمته الله من تأليفه الربح المالى، ولا الكسب المادى، وإنما كان يسعى إلى نشر العلم، والاهتمام بالتاريخ الإسلامى، وكان يعتبر هذا نوعاً من العبادة والجهاد فى سبيل الله، وكان رحمته الله يكتب فى أى وقت وفى أى ظرف، حتى ذكر أخوه رحمته الله الحجى أنه ألف كتاب (السيرة النبوية: منهجية دراستها، واستعراض أحداثها) والقذائف فوق رأسه (١)، وكان هدفه من هذا التأليف خدمة الدين الإسلامى، وأن يتعرف المسلم على تاريخه الإسلامى الذى كان يعده علمًا من العلوم الشرعية، وفيما يأتي عرض موجز لمؤلفات الدكتور الحجى رحمه الله:

أولاً: المؤلفات العربية:

١- السيرة النبوية: منهجية دراستها، واستعراض أحداثها، من منشورات دار القلم، دمشق، وكانت الطبعة الأولى عام ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، ويقع الكتاب فى (٥٨٩) صفحة.
وقام الدكتور بتأليفه بمنهجية مختلفة عن المعتاد؛ فقد تناول السيرة النبوية على الترتيب غير الزمنى، فتناولها حسب الموضوعات، ومن ضمن الموضوعات التى تناولها فيه: السيرة النبوية: ظلالها وآفاق دراستها، ولادة الرسول الكريم صلوات الله عليه: الإرهاص والإشارة، الهجرة النبوية بين الفداء

(١) انظر: مجلس العزاء للدكتور عبد الرحمن الحجى، مقطع على الشبكة العنكبوتية.

<https://youtu.be/kEO8U0Pr5EU>

والبناء، حقائق الهجرة النبوية ودعائمها، ومواضيع أخرى قيمة، وهو من أشهر كتب الدكتور، ومن المراجع المعتمدة في الجامعات.

٢- الإشارات والبشارات النبوية، منشورات دار القلم، دمشق، وكانت الطبعة الأولى عام ١٤٤١هـ-٢٠١٩م، ويقع الكتاب في (٤٣١) صفحة.

وقد قسم محاور الكتاب إلى قسمين، وتحت كل قسم فروع على النحو الآتي:
القسم الأول: موجز حياة الرسول الكريم ﷺ الشريف، وتحت محاور عدة، من أهمها ما يلي:

- من الولادة الكريمة إلى البعثة الشريفة.
 - المجلد من البعثة العظيمة إلى الهجرة الشريفة.
 - من الهجرة النبوية الشريفة حتى التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى.
 - القسم الثاني: البشارات النبوية، وتحت محاور عدة، من أهمها ما يلي:
 - النصوص التي تقدمها المصادر المتنوعة القائمة على التوثيق التام.
 - شيوع دنو ظهور نبي وترقبه وانتظاره، وحديث الحنفاء عنه.
- ٣- دولة المدينة المنورة، من منشورات دار القلم، دمشق، وكانت الطبعة الأولى عام ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م، ويقع هذا الكتاب في (٢٢٣) صفحة.
- ومن أهم موضوعاته: قيام دولة المدينة المنورة ومنجزاتها، والوثيقة النبوية، وغيرها من الشواهد والمواضيع القيمة.

٤- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، من منشورات دار القلم، دمشق، وكانت الطبعة التاسعة عام ١٤١٤هـ-٢٠٢٠م، ويقع هذا الكتاب في (٧٠٠) صفحة.
وهو كتاب ضخمٌ جدًّا، وقد قسمه إلى تسعة أبواب:
الباب الأول: مدخل إلى التاريخ الأندلسي.

الباب الثاني: فتح الأندلس.

الباب الثالث: عهدة الولاة (٩٥-١٣٨ هـ = ٧١٤-٧٥٥ م).

الباب الرابع: عهد الإمارة (١٣٨-٣١٦ هـ = ٧٥٥-٩٢٩ م).

الباب الخامس: عهد الخلافة (٣١٦-٤٠٠ هـ = ٩٢٩-١٠٠٩ م).

الباب السادس: عهد الطوائف (٤٠٠-٤٨٤ هـ = ١٠٠٩-١٠١٩ م).

الباب السابع: عهد المرابطين (٤٨٤-٥٢٠ هـ = ١٠٩٢-١١٣٤ م).

الباب الثامن: عهد الموحيدين (٥٤٠-٦٢٠ هـ = ١١٤٥-١٢٢٣ م).

الباب التاسع: عصر مملكة غرناطة (الأندلس الصغرى) (٦٣٥-٨٩٧ هـ = ١٢٣٨-

١٤٩٢ م).

٥- نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، من منشورات مكتبة الصحوة، وكانت الطبعة

الثالثة عام ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م، ويقع هذا الكتاب في (١٢٨) صفحة.

ومن أهم موضوعاته: منابع دراستنا للتاريخ الإسلامي، ومخطط الدس على التاريخ

الإسلامي، ووسائل الأعداء.

٦- دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، من منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة

والتراث، وكانت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٧ م.

ومن أهم موضوعاته: المنهجية الحقة لدراسة الحياة الإسلامية، والمقومات العلمية

للحضارة الإسلامية، وشغف العلماء الأندلسيين بالكتب والعلم ونشرها، والعناية بجمع الكتب

والمكتبات الخاصة في الأندلس.

٧- تاريخنا من يكتبه؟، من منشورات مركز طروس، وكانت الطبعة الثانية ١٤٤٢ هـ-

٢٠٢١ م.

ومن أهم موضوعاته: تاريخنا حي ثري، وتاريخنا بناء وإعلاء، وتحديد وتجديد، ومؤرخونا دعاة تعمير وأعمدة تحضير.

٨- شعر العلماء في الأندلس، من منشورات دار القلم، دمشق، وكانت الطبعة الأولى عام ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، يقع هذا الكتاب في (٤٠٠) صفحة.

ومن أبرز موضوعاته: حقيقة الالتزام ومصداقيته، ومكانة العلماء وشعرهم، وشعر العفة وأمثله، ونماذج القضاة وشعرهم، وفنون الشعر وأغراضه.

٩- أندلسيات، من منشورات مكتبة أهل الأثر، وكانت الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ويقع هذا الكتاب في (٧٧٢) صفحة، وهو مجموعة بحوث أندلسية نشرت في الكثير من المجلات العربية.

١٠- محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها، من منشورات الكويت، وكانت الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ويقع هذا الكتاب في (٩٦) صفحة.

ومن أهم موضوعاته: سقوط وضياع، وقيام محاكم التفتيش وقرارتها، ومواقع محاكم التفتيش.

١١- تأمل واعتبار: قراءات في حكايات أندلسية، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، وكانت الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ويقع هذا الكتاب في (٩٧) صفحة.

ومن أهم موضوعاته: سفارة أندلسية إلى الدانمارك، وابن الفرضي القرطبي، وعائشة الحرة الأندلسية.

١٢- مع الأندلس: لقاء ودعاء، من منشورات دار القلم، وكانت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ويقع هذا الكتاب في (١١٨) صفحة، وهو عبارة عن رواية لزيارة الآثار

الأندلسية في الأندلس بصحبة مجموعة من طالبات جامعة الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٧٨م، وزيارة تالية للطلبة سنة ١٩٨٥م.

ومن أهم موضوعاته: مدريد بين الوصول والرحيل، وإشبيلية نفحة أندلسية عطرة، وغرناطة وقصرها البديع.

١٣- العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية، وأصل هذا الكتاب أطروحته للدكتوراه، وهو من منشورات المجمع الثقافي، ويقع في (٤٥٣) صفحة.

وقد قَسَمَ هذا الكتاب إلى خمسة فصول؛ تناول في الفصل الأول العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع إسبانيا النصرانية خلال المدة الأموية، وتحدث أيضاً في الفصل الثاني عن العلاقات مع الفرنج، بينما تحدث في الفصل الثالث عن العلاقات مع الفايكنج، وتناول في الفصل الرابع العلاقات مع الألمان، وتحدث في الفصل الأخير من هذا الكتاب عن العلاقات مع إيطاليا.

١٤- هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة: ظروفها وآثارها، من منشورات المجمع الثقافي، عام: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ويقع هذا الكتاب في (٢٩٠) صفحة.

ومن أهم موضوعاته: آثار هذه الهجرة: تهوينها وتأليفها وترويضها، وظروف قاسية وأسباب واهية، والعلماء المهاجرون.

١٥- الكتب والمكتبات في الأندلس، من منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، عام: ٢٠٠٧م، ويقع هذا الكتاب في (٢٣٦) صفحة.

ومن أهم موضوعاته: المقومات العلمية في الحضارة الإسلامية، والمنطلق العلمي وآثاره، والعلم والعمل، وكرامة العلم ومكانة أهله، وغزارة التأليف وكثرة المؤلفين.

١٦- التاريخ الإسلامي: شبهات وحقائق، وهذا الكتاب مفقود لم أستطع الحصول عليه، وهو من منشورات المكتبة العامرية، الكويت، عام: ٢٠٠٩م.

- ١٧- المظلومون في تاريخنا، وهذا الكتاب مفقود أيضا، ولكن أغلب موضوعاته نشرت في مجلة المجتمع الكويتية، وهو من منشورات وزارة الأوقاف الكويتية.
- ١٨- جوانب من الحضارة الإسلامية، من منشورات مكتبة الصحوة، وكانت الطبعة الأولى عام: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ويقع هذا الكتاب في (٧٢) صفحة.
- وتناول فيه بعض الجوانب المغفلة من الحضارة الإسلامية، مع بيان الصورة الحقيقية لها، ومن هذه الجوانب: الجانب الدبلوماسي (العلاقات الدولية في الإسلام وحضارته)، والجانب العلمي والثقافي، والجانب القضائي.
- ١٩- أضواء على الحضارة والتراث، وحقوق الطبع محفوظة للمؤلف، وكانت الطبعة الأولى عام: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ويقع هذا الكتاب في (٢٠٢) صفحة.
- ومن أبرز موضوعاته: حالة العالم قبل الإسلام، مع بيان آفاق الحضارة الإسلامية وتراثها، وصفة الحضارة الإسلامية وتفردتها، وبناء الإسلام للإنسان ورعايته، وإنسانية الإنسان، والمرأة في الإسلام وحضارته.
- ٢٠- الحضارة الإسلامية في الأندلس: أسسها، ميادينها، تأثيرها على الحضارة الأوربية، من منشورات دار الإرشاد، وكانت الطبعة الأولى عام: ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ويقع هذا الكتاب في (٨٨) صفحة.
- ومن أهم موضوعاته: الحضارة الإسلامية: مفهوما واتجاهها وشمولها وأسسها وارتباطها وسماتها وقدرتها، وحضارة الإسلام في الأندلس، والفتح الإسلامي للأندلس، وعناصر المجتمع، وقصة التسامح، ومكانة الأندلس.
- ٢١- ابن زيدون السفير الوسيط، من منشورات طروس، وكانت الطبعة الأولى عام: ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، ويقع هذا الكتاب في (١٢٢) صفحة.

وقسم هذا الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول تناول فيه موكب التاريخ الأندلسي، وعصر الطوائف، وأسرة ابن زيدون، ومصادر دراسته، ومكانة ابن زيدون وموقعه.
وأما القسم الثاني فتناول فيه سفارات ابن زيدون، ووساطاته، ومناصبه، وحياته السياسية، وإشبيلية.

ثانيًا: المؤلفات الأجنبية

رسالة الدكتوراه منشورة كتابًا بالإنجليزية بعنوان:

ANDALUSIAN DIPLOMATIC RELATIONS WITH WESTERN EUROPE DURING THE (UMAYYAD PERIOD Beirut 1390 (1970).

ثالثًا: التحقيق:

١- المقتبس في أخبار الأندلس:

هذا الكتاب تحقيق ودراسة من كتاب المقتبس في أخبار الأندلس، للمؤرخ ابن حيان القرطبي (٣٧٧-٤٦٩هـ)، تحدث في هذا الجزء من المقتبس عن خمس سنوات (٣٦٠-٣٦٤هـ=٩٧٠-٩٧٤م) من أيام الحكم المستنصر بالله الذي حكم في الفترة (٣٥٠-٣٦٦هـ=٩٦١-٩٧٦م)، وقد طبعت الكتاب دار الثقافة، بيروت، وكانت الطبعة الأولى عام: ١٩٦٥م، ومركز طروس للنشر والتوزيع، الكويت، وكانت الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، ويقع هذا الكتاب في (٢٤٦) صفحة.

٢- جغرافية الأندلس وأوروبا:

وهذا الكتاب تحقيق ودراسة للنص الجغرافي المتعلق بالأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، للجغرافي الأندلسي الكبير عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٠٦-٤٨٧هـ).

وظهر هذا النص بعنوان جغرافية الأندلس، من منشورات دار الإرشاد، وكانت الطبعة الأولى عام: ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م، ويقع هذا الكتاب في (٢٥٨) صفحة.

ومن أبرز موضوعات قسم الدراسة: مصادر دراستنا للبكري، ومؤلفاته، ومخطوطات المسالك والممالك، والمصادر الجغرافية التي استقى منها البكري، ومكانة البكري الجغرافية.

وله مؤلفات عدة قيد الطباعة، منها:

- ١- إعجاز القرآن والنبوة.
- ٢- النموذج الأندلسي في تطبيق الشريعة الإسلامية.
- ٣- مختصر التاريخ الأندلسي.
- ٤- حكايات أندلسية.
- ٥- التاريخ الإسلامي: آفاقه الحضارية، وموازينه الإنسانية.
- ٦- الأندلس كما تراءى يوماً.
- ٧- المجتمع الأندلسي: رصد مساره، وتحقيق أخباره.
- ٨- الأندلس تاريخاً وحضارة.
- ٩- الدبلوماسية النبوية وسفراؤها.
- ١٠- الهجرة النبوية وثمارها.
- ١١- القضاء والقضاة في الأندلس.
- ١٢- آفاق وأشواق (مجموعة شعرية).
- ١٣- ملاحم تاريخية.
- ١٤- الفتح الإسلامي للأندلس.
- ١٥- نصوص تاريخية أندلسية.

١٦- دراسات اجتماعية وحضارية.

١٧- تحقيق "العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع".

١٨- الدبلوماسية النبوية وسفراؤها.

بعد هذا التطواف نرى همة عالية في التأليف والتحقيق، وصدق في محاولة تصحيح بعض ما يلحق التاريخ الإسلامي من تشويه، ونلاحظ أن الدكتور عبد الرحمن رحمته الله قد حلّق في آفاق التاريخ الإسلامي، ولم يقتصر على هذا، بل شارك في ميادين أخرى.

المبحث الثالث

حياة الدكتور عبد الرحمن علي الحجي العملية

ويشتمل على المطالب الآتية:

➤ المطلب الأول: المناصب التي تولاها.

➤ المطلب الثاني: إشرافه العلمي.

➤ المطلب الثالث: نشاطه العلمي.

المطلب الأول: المناصب التي تولّاها

حظي الدكتور عبد الرحمن الحجّي بحياة علمية لافتة، لا تقل أهمية أو تميّزًا عن حياته العملية، وقد عمل ﷺ قبل التحاقه بالتعليم الجامعي معلمًا في مدارس المقدادية، ثم بعد حصوله على الدكتوراه انتقل إلى العمل الأكاديمي، ودَرَسَ التاريخ الإسلامي والأندلسي والسيرة النبوية في جامعات عدة، فكان نبراسًا من العلم يتنقل بين الجامعات موجّهًا ومرشدًا لطلابه، وقد عمل في أغلب الدول العربية، وفيما يأتي ذكر بعض الجامعات التي عمل بها:

١ - جامعة بغداد (١٩٦٦-١٩٦٧):

في أوائل عام ١٩٦٦-١٩٦٧م عمل الدكتور الحجّي رحمه الله أستاذًا في جامعة بغداد في قسم التاريخ الإسلامي في كلية الآداب، ولم يلبث فيها سوى عامين، مر خلالها بالكثير من المواقف، كان منها موقف يدل على أمانته وإخلاصه في العمل ﷺ؛ فقد كان لديه طالبة تنتمي لعائلة لها نفوذ وسلطة، أخفقت في الدراسة، وطُلبَ منه أن ينجحها في الاختبار، فرفض هذا الأمر، فأرسلت إلى منزله بعض الهدايا من قبيل عائلة الطالبة، ولكنه رفضها، واعتبرها رشوة على الرغم من خوف عائلته ﷺ وإصرارهم عليه بقبول هذا الأمر^(١). وهذا الموقف يُعني عن كثير من السطور، وينبئ عن إيمان و يقين، وأداء أمانة التعليم، ومراعاة معيار العلم لا معيار الكسب.

(١) من مجلس العزاء للدكتور عبد الرحمن الحجّي على اليوتيوب، <https://youtu.be/kEO8U0Pr5EU>

٢- جامعة الملك سعود (١٩٦٧-١٩٧٠م):

عمل الدكتور الحجري رحمه الله في جامعة الرياض (ما يعرف اليوم بجامعة الملك سعود) في الفترة (١٩٦٧-١٩٧٠م) في قسم التاريخ في كلية الآداب، لكنه لم يمكث فيها سوى أربع سنوات، وانتقل بعدها إلى بغداد، وبقي فيها في الفترة (١٩٧٠-١٩٧٧م).

٣- جامعة الإمارات العربية المتحدة (١٩٧٧-١٩٨٥):

انتقل الدكتور الحجري رحمه الله إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة، وعمل فيها في الفترة (١٩٧٧-١٩٨٥م)، حيث عمل في قسم التاريخ في كلية الآداب إلى أن غادرها.

٤- جامعة الكويت (١٩٨٥-١٩٨٨):

عمل الدكتور الحجري رحمه الله في جامعة الكويت في قسم التاريخ في كلية الآداب في الفترة (١٩٨٥-١٩٨٨م).

٥- جامعة صنعاء (١٩٩٩م):

في عام ١٩٨٨-١٩٩٧م أخذ الدكتور الحجري رحمه الله راحة من عمله في الجامعات، لكنه رحمه الله لشغفه بالعلم والتأليف كرّس وقته في هذه المدة لإنجاز مزيد من الأبحاث العلمية، ولم يلبث الأمر طويلاً حتى عاد إلى هذه المهنة الشريفة، وعمل بجامعة صنعاء عام ١٩٩٩م في قسم التاريخ بكلية الآداب^(١).

(١) السيرة العلمية للدكتور عبد الرحمن الحجري من وضعه.

المطلب الثاني: إشرافه العلمي

أشرف الدكتور الحجى رحمته الله على تنظيم دورات التاريخ الإسلامي في بعض الدول الأوروبية في الفترة من (١٩٩٩م) إلى (٢٠٠٢م)، وتولى الإشراف على إعداد اللوائح العامة والخاصة، وإعداد المناهج الدراسية للمراحل الثانوية والجامعية، ومناهج الاجتماعيات، لا سيما التاريخ والحضارة في دول عربية وخليجية، وخصوصاً دولة الإمارات.

وأشرف رحمته الله على عشرات الرسائل الجامعية في الماجستير والدكتوراه في العراق، والسعودية، واليمن، والكويت، والإمارات في أعوام ٢٠٠٤-٢٠٠٦م^(١)، وكان مما أشرف عليه رسالة بعنوان: الحياة العلمية في مدينة بنسنية الإسلامية، للطالب كريم عجيل حسين، وهو من اختار موضوعها، وسجلت في كلية الآداب في بغداد^(٢).

(١) انظر: عبد الرحمن الحجى عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجد القاعدود، الجمعة ١٦ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ، ١٩ يناير ٢٠٢١م. <https://www.msf-online.com>

(٢) الحياة العلمية في مدينة بنسنية الإسلامية، كريم عجيل حسين، مؤسسة الرسالة، صفحة الغلاف.

المطلب الثالث:**نشاطه العلمي**

لقد تنوعت جهود الدكتور عبد الرحمن رحمته الله ما بين تأليف الكتب والأبحاث والمقالات المنشورة في بعض المجلات -ومن أبرزها مجلة المجتمع في الكويت- وجهوده في المؤتمرات والندوات، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

الجانب الأول: نشاطه في التأليف:**أولاً: الكتب:**

قام الدكتور عبد الرحمن رحمته الله بالتنقل إلى بلدان كثيرة، ولكن ذلك لم يشغله عن التأليف وتصنيف الكثير من المؤلفات التي تخدم التاريخ الإسلامي بشكل عام والأندلسي بشكل خاص؛ فقد أسهم بمؤلفات كثيرة في الدراسات الأندلسية كما سبق في ذكر مؤلفاته في المطلب الثالث من المبحث الثاني من هذا الفصل، ومنها أطروحته للدكتوراه التي كانت بعنوان: (العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وأوروبا الغربية)، واستُمدت من مصادر باثنتي عشرة لغة^(١)، كما تولى تأليف الكتب المقررة في التاريخ والحضارة للصفين الأول والثاني الإعدادي في دولة الإمارات العربية المتحدة^(٢)، وتدل مؤلفاته على ضخامة ما خلفه الدكتور الحجى رحمه الله من إرث ثقافي عظيم.

(١) انظر: التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة، عبد الواحد ذنون طه، ومجموعة مؤلفين، جامعة عبد الملك السعد، (ص ٢٣٥).

(٢) انظر: عبد الرحمن الحجى عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجد القاعود، الجمعة ١٦ جمادى الآخرة

١٤٤٢هـ، ١٩ يناير ٢٠٢١م، <https://www.msf-online.com>

ثانيًا: المقالات والبحوث:

يمكن القول: إن الدور البارز في حياة الدكتور الحجي رحمه الله العملية تأليفه للكثير من المقالات والبحوث التي بقيت شاهدةً على ما قام به من خدمةٍ للتاريخ والحضارة الإسلامية في الأندلس، وقد تنوعت هذه البحوث والمقالات، ومنها ما يأتي:

- ١- القومية بين التزوير والتبرير، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٢٧٢)، يوم الثلاثاء ٨ ذو القعدة ١٣٩٥هـ = ١١ نوفمبر ١٩٧٥م.
- ٢- نظرة في الحضارة الإسلامية: دراسة وفهْمًا، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٣٠)، يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ = ٣٠ يناير ١٩٧٩م.
- ٣- مقومات الحضارة الإسلامية، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٣١)، يوم الثلاثاء ٩ ربيع الأول ١٣٩٩هـ = ٦ فبراير ١٩٧٩م.
- ٤- خصائص الحضارة الإسلامية، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٣٢)، يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الأول ١٣٩٩هـ = ١٣ فبراير ١٩٧٩م.
- ٥- خصائص الحضارة الإسلامية مع النماذج، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٣٤)، يوم الثلاثاء ٣٠ ربيع الأول ١٣٩٩هـ = ٢٧ فبراير ١٩٧٩م.
- ٦- أمسية أندلسية، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٥٥)، يوم الثلاثاء ١٣ شوال ١٣٩٩هـ = ٤ سبتمبر ١٩٧٩م.
- ٧- القضاء الإسلامي وجهة ما أنصعهُ، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٥١٧)، الثلاثاء ١٩ ربيع الثاني ١٤٠١هـ = ٢٤ فبراير ١٩٨١م.
- ٨- أزهار القضاء وثماره في الحضارة الإسلامية، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٥٢٨)، يوم الثلاثاء ٨ رجب ١٤٠١هـ = ١٢ مايو ١٩٨١م.

- ٩- الهجرة قائمة ودائمة، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٥٤٧)، الثلاثاء ٢٢ ذو الحجة ١٤٠١هـ = ٢٠ أكتوبر ١٩٨١م.
- ١٠- التاريخ الإسلامي معالم ومكارم، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٦٩٤)، الثلاثاء ١١ ربيع الأول ١٤٠٥هـ = ٤ ديسمبر ١٩٨٤م.
- ١١- التاريخ الإسلامي منائر لا حفائر، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٧٠٠)، الثلاثاء ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - ١٥ يناير ١٩٨٥م.
- ١٢- دراسة التاريخ الإسلامي ضرورة لتجديد الوعي لدى المسلمين، منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧١٢)، ٤ رجب ١٤٢٧هـ = ٢٩ يوليو ٢٠٠٦م.
- ١٣- التاريخ الإسلامي قوافل خيرة ومواكب نيرة، (حلقات عدة)، منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧٣٥)، محرم ١٤٢٧هـ = ٢٠ يناير ٢٠٠٧م.
- ١٤- المظلومون في تاريخنا (مقالات عدة)، منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧٩٥)، ٢١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ = ٢٩ مارس ٢٠٠٨م.
- ١٥- التاريخ الإسلامي: رصد مساره وسير أغواره (مقالات عدة)، منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧٩٨)، ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ = ١٩ إبريل ٢٠٠٨م.
- ١٦- شعر الصباح بالباسم الحزين، منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٨٨٥)، ١ صفر ١٤٣١هـ = ١٦ يناير ٢٠١٠م.
- ١٧- عالمية الأدب الأندلسي، (مقالات عدة)، منشور في مجلة المجتمع، العدد (٢٠٧٤)، شوال ١٤٣٥هـ = أغسطس ٢٠١٤م.
- ١٨- الفروسية خلقًا وحضارة، منشور في مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٥١٣)، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ = مايو ٢٠٠٨م.

- ١٩- العلاقات السياسية بين ثوار الأندلس وإسبانيا المسيحية في الفترة الأموية، منشور في مجلة الأبحاث بالجامعة الأميركية في بيروت، العدد (١٨)، عام: ١٩٦٥ م.
- ٢٠- محاكم التفتيش الإسبانية وسرايب الموت فيها، منشور في مجلة المناهل، العدد (٣١)، عام: ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م.
- ٢١- الإسلام والحضارة، مراجعة كتاب الإسلام والحضارة، منشور في مجلة الوعي الإسلامي.

وله أيضاً مجموعة من البحوث المنشورة في الكثير من المجلات باللغة الإنجليزية والإسبانية والإيطالية:

“ ❖ INTERMARRIAGE BETWEEN ANDALUSIA AND NORTHERN SPAIN IN THE Umayyad Period”, The Islamic Quarterly (published by “the Islamic Cultural Center”, Regent’s Lodge 146 park road, London N. W. 8, England), Vol. XI, Nos.1 / 2, 1387/1967.

“ ❖ AL-TURTUSHI THE ANDALUSIAN TRAVELLER, AND HIS MEETING WITH POPE JOHN XII”, The Islamic Quarterly, Vol. XI, Nos. 3 / 4, 1387/1967

ثم نشر بالإيطالية في:

“ ❖ RIVISTA STORICA ITALIANA”, NAPOLI, ANNO LXXIX, FASC. I, 1967, PP.164-173.

نقد (REVIEW) لكتاب:

“ ❖ A HISTORY OF ISLAMIC SPAIN”, W. MONTGOMERY WATT, The Islamic Quarterly , Vol. X, Nos. 3 / 4, 1386/1966.

“ ❖ POLITICAL RELATIONS BETWEEN THE ANDALUSIAN REBELS & CHRISTIAN SPAIN DURING THE Umayyad Period”, The Islamic Quarterly , Vol. X, Nos. 3 / 4, 1386/ 1966.

“ ❖ TWO UNKNOWN EMBASSIES FROM A FRANKISH MONARCH TO THE COURT OF CORDOBA DURING THE REIGN OF AL-HAKAM II”, The Islamic Quarterly , Vol. X, No. 1, 1386/1966.

“ ❖ CHRISTIAN STATES IN NORTHERN SPAIN DURING THE UMAYYAD PERIOD”, The Islamic Quarterly , Vol. IX, Nos. 1 / 2, 1385 / 1965.

“ ❖ POLITICAL RELATIONS OF ANDALUSIAN REBELS WITH THE FRANKS DURING THE UMAYYAD PERIOD” The Islamic Quarterly , Vol. XII, Nos. 1 / 2, 1388 / 1968.

“ ❖ DIPLOMATIC RELATIONS BETWEEN ANDALUSIA AND ITALY DURING THE UMAYYAD PERIOD”, The Islamic Quarterly , Vol. XII, No..1968 / 1388 ,3

ونشر بالإيطالية في:

ITALIAN (Napoli, Italy), 1967, anno, LXXIX, fasc. 1. RIVISTA STORICA

“ ❖ IBRAHIM IBN YAQUB AL- TURTUSHI, ANDALUSIAN TRAVELLER”, The Islamic Culture (Published by the Islamic Culture Board, Hyderabad - Deccan, India) Vol. XL, Nos. 1 / 2, Jan. 1966.

“ ❖ ANDALUSIAN DIPLOMATIC RELATIONS WITH CHRISTIAN SPAIN DURING THE UMAYYAD PERIOD” Journal of the Pakistan Historical Society (Karachi 5, Pakistan), Jan. 1966, Vol. XIV, pt 1.

“ ❖ THE ANDALUSIAN DIPLOMATIC RELATIONS WITH THE VIKINGS DURING THE UMAYYAD PERIOD” Hesperis-Tamuda (Rabat, Morocco) Vol. III, 196

وترجم إلى اللغة الإسبانية، مدريد، عام: ٢٠٠٣م تحت عنوان:

❖ Al-Ghazal y la Embajada Hispano-Musulman A los Vikinngos en el Siglo IX.

“ ❖ THE MORISCOS IN THE ANDALUSIAN REFERENCES.(1)

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٥٥).

الجانب الثاني: نشاطه في المؤتمرات والندوات العلمية:**أولاً: المؤتمرات**

للدكتور الحجي رحمته الله الكثير من المشاركات في المؤتمرات في الدول العربية والأوربية، ومن أبرز المؤتمرات التي شارك فيها رحمته الله ما يأتي:

١- شارك في مؤتمر أُقيم في غرناطة في نهاية صيف ١٩٨٣م، أقامته الجالية المسلمة في إسبانيا.

٢- المؤتمر الثاني للجنة العالمية للدارسات المورسكية في تونس عام ١٩٨٩م، وقَدَّم فيه بحثًا بعنوان: (المورسكيون في المصادر والمخطوطات الأندلسية).

٣- وشارك أيضًا في مؤتمر (الحضارة الأندلسية) الذي دعت إليه جامعة القاهرة في الفترة من ٢٠ إلى ٢٣/٣/١٩٨٥م، وعقد في كلية الآداب، وقَدَّم فيه بحثًا بعنوان: (هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة: ظروفها وآثارها).

٤- وشارك أيضًا في ندوة الإسلام والحضارة، مراجعة كتاب الإسلام والحضارة^(١).

ثانيًا: الإذاعة والتلفاز والمحاضرات:

قَدَّم الدكتور الحجي رحمته الله الكثير من البرامج في إذاعة القرآن الكريم بدولة الكويت، إضافة إلى العشرات من البرامج في موضوعات عدة في السيرة النبوية والتاريخ الأندلسي وحضارته، منها ما يأتي:

١- منهجية دراسة السيرة النبوية.

٢- الإشارات والبشارات النبوية.

٣- الهجرة النبوية وثمارها.

(١) انظر: مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٥٤)، جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، (ص ٧٨).

٤- الدبلوماسية النبوية وسفراؤها.

٥- الأندلس: ظلال رمضان.

٦- الأندلس: قضاؤه وقضاته.

٧- مع الأندلس: لقاء ودعاء.

٨- أدب علماء الأندلس.

٩- التاريخ الإسلامي: شبهات وحقائق.

١٠- المظلومون في تاريخنا.

١١- حكايات أندلسية.

١٢- الأندلس تاريخاً وحضارة^(١).

وسجل أكثر من تسع وتسعين (٩٩) محاضرة في إعجاز القرآن الكريم والسيرة النبوية بإذاعة الكويت^(٢)، واستضيف ﷺ في برنامج اليوم السابع في قناة الوطن بدولة الكويت للحديث عن التاريخ الأندلسي، ولم يكتف رحمه الله بهذه الوسائل لخدمة التاريخ الإسلامي، بل دفعه حب التاريخ الأندلسي إلى حب القراءة والاطلاع فيه، وقَدَّمَ ﷺ الكثير من المحاضرات، منها محاضرات ألقاها بين الأساتذة المتخصصين في الثانوية قبل التحاقه بالجامعة والتخصص فيه^(٣)، ومن محاضراته ما هو مسجل على الشبكة، ومنها ما هو غير مسجل، لا سيما ما كان يُلقَى في قاعات الجامعات والمساجد؛ فقد كان ﷺ يلقي الكثير من الدروس على الجالية

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى، مكتبة أهل الأثر، الكويت، وشركة وعي الدولية، مصر، ط (١) ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، (ص ٧٦٤).

(٢) انظر: أهمية دراسة السيرة النبوية، عبد الرحمن الحجى، مقطع على الشبكة العنكبوتية.

<https://youtu.be/tjrnWiKhWw8>.

<https://youtu.be/OHFL-vvZRaI>

(٣) برنامج اليوم السابع، قناة الوطن، عبد الرحمن الحجى.

المسلمة في مدريد، لعل من أبرزها محاضرة بعنوان: (السيرة النبوية: أهميتها، ووظيفتها، وحاجة الأمة إليها)، كانت بمدينة العرائش يوم السبت ١٤ صفر ١٤٣٤هـ = ٢٩ دجنبر ٢٠١٢م، وكانت الدعوة والتنظيم من طرف مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة بالعرائش التابع للرابطة المحمدية للعلماء^(١).

وللدكتور الحججي رحمه الله الكثير من المحاضرات المتاحة على شبكة اليوتيوب، منها:

- ١- السيرة النبوية وأهمية دراستها.
- ٢- المورسكيون على بوابة التاريخ.
- ٣- الحضارة الأندلسية: علميتها وعلومها.
- ٤- حكايات أندلسية.
- ٥- التاريخ الأندلسي (حلقات عدة).
- ٦- حقائق الفتح الأندلسي.
- ٧- فتح الأندلس وتاريخ الدولة الأموية.
- ٨- الشعر الأندلسي وفنونه.
- ٩- التاريخ الإسلامي: موازينه، وميادينه.
- ١٠- انتشار الإسلام في الأندلس.
- ١١- تعريف عام بتاريخ الأندلس.

(١) ذكرى الدكتور عبد الرحمن الحججي، مُجد السرار، ٢٦ فبراير ٢٠٢١م، مركز القطان لدراسة الحديث الشريف والسيرة النبوية العطرة.

المجلات ودور النشر:

تعامل الدكتور عبد الرحمن الحججي مع كثير من المجلات العلمية، كان من أبرزها مجلة المجتمع الكويتية، حيث نشر فيها أغلب مقالاته، ونشر الكثير من المقالات والأبحاث في مجلة الوعي الإسلامي، ومجلة وزارة الأوقاف، ومجلة المناهل، ومجلة أبحاث الجامعة الأمريكية، وكان رحمته الله يعمل في إنشاء مركز بحثي لخدمة التاريخ الإسلامي والأندلسي، ولكن كانت المادة حائلاً بينه وبين تحقيق هذا الأمر^(١)، وقد بدأت هذه الفكرة في ثمانينات القرن الماضي، إذ نشرت صحيفة البيان الإماراتية يوم ٩ مارس ١٩٨٥م مقابلة معه بعنوان: إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وكانت سيتكلف هذا المشروع مليون دولار، وبعد مرور السنين من غير تحقيق الهدف أتى رحمته الله بفكرة غير مُكَلَّفَةٍ، وهي إنشاء مجلة علمية مُحَكَّمَةٍ؛ لنشر الدراسات التاريخية، وصدر العدد التجريبي منها بعنوان (البذور) إلا أنها لم يُكْتَبْ لها الاستمرار.

(١) انظر: عبد الرحمن الحججي سيرة ومسيرة، أحمد عبد الرحمن الحججي (ص ٢٤).

الفصل الثاني

جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي

في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: جهوده في خدمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة النبوية.

المبحث الأول

جهوده في خدمة القرآن الكريم

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في البرهنة على كون القرآن من عند الله تعالى.

المطلب الثاني: جهوده في البرهنة على كون القرآن محفوظاً.

المطلب الثالث: جهوده في بيان تميز القرآن على غيره من كتب الأديان

والفلسفات.

المطلب الرابع: جهوده في الدعوة إلى العودة إلى القرآن.

المطلب الأول:**جهوده في البرهنة على كون القرآن من عند الله****تعريف الإعجاز لغةً:**

المعجزة تأتي من الفعل أعجز، وعجز، وتعني عدم القدرة، أو الضعف عن فعل الشيء، تقول: "عجز يعجز عن الأمر: إذا قصر عنه"^(١)، و"عجزه الشيء: فاته، وأعجز فلاناً: وجده عاجزاً، وصيّرهُ عاجزاً، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز"^(٢).

وهو: نسبة العجز إلى الغير، وإثباته له، يقال: أعجز الرجل أخاه: إذا أثبت عجزه عن أمر، وأعجز القرآن الناس: أي أثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله، والقرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه؛ فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً، وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع^(٣).

تعريف الإعجاز اصطلاحاً:

عرّف العلماء المعجزة بقولهم: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يُظهِرُهُ اللهُ على يد رسله"^(٤)، ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي^(١).

(١) لسان العرب، ابن منظور (٣٦٩/٥-٣٧٠).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٨) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، (ص ١٠٩).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مُجد أبو الفضل، الهيئة العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، (٣/٤).

وشرط التحدي في المعجزة هو شرط غير مسلّم به؛ لأن الأنبياء أتوا بآيات ومعجزات تحدوا ببعضها، ولم يتحدوا ببعضها، فمما اقترن به التحدي: عصا موسى، وناقاة صالح، والقرآن الكريم، وانشقاق القمر، ومما لم يقترن به التحدي: سماع سليمان لغة الطير، وتسبيح الجبال مع داود، وتسبيح الحصى بيد النبي ﷺ، وتسليم الشجر والحجر عليه، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام.

وقد نقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اشتراط التحدي في المعجزة، وذكر أن النبي ﷺ لم ينقل عنه التحدي إلا في معجزة القرآن الكريم، قال ابن تيمية رحمه الله: "ومما يلزم أولئك أن ما كان يظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم في كل وقت من الأوقات ليست دليلاً على بُبُوتِهِ؛ لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به، وتحدّى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة، ولا نُقل التحدي عن غيره من الأنبياء، مثل موسى، والمسيح وصالح" (٢).

وقال ابن تيمية أيضاً: "فقد تبيّن أنه ليس من شرط دلائل النبوة لا اقترانه بدعوى النبوة، ولا الاحتجاج به، ولا التحدي بالمثل، ولا تقرّيع من يخالفه، بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات، لكن لا يجب أن ما لا يقع معه لا يكون آية، بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء؛ لخلوها عن هذا الشرط" (٣).

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ٥١٦).

(٢) النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (١/٥٤١).

(٣) المرجع السابق (١/٦٠٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "فإن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها، ويقول اثتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لَمَّا قالوا: إنه افتراه، ولم يتحداهم به ابتداءً، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نقل تحديّ إلا بالقرآن" (١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "بل آيات الأنبياء آيات، وإن لم ينطقوا بالتحدي بالمثل" (٢).

معجزات الأنبياء السابقين:

لما كانت أحوال الناس في استقبال الوحي متفاوتة؛ فنفس بعضهم مؤمنة، مصدقة بالحق، مشرقة، مدركة له بقلبها من غير حاجة إلى معجزات، وأخرى مظلمة لا تقبل الحق ولو أيدته المعجزات - لما كان التفاوت بينهما على هذه الصورة كان من الحكمة اقتران الوحي بما يدل على أن الرسول حق، ومرسل من الإله الحق، ورسالته رسالة حق؛ إقامةً للحجة على النفوس المؤمنة، وانتصارًا للنفوس المشرقة.

والمعجزة أمر خارق للسنن التي أودعها الله عز وجل في الكون، ولا تخضع للأسباب والمسببات، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي، وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى، يختار نوعها وزمانها؛ ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة؛ لذا بعث الله الرسل، وأيدهم بمعجزات باهرة (٣).

وكانت معجزات الأنبياء -عليهم السلام- من بيئة القوم الذين يرسل الرسول إليهم، ومن نوع المشهور في عصرهم، مما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورفيهم الحضاري؛ لتكون الحجة أقوى، وقد كان السحر منتشرًا بين المصريين عامتهم وخاصتهم، واسترهبهم فرعون وجنوده به؛ لذا جاءت معجزات موسى عليه السلام من جنس المشهور بين قومه، وأرسل الله معه ما يدل

(١) المرجع السابق (٢/٧٩٤).

(٢) المرجع السابق (١/٦٠٣).

(٣) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط (٣) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص ١٨-١٩).

على أنه مرسل من عند الله تعالى؛ ليكون دليلاً على صدقه، وحجةً على السحرة وقوم موسى عليه السلام (١).

وقد قصَّ القرآن هذا في مواضع كثيرة، والآيات الآتية تلخص ما جرى بين موسى عليه السلام وقوله، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَابِتَةٍ فَآتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ﴿قَوْمِ فِرْعَوْنِ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا أَنَا مُرُوتٌ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوكَّ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هنالك وأنقلبوا صغرين ﴿١١٩﴾ وألقى السحرة سجدين ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿الأعراف: ١٠٤-١٢٢﴾.

وفي عصر اليونان ازدهر الطب والفلسفة المبنية على الأسباب؛ لذا كانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس ما اشتهر في هذا العصر، فأرسل الله معه ما أعجزهم، وكان دليلاً على أنه مرسل من رب العالمين، يقول الله تعالى على لسان عبده ونبيه عيسى عليه

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٦).

السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] (١).

معجزة النبي صلى الله عليه وسلم:

لما بلغ العرب قبل بعثة النبي ﷺ من الفصاحة والبلاغة وفنون القول غاية الإبداع البشري، وأخذت الكلمة مكاناً في نفوس العرب من التعظيم والتقدير لم يبلغه شيء آخر اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزة النبي ﷺ من جنس ما نبغ فيه القوم؛ لتكون معجزة النبي الخاتم أشدّ لمعاناً، وأسطع برهاناً، وقد جعل الله معجزته كتاباً متلوّاً معجزاً (٢).

وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» (٣).

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٧-٢٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٢٩).

(٣) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، رقم (٤٩٨١)، (١٨٢/٦)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس، رقم (١٥٢)، (١٣٤/١).

قال ابن حجر^(١) في شرح هذا الحديث: "قوله: (وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي): أي: إن معجزتي التي تحديتُ بها الوحي الذي أنزل علي، وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تَقَدُّمُهُ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختُصَّ بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره، تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، كما كان السحر فاشياً عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص؛ لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه؛ ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدرُوا على ذلك"^(٢).

(١) هو: أحمد بن علي بن مُجَدِّد شهاب الدين أبو الفضل الكناي العسقلاني المصري الشافعي، الشهير بابن حجر، شيخ الإسلام، وحافظ العصر، وأمير المؤمنين في الحديث، له تصانيف كثيرة زادت على مائة وخمسين تصنيفاً، من أهمها فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وتوفي ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة (٨٥٢هـ)، ودفن بالزيميلة، وكانت جنازته حافلة مشهودة.

انظر: الضوء اللامع، السخاوي (٣٦/٢-٤٠)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، والجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، (١/١-١٠٣، ٣/١١٩٣)، وشذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط(١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (٩/٣٩٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُجَدِّد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، عام النشر: ١٣٧٩هـ، (٧-٦/٩).

وقال ابن كثير^(١) في مقدمة تفسيره: "وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي إلا أعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به، واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يَبْقَ لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدته في زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة مُحَمَّدٌ ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)، وكذلك وقع؛ فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء؛ لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية كما ذكرنا، وفي المدنية أيضا كما في سورة البقرة،

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبو الفداء القرشي، المحدث البارع الفقيه المتقن شيخ القراء، له من التصانيف: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وغيرهما، ومات سنة (٧٧٤هـ).
انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ط(٢) ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، (١/٤٤٥-٤٤٦)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤٠٣هـ، (ص ٥٣٣-٥٣٤)، وطبقات المفسرين، للدواودي، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (١/١١١-١١٣).

حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً، وهذا وهُم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله ما لا قبيل لأحدٍ من البشرية، من الكلام الفصيح البليغ الوجيز، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة والمحكمة، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] (١).

برهنة الدكتور الحجى على كون القرآن من عند الله عز وجل:

إن الدكتور الحجى وإن لم يكتب مؤلفاً خاصاً عن القرآن الكريم وعلومه إلا أنه أكد بوضوح على بعض الأمور التي تخدم كتاب الله تعالى؛ فكان بحق المؤرخ المسلم الذي يغار على دينه وتراثه، ويدافع عنه.

ويؤكد الدكتور الحجى على أن المعجزة القرآنية أمرها مختلف تماماً، فهي المعجزة الباقية مدى الدهر ولكافة البشر، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو القرآن الذي لا يملكه الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه (٢)؛ لذلك نجد أن من الأمور التي أكد عليها في مواضع كثيرة في كتبه البرهنة على كون القرآن الكريم كلام الله تعالى، وقد برهن على ذلك بما تَضَمَّنَهُ القرآن الكريم من الحديث عن الغيب، والمعجزات، والإعجاز العلمي، والإعجاز

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٠/١).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، الطبعة الأولى، (ص ٣٢-

التشريعي، يقول الدكتور الحجي: "في القرآن الكريم لو وُضعت جانبًا جميع الآيات التي فيها الإعجاز المباشر، المتعلق بأخبار الغيب السابق والحاضر واللاحق، والأمور العلمية في الكون والحياة والإنسان لكان واضحًا -بدون هذه الأمور وأمثالها- بوضوح تام وكامل أنه وحي إلهي"^(١)، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: حديث القرآن عن الغيب:

حديث القرآن عن الأمور الغيبية من أهم ما يؤكد كون القرآن من عند الله تعالى عند الدكتور الحجي وغيره من علماء المسلمين، يقول الدكتور الحجي: "القرآن الكريم هو معجزة هذا الدين الكبرى الخالدة الدائمة الباقية المتجددة المبينة المهيمنة الأكيدة، كل يوم تظهر من جوانبه أعاجيب ومعجزات وآيات جديدة، القرآن الكريم وحي الله وهداه، بكل حروفه وكلماته وآياته، نصًا ومعنى وترتيباً"^(٢).

والغيب كما ذكر الدكتور الحجي هو حديث القرآن عن السابق والحاضر واللاحق؛ فالسابق الأحداث التي حدثت قبل عصر النبي ﷺ، والحاضر حديث القرآن عن أمور غيبية حدثت أيام النبي ﷺ لكنه لم يطلع عليها، أما الغيب اللاحق فهو الذي سيقع في المستقبل، وهو ما زال يتكشف للناس إلى يومنا هذا.

وقد استدلل الدكتور الحجي وبرهن بحديث القرآن على الأمور الغيبية على كونه وحيًا من عند الله تعالى، يقول الدكتور الحجي: "وذكر ما يتعلق بالأقوام والتاريخ الغابر، وما مضى من

(١) المرجع السابق (ص ٦٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٣٥).

أخبار، وما بقي من أنباء الغيب والمستقبل في هذه الدنيا والأخرى مما علمه إياه الله سبحانه وتعالى" (١).

وهذا ما أكدّه القرآن في قوله تعالى بعد قصة نوح عليه السلام: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْتَقِينَ﴾ [هود: ٤٩].
وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام الطبري رحمه الله (٢): "يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، يقول: هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها، ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يقول: نوحها إليك نحن فنعرفكها، ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الوحي الذي نوحه إليك، ﴿فَاصْبِرْ﴾ على القيام بأمر الله، وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك كما صبر نوح، ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْتَقِينَ﴾ يقول: إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله فأدى فرائضه، واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يُؤْمَلُونَ من النعيم في الآخرة والظفر في الدنيا بالطلبة، كما كانت

(١) المرجع السابق (ص ٥٧).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، أحد الأئمة الأعلام، مفسرٌ محدثٌ فقيهٌ مقرئٌ، له من التصانيف: تاريخه المسمى (تاريخ الأمم والملوك)، وتفسيره المشهور (جامع البيان)، وغيرهما، ومات سنة (٣١٠هـ).
ينظر: تاريخ الإسلام، تحقيق: د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط (١) ٢٠٠٣م، (٧/١٦٠-١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ، (٢/١٠٦-١٠٨)، وطبقات المفسرين، للداوودي محمد بن علي بن أحمد شمس الدين المالكي (٢/١١٠-١١٨).

عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله أن نجاه من الهلكة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة، وغرق المكذبين به، فأهلكهم جميعهم"^(١).

ففي الآية السابقة بيان أن الذي أوحى إلى النبي ﷺ قصة نوح وغيرها من قصص السابقين هو الله تعالى، وأن هذه الأخبار ما كان يعلمها النبي ﷺ ولا أحد من قومه، حتى يقول مَنْ يُكذِّبُهُ: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بما مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك"^(٢).

ويرى الباقلاني^(٣) أن قصص السابقين في القرآن لا يعلمها إلا من وقف على الأخبار، واشتغل بدرس الآثار، ولم يكن النبي ﷺ ممن يتلو كتاباً أو يخطه بيمينه، ولا ممن يعرف بدراسة الكتب، ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم، يقول الباقلاني: "وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه من إخباره من قصص الأولين وسير المتقدمين فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الإخبار، ولم يشتغل بدرس الآثار"^(٤).

(١) جامع البيان في تفسير آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط(١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (٤٤٢-٤٤١/١٢)

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٢٨/٤).

(٣) هو: مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني، فقيه بارع، ومحدث حجة، ومتكلم مبدع، ومناظر أعجز خصومه، له من المصنفات: إعجاز القرآن، والانتصار للقرآن، وغيرها، وتوفي سنة (٥٤٠٣هـ).

انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المحقق: د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (٣٦٤-٣٦٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، تقديم: د/بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٣) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (١٧/١٩٠-١٩٣)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٢٠/٥-٢٢).

(٤) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط(٥) ١٩٩٧م، (ص ٤٩).

وقال الباقلاني أيضاً: "والوجه الآخر: ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين وسير الماضين، وأحاديث المتقدمين، وذكر ما شجر بينهم وكان في أعصارهم مما لا يجوز حصول علمه إلا لمن كثر لقاءه لأهل السير، ودرسه لها، وعنايته بها، ومجالسته لأهلها، وكان ممن يتلو الكتب، ويستخرجها، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يكن يتلو كتاباً، ولا يخطه بيمينه، وأنه لم يكن ممن يُعرف بدراسة الكتب، ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم، ولا لقي إلا من لقوه، ولا عرف إلا من عرفوه، وأنهم يعرفون دأبه وديدنه، ومنشأه وتصرفه، في حال إقامته بينهم وطمعته عنهم؛ فدل ذلك على أن المخبر له عن هذه الأمور هو الله سبحانه علام الغيوب"^(١).

وقد جاء في القرآن قصص الأنبياء السابقين، فَبَيَّنَ لنا القرآن الكريم ما حدث لهؤلاء الأنبياء المكرمين من أقوامهم، وقص المشاهد بأسلوبه المعجز، وتعبيره المميز، وكلماته القوية، منذ البداية وحتى نوح عليه السلام، إلى إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام، وموسى عليه السلام، أنبياءً فقط، ثم داود وسليمان أنبياءً وملوكاً، وذكر قصص أقوام آخرين من المؤمنين بالله تعالى، والعاملين بمنهجه، والآخذين بكلمته، فذو القرنين كان ملكاً مؤمناً صالحاً، وقصة الفتية المؤمنتين أصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وهي كلها أمثلة على مواجهة الإيمان الأعزل للكفر المدجج المتجبر، لكنها مع ذلك تنتهي بانتصار الإيمان الصادق بدعوة الله تعالى، فيد الله تعالى القادرة تكون دوماً مع عباده المؤمنين، وتلك سنة الله^(٢).

(١) كتاب التمهيد، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م، (ص ١٥٩).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٠٨).

ولم يكن سرد القرآن الكريم لتاريخ الأمم السابقة وقصصهم خلوا من الفائدة، بل كانت له مقاصد وغايات، من بينها تحقيق الاعتبار في نفوس الناس ومسيرتهم، وتبصرتهم بأسباب التقدم والنجاة، وموجبات التخلف والهلاك كما ذكر الدكتور الحجري^(١).

يقول الدكتور الحجري: "في تاريخ البشرية العام أمثلة وفيرة معروفة فيما قصه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم خير بيان، فيه العبرة الواسعة المشهوددة، تُزَوِّدُ الإنسانَ في كل جيل بالخبرة المؤكدة الحقة؛ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، مثلما فيه الأخبار الصادقة كل الصدق، القرآن الكريم أصدق مصدر في الوجود، وأصدق كتاب بكل ما فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾^(٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت: ٤١-٤٢]، هو الصدق الوحيد ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، هم الذين عليهم الانتفاع بها، حاضرة أمام الأنظار ماثلة: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]"^(٢).

وهذا الإخبار بالغيب دليل واضح على صدق نبوة محمد ﷺ، وعلى كون القرآن من عند الله؛ إذ لا يعلم الغيب غيره سبحانه وتعالى^(٣).

(١) انظر: تأمل واعتبار: قراءات في حكايات أندلسية، عبد الرحمن الحجري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط (١) ٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (ص ٧).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٨٥).

(٣) انظر: روح الدين الإسلامي: عرضٌ وتحليلٌ لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، عفيف عبد الفتاح طبّارة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط (٢٨) ١٩٩٣ م، (ص ٤٥).

فاشتمال القرآن على أنباء غيبية يدل على إعجازه، ويؤكد كونه وحياً إلهياً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ١-٥].

فقد كان من أخبار القرآن الكريم عن أهل الكتاب ما لا يعرفه أهل الكتاب أنفسهم، وكان منها ما عرفوه على غير حقيقته، فجاء القرآن ليصحح لهم هذه المعرفة، ويبين لهم وجه الحق، ويدلهم على وجه الصواب، ويبين لأهل الكتاب ما اختلفوا فيه، ويصحح لهم كثيراً مما اشتهر بينهم من الباطل، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَيَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] (١).

يقول الدكتور الحجي: "يبين في القرآن الكريم ما وقع لأهل الكتاب في كتبهم من تغيير، ويدعوهم إلى اتباع ما جاء به القرآن، كما يدعوهم إلى دين الله الصحيح، ففيه البيان الإلهي الحق والهداية والنور والسلام" (٢).

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، الناشر: جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ط (٢) ١٩٩٧م، (ص ٣١٦-٣١٧).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٤١هـ-٢٠١٩م، (ص ٢٠١).

ولا يمكن أن يبين الأمور الغيبية كما وقعت إلا من كان مُؤَيَّدًا بالوحي الإلهي، وقد جاءت جميع أنباء القرآن كما أخبر دون أن تتخلف أو تتغير، فكانت على ثلاثة أنواع: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل.

وغيب الماضي: هو كل ما حمله القرآن من أخبار واقعة قبل زمن النبي ﷺ، مثل قصة خلق الكون، وقصة خلق آدم، وقصة أصحاب الكهف، وقصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها، وغيرها، وقد سمى الله هذه الأخبار غيبًا، وجعلها دالةً على صدق النبي ﷺ؛ إذ لم يكن يعلمها هو ولا قومه من قبل أن تنزل عليه الآيات الكاشفة لهذا الغيب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فإن هذا النص يدل على أن القرآن من عند الله، وعلى أن ذلك النوع من العلم ليس من عند النبي ﷺ، وليس له به دراية^(١)، ويقول عز وجل: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وغيب الحاضر: يُقصدُ به مجريات الأحداث والوقائع التي حضرها النبي ﷺ، وعابنها، وكان علمه بها عن طريق الوحي قبل حدوثها أو أثناء حدوثها، والآيات كثيرة مثل كشف القرآن سرائر المنافقين^(٢)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَإِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]، فكشف الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ما كان يخفي المنافقون في صدورهم من كذب ونفاق وعداوات^(٣).

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص ٢٨١).

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، مُجَّد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، (٣٦٨/٢).

(٣) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص ٢٨٥-٢٨٨).

وغيب المستقبل ثلاثة أقسام:

الأول: ما أخبر عنه القرآن قبل وقوعه ووقع في حياة النبي ﷺ، وهو أن يُطْلِعَ اللهُ نَبِيَّهٗ عَلَى أَحْدَاثٍ وَوَقَائِعٍ سَيَسْهَدُهَا وَيَرَاهَا رَأْيَ الْعَيْنِ فِي مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ^(١).

ولما كان لا يجوز أن تقع الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية على الاتفاق فإنه دل

على أنها من عند علام الغيوب، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿الْمَلَأْنَا غُلْبَتِ الرُّومِ ﴿٢﴾ فِي آدَانِي

الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَاهُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ

وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ

لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ

غَافِلُونَ ﴿٧﴾ [الروم: ١-٧]^(٢).

ويكمن الإعجاز في هذه الآيات في إخبار الله عز وجل بأمر سيحصل بعد سنين، وهو

هزيمة الروم للفرس، وقد وقع هذا الخبر كما أخبر الله عز وجل في المدة التي قررها، وهي بضع

سنين، والبضع في اللغة العدد ما بين الثلاث إلى العشر^(٣).

ولما نزلت هذه الآيات صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون، حتى تراهن بعض

المسلمين وبعض المشركين على مدة معينة ليتحقق هذا الوعد، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله

انتصر الروم على الفرس، وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم، وتحقق وعد الله، وهذا من

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٧٧).

(٢) انظر: النكت في إعجاز القرآن (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب: ١٦)،

للرمانى علي بن عيسى بن عبد الله، تحقيق: محمد خلف الله، ود/محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط (٣)

١٩٧٦م، (ص ١١٠).

(٣) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص ٢٨٠).

الأمر الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين؛ فدل على أن هذا كلام الله تعالى الذي يعلم ما كان وما سيكون^(١).

وقد وعد الله نبيه ﷺ بفتح مكة المكرمة والنصر المؤزر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، وقد تحقق وعد الله بنصر مؤزر وفتح مبین، ودخل المسجد الحرام آمنًا؛ فكان هذا دليلًا على كون القرآن من عند الله تعالى^(٢).

الثاني: ما أخبر عنه القرآن الكريم قبل وقوعه ووقع بعد وفاته ﷺ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَسْبَابِ شِدِيدٍ نَقْنَلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]^(٣).

الثالث: ما أخبر عنه القرآن قبل وقوعه ويقع في العصر الحديث^(٤).

ثانياً: حديث القرآن عن المعجزات:

المعجزات التي تحدث عنها القرآن من الأدلة والبراهين على كونه وحياً منزلاً من عند الله تعالى، وهي تجعل التحدي بالإسلام وكتابه الكريم قائماً لكل زمان ومكان، ومن المعجزات التي

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (ص ٦٣٦).

(٢) انظر: النكت في إعجاز القرآن، للرماني (ص ١١٠-١١١).

(٣) انظر: بيان إعجاز القرآن، (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب: ١٦)، للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط (٣) ١٩٧٦م، (ص ٢٣).

(٤) انظر: مباحث في إعجاز القرآن مصفى مسلم (ص ٢٨١).

ذكرها الدكتور الحجى، وبرهن بها على كون القرآن من عند الله تعالى ظاهرة انشقاق القمر التي حدثت قبل الهجرة في العهد المكي، عندما طلب كفار قريش من النبي ﷺ شق القمر إن كان صادقاً فيما يدعوههم إليه، وقالوا له: إن فعلت آمنا بك، فسأل الرسول ﷺ ربه أن يعطيه ما طلبوا فانشق القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما، وقد كان القمر عند انشقاقه بدرًا، قد أخبر الله سبحانه وتعالى عن هذه الحادثة بقوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] (١).

وانشقاق القمر معجزة حسية تؤكد كون القرآن كلام الله تعالى؛ لأنها حدثت تأييداً لمن أنزل عليه القرآن، وإثباتاً لنبوته ﷺ، وهي تدل لمن عاصرها على نبوة النبي ﷺ (٢). وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر (٣).

وعلى الرغم من ذلك فقد اتهموا النبي ﷺ أنه سحرهم؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلها، فجاء السفار فقالوا ذلك (٤).

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٢).

(٢) أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي (عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ، (٢٩٨/٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم (٣٦٣٧)، (٢٠٦/٤)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، رقم (٢٨٠٢)، (٢١٥٩/٤).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده، ما أسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم (٢٩٣)، (٢٦٣/١)، المحقق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط (١) ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

ثالثاً: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:**تعريف الإعجاز العلمي:**

المقصود بالعلم الذي ينسب إليه مصطلح (الإعجاز العلمي للقرآن الكريم) هو العلوم الكونية التجريبية الباحثة في ظواهر الكون والحياة، والمقصود بمصطلح (الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة): هو إخبارها بحقيقة كونية أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ مما يظهر صدقه فيما بَلَغَ عن رب العزة سبحانه وتعالى (١).

ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢):

١- علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتره خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، يقبل الازدياد، ومعرضٌ للخطأ، ولقد نزلت نصوص الوحي بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتابع في ظهورها جيلاً بعد جيلٍ، وإذا جمعت نصوص الكتاب، والسنة الصحيحة وجدت بعضها يُكْمِلُ بعضها الآخر، فتتجلي بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن وفي مواضيعها من القرآن الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله الواحد الذي يعلم السر في السموات والأرض، ومن ثم فإنه لا يوجد تعارض بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره -على كثرتها- والحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها.

(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (١/٦٩٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٦٩٨-٦٩٩).

٢- الحقيقة العلمية التي يعرف رجال العلم معناها وحدودها لا تبطل مع الزمن، ولكنها قد تزداد مع جهود العلماء المتتابعة تفصيلاً ووضوحاً وجلالاً، كل ما في الأمر أن القوانين العلمية تُعزِّز عادةً عن حقائق علمية محدودة، وليس من الصواب أبداً أن تُعدَّ هذه الحقائق الجزئية دليلاً على قصور العلم أو منقصةً فيه، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد في اكتشاف القوانين التي تلقي الضوء شيئاً فشيئاً على حقائق الواقع الثابت في الكون بعد أن أشارت إليها آياتٌ من القرآن العظيم.

٣- يجب التَّفَيْدُ بما تدل عليه اللغة العربية، فلا بد من:

(أ) أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، ويراعى كذلك فقه استعمالها.

(ب) أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها.

(ج) أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها، خصوصاً قاعدة: (ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريضة كافية).

٤- يجب البُعْدُ عن التأويل في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، ولا ينبغي الإسراف في ذلك.

٥- يجب ألا تُجْعَلَ حقائق القرآن موضع نظر، بل تكون هي الأصل، فما وافقها قُبِلَ، وما عارضها رُفِضَ؛ لأن المرجعية يجب أن تكون للحقائق القرآنية، وليس للعلم التجريبي، فالحقائق العلمية تحتكم إلى القرآن ولا تُزَكِّيهِ، فإن وافقته فيها ونعمت، وإن تَعَارَضَتْ معه رُفِضَتْ؛ لأن النص القرآني وحيٌّ من الذي أحاط بكل شيءٍ عِلْمًا.

٦- يجب على المجتهدين من العلماء أن يكونوا مُلَمِّينَ من علوم القرآن بالقدر الكافي، وأن يكون لديهم استعدادٌ شخصي يُعزِّزُهُ رجوعُهُم إلى أمهات كتب التفسير رجوع المتعلم

المتأني، لا اطلاع القارئ العجول، فإذا تعذر عليهم هذا كان عليهم أن يسألوا أهل الذكر والاختصاص، فهذا أقل مقتضيات التحري وعدم التورط في الكلام في كتاب الله بغير علم.

٧- يجب على المجتهدين من الباحثين في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة المطهرة (البيان النبوي) أن يكونوا على معرفة تامة بالظاهرة العلمية التي يبحثونها وتاريخ المصطلحات الفنية المتعلقة بها.

وينبغي أن يُعَلَّمَ أن هذه الضوابط والشروط المنهجية ضرورية لترشيد البحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وينبغي توافرها في كل مَنْ يتعرض للاجتهد بما يناسب جلال القرآن وقدسيته، وكتاب الله العزيز كله معجز، ويستطيع العلماء أن يتلمسوا دلائل إعجازه في شتى المجالات، فإذا ما كنا بصدد (إعجازه العلمي) نَحْتَمُّ علينا أن نتوخى الدقة التامة، فلا نفتعل مناسبة، ولا نتشبت بلفظةٍ وَحُمِلَها فوق ما تحتمل، أو نجهل أو نتجاهل حقائق التاريخ، وينبغي أن يكون لنا في الأئمة السابقين أسوة حسنة في دقة مناهجهم العلمية التي تناولوا بها القرآن الكريم من نواحيه اللغوية والبلاغية والتشريعية وغيرها.

جهود الدكتور الحجي رحمه الله في بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

تميز النبي ﷺ بالقرآن، وهو المعجزة العظمى الخالدة، وقد اقتضت حكمة الله الذي علم ما ستكون عليه الإنسانية في مستقبلها من الحضارة والعلم أن يجعل الإسلام دينًا تامًا كاملًا، وأن يجعل معجزته كتابه الذي يدل بنفسه على أنه كتاب الله فاطر السماوات والأرض، وقد مرت جميع المعجزات وبقيت معجزة القرآن، وهو الكتاب المعجز للبشر بهدايته، وتشريعه، وأسلوبه، ومعانيه التي تتميز بخلودها وبقائها على مر الزمن، وقد أنزل القرآن بعد أن ترقى العقل البشري، فكان البرهان الذي أتى به القرآن متفقًا مع هذا الرقي^(١).

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة (ص ٢٩).

ويؤكد الدكتور الحجري على أن العلوم الحديثة من أكبر ما يُبيِّنُ للمسلمين وغيرهم آياتِ الله الدالة على المصدر الرباني للقرآن، وأنه وحي من الله، وأن النبي محمدًا ﷺ نبي صادق من عند الله سبحانه وتعالى^(١).

وهذا ما أكدته القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَٰمْ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي سيظهر لهم من الدلالات والحجج ما يؤكد كون القرآن حقًا منزلًا من عند الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم^(٢).

ويبرهن الدكتور الحجري بما ورد في القرآن من حديث عن أمورٍ اكتشفها الإنسان في العصر الحديث عن طريق التجارب والآلات التي لم تكن وقت نزول القرآن - يبرهن بذلك على كون القرآن من عند الله تعالى، وكون هذا الدين هو الحق، يقول الدكتور الحجري: "وكذلك جاء ذكر الكثير من الآيات التي تبين إعجاز الله في خلقه، وهكذا يبقى هذا الدين حافلًا بالمعجزات التي لا تنتهي، يدّخر منها الله سبحانه وتعالى لكل جيل ما يظهر جديده لكل أحد، على أيدي آخرين، كلها تظهر وتعلو وتبين في الأنفس والآفاق والحياة؛ كيما تأتي الأدلة على أحقية هذا الدين الذي لا بد أنه سيكون - إن شاء الله تعالى - دينَ أهل الأرض أجمعين"^(٣).

فالدكتور الحجري يرى أن المعجزات في القرآن الكريم لا تنتهي، وأنه يظهر منها في كل عصر ما يدل على أحقية هذا الدين.

(١) انظر: السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٦٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٨٧/٧).

(٣) السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٦٤).

وهذه الآيات التي تتحدث عن الغيب والأمور العلمية ليست قليلة، يقول الدكتور الحججي: "كم من مرة حدّث القرآن الكريم من خلال حشدٍ ضخمٍ من الآيات الكريمة عن الغائب، وعن علم الإنسان وإدراكه وآفاقه؛ أي: عن الغيب الكائن في التاريخ والحياة وغاب عن علم الإنسان، وعن الغيب الذي سيكون في الدنيا والآخرة سواء، كلها حقائق منظورة، ستقع عياناً مثلما وقعت ذكراً، فضلاً عما فيه من أمور كونية ونفسية وعلمية، وغيرها كثيرة مجهولة، مما لم يدرك بعضه الإنسان إلا بعد قرون وأجيال، ومنه ما يزال خارج دائرة إدراكه كالذي هو خارج دائرة علمه غيباً، بل ما أكثر ما حدّث القرآن الكريم عن بواطن النفوس وأعماق السرائر ومكنونات الضمائر، حتى بما هو مجهول للشخص والأشخاص أنفسهم"، ويدعو الدكتور الحججي إلى قراءة القرآن الكريم من جديد قراءة تؤدي إلى الإيمان به، والعمل بما فيه^(١).

والتأمل كتاب الله يجده تحدّث عن السماوات والأرض وما فيهما من مكونات وظواهر ومخلوقات، وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان؛ لأن الكشف العلمي تُرك لاجتهاد الإنسان وتحصيله عبر حقبات زمنية طويلة؛ نظراً لمحدودية القدرات البشرية، وقد جاءت هذه الآيات للاستدلال على عظمة القدرة الإلهية المبدعة في الخلق، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوساً مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّالِبِينَ ٩٢ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ٩٣ فَغَضِبْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٩٤﴾ [فصلت: ٩-١٢].

(١) المرجع السابق (ص ٩٨).

ففي هذه الآيات إشارة إلى ثلاث حقائق كونية:

الأولى: خلق الله الأرض، وتقديره أوقاتها في أربعة أيام قبل السماء.

الثانية: أصل الكون المادي من الدخان.

الثالثة: الدورات التكوينية للأرض والسماء، ومجموعها ستة أيام.

وإن العلوم الفضائية والعلوم الطبيعية لا زالت تحبو للتعرف على أصل الكون ونشأته، والمادة الأولية التي تتكون منها الأجرام السماوية، وطريقة تشكيلها، ولقد درسوا ملياً ما يقع على الكرة الأرضية من خارج مجالها من النيازك والأترية الكونية، وما حصلوا عليه من قطع سطح القمر، وكل ذلك يؤكد وحدة أصل الكون المادي، وأصبح ذلك حقيقة علمية عندهم، ومع ذلك لم يستطيعوا تحديد الحالة الأولية لهذه المواد قبل تجمعها في مجموعات من النجوم والكواكب والمجرات وغيرها^(١).

رابعاً: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم:

يقصد بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم: سمو التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت^(٢)، ويراد به إثبات كون هذا القرآن من عند الله تعالى.

وتهدف التشريعات الإسلامية إلى هداية الإنسان في الدنيا، وسعادته في الآخرة، ولا يعتمدها ما يعتمده القوانين الوضعية البشرية من التفاوت والتناقض والاختلاف؛ لأن الله العليم

الحكيم راعى في تشريعاته مصالح خلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص ١٧٧).

(٢) انظر: من فلسفة التشريع الإسلامي، فتحي رضوان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط(٢) ١٩٧٥م، (ص ٨).

وكان التدرج في التشريع من رحمة الله بعباده؛ ومن الأمور التي تبين وتبرز سر التشريع الإسلامي وطريقته في معالجته للأمراض الاجتماعية مراحل تحريم الخمر، وقد ذكر الدكتور الحجى أن الله حرم الخمر على مراحل بعد بناء هذه النفس المسلمة ومجتمعها على كلمة التوحيد الخالص لله تعالى في العقيدة والعبادة، والشريعة هو معنى ومحتوى ومقتضى كلمة (لا إله إلا الله)، الكلمة التي لا يقدم عليها شيء أو يفوقها أو يقوم قبلها، كل أمر يُبنى عليها بعد قيامها في النفس، فبعد أن بُيِّتِ النفسُ المسلمةُ على التوحيد الخالص تدرج التشريع الإسلامي في تحريم أمور الجاهلية وأمراضها وآثامها، ومنها الخمر الذي مر تحريمه بثلاث أو أربع مراحل، كان أولها ما جاء في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]، فتشير هذه الآية إلى أن الخمر (السَّكَّر) ليس رزقًا حسنًا، والرزق الحسن غيره، وتصف أن الخمر في ذلك الوقت كانت تؤخذ من ثمرات النخيل والأعناب، وليس فيها نص بحلِّها، ويمكن أن يعد هذا إشارةً إلى تحريمها، وتمهيدًا له^(١).

ويقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبْرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية، من حيث إن فيها نفعَ البدن، وتهضيمَ الطعام، وإخراجَ الفضلات، وتشحيدَ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها... وكذا بيعها والانتفاعَ بثمرتها... ولكن

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٦٤).

هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة؛ لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال: ﴿وَأَيْتُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾؛ ولهذا كانت هذه الآية مُمَهِّدَةً لتحريم الخمر على البتات، ولم تكن مُصَرِّحَةً بل مُعَرِّضَةً^(١)، وقد جاءت على سبيل النصح والإرشاد، لا على سبيل الحكم والتشريع^(٢)، ويرى الدكتور الحجي أن هذه الآية تُعَدُّ تلميحًا أكبر من الآية السابقة إلى التقليل من التعامل بها، وهو تمهيد أكبر وتدرج لتحريمها^(٣).

ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من الأنصار دعا علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأمرهم علي في المغرب فقرأ (قل يا أيها الكافرون) فخلط فيها، فنزلت هذه الآية^(٤).

يقول الدكتور: "هذه الآية الكريمة تعد الخطوة الثانية من خطوات تحريم الخمر؛ حيث تُضَيِّقُ أوقاتَ شربها وتحدده، فلا يشربها قبل الصلاة لخمس أوقات، حتى يعرف المسلم ماذا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٥٧٩).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، مُجَدِّ متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (١٣/٨٢١٥-٨٢١٦).

(٣) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٦٥).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود السجستاني في سننه، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، رقم (٣٦٧١)، (٥/٥١٥)، وقد صحَّح إسناده مُحَقِّقًا سنن أبي داود.

وانظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي علي بن أحمد بن مُجَدِّ بن علي النيسابوري الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، وقد قال المحقق: قمت -بتوفيق الله وحده- بتخريج أحاديث الكتاب تخريجًا مستوفى على ما ذكر العلماء، أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد، دار الإصلاح، الدمام، ط (٢) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (ص ١٥٣-١٥٤)، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد سليمان المزيني، دار الجوزي، الدمام، ط (١) ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (١/٣٨٧).

يقول في صلاته، لم يبق إلا وقت قليل لمعاقرتها، بعد نزول هذه الآية الكريمة كان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: «ألا لا يقربن الصلاة سكران»^(١).

والحديث الذي ذكره الدكتور الحجري هو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] فدعني عمر فقرأت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة نادى: ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعني عمر فقرأت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً فنزلت هذه الآية: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، قال عمر: انتهينا^(٢).

ثم يأتي بعد ذلك الأمر الجازم بتحريمها مع الميسر نصاً قاطعاً أقوى من لفظ التحريم؛ حيث قرنها بتحريم الأنصاب والأزلام؛ أي: الشرك بالله تعالى فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، وقد استجاب المسلمون له أروع استجابة، كأن التحريم كان أم لهم ومأربهم ومطلبهم، وهذا ثمرة البناء الرباني الكريم على منهج الله تعالى، وهذا هو الفرق بينه وبين

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٦٥).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود السجستاني في سننه، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، رقم (٣٦٧١)، (١/٥١٤)، وقد صحح إسناده محققاً سنن أبي داود.

كل ما عداه من المناهج الوضعية الأرضية الجاهلية غابراً وحاضراً ومستقبلاً في علاج النفس الإنسانية والمجتمع والحياة^(١).

إن هذه الاستجابة من المسلمين الذين كانوا يعاقرون الخمر ليل نهار، والذين كانت الخمر عندهم كالماء بالنسبة لجميع الكائنات الحية إعجاز يدل على كون هذا التشريع من عند الله تعالى.

وقد نجح هذا التشريع الرباني في معالجة هذا الأمر العظيم في مدة وجيزة من الزمان بعد أن هيا النفوس لقبوله، وهذا ما عجزت عنه كل الدول الغربية في العصر الحديث^(٢)، أما المسلمون الذين تربوا على الإسلام والإيمان الذي غرس في نفوس أفرادهم غرس الحق، وأحيا ضميرهم بالتعاليم الصالحة، والأسوة الحسنة التي لم يصنعها شيء قبل الإسلام فلم يتكلف الإسلام في تحريم الخمر عليهم مثل الجهود المبذولة في العالم الغربي، فقد صدر التحريم من الله سبحانه وتعالى، واستجابت لها النفوس، وهذا هو الإعجاز التشريعي في القرآن الذي لو كان من شأن قرآنٍ أن تسيّر به الجبال، أو تقطّع به الأرض، أو يكلم به الموتى لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه هذه الخوارق والمعجزات، وقد تبين لنا في تحريم الخمر ماذا فعل هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثاراً في أقدار الحياة، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته؛ فكم غيّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ! وإن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة، يحسّها

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٦٥-٢٦٦).

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١/٥٦-٥٧، ٢/٣٥٣)، والمسكرات من الناحية النفسية، لملك غلام مرتضى، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: (السنة الرابعة عشرة، العدد الرابع والخمسون)، ربيع الثاني، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة ١٤٠٢هـ، (ص ١١٦).

كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام، واستعداد لإدراك ما يوجّه إليه القرآن ويوحى به، والذين تلقوه وتكيفون به سيروا ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخ الأمم والأجيال، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض، وهو جمود الأفكار والتقاليد، وأحيوا ما هو أحمَد من الموتى، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام، والتحول الذي تم في نفوس العرب وحياتهم، فنقلهم تلك النقلة الضخمة دون أسباب ظاهرة ما هو إلا فعل هذا الكتاب ومنهجه في النفوس والحياة، وهو أضخم بكثير من تحول الجبال عن رسوخها، وتحول الأرض عن جمودها، وتحول الموتى عن الموت^(١).

وقد تمت هذه المعجزة لأن المنهج الرباني أخذ النفس الإنسانية بطريقته الخاصة؛ فهو رها وخالفها، ويعلم ما يصلحها، وما يصلح لها، فغرس فيها مراقبته سبحانه وتعالى والخوف منه، وعالج فطرتها، فملاً فراغها باهتمامات كبيرة؛ حتى صار هم الصحابة إخراج الناس من جاهليتهم إلى نور الإسلام، فلم يعد لديهم فراغ لمعاقرة الخمر، ولا حاجة إلى نشوة السكر والخمر كما يرى الدكتور الحجي الذي يذيل كلامه هذا بقوله: "ألا يدل هذا وحده على معجزة الإسلام، وأنه منزل من الله سبحانه وتعالى"^(٢).

ويقول الدكتور الحجي: "وانتهى المسلمون كافة، وأريقَت زقاق الخمر، وكسرت دنائنا في كل مكان، كل ذلك بمجرد سماع الأمر، انتهى المسلمون كافة، مَجَّ الذين كانت في أفواههم جرعات من الخمر ما في أفواههم حين سمعوا الأمر، لم يبلعوها وهي في أفواههم وهم شاربون، ولم يتم ذلك عن طريق سيطرة الدولة وتقنياتها وإشرافها ورقابتها، بل تم بسلطان القرآن الكريم، ألا ما أعظمه من سلطان جد بليغ"^(٣).

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٣٠-٢٣١).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٦٦-٢٦٧).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٦٩).

وسبب التدرج في التشريع وحكمته أن الله تعالى علم أن القوم قد كانوا ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيراً، فلو أنه منعهم دفعة واحدة لثق عليهم، فاستعمل في التحريم هذا التدرج وهذا الرفق^(١)، وكما قالت عائشة رضي الله عنها: "لو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبدا"^(٢).

وهذا ما جعل بعض الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا يشربون الخمر قبل أن يحرم، ويتداولونه بينهم يمثلون في الحال، بل إن بعض الصحابة مح ما كان في فمه فور سماع التحريم^(٣).

وَحَقُّ لَنَا وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ أَنْ نَهْتَفَ بِإِمَامَةِ الْقُرْآنِ وَهَيْمَنَتِهِ كِتَابًا هَادِيًا، وَدُسْتُورًا مُضِيئًا، لَا نَقْرَطُ فِيهِ، وَلَا نَتَحَوَّلُ عَنْهُ، وَعَلَى ذَلِكَ تَرَبَّى صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَرَّثُوهُ لِلْأَجْيَالِ التَّالِيَةِ، وَمَا زَالَ وَسِيْقَى هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ كِتَابُ الْإِنْسَانِيَّةِ، نَفْتَدِيهِ عَلَى الدَّوَامِ، هُوَ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ الْجَنُّ إِذْ سَمِعْتَهُ، وَهُوَ إِمَامٌ وَهَادٍ، تَتَابَعُ فِي حَمَلِهِ الشُّعُوبُ وَالْأُمَمُ، وَتَحْيَا بِهِ الْأَجْيَالُ مَتَحَضَّرَةَ سَعِيدَةً حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، هَكَذَا سَارَتْ أُمَّةُ الْقُرْآنِ تَحْمِيهِ، وَتَفْدِيهِ، وَتَسْتَلْهِمُهُ، وَتَسْتَهْدِيهِ^(٤).

بعد أن استعرضنا في هذا المطلب ما استدل به الدكتور الحجى وبرهن به على كون القرآن من عند الله، بعد هذا يحسن أن نختم بقوله: "وكذلك كل ما في القرآن الكريم يشير

(١) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٣) ١٤٢٠هـ، (٣٩٦/٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (٤٩٩٣)، (١٨٥/٦).

(٣) انظر: الحِجْم من المعاملات والمواريث والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم، أبو بكر بن مُجْد فوزي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٧هـ-١٤٢٨هـ، (ص ١٢٩).

(٤) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٧١).

ويؤكد ويعلن أنه من عند الله تعالى، وحياً منزلاً منه سبحانه وتعالى على رسوله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ الصادق المصدوق" (١).



(١) المرجع السابق (ص ٩٦).

المطلب الثاني:

جهود الدكتور الحجى في البرهنة على كون القرآن محفوظاً

يمكن القول: إنه إذا ثبت أن القرآن كلام الله تعالى المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا بد أن يكون محفوظاً.

وقد جعل الدكتور الحجى بقاء القرآن محفوظاً وجهاً من وجوه إعجازه فقال: "ووجه آخر هنا نلمحه من وجوه إعجازه، وهو بقاءه محفوظاً في السطور والصدور، سالماً من التحريف والتغيير، لا يدخله تحريف من أصغر حرف فيه إلى أكبر سورة، ولو غَيَّرَ أَحَدٌ حَرْفًا وَاحِدًا لافتضح أمره، ولأزرى عليه صغار المسلمين قبل كبارهم، وهذا الحفظ وهذه الصيانة التامة تكون أتم إعجازاً إذا عُلمت محاولات أعداء الدين سعياً لتحريفه، والزيادة فيه أو النقص منه، أضف لذلك التحدي المتعدد الصيغ والصور والهيئات، وعجز الجميع عنه وإقرارهم، هذا التحدي الذي ما يزال قائماً حتى اليوم وبعده لكافة أهل الأرض أجمعين"^(١).

ولم تكن أمة من الأمم بكتاب سماوي أو أرضي عناية الأمة الإسلامية بالقرآن، ولم يحظ كلام إلهي أو بشري بمثل ما حظيت به آيات القرآن من وسائل الحفظ والرعاية والتقدير، من ذلك حرص النبي ﷺ على حفظه من الضياع، حتى إنه كان يحرك لسانه وشفثه بالقرآن أثناء سماعه جبريل، فنهي عن ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، وكان ﷺ يحفظ ما ينزل عليه من القرآن عن ظهر قلب، ويتلوها على المحيطين به وقت نزولها، ويأمر كتبة الوحي بتدوينه، وكان يحتفظ بنسخة مما كُتِبَ في داره،

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجى (ص ١٥).

وهكذا سار الصحابة -رضون الله عليهم- في العناية بكتاب الله، فجمع في زمن أبي بكر رضي الله عنه؛ خشية ضياعه بموت القراء، وجمع أيضا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ خشية اختلاف الناس في قراءته، وهكذا تكفل الله بحفظ القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى، والوحي المنزل على رسوله الكريم ﷺ خاتم أنبيائه ورسله، وهو آخر الكتب السماوية نزولاً؛ ليكون القرآن الكريم وحياً إلى أهل الأرض أجمعين، وهو الكتاب الموجود بين أيدي الناس أمس واليوم وغداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد نقله الرسول الكريم ﷺ نقلاً متواتراً، وبلغة لفظاً ومعنى كاملاً عن الله تعالى كما أنزله حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، بلا حذف أو تبديل أو تغيير^(١).

والقرآن كلام الله، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ بألفاظه العربية ومعانيه الحقة؛ ليكون حجة للرسول الكريم ﷺ أنه رسول الله، وأنه دستور للناس يهتدون بهداه وقربه، ويتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر، المحفوظ من أي تغيير أو تعديل، ومصداق ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]^(٢)، والمراد بالذكر هنا القرآن، وقت تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه من أن يزداد فيه باطل ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٦).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٧٣).

(٣) انظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري (٨/١٤).

وقد حُفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه، أو ينقصوا منه، أو يبدلوا ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، والباطل هنا هو إبليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه، ولا أن ينقص مما هو عليه^(١).

والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي تم له ذلك على الرغم من مرور القرون الطويلة، ومحاولات الأعداء الكثيرة المستمرة حتى اليوم، والتفنن في ابتكار ما يمكن من أساليب للزيادة فيه، أو النقص منه، أو تبديله، أو تحريفه، أو إلحاق أي عبث به، على الرغم من ذلك إلا أنها فشلت كلها فشلاً ذريعاً، وسيبقى القرآن محفوظاً برعاية الله، محفوظاً بوعده سبحانه وتعالى، وهذا الحفظ دليل إعجازه وتأكيده، وهو نوع من الإعجاز^(٢).

والقرآن العظيم محفوظ، لا يقدر واحد من جميع الخلق من الإنس والجن أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة، وهذا مختص به بخلاف سائر الكتب المنزلة؛ فإنه قد دخل على بعضها التحريف، فلما تولى الله حفظ ذلك الكتاب بقي مصوناً على الأبد، محروساً من الزيادة والنقصان وغيرهما، وفيه دليل على أنه مُنَزَّلٌ من عنده سبحانه وتعالى آية؛ إذ لو كان من البشر لتطرق إليه الزيادة والنقصان كما يتطرق إلى كل كلام سواه^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق (٤٤٤/٢٠)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط(٤) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (٤/٣٧٠).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٥٠).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، وبيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (٧/١٤٩).

جمع عثمان رضي الله عنه القرآن الكريم:

كان الهدف الأساس من جمع أبي بكر الصديق القرآن كتابته في مصحف واحد مرتب السور مسلسل الآيات، ولم يكن من أهدافه القضاء على المصاحف الخاصة التي جمعها بعض الصحابة لأنفسهم، وكانت تضم بعض التفسيرات والأدعية والمأثورات ونحوها، وهم يعلمون أنها ليست من القرآن، ولم يتركوا تدوين آية وهم يعلمون أنها من القرآن^(١).

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية في الأمصار تعددت المصاحف بجانب مصحف أبي بكر الصديق، واختلفت القراءة؛ حيث أخذ أهل كل مصر قراءة من وفد إليهم من الصحابة؛ فقد كان كل صحابي يُعَلِّمُ بالحرف الذي تلقاه من الأحرف التي نزلت على النبي ﷺ، ومن لاحظ هذا الاختلاف حذيفة بين اليمان حين شارك في الفتوح الإسلامية في الشام والعراق، فقد رأى اختلافًا بين المسلمين في وجوه القراءة، وعلم بما يحصل بينهم من تجريح وتأثير بعضهم بعضاً، مما جعله يعود ليخبر أمير المؤمنين بما رأى، ويقول: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا المصاحف في المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفقٍ بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق^(٢).

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص ٤٧-٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٠٨٧)، (٦/١٨٣-١٨٤).

يقول الدكتور الحجى: "هَيَّا اللهُ سبحانه وتعالى، وهدى أمير المؤمنين (ذو النورين) عثمان بن عفان الذي احتوى المآثر والمفاخر، تكفيه واحدة من مفاخره ﷺ؛ جمعه القرآن الكريم بواسطة أولئك الصحابة الكرام نساءً ورجالاً"^(١).

شهادات غير المسلمين للقرآن بأنه محفوظ:

ينقل الدكتور الحجى شهادات بعض المستشرقين على كون القرآن محفوظاً، ولعل ذلك من باب قول القائل: (والفضل ما شهدت به الأعداء)^(٢)، فيقول: "لعل من المناسب هنا الحديث عن حفظ الله تعالى للقرآن الكريم الذي بدا أشد ظهوراً من الشمس في رائعة النهار، هذا الأمر نشهده، ويشهد به غير المسلمين... هذه مسألة واضحة مُسَلَّمٌ بها من كل من عرف القرآن الكريم، واطلع عليه، وقال بالحق حتى لو لم يكن من المسلمين، فمثلاً يقول المستشرق الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي إرنست رينان (Ernest Renan)^(٣) ١٨٩٢م: (لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجة الإعجاب والحب"^(٤).

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٧).

(٢) جزء من بيت قاله الشاعر العباسي السري الرفاء بمدح الوزير أبا محمد المهلبى، ينظر: ديوان المعاني، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الناشر: دار الجيل، بيروت، (٧٢/١)، وبتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، تحقيق: د/مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (٢/١٩٢)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله المعروف بـ (سبط ابن الجوزي)، تحقيق وتعليق: محمد بركات، وكامل محمد الخراط، وعمار ربحاوي، وغيرهم، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط (١) ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، (١٧/٤٣٦-٤٣٧).

(٣) هو: إرنست رينان (Ernest Renan)، أديب فرنسي ولد سنة ١٨٢٣م، نشأ نشأة كنيسية، لكنه تركها، وآثر دراسة اللغات والأدب، فدرس اللغات السامية، وأتقن اللغة العربية، ودرس فلسفة ابن رشد، ونقلها إلى الفرنسية، وقد عادته الكنيسة بسبب كتابه (حياة يسوع) الذي اعتبر فيه المسيح إنساناً لا أكثر، وهذا الكتاب يعد جوهرة من جواهر الأدب الفرنسي بل العالمي، ومن مؤلفاته: تاريخ إسرائيل، ومحاورات فلسفية، ومستقبل العلم، وتوفي علم ١٨٩٢م.

انظر: هؤلاء علموني، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، عام: ٢٠١١م.

(٤) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٦).

ويقول إرنست رينان أيضاً: "إن القرآن هو أساس الإسلام، وقد احتفظ بكينونته القديمة دون أن يعتريه أقل تبديل أو تحريف، وعندما نستمع إلى بعض آياته وما فيها من بلاغة وسحر تأخذنا رجفة الوله والوجد، وبعد أن نتوغل في دراسة روح التشريع التي تنطوي عليها بعض تلك الآيات الإلهية لا يسعنا إلا أن نعظم هذا الكتاب العلوي، ونقدسه"^(١).

لقد حفظ الله هذا الكتاب لكل البشر؛ لذا سخر جميع الناس لحفظه؛ مسلمهم وكافرهم، يدرسه ويطبعه من لا يؤمن به، مُسَخَّرٌ له بأمر من الله للقيام به والعمل عليه؛ لأنه سبحانه وتعالى تَكَفَّلَ بحفظه^(٢)، وقد أقر الكثير من الدارسين غير المسلمين ومن الغربيين الذين درسوا الإسلام وتاريخه والقرآن الكريم، واطلعوا على شيء منه أن هذا الحفظ المتنوع المتحقق في كل حالاته دليلٌ على صدقه وصدق مصدره، وأنه معجزة، وكل من درس القرآن الكريم أدرك هذه الحقيقة الناصعة؛ فالأمر واضح وضوح الشمس الساطعة في رائعة النهار، وذلك ما أدركته المهتدية الأمريكية مريم جميلة^(٣) التي قالت بعد دراسة واعية متأنية متحدثة عن كتب أهل الكتاب: "ما جرى من تحريف لتلك الكتب التي سلمَ الله تعالى منها القرآن الكريم حفظاً له كما وعد ﷺ دليلٌ على صدقه وصدق رسوله ﷺ"^(٤).

(١) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، حسين حسني معدي، دار الكتاب العربي، دمشق، ط(١) ١٤١٩ هـ (ص ٦٧).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٧٢).

(٣) هي: مريم جميلة، ولدت في نيويورك عام ١٩٣٤م لأبوين يهوديين من أصل ألماني، وكان اسمها قبل إسلامها (مارغريت ماركوس)، أشهرت إسلامها بعد رحلة بحث طويلة عام ١٩٦١م، وقد ألقت قرابة خمسة وعشرين (٢٥) كتاباً، منها: الإسلام والتجديد، والإسلام والاستشراق، والإسلام في مواجهة الغرب، ورحلتي من الكفر إلى الإيمان.

انظر: مريم جميلة: المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام ومن أمريكا إلى باكستان بحثاً عن الحقيقة والإيمان، تأليف: ذاكر الأعظمي، دار القلم، دمشق، ط(١) ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٤) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٥١).

لذلك فإنه لا يوجد -ولا ينبغي أبداً- من يمكنه القول غير أن القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، وحفظه سبحانه وتعالى، وأنه بين أيدينا وأيدي البشرية كما هو في اللوح المحفوظ وكما أنزل على الرسول الكريم ﷺ، وبلغه للناس، وتلاه عليهم، وحفظوه في السطور والصدور، والقرآن يبين بذاته عن نفسه، يأسر كل من يقرأه بإقبال، وقد ذكر البروفيسور آرثر آربري أن استماعه إلى القرآن وهو يرتل باللغة العربية كان بالنسبة له كاستماعه إلى نبضات قلبه^(١).

وهناك شهادات كثيرة حول موضوع حفظ الله تعالى القرآن الكريم، يقول أحدهم: "لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن"^(٢). ويقول آخر: "بين أيدينا كتاب فريد في أصالته، وفي سلامته، لم يشك في صحته كما أنزل، وهذا الكتاب هو القرآن"^(٣).

ويقول آخر: "لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة، وهي أن نصه ظلّ صافياً غير مُحرّفٍ طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف"^(٤). ويؤكد ذلك أحدهم بقوله: "والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملاً، وسجلت آياته وهو ما يزال حيّاً، وكان تسجيلاً في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس في المسيحية شيء مثل ذلك"^(١).

(١) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٥٢).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٦٧).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٥١).

(٤) دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط(٥) ١٩٨١م، (ص ٥٨-٥٩).

ويقول آخر: "كلف كاتب الوحي زيد بن ثابت جمع الآيات القرآنية في شكل كتاب، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أشرف على هذه المهمة، وفيما بعد إثر جهد مستأنف بذل بأمر من الخليفة عثمان رضي الله عنه اتخذ القرآن شكله التشريعي النهائي الذي وصل إلينا سليماً لم يطرأ عليه أي تحريف"^(٢).

والقرآن الكريم ليس معجزة المعجزات من ناحية أسلوبه ومعناه فقط، بل من ناحية حفظ الله إياه، وإذ قد حفظ الله دينه التام، وكتابه المعجز المكفول المخلد لم يبق للبشرية من حاجة إلى دين جديد على يد نبي يبعث من بعد النبي محمد ﷺ آخر الرسل وخاتم النبيين، تلك هي المعجزة الكبرى التي خص الله بها رسوله من بين الرسل، معجزة خالدة باقية مخلدة على مر العصور والأزمان^(٣).

وإذا ثبت ذلك فينبغي على هذه الأمة الإيمان بأن القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى أوحى إلى رسوله الكريم ﷺ بنصّه ومعناه حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة، كلها كاملة صحيحة، وحقيقة مجتمعة، وصدق وحق مبين^(٤).

(١) الخالدون مائة: أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، مايكل هارت، المكتب المصري الحديث، إنتاج جدران المعرفة للنشر الإلكتروني المجاني، (ص ١٧).

(٢) انظر: الإسلام والعرب، روم لاندو، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط (٣) ١٩٧٧م، (ص ٢٩٦).

(٣) انظر: الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغمراوي، مطبعة السعادة، ط (١) ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م، (ص ٩٣).

(٤) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ١٤٩).

المطلب الثالث:

جهود الدكتور الحجي في بيان تميز القرآن الكريم على غيره

إن الدكتور الحجي يؤكد دائماً على قضية تميز القرآن الكريم على غيره من الفلسفات قديماً وحديثاً، وكتب الدين واللاهوت قبل القرآن، وقد ظهر في المطلبين السابقين بعض مظاهر تميز القرآن الكريم؛ كإخباره عن الغيبات، والإعجاز التشريعي وغيرهما، وفي هذا المطلب أركز على كلام الدكتور الحجي فيما يتعلق بتأكيده على تميز الإسلام عن غيره في أمر آخر وهو (الشمولية) التي تجعله متفرداً عن غيره من كتب اللاهوت والفلسفات متفوقاً عليها، وجعلته صالحاً لكل زمان ومكان؛ فقد جاء القرآن الكريم شاملاً لكل ما يحتاج إليه الناس، منظماً حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

يقول الدكتور الحجي: "تلك الشريعة التي تميزت وانفردت بذلك كله شاملة للكيان الإنساني ومقتضياته، فرداً وجماعةً، مجتمعاً ودولة، وكاملة مكتملة، متوازنة متزنة، وصلت الدنيا بالآخرة في طريق واحد، يؤدي بناؤه ونقاؤه إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، والفوز بجنته ونعمته يوم لا ظل إلا ظله، وتحت لواء رسوله ﷺ غير خزايا ولا نادمين" (١).

وقد أتم الله سبحانه وتعالى نعمته على المسلمين والإنسانية كافة باكمال نزول القرآن الكريم كاملاً، ولم ينتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد اكتمل نزول القرآن، واكتمل الدين باكمالها، وتمت النعمة على هذه الأمة المرحومة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(١) أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجي، الكويت، ط (١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، (ص ١٨٧).

وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿المائدة: ٣﴾، واكتمل كذلك تطبيقه ببيان النبي ﷺ له قولاً وفعلاً وتقريراً؛ حتى لا تبقى لأحد حجة في تطبيقه كاملاً للبشرية كافة في كل مكان وزمان^(١).

وإن مما يتميز به القرآن الكريم أنه حجة الله البالغة، ومعجزته في كل عصر ومصر للبشرية جمعاء في شتى أطوار حياتها، بل معجزة للجن؛ فهو يخاطب الناس جميعاً حتى قيام الساعة؛ لكونه الوحي الأخير والرسالة الخاتمة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾: أي ليكون النبي ﷺ نذيراً، والعالمين عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة^(٢).

وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وهذا أمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع، وهذه الآية خاصة للنبي ﷺ بين الرسل؛ فإنه ﷺ بعث إلى الناس كافة وإلى الجن، وكل نبي إنما بعث إلى فرقة دون العموم^(٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُوَ الْأَذِكرُ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ١٥-١٦).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط (١) ١٤١٦هـ، (٢/٧٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٢٢هـ، (٢/٤٦٥).

أي: ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم إليه إلا ذكر من الله عز وجل للجن والإنس، وما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين^(١).

هذه الآيات جميعها تؤكد أن القرآن الكريم آخر كلمات الله للبشرية جميعاً؛ لتتهدي به وحده، وأن الرسالة المحمدية شاملة، وأنها ليست خاصة بقوم معينين، ولا بعرقٍ مُعَيَّنٍ، ولا بجنس أو جماعة معينة، وقد قال النبي ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي»، وذكر منها: «وكان النبي يبعث في قومه خاصة وبعث للناس كافة»^(٢).

يقول الدكتور الحججي: "لا بد من العناية بفهم الإسلام من خلاله أولاً لكافة الأمور توحيداً وتعبيداً، وتحكيماً لمناحي الحياة دون استثناء؛ صغيرها وكبيرها"^(٣).

ويؤكد هذا المعنى فيقول: "كما أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى المبارك، وشرعه المبين، وحبله المتين، أنعم به الله على البشرية جمعاء فضلاً منه؛ لئيلَّغهُ الرسول الكريم ﷺ إلى الناس كافةً، رسالةً ربانيةً لا غنى لأهل الأرض عنها في كل ديارهم وأعصارهم ومرتقاتهم وجماع أحوالهم، لا تستريح البشرية كما استراحت ورأت في جولة سبقت إلا في ظله، كانت تلك تجربة وخبرة وشهادة عالية المقام تكفيها لأخذه واعتماده والعمل به دون تردد، لو عرفتْ وأنصفتْ، مكفياً به وحده، ومستغنيةً به عما سواه، حتى لو فاتتها معرفة ذلك من خلال القرآن الكريم، والسُنَّة المطهرة، والسيرة النبوية الشريفة"^(٤).

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني مُجَّد بن علي بن مُجَّد بن عبد الله اليمني، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، ط(١) ١٤١٤ هـ، (٤/٥١٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم (٤٢٨)، (١/٩٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١)، (١/٣٧٠-٣٧١).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحججي (ص ٢٥٢).

(٤) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحججي (ص ٩٧).

وقد قال الإمام الشافعي^(١) رحمه الله: "فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]"^(٢).

وإن مما يميز الفقه الإسلامي الذي يستمد أحكامه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة شموله كل متطلبات الحياة؛ فهو يمتاز القوانين بأنه يتناول علاقات الإنسان الثلاث؛ علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بمجتمعه، لأنه للدنيا والآخرة، ولأنه دين ودولة، وعام للبشرية وخالد إلى يوم القيامة، فأحكامه كلها تتآزر فيها العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة؛ لتحقق بيقظة الضمير، والشعور بالواجب، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، واحترام الحقوق -

(١) هو: مُجَدُّ بن إدريس بن العباس بن عثمان أبو عبد الله الشافعي الهاشمي القرشي، من أشعر الناس وأعرفهم بالفقه والقراءات واللغة وأيام العرب، أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وهو عالم العصر، وناصر الحديث، وفقه الأمة، من تصانيفه: تفسير القرآن والأم وغيرهما، وتوفي سنة (٢٠٤هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/٥-٩٩)، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، المحقق: محمود مُجَدُّ الطناحي، وعبد الفتاح مُجَدُّ الحلوي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(٢) ١٣٤١هـ، (٧١/٢-٧٤).

(٢) الرسالة، مُجَدُّ بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد مُجَدُّ شاكر عن أصل بخط الربيع بن سليمان كتبه في حياة الشافعي، الناشر: مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، ط(١) ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م، (ص ٢٠).

لتحقق بذلك غاية الرضا والطمأنينة والإيمان والسعادة والاستقرار، وتنظيم الحياة الخاصة والعامّة^(١).

وأختم هذا المطلب وأؤكد أن هذه الشمولية تُبَيَّنُ وتؤكد ما سبق بيأنه في المطلبين السابقين من كون القرآن كلامَ الله تعالى المنزل من عنده المحفوظ بوعدده سبحانه وتعالى، وقد جعل الدكتور الحجري الشمولية وجهًا آخر من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فقال: "كلام الله تعالى هو الوحيد بكل محتوياته الشاملة لأُمور الحياة والكون والإنسان منفردًا واضح الإعجاز المتفرد البالغ، يضم كل ذلك بشكل طبيعي؛ مما يقود إليه بذاته التي تفوق كافة ما عداه مهما كان ويكون"^(٢).



(١) انظر: الفقه والشريعة، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (ص ١٢-١٦).

(٢) الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٢٠).

المطلب الرابع

جهود الدكتور الحجي في الدعوة إلى العودة إلى القرآن

إن الدكتور الحجي يؤكد دائما على ضرورة العودة إلى القرآن الكريم، ولم تكن دعوته للمسلمين فقط، بل كانت للبشرية جميعاً؛ فهو يرى أن علو الأمة وارتقاءها في العودة إلى القرآن والتمسك، وأن سعادة البشرية في الرجوع إليه والإيمان به. ويرى الدكتور الحجي أن الله جعل في القرآن القضية الأساسية وهي العبودية، والألوهية الحقة؛ وأنه قد جاء في القرآن ما يُعَبِّدُ الناسَ لإلههم الحق، وأن كل ما في القرآن يرجع إلى هذه القضية الأساسية^(١).

وليس أدل على أهمية دعوة الدكتور الحجي إلى العودة إلى القرآن والاستمسك به من أمر الله تعالى نبيه بالاستمسك بالوحي في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

أي: خذ يا مُحَمَّدُ بالقرآن المنزل على قلبك؛ فإنه الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم^(٢).

ترغيب الدكتور الحجي في القرآن الكريم:

لقد كان للدكتور الحجي طريقة تربوية في دعوة الناس إلى العودة إلى القرآن الكريم، تتمثل في ذكر ما للقرآن من فضائل تُحِبُّبُ الناسَ في العودة إليه والعمل بما فيه، وتشجعهم على ذلك،

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٢٩/٧).

ومن فضائل القرآن التي ذكرها الدكتور الحجى ما يلي:

١- كون القرآن الكريم شفاءً:

لقد أثبت الله تعالى في كتابه الكريم أن القرآن شفاء فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقد تعجب الدكتور الحجى من ابتعاد الناس عن القرآن، وتحسر عليهم فقال: "يا حسرة على العباد، بأيديهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فيه شفاء من كل داء، وصحة في كل ميدان، وتقدم نحو أرقى أفق، وسعادة في الدارين، يبحثون عند أهل الأدوية في الدنيا والآخرة ما يشفيهم"، ويقصد بالناس هنا المسلمين الذين كان يجب عليهم أن يتولوا هم علاج الناس بالقرآن الذي أنزله الله شفاءً وضياءً بدلاً من بحثهم هم عن الدواء عند غيرهم^(١).

وبالقرآن تضيء الحياة، وتعلو قيمتها ويبارك في أعمارها، ويرفع إعمار أهلها، وتثمر جهودهم، وتزكو أعمالهم، ويحسون نعمة كل ما حولهم، ويفرحون به، وينشُدونه ويستطيبونه^(٢).

وقد صدق الدكتور الحجى؛ فإن في القرآن الكريم الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ويوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدوية كلام رب السماء ورب الأرض الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا في القرآن

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٧٣).

(٢) الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٥٣).

سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والوقاية منه لمن رزقه الله فهم كتابه^(١)، وقد قال الله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٢- كون القرآن بركةً وسبب السعادة في الدنيا والآخرة:

من الأمور التي رغب بها الدكتور الحجى الناس عامة والمسلمين خاصة في العودة إلى القرآن كونه مباركاً وسبب سعادة الدارين، وهذا أمر أثبتته الله تعالى لكتابه في قوله عز وجل:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

أي: أنزل الله القرآن كثير المنافع والفوائد؛ لاشتماله على منافع الدارين، وعلوم الأولين والآخرين، وما لا يتناهى من الفوائد^(٢).

وقد شبّه الدكتور الحجى نزول القرآن الكريم بنزول الماء إلى الأرض يحييها ويخصبها، ويملؤها بالبركات، فالقرآن وحده هو المنقذ من الشقوة والكبوة، وهو الذي يهلك العالم بدونه، ويسعد به الإنسان أيما سعادة في الدنيا والآخرة^(٣).

ومن بركة القرآن أن الله عز وجل ارتضى منهج القرآن لجميع خلقه، وهذا المنهج وحده هو الذي يبني الإنسان الكريم، ويمد حياته الفاضلة، ويرتقي بمجتمعه المتحضر^(٤).

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم مجد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط(٢٧) ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، (٤/٣٢٢-٣٢٣).

(٢) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي مجد جمال الدين بن مجد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: مجد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤١٨هـ، (٤/٤٢٩).

(٣) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٦٦).

(٤) انظر: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة: ظروفها وآثارها، عبد الرحمن الحجى، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ص ١٥).

٣- روعة القرآن وجماله وتفرده:

إن أسلوب القرآن المتميز المتفرد بأسر كل من يسمعه وإن لم يكن يعرف من العربية شيئاً، وقد ذكر الدكتور الحجى أن هذا من صفات هذا الكتاب المعجز فقال: "هذا القرآن العظيم المعجز في كل شيء الذي تلقاه الرسول الكريم ﷺ من الله تعالى، وحمله بكل جوارحه يبلغه للناس جميعاً، أدرك ذلك حتى من لا يعرف من العربية شيئاً؛ فالجميع يُحس بروعته وقوته وجماله، ووجوه علوه وتفرده بشكل واضح ملموس محسوس، يللمسه حين يدخل ظلّه، ويأنس بسماعه قراءةً أو استماعاً تلاوةً منه ومن غيره، دخول أجوائه أو الخروج منها بكلماته العذبة الجذابة وجمالها مختلف عن أي كلام آخر مهما كان، إذا خرج من جوهٍ إلى أيٍّ غيره كأنه ذهب عنه أنسٌ وجمالٌ وارتياحٌ لا يجده في غيره أبداً"^(١).

وقد أثبت الله سبحانه وتعالى لكتابه هذا الحُسْنَ والتفرد فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ مَن يَشَاءْ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

فكلام الله تعالى هو أحسن الحديث على الإطلاق، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن؛ لذا كانت ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، ومعانيه أجل المعاني، وكان متشابهاً في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر رأى من اتفاهه ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، وفيه تُثنى القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته وحسنه؛ فإنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجى (ص ١٠).

للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بَعُدَ عهدا بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت، وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه، ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة أثّر في قلوب أولي الألباب المهتمين^(١).

والقرآن يبين بذاته عن نفسه، يأسر كل من يقرأه بإقبال، وقد ذكر الدكتور الحجى أن البروفيسور آرثر آربري ذكر أن استماعه إلى القرآن وهو يرتل باللغة العربية كان بالنسبة له كاستماعه إلى نبضات قلبه^(٢).

٤- كون القرآن عصمة من الضلال:

كون القرآن عصمة من الضلال من الامور التي تحث الناس على العودة إليه، والعمل بما فيه، وقد أكد الدكتور الحجى ذلك بقوله: "الإسلام منهج حياة، نظام يسود كل جوانبها، يقوم على شرع الله تعالى، وعقيدته الربانية السليمة، والشريعة الربانية التي تركنا عليها الرسول الكريم ﷺ هي الحنيفية السمحة، وهي المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك^(٣)، أعمدتها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ذلك ما يفهم من بعض ما جاء في حُطبة حجة الوداع: «وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله،

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص ٧٢٢-٧٢٣).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٥٢).

(٣) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٣)، (٢٩/١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وغيره، دار الرسالة العالمية، ط (١) ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، وصحح هذا الحديث الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم (٩٣٧)، (٢/٦١٠-٦١١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى لمكتبة المعارف، عام النشر: الأجزاء من الأول إلى الرابع: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، والجزء السادس: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، والجزء السابع: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

وأنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأدّيت ونصحت^(١)، إشارةً إلى سنته الكريمة، وسيرته الشريفة ﷺ^(٢).

وهذا الحديث يدل على أن كتاب الله سبب الهدى، وأن من تمسك به لن يضل^(٣)، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٥- احتواء القرآن على العبر والعظات:

لقد قص القرآن علينا قصصًا قصيرة من قصص السابقين، ولم يكن سرد القرآن الكريم لتاريخ الأمم السابقة وقصصهم خلوا من الفائدة، بل كانت له مقاصد وغايات، من بينها تحقيق الاعتبار في نفوس الناس ومسيرتهم، وتبصرتهم بأسباب التقدم والنجاة، وموجبات التخلف والهلاك كما ذكر الدكتور الحجى^(٤).

لذا يجب على المسلمين اليوم أن يتعضوا مما حدث مع الأمم الأخرى التي جاء ذكرها في القرآن^(٥).

يقول الدكتور الحجى: "في تاريخ البشرية العام أمثلة وفيرة معروفة فيما قصه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم خير بيان، فيه العبرة الواسعة المشهودة، تُزَوِّدُ الإنسانَ في كل جيل بالخبرة المؤكدة الحقّة؛ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، مثلما فيه الأخبار الصادقة كل

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨)، (٢/٨٨٦-٨٩٢).

(٢) دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م، (ص ٢٣-٢٤).

(٣) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة يحيى بن هبيرة بن مُجَدِّد بن هبيرة الذهلي الشيباني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، (٣٦٦/٨).

(٤) انظر: تأمل واعتبار: قراءات في حكايات أندلسية، عبد الرحمن الحجى (ص ٧).

(٥) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧م، (ص ١٠٧-١٠٨).

الصدق، القرآن الكريم أصدق مصدر في الوجود، وأصدق كتاب بكل ما فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، هو الصدق الوحيد ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، هم الذين عليهم الانتفاع بها، حاضرة أمام الأنظار ماثلة: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] (١).

الخلاصة:

يتبين مما سبق في هذا المبحث أن الدكتور الحجى كان ذا غيرة شديدة على دينه، وأنه لم يأل جهداً في خدمة كتاب ربه، وقد كان يبرهن ويؤكد دائماً على كون القرآن كلام الله المعجز الذي تعددت وجوه إعجازه، وأنه آخر الكتب السماوية إلى أهل القرآن؛ لذلك تكفل الله بحفظه، وهذا الحفظ مع ما تضمنه من معجزات، وما حواه من أمور علمية، وما جاء فيه من إعجاز في التشريع، وإخبار عن الغيب من وجوه إعجازه. وكان الدكتور الحجى يكرر أنه لا سبيل لسعادة البشرية في الدنيا والآخرة إلا بالقرآن؛ لذلك دعا إلى العودة إلى القرآن الكريم.

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٨٥).

المبحث الثاني

جهود الدكتور الحجي في خدمة السنة النبوية

ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** جهوده في البرهنة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- **المطلب الثاني:** جهوده في بيان مكانة السنة النبوية في الإسلام وعلومه.
- **المطلب الثالث:** جهوده في البرهنة على كون السنة النبوية محفوظة.

المطلب الأول: جهود الدكتور الحجري في البرهنة

على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم

من الأدلة على صدق النبي ﷺ إخباره بالغيب، سواء أكان في الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل، وهذا يدل على أن الذي يخبره بهذه الأمور ربه سبحانه وتعالى عن طريق الوحي، وكلام النبي ﷺ وإخباره عن الغيب وحي من عند الله تعالى، وهذا مصداق قوله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وقد ذكر الدكتور الحجري بعض المعجزات التي جاءت في السنة النبوية، وهي إخبار النبي ﷺ عن الغيب، ومن ذلك ما يأتي:

١- إخباره عن ركوب بعض الصحابة البحر:

لم يركب الصحابة البحر على عهد النبي ﷺ، ومع ذلك أخبرهم أنهم سيركبون البحر غزاةً، وقد تحقق ذلك بعد موته ﷺ.

يقول الدكتور الحجري: "وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج هذا البحر^(١)، غزاةً واحدةً بعد واحدة، سألته أم حرام^(٢) أن

(١) أي: وسطه ومعظمه، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، حرف التاء، باب التاء مع الباء (ثبج)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٢٠٦/١).

(٢) هي: أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، من بني النجار، وهي زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ يكرمها، ويזורها في بيتها، ويقبل عندها، ودعا لها بالشهادة فكان ذلك في عهد عثمان في غزوة قبرص التي كان أمير جيشها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة سبع وعشرين (٢٧هـ).

يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها ﷺ - وخبره الحق - أنها من الأولين، وهذا من أعلام نبوته ﷺ (وهو إخباره بالشيء قبل كونه)، وبرهان على ربانية رسالته، فكانت أم حرام من الغزاة إلى قبرص، وخزّت عن دابتها هناك فتوفيت -رحمها الله تعالى- (١)، وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقيناً أن الغزاة إلى قبرص هم الأولون الذين بشر بهم النبي ﷺ، وكانت أم حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه" (٢).

والحديث الذي أشار إليه الدكتور الحجى هو ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته، وجعلت تفتلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة -أو: مثل الملوك على الأسرة، شك إسحاق-»، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله»، كما قال في الأولى، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من

لينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط (١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (٤/١٩٣١)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٥هـ، (٨/٣٧٥-٣٧٦).

(١) كان الأولى أن يترضى عنها؛ لأنها صحابية.

(٢) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٧).

الأولين، فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت^(١).

قال الإمام النووي^(٢): "قولها في المرة الثانية: (ادع الله أن يجعلني منهم)، وكان دعا لها في الأولى قال: (أنت من الأولين) هذا دليل على أن رؤياه الثانية غير الأولى، وأنه عرض فيها غير الأولين، وفيه معجزات للنبي ﷺ، منها إخباره ببقاء أمته بعده، وأنه تكون لهم شوكة وقوة وعدد، وأنهم يغزون، وأنهم يركبون البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون معهم، وقد وُجدَ بحمد الله تعالى كلُّ ذلك"^(٣).

وقال ابن حجر عن هذا الحديث: "وفيه ضروب من أخبار النبي ﷺ بما سيقع فوقه كما قال، وذلك معدود من علامات نبوته، منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية"^(٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا بالنهار، رقم (٧٠٠١-٧٠٠٢)، (٣٤/٩)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر، رقم ١٦٠ (١٩١٢)، (١٥١٨/٣-١٥١٩).

(٢) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن أبو زكريا محيي الدين الحزامي النووي الشافعي، من العباد الزهاد، وأحد ثقات فقهاء الشافعية، له من التصانيف: المجموع، وشرح صحيح مسلم، والبيان في آداب حملة القرآن، وغيرها، ومات سنة (٦٧٦هـ).

انظر: طبقات الشافعيين، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د/أحمد عمر هاشم، ود. مُجَّد زينهم مُجَّد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، (ص ٩٠٩-٩١٣)، وطبقات الشافعية، ابن قاضي شهبه أبو بكر بن أحمد بن مُجَّد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤٠٧هـ، (٢/١٥٣-١٥٧).

(٣) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم (٥٨/١٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (٢) ١٣٩٢هـ، (٥٨/١٣).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٧٧/١١).

٢- دعوة النبي ﷺ على كسرى^(١) بتمزيق ملكه، وإخباره بموته عندما مات:

إن دعوة النبي ﷺ دعوة عالمية^(٢)، لا تختص بالعرب دون سواهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

فالنبي ﷺ مرسل للناس جميعًا حتى قيام الساعة؛ لكونه جاء بالوحي الأخير والرسالة الخاتمة، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾: أي ليكون النبي ﷺ نذيرًا، والعالمين عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة^(٣).

وقال عز وجل: ﴿ قُلْ يَتَّيَبُهَا النَّاسُ وَإِي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وهذا أمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع، وهذه الآية خاصة للنبي ﷺ بين الرسل؛ فإنه ﷺ بعث إلى الناس كافة وإلى الجن، وكل نبي إنما بعث إلى فرقة دون العموم^(٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْاَذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ص: ٨٧].

(١) هو: كسرى بن برويز بن هرمز بن أنوشروان، وهو كسرى الكبير المشهور، وقيل: إن الذي بعث إليه النبي ﷺ هو أنوشروان، وفيه نظر؛ لما سيأتي أن النبي ﷺ أخبر أن زربان ابنه يقتله، والذي قتله ابنه هو كسرى بن برويز بن هرمز، وكسرى بفتح الكاف وبكسرهما لقب كل من تملك الفرس، ومعناه بالعربية المظفري، كما قال ابن حجر، انظر: فتح الباري (١٢٧/٨).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٧٦).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزري)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزري الكلبي الغرناطي (٧٨/٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٤٦٥/٢).

أي: ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم إليه إلا ذكر من الله عز وجل للجن والإنس، وما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين^(١).

هذه الآيات جميعها تؤكد أن الرسالة المحمدية شاملة، وأنها ليست خاصة بقوم معينين، ولا بعرقٍ مُعَيَّنٍ، ولا بجنس أو جماعة معينة، وقد قال النبي ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي»، وذكر منها: «وكان النبي يبعث في قومه خاصة وبعث للناس كافة»^(٢).

لذلك لما أرسل النبي ﷺ دعا ملوك الأرض إلى دخول الإسلام، ومن هؤلاء كسرى ملك الفرس.

وقصة النبي ﷺ مع كسرى من دلائل نبوته ﷺ، وقد ذكر الدكتور الحجري بعث النبي ﷺ كتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي^(٣)، فتكبر كسرى، وتجبر، ومزق كتاب النبي ﷺ، وكتب إلى عامله على اليمن أن يرسل من يأتي بالنبي ﷺ أسيرًا مقيدًا، فأرسل باذان وزيره مع أخيه إلى المدينة، ولما وصلا المدينة المنورة طلب إليهما الرسول ﷺ أن يمكثا فيها يومًا أكثر من المدة التي كانا ينويانها، كأنه يريد أن يبلغهم دعوة الله، ويعلمهم إياها خلقًا وسلوكًا، وأخبرهما أن كسرى قتل على يد ابنه، فتعجبا من ذلك ودهشا، وحملا هذا الخبر إلى باذان الذي كان يتطلع إلى معرفة النبي ﷺ ودعوته، وكان إخباره بمقتل كسرى سببا في دخوله هو

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، ط (١) ١٤١٤ هـ، (٤/٥١٣).

(٢) حديث صحيح في البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه.

(٣) هو: عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي القرشي السهمي، يكنى أبا حذافة، أسلم قديما، وكان من المهاجرين الأولين، يقال: إنه شهد بدرًا، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٣/٨٨٨-٨٩١)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٤/٥٠-٥٣).

وأفراد من أسرته الإسلام؛ لأنه قد جاءه بريد فارس بمقتل كسرى على يد ابنه كما أخبرهم النبي ﷺ.

وقد قال الدكتور الحجي بعد أن ذكر هذا: "يا لله! إنها لمعجزة تدعوهم وأمثالهم ليعيدوا النظر في مواقفهم، لا سيما إذا سلمت الفطر- ولو بعض السلامة- من التهتك والتحطم والتلوث، بل لِيُتْرِكَ ما عليها من صدا، تطرقها طرقا، تزيل عنها الصدا، وتثيرها إثارة تبهرها، تحكها وتدفعها إلى الإدراك، تستدرك ما فات، وتلتزم الطريق، طريق الله المنير وشرعه الجديد الفريد"^(١).

والدكتور الحجي يشير إلى ما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مَرْقَهُ، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُمَزَّقَ كلُّ مُمَزَّقٍ^(٢).

قال ابن حجر: "قوله: (فحسبت أن ابن المسيب) القائل هو الزهري، وهو موصول بالإسناد المذكور -أي إسناد الإمام البخاري-... ويحتمل أن يكون ابن المسيب سمعه من عبد الله بن حذافة صاحب القصة؛ فإن ابن سعد ذكر من حديثه أنه قال: فقرأ عليه كتاب رسول الله ﷺ فأخذهُ فَمَرْقَهُ، قوله: (فدعا عليه رسول الله ﷺ) أي على كسرى وجنوده، قوله: (أن يمزقوا كل ممزق) بفتح الزاي، أي: يتفرقوا ويتقطعوا، وفي حديث عبد الله بن حذافة: فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: (اللهم مزق ملكه)"^(٣).

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٨٠-٢٨٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، رقم (٤٤٢٤)، (٨/٦).

(٣) فتح الباري، ابن حجر (٨/١٢٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ستٍ أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كُتُبًا، فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتابًا إلا محتومًا، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتمًا من فضة، فصبه منه نقشه ثلاثة أسطر: مُجَّد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم، وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي - وهو أحد الستة - إلى كسرى يدعوهم إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأ عليه، ثم أخذه فَمَرَّقَهُ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزق ملكه»، وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه ورجلا آخر، وكتب معهما كتابًا، فَقَدِمَا المدينة فدفعنا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ، ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد»، فجاءاه من الغد فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها - وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع - وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله»، فرجعا إلى باذان بذلك فأسلم هو والأبناء^(١) الذين باليمن^(٢).

(١) الأبناء: جمع ابن، ويقال لأولاد فارس (الأبناء)، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف ابن ذي يزن لما جاء يستنجد على الحيشة، فنصره، وملكوا اليمن، وتديروها، وتزوجوا في العرب، فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٧/١-١٨) حرف الهمزة، باب الهمزة مع الباء، (أبن).

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي، المعروف بابن سعد، السيرة النبوية، ذكر بعثة رسول الله ﷺ الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وما كتب به رسول الله ﷺ لناس من العرب وغيرهم، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٩٦٨ م، (١/٢٥٨-٢٦٠).

وقد صحَّح الشيخ الألباني هذا الحديث، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/٤١٤-٤١٥) رقم (١٤٢٩).

وقد قال الدكتور الحججي: "ولقد أهدى عبد الله بن حذافة السهمي سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إمبراطور فارس كسرى أبرويز ليدعوه إلى الإسلام فمزق الكتاب، لكن الله مَزَّقَ مُلْكَهُ، وَفُتِلَ بيد ابنه، وكان الرسول ﷺ حين بلغه ما فعل هذا الكسرى بالكتاب وحامله دعا عليه بقوله: (اللهم مَزِّقْ ملكه) فكان، وتلك إحدى معجزات الرسول ﷺ"^(١).

٣- وعد النبي ﷺ سراقه بن مالك^(٢) بسوار كسرى:

يقول الدكتور الحججي: "كل ما في سيرة رسول الله ﷺ من قول وفعل وتقرير وحركة وسكنة وتأمل يشير إليك بوضوح أنه نبي، أرسله الله تعالى بالصيغة المبيّنة في كتابه سبحانه وتعالى"، ويرى الدكتور الحججي رحمه الله أنه كلما ارتقى الإنسان وتعمق لا يسأل عن معجزة أخرى للتدليل على نبوته الكريمة، ثم ذكر أن الصحابة كانوا يرون ويعرفون المعجزات التي أتمها وأجراها الله تعالى على يديه، ومنها المعجزات الإخبارية (الغيبية) التي كان ﷺ يلقبها بما كشف الله تعالى له، سواء من معرفة الأشخاص أو دعاء لأحد أو على أحد، مثلما جرى لسراقه بن مالك بن جعشم^(٣).

وكان الدكتور الحججي قد أشار إلى قصة سراقه بن مالك معه يوم الهجرة فقال: "ولقد كان رسول الله ﷺ يحوز كامل الاطمئنان، وهو في قمة الخطر وغمرته المحدقة المبيدة، أليست تلك واحدة من علامات النبوة؟!"

(١) جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحججي، مكتبة الصحوة، بيروت، ط(١) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (ص ٢٤).

(٢) هو: سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك المدلجي الكتاني، يكنى أبا سفيان، يعد في أهل المدينة، ويقال: إنه سكن مكة، وأسلم يوم الفتح، وتوفي سنة أربع وعشرين (٢٤هـ) في صدر خلافة عثمان، وقيل: إنه مات بعد عثمان. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٢/٥٨١-٥٨٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣/٣٥-٣٦).

(٣) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحججي (ص ٥٠٢).

بل وسراقة الذي جاء يطاردهم طمعاً في جائزة قريش، فلما ساخت فرسه لأكثر من مرة سقط من عليها في الثالثة، على أن رسول الله ﷺ محفوظ، وتحوّل من مطاردهما طامع بالجائزة إلى راغب بوعد يُعَمِّي الأنظار، ويكتم الأخبار، والوعد أمان وإيمان، بشَرُّهُ ﷺ بأن الله سيفتح على المسلمين، ويلبس سراقة تاج كسرى وأسورته، أليس هذا خيالاً؟! لا بل واقع.

ويتمُّ الله فتح أكبر دولتين في العالم فارس والروم، ويلبس سراقة في خلافة عمر أسورة كسرى وتاجه، ذلك على مأل من الصحابة، وقال عمر: (الحمد لله الذي سلب كسرى سواريه، وألبسهما سراقة بن جعشم الأعرابي).

معجزتان في معجزة: الأولى: إخبار عن الغيب بوحي الله، والثانية: إتمام هذا الأمر، وهو ما أخبر الله به نبيه، وعرفه سراقة في يوم تمامه، فيا للفرحة والقوة! إنها النبوة الكريمة^(١).

وقصة مطاردة سراقة بن مالك النبي ﷺ في الهجرة رويت في الصحيحين؛ فقد قال أبو بكر الصديق عن مطاردة سراقة: "واتبعنا سراقة بن مالك، فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها، فقال: إني أراكما قد دعوتما علي؛ فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحداً إلا ردّه، ووفى لنا"^(٢).

أما لبس سراقة سوارى كسرى فقد حدث على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقة بن مالك بن

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٤٢٨-٤٢٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٥)، (٤/٢٠١-٢٠٢)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، رقم (٧٥/٢٠٠٩)، (٤/٢٣٠٩-٢٣١٠).

جعشم، فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما في يده، فبلغا منكبيه، فلما رأهما في يدي سراقه قال: (الحمد لله، سوارى كسرى بن هرمز في يد سراقه بن مالك بن جعشم، أعرايى من بني مدلج)^(١).

وقد قال الإمام الشافعى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وإنما ألبسهما سراقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقه ونظر إلى ذراعيه: كأني بك وقد لبست سوارى كسرى"^(٢).

وقال ابن حزم^(٣): "واتبعه سراقه بن مالك بن جعشم فساخت قدمًا فرسِه في الأرض، ثم أخرجها، واتبعه دخان، حتى استعاذه سراقه فدعا له، فانطلقت الفرس، وأنذر بأن ستوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان كذلك"^(٤).

هذه الأمور الغيبية التي وقعت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم معجزات تدل - مع ما أثبتته الدكتور الحجي من كون القرآن من عند الله في المبحث الأول - على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وكونه مرسلًا من عند الله تعالى.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع، رقم (١٣١٦٧)، (٣١٧/١٣) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط (١) ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٢) الأم، للإمام الشافعى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعى، دار الفكر، بيروت، ط (٢) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (وأعادوا تصويرها سنة: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، (١٦٥/٤).

(٣) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد الأندلسي القرطبي الظاهري، إمام فقيه حافظ، وكان أجمع أهل قاطبة لعلوم الإسلام، وكان كثير التصنيف في علوم شتى، ومن تصانيفه: المحلى، وحجة الوداع، والإحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والنحل، وتوفي سنة (٤٥٦هـ).

انظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط (٢) ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، (ص ٣٩٥ - ٣٩٦)، وسير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨ - ٢١٢).

(٤) جوامع السيرة، لابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط (١) ١٩٠٠م، (ص ١٠).

المطلب الثاني: جهود الدكتور الحجي في بيان مكانة السنة النبوية في الإسلام وعلومه

إن الدكتور الحجي برهن - كما سبق في المطلب الأول - على صدق النبي ﷺ، وكونه مرسلًا من عند ربه سبحانه وتعالى بما أخبر به من أمور غيبية وقعت بعد زمانه، وفي هذا المطلب أحاول أن أبين جهوده في بيان مكانة السنة النبوية؛ فقد اهتم الدكتور الحجي ببيان ذلك في مواضع عدة من كتبه، وكان مما ذكره في هذا الشأن ما يأتي:

١- كون السنة النبوية مع - القرآن الكريم - سببا للعصمة من الضلال:

لقد أكَّدَ الدكتور الحجي على أن التمسك بالسنة النبوية مع القرآن الكريم سبب للعصمة من الضلال، يقول الدكتور الحجي: "منهج الحياة يقوم على شرع الله تعالى، وعقيدته الربانية السليمة التي تركنا عليها الرسول ﷺ هي الحنيفية السمحة، وهي المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك" (١).

والدكتور الحجي يشير في كلامه هذا إلى حديثين: الأول منهما حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: "الحنيفية السمحة" (٢)، والثاني حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون،

(١) دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، رقم (٢١٠٧)، (٤/١٦-١٧)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١) ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، وصَحَّحَهُ محققو المسند لغيره، وصححه أيضا الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٨٨١)، (٥٤١/٢).

ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟، قال: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعيش منكم فسيروا اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»^(١).

والاعتصام بالسنة نجاة من الفتن والضلال؛ فعن الزهري قال: "كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة"^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعًا لقوله، وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس دينًا غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله ورسوله، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستنير"^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٣)، (٢٩/١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط (محقق سنن ابن ماجه) في تعليقه على هذا الحديث: "حديث صحيح، عبد الرحمن بن عمرو السلمي روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في (الثقات)، وصَحَّح حديثه هذا الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والذهبي، والبرز، وابن عبد البر، والضياء المقدسي وغيرهم، وتابعه عليه حجر بن حجر، وباقي رجاله رجال الصحيح".

(٢) أخرجه الدارمي في مسنده، المقدمة، باب اتباع السنة، رقم (٩٧)، (٢٣٠/١)، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، وقد صحح المحقق إسناد هذا الخبر.

(٣) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (١٣/٦٢-٦٣).

٢- استيعاب السنة النبوية من الناحية العملية للإسلام كله:

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، فهي القرآن مصدران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يتم كمال التشريع الإسلامي إلا بهما، وكلاهما وحي من الله، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

فهذه الآية تبين أن النبي ﷺ لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره، وتدلل على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه؛ لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى^(١).

وقد قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه حلالاً فَأَحِلُّوهُ، وما وجدتم فيه من حرام فَحَرِّمُوهُ»^(٢).

قال الخطابي^(٣): "قوله: (أوتيت الكتاب ومثله معه) يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو، ويحتمل

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص ٨١٨).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٣/٧) كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، (١٣/٧)، وقد صحَّح إسناده هذا الحديث محققا الكتاب، وصححه الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٢٨٧٠)، (٨٧١/٦-٨٧٣).

(٣) هو: حمد، ويقال: أحمد بن محمد أبو سليمان الخطابي البستي، أحد المشاهير والأعيان، ومن الفقهاء المجتهدين، وأحد أوعية العلم في زمانه، كان حافظاً فقيهاً مبرزاً على أقرانه، من مصنفاته: غريب الحديث، وإصلاح غلط المحدثين، ومعالم السنن، وغيرها، وتوفي سنة (٣٨٨هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٣/١٧-٢٨)، والبداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط (١) ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (١٥/١٥-٢٤٤/٢٤٥)، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٤/٤٧١-٤٧٢).

أن يكون معناه أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي من البيان، أي: أذن له أن يُبيِّن ما في الكتاب، ويعم، ويخص، وأن يزيد عليه، فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن^(١).

يتبين مما سبق أن السنة النبوية وحي من الله ﷺ، وقد تكفل الله بحفظها؛ لأنها دعامة الدين، وتُمثِّل التطبيق العملي، والشرح الواقعي لمضامين الإسلام، وهي مستوعبة من الناحية العملية للإسلام كله كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٢).

ويؤكد الدكتور الحجى ﷺ هذا المعنى فيقول: "إن السنة النبوية بجانب كونها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم هي كذلك إيضاح وبيان للإسلام كله"^(٣).

فالسنة المطهرة هي التطبيق الفعلي للإسلام أحكامًا، وعقائدًا، وعباداتٍ، ومعاملاتٍ، وآدابًا، فقد كان النبي ﷺ يمثل ما أمر به، وَيُبيِّنُهُ للناس، ويأمرهم أن يفعلوا مثل فعله^(٤)؛ فقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٥).

وقد قال الإمام القرطبي^(٦): "ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها وأسمائها... وهذا كله مُجْمَلٌ، أَجْمَلُهُ في كتابه، وأحال على نبيه في بيانه، فقال جل ذكره:

(١) معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ط (١) ١٣٥١هـ-١٩٣٢م، (٤/٢٩٨).

(٢) انظر: السيرة النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٩٨).

(٣) المرجع السابق (ص ١٤٧).

(٤) انظر: الإسلام: أصوله ومبادئه، مُجَّد عبد الله السحيم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط (١) ١٤٢١هـ، (٢/١٢٠).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم (٦٣١)، (١/١٢٨).

(٦) هو: مُجَّد بن أحمد بن أبي الفرج أبو عبد الله القرطبي المالكي، فقيه مفسر، وله من التصانيف: الجامع لأحكام القرآن، وشرح الأسماء الحسنى، وغيرها، ومات سنة (٦٧١هـ).

انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق: علي مُجَّد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط (١) ١٣٩٦هـ، (ص ٩٢)، وطبقات المفسرين، للدواودي (٢/٦٩)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (١/٢٨٢).

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ ﷺ مواقيت الصلاة، وعدد الركعات والسجادات، وصفة جميع الصلوات؛ فرضها وسننها، وما لا تصح الصلاة إلا به من الفرائض، وما يستحب فيها من السنن والفضائل، فقال في صحيح البخاري: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، ونقل ذلك عنه الكافة عن الكافة على ما هو معلوم، ولم يمتِ النبي ﷺ حتى بَيَّنَّ جميع ما بالناس الحاجة إليه، فكمل الدين، وأوضح السبيل، قال الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] (١).

وَبَيَّنَّ الدكتور الحجي شمولية السنة النبوية للإسلام كله فيقول: "والسيرة هي التي احتوت الصيغ العملية للإسلام كله قرآنًا وسنةً، وبكل قواعدهما وأسسهما وأجوائهما، شمولًا للحياة، وبناءً عليها، ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن في السنة التاسعة للهجرة أوصاه بالأخذ بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والاستمداد منهما؛ فلقد ورد عن معاذ أنه قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» قال: قلت: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله؟» قال: أجتهد رأيي ولا آلو - لا أقصر-، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري، وقال: «الحمد لله الذي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لما يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ» (٢)، فاستقى المسلمون من

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي (١١٣/٩)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط (٢) ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، (١١٣/٩).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم (٣٥٩٢)، (٤٤٣/٥-٤٤٤)، وقد قال محققا الكتاب: "إسناده ضعيف؛ لإجماع أصحاب معاذ، وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم".

هذه الينابيع عقيدة وعبادة وشريعة وتعاليم صافية نقيّة، وأسّسوا أنفسهم وفكرهم وحياتهم عليها"^(١).

لكن حديث معاذ أنكره العلماء، وَضَعَفَهُ غير واحد منهم، وقد أطال الشيخ الألباني في بيان ضعف هذا الحديث وعلمه^(٢)، وقال عن نكارة متنه: "ضعف حديث معاذ في الرأي وما يستنكر منه... أما ضعف إسناده فلا مجال لبيان الآن، وقد بَيَّنْتُ ذلك بياناً شافياً ربما لم أسبق إليه في السلسلة السابقة الذكر -أي الضعيفة-، وحسبي الآن أن أذكر أن أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري رحمه الله تعالى قال فيه: (حديث منكر)، وبعد هذا يجوز لي أن أشرع في بيان التعارض الذي أشرت إليه فأقول: إن حديث معاذ هذا يضع للحاكم منهجاً في الحكم على ثلاث مراحل، لا يجوز أن يبحث عن الحكم في الرأي إلا بعد أن لا يجده في السنة، ولا في السنة إلا بعد أن لا يجده في القرآن، وهو بالنسبة للرأي منهج صحيح لدى كافة العلماء، وكذلك قالوا: (إذا ورد الأثر بطل النظر)، ولكنه بالنسبة للسنة ليس صحيحاً؛ لأن السنة حاکمة على كتاب الله، ومبينة له؛ فيجب أن يبحث عن الحكم في السنة ولو ظن وجوده في الكتاب؛ لما ذكرنا؛ فليست السنة مع القرآن كالرأي مع السنة، كلا ثم كلا، بل يجب اعتبار الكتاب والسنة مصدرًا واحدًا لا فصل بينهما أبداً كما أشار إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ألا إني أتيت القرآن ومثله معه، يعني السنة... فالتصنيف المذكور بينهما غير صحيح؛ لأنه يقتضي التفريق بينهما، وهذا باطل؛ لما سبق بيانه"^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤٦-١٤٧).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، رقم (٨٨١)، (٢/٢٧٣-٢٨٦)، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٣) منزلة السنة في الإسلام، الدار السلفية، الكويت، ط(٤) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (ص ٢١-٢٢).

وقال أيضاً: "هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص، وهذا مما لا خلاف فيه، ولكنه ليس صحيح المعنى عندي فيما يتعلق بتصنيف السنة مع القرآن وإنزاله إياه معه منزلة الاجتهاد منهما، فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص في الكتاب والسنة فكذلك لا يأخذ بالسنة إلا إذا لم يجد في الكتاب، وهذا التفريق بينهما مما لا يقول به مسلم، بل الواجب النظر في الكتاب والسنة معاً، وعدم التفريق بينهما؛ لما علم من أن السنة تُبَيَّنُّ مجمل القرآن، وَتُقَيَّدُ مُطْلَقَهُ، وَتُخَصِّصُ عَمُومَهُ كما هو معلوم"^(١).

وقد شهد للنبي ﷺ بأنه بَيَّنَّ لِأَتْبَاعِهِ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ فعن سلمان الفارسي أنه قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء، حتى الخراءة!، فقال: أجل^(٢).

ومراد سلمان ﷺ أن النبي ﷺ قد عَلَّمَنَا كُلَّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دِينِنَا، حتى الخراءة التي ذكرت أيها القائل؛ فإنه عَلَّمَنَا آدَابَهَا، فنحن فيها عن كذا وكذا، والله أعلم كما قال الإمام النووي^(٣).

٣- شرح القرآن الكريم وتوضيحه:

تبين في الصفحات السابقة مكانة السنة وكونها تمثل التطبيق العملي للإسلام كله، وقد سبق خلال الحديث عن هذا كلامٌ بعض العلماء عن دور السنة النبوية في بيان القرآن وتفسيره وتوضيحه.

فهناك نصوص وآيات في القرآن الكريم يصعب فهم معانيها، واستنباط الأحكام الشرعية منها بدون السنة النبوية؛ لأن القرآن الكريم جاء في بعض الأحكام الشرعية مجملة، وبعضها

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الالباني(٢/٢٨٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم (٢٦٢)، (١/٢٢٣-٢٢٤).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، للنووي (٣/١٥٤).

مطلقاً، وبعضها عاماً، وبعضها مُشكلاً، وكل هذا يحتاج إلى بيان معانيه، وتفصيل مجمله، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامه، وتوضيح مشكله، وقد جاءت السنة النبوية لتفعل هذا كله.

ويؤكد الدكتور الحجى رحمه الله ذلك بقوله: "القرآن الكريم وحي الله وهداه، بكل حروفه وكلماته وآياته، نصّاً ومعنى وترتيباً، تشرحه وتوضحه السنة المطهرة"^(١).

وهذا مصداق ما جاء في القرآن الكريم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ [النحل: ٤٤].

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "فالرسول ﷺ مُبَيِّنٌ عن الله ﷻ مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك مما لم يُفصِّله"^(٢).

وقال ابن تيمية: "يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا"^(٣).

ويقول ابن كثير: "عليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له"^(٤).

(١) السيرة النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/١٠٩).

(٣) مقدمة في أصول التفسير، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (ص ٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/١).

وتوضيح السنة للقرآن الكريم يكون بواحد من الأمور الأربعة الآتية^(١):

الأول: تفصيل الجمل:

ومن الأمثلة على ذلك مجيء الأمر بإقامة الصلاة مجملاً دون تفصيل جميع أحكامه؛ فقد قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أمر سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة ولم يبين لنا كيفية إقامتها، ولا وقتها، ولا عددها، ثم بين لنا **عَنْكَ** ذلك كله على لسان نبيه ﷺ، فبين لنا عدد الصلوات التي افترضها على عباده في كل يوم وليلة، وتفصيل أحكام الصلاة^(٢). وقد قال الإمام القرطبي: "ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها وأسمائها... وهذا كله **مُجْمَلٌ**، **أَجْمَلُهُ** في كتابه، وأحال على نبيه في بيانه، فقال جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ ﷺ مواقيت الصلاة، وعدد الركعات والسجرات، وصفة جميع الصلوات؛ فرضها وسننها، وما لا تصح الصلاة إلا به من الفرائض، وما يستحب فيها من السنن والفضائل، فقال في صحيح البخاري: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، ونقل ذلك عنه الكافة عن الكافة على ما هو معلوم، ولم يمت النبي ﷺ حتى بَيَّنَّ جميع ما بالناس الحاجة إليه، فكمل الدين، وأوضح السبيل، قال الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]"^(٣).

(١) انظر: أصول التشريع الإسلامي، للشيخ علي حسب الله ^{رحمته}، دار المعارف، مصر، ط (٥) ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، (ص ٤٥-٤٩)، ودراسات أصولية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الحفناوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، مصر، عام النشر: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (ص ٤٥٠-٤٥٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن، للطحاوي، تحقيق سعد الدين أوانال، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، ط (١) ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، (١/١٦٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/١١٣).

الثاني: تقييد المطلق:

المطلق: لفظ خاص لم يقيد بقيد لفظي يقلل شيوعه؛ كطائر، وولد، وتلميذ، وغيرها^(١).
ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى بعد أن ذكر نصيب كل وارث في آية الموارث:
﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا﴾ [النساء: ١١]، ولفظ (الوصية) لفظ مطلق، لكن السنة قَيَّدَتْه بالثلاث؛
فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم
يعودني وأنا بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها قال: "يرحم الله ابن عفرأ"،
قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: "لا"، قلت: فالشطر؟ قال: "لا"، قلت: الثلث؟
قال: "فالثلث، والثلث كثير؛ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون
الناس في أيديهم"^(٢).

الأمر الثالث: تخصيص العام:

العام: هو لفظ وضع للدلالة على أفراد غير محصورين على سبيل الشمول والاستغراق؛
كأولاد، ورجال، وطلاب، فكل هذه ألفاظ عامة تدل على أفراد غير محصورين^(٣).

ومن ذلك قول الله تعالى في آية الموارث: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ
الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فلفظ (الأولاد) لفظ عام يشمل جميع الأولاد، لكن السنة قصرته على

(١) انظر: بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب)، لأبي الثناء الأصفهاني محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم ابن أحمد
بن محمد، تحقيق: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (٢/٣٤٨-٣٥١)، وأصول التشريع
الإسلامي، للشيخ علي حسب الله (ص ٢٦٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب أن يترك أولاده أغنياء خير من أن يتكفوا
الناس، رقم (٢٧٤٢)، (٣/٤)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم (١٦٢٨)،
(٣/١٢٥٠-١٢٥١).

(٣) انظر: بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب)، لأبي الثناء الأصفهاني (٢/١٠٣-١٠٥)، وأصول التشريع
الإسلامي، للشيخ علي حسب الله (ص ٢٧١).

غير الكافر مثلاً؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»^(١).

الأمر الرابع: توضيح المشكل:

المشكل: هو اللفظ الذي يمتثل معنيين أو أكثر، ومن توضيح السنة مشكل القرآن أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(٢).

٤- كون السنة من عوامل قيام الحضارة، واستقامة الحياة:

قامت الحضارة الإسلامية منذ نشأتها باعتبارها رسالة إلهية على القرآن والسنة النبوية، فالقرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول الحضارة الإسلامية، هو الذي شكل هويتها وقيمها، ثم جاءت السنة النبوية لشرحه وتوضيح ما يصعب على المسلمين فهمه، وقد كان النبي ﷺ إمام المسلمين وقائدهم وقاضيههم ومعلمهم ومربيهم، وقد علمهم أمور دينهم وديناهم، وكانت أقواله وأفعاله تطبيقاً عملياً للإسلام كله كما سبق.

وقد كان الرسول ﷺ قدوة المسلمين، وعلى سنته ساروا، ومن المعلوم أن النبي ﷺ أقام دولةً في المدينة النبوية بعد هجرته إليها على الكتاب والسنة، اهتم فيها ببناء الإنسان المتحضر

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٦/٨) كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، رقم (٦٧٦٤)، (١٥٦/٨)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، رقم ١ (١٦١٤)، (١٢٣٣/٣).
 (٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم (٣٢)، (١٥/١)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم ١٩٧ (١٢٤)، (١١٤/١-١١٥).

الذي يؤمن بدستور هذه الدولة القائم على القرآن والسنة إيماناً ذاتياً باعتباره ديناً إلهياً، ومنهجاً حضارياً، يضبط حياته كلها في العبادات والمعاملات في كافة أمور حياته كما ذكر الدكتور الحجى^(١).

ويؤكد الدكتور الحجى دور السنة في قيام الحضارة، واستقامة الحياة فيقول: "لابد من مولاة القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ﷺ لتقوم الحضارة، ويعم النور، وبذلك تستقيم الحياة وتتطامن مناهج المسيرة، ممارسة ودراسة، نهجا ومنهجاً"^(٢).

والارتقاء بالإنسان فكرياً ومادياً واجتماعياً هو غاية الحضارة في القرآن والسنة النبوية، وقد ذكر الدكتور الحجى على أنه لولا الإسلام لبقيت البشرية تخوض في جاهليتها، وما خرجت من ظلماتها^(٣).

وقد كان العرب قبل الإسلام أمة لا وزن لها، فلما جاءهم النبي، وآمنوا به أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرفان، وكتروا بعد القلة، وعزوا بعد الذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت الأرض كلها بعقولهم وعلومهم.

يقول توماس كارليل^(٤): "ولقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به من العرب أمة هامدة، وأرضا هامدة، وهل كانت إلا فئة من جوالاة الأعراب خاملة فقيرة

(١) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى (ص ١٧-٢٢).

(٢) أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٢).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٢٢).

(٤) هو: توماس كارليل (Carlyle)، فيلسوف إنجليزي، ولد في قرية إكلفكان في إقليم أناندال جنوب استكلندة عام ١٧٩٥م، وتلقى مبادئ العلم في مدرسة القرية، ودخل جامعة أدنبرج وهو في الثالثة عشرة من عمره، وقد اضطر إلى تعلم اللغة الألمانية لما درس علم المعادن، وكانت من أسباب ظهوره، ثم أتقن الفرنسية، وعمل في ترجمة المقالات العلمية عن الفرنسية، واشتغل بالتأليف حتى ذاع صيته بعد نشر كتابه (الأبطال) عام ١٨٤٠م، وقد عقد في هذا الكتاب فصلاً عن النبي ﷺ، ومن كتبه غير هذا الكتاب (الثورة الفرنسية)، و(الماضي والحاضر)، وغيرها، وتوفي سنة ١٨٨١م.

تجوب الفلاة منذ بدء العالم، لا يسمع منهم صوت، ولا تحس منها حركة، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه، ورسالة من قبليه، فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة، والضعفة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً، وسع نوره الأنحاء، وعم ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجلٌ في الهند ورجلٌ في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقبةً عديدة، ودهوراً مديدة، بنور الفضل والتبذل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة، وكذا الإيمان العظيم، وهو مبعث الحياة، ومنبع القوة، وما زال للأمة رقي في درج الفضل، وتعريج إلى ذرى المجد ما دام مذهبها اليقين، ومنهجها الإيمان.

ألستم ترون في حالة أولئك الأعراب ومُجدهم وعصرهم كأنما وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التي كان لا يُبصرُ بها فضلٌ، ولا يُرجى فيها خيرٌ فإذا هي بارود سريع الانفجار، وما هي برملٍ ميتٍ، وإذا هي قد تأنَّججت، واشتعلت، واتصلت نارها بين غرناطة ودلهي، ولطالما قلت: إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء، وسائر الناس في انتظاره كالخطب، فما هو إلا أن يسقط حتى يتأجَّجُوا، ويلتهبوا"^(١).

لنظر: السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لآراء (توماس كارليل، وتوماس أرنولد، وألفريد جيوم)، رسالة ماجستير للباحثة أمل عبيد عوض الثبتي، والرسالة بإشراف مُجَّد بن صامل السلمي، بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، عام ١٤٢٤هـ، (ص ٥٨-٥٩)، والفيلسوف الإنكليزي توماس كارليل وقراءته في السيرة النبوية: عرض ونقد، للباحثين: سعيد مُجَّد علي بواعنة، وعبد الرزاق أحمد رجب، وهو بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد (١٦)، العدد (٢)، ربيع الثاني ١٤٤١هـ-ديسمبر ٢٠١٩م، (ص ٨٧-٩٠).

(١) الأبطال، توماس كارليل، ترجمة مُجَّد السباعي، دار الكاتب العربي، بيروت، عام: ٢٠١٧م، (ص ٨٨-٨٩).

المطلب الثالث: جهود الدكتور الحجى في البرهنة على كون السنة النبوية محفوظة

لما كانت السنة بالأهمية التي سبق بيانها في المطلب السابق من حيث كونها تبين القرآن الكريم وتوضحه تكفل الله ﷻ بحفظها كما حفظ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]؛ فإنه لا يتم حفظ القرآن إلا بحفظ السنة المُبَيَّنَّة والمفسرة له^(١).

ويؤكد الدكتور الحجى هذا بقوله: "مثلما حفظ القرآن الكريم بكل ما فيه هيئاً للسنة النبوية المباركة والسيرة النبوية الشريفة أسباب نقلها وروايتها وحفظها، قيص لها من ينقلها، ويحفظها، ويرويها بكل أحداثها المتكاثرة الثرية العالية تفصيلاً، وكافة دقائقها توسيعاً، وأشمل مجرياتها تخصيصاً، مهما كانت تعلقاتها، ممحصّة محمية مدققة، مدوّنة كاملة، موثقة رواية ودراية، سنداً ومنتناً، بأعلى دقة وأمانةٍ وعِيرةٍ؛ إيماناً واحتساباً واحتمالاً"^(٢).

وذكر الدكتور الحجى اهتمام علماء الحديث بمعرفة حال نقلة السنة النبوية ورواتها، وأنهم لا يقبلون الحديث إلا من الثقات فقال: "كان علماؤنا لا يجبرون الرواية، ولا يأخذون العلم عن ثبنت عليه معصية، أو يتضح له سوء سلوك، وفي قواعد الثقة العلمية رفضوا من عرف عنه النسيان أو إهمال"^(٣).

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، المكتب الإسلامي، ومؤسسة الإشراف، ط (٢) ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، (ص ٢٨٧).

(٢) السيرة النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٦).

(٣) دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٣).

ولولا عناية أهل الحديث بضبط السنن وجمعها، واستنباطها من معادنها، والنظر في طرقها لبطلت الشريعة ولتعطلت أحكامها؛ لأنها مستخرجه من الآثار المحفوظة، ومستفادة من السنن المنقولة^(١).

ومن لطف الله سبحانه وتعالى ورحمته بهذه الأمة أن حفظ كتابه الكريم المنزل، وقِيض من يخدم ويدون ويحكي ويحفظ سنة نبيه ﷺ المطهرة، ويسجل كل تفاصيل سيرته النبوية الشريفة ﷺ ودقائقها وحقائقها وأنفاسها^(٢).

وقد أحسن ابن حزم رحمه الله في عرضه لمسألة حفظ السنة حين قال: "قال الله عز وجل عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تعالى أمرًا لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنْعِمُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عز وجل، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذِكْرٌ مُنَزَّلٌ، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له ييقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه وألا يحرف منه شيء أبدًا تحريفًا لا يأتي البيان ببطلانه؛ إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذبًا... فوجب أن الذي أتانا به محمد ﷺ محفوظ بتولي الله تعالى حفظه، مُبَلَّغٌ كما هو... فإن قال قائل: (إنما عنى تعالى بذلك القرآن وحده؛ فهو الذي

(١) انظر: حفظ الله للسنة وصور من حفظ العلماء لها وتناسلهم فيه، أحمد السلوم، شركة البشائر الإسلامية، ط(١)

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ص ٦٢).

(٢) السيرة النبوية، عبد الرحمن الحجري (ص ١٥٦).

ضمن تعالى حفظه لا سائر الوحي الذي ليس قرآنًا) قلنا له وبالله تعالى التوفيق: هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل، وما كان هكذا فهو باطل... والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سنة، وحي يبين بها القرآن، وأيضا فإن الله تعالى يقول: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فَصَحَّ أنه عليه السلام مأمور ببيان القرآن للناس، وفي القرآن مجملٌ كثيرٌ؛ كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزمتنا الله تعالى فيه بلفظه لكن ببيان رسول الله ﷺ، فإذا كان بيانه عليه السلام لذلك المجمل غير محفوظٍ ولا مضمونٍ سلامته مما ليس منه فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه^(١).

(١) الإحكام في أصول الأحكام، قوبلت على الطبعة التي حققها: أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١/١٢١-١٢٢).

الفصل الثالث

جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي في خدمة التاريخ الإسلامي

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في بيان اتجاهات تفسير التاريخ وتقويمها.

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السيرة النبوية.

المبحث الثالث: جهوده في خدمة تاريخ الأندلس.

المبحث الرابع: جهوده في إبراز المواقف المتطرفة والآراء الشاذة

حول التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول

جهوده في بيان اتجاهات تفسير التاريخ وتقويمها

ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** نبذة عن اتجاهات تفسير التاريخ قديماً وحديثاً.
- **المطلب الثاني:** جهوده في بيان منهج التفسير المادي للتاريخ وتقويمه.
- **المطلب الثالث:** جهوده في بيان منهج التفسير القومي للتاريخ وتقويمه.
- **المطلب الرابع:** جهوده في بيان منهج التفسير الإسلامي للتاريخ وتقويمه.

توطئة

للتاريخ الإسلامي أهمية كبيرة؛ حيث إنه يستفاد منه في تقرير العقائد والعبادات والأخلاق؛ فهو نظام شامل، يُنظَّم حياة المسلمين؛ لذا وجب العناية بتفسير التاريخ الإسلامي وتقويمه؛ لمعرفة السبل التي يحصل بها الجيل الحالي على التمكين، وللوصول إلى أهم الحلول للأزمات التي تحل بالأمة، وللإسترشاد بما قام به السابقون من حلول للأزمات المتشابهة، وللإفادة منه في باب الأخلاق والآداب والسياسة والاقتصاد وكل جوانب الحياة.

والمنهج الإسلامي منهج متميز في دراسة التاريخ، وتناوله للتاريخ هو التناول الأمثل، وقد بذل الدكتور الحجي جهداً كبيراً في بيان اتجاهات تفسير التاريخ، وفي هذا المبحث تحاول الباحثة جاهدة الكشف عن هذه الجهود، بعد أن صدرت المبحث بمطلب لبيان أهم اتجاهات تفسير التاريخ قديماً وحديثاً.

المطلب الأول:

نبذة عن اتجاهات التاريخ قديماً وحديثاً

يعد التاريخ وإشكالية تفسيره من أكثر القضايا خصوبة في مجال الدراسات الإنسانية، وقد شُيّدت مدارس متعددة لتفسير التاريخ، ضرب كل فريق منها بسهم، وما زالت تحظى قضية المنهج باهتمام الباحثين، بل إنها شغلت عددًا كبيرًا من المفكرين والمعاهد العلمية، واستنفدت الكثير من مجهودات المؤرخين والفلاسفة، وفيما يأتي التعرف على أهم اتجاهات تفسير التاريخ قديماً وحديثاً.

أولاً: اتجاهات ومدارس تفسير التاريخ قديماً:

١- اتجاه (التعاقب الدوري) في تفسير التاريخ:

هو اتجاه يرى أن التاريخ يسير في دورات متتالية ومتشابهة، بحيث تعود الأحداث السابقة وتتكسر، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن للحضارات أدواراً كأدوار الليل والنهار والفصول الأربعة، ويزعم أن كل شيء يختفي من الوجود يعود مرة أخرى من جديد، ويزعم أصحابه بأن التاريخ يسير في صيرورة وديمومة دائرة، يخضع لها الإنسان والشعوب^(١)، وتمثل تلك النظرة عند (أفلاطون^(٢))، وابن خلدون^(١)، وفيكو^(٢))، والنزعة الأفلاطونية تنطلق من بُعد

(١) انظر: علم التاريخ واتجاهات تفسيره، أنور محمود زياتي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط(١) ٢٠٠٧م، (ص ٧٩).

(٢) هو: أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس، من أثينية، وهو من أشهر فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط، وأستاذ أرسطو، ولما اغتيل أستاذه سقراط بالسّم ومات قام مقامه، وجلس على كرسيه، وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين، وكان معروفاً بالتوحيد والحكمة، من مؤلفاته: الجمهورية، والشرائع، والمحاورات، وتوفي سنة (٣٥٧ ق م)، انظر: الملل والنحل، للشهرستاني مُجدد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الناشر: مؤسسة الحلبي، (١٤٦/٢)، والمنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط(٢٨) ٢٠٠٨م، (ص ٥٨).

مثاليّ يتمثل في العقل والحكمة والفضيلة، ثم مع الوقت يتدهور الحكم المثالي؛ نتيجة زيجات غير مناسبة ينتج عنها نسل ضعيف، وتنمو الروح العسكرية فتأتي الأرستقراطية العسكرية، ثم يتطور الأمر إلى نشوء الحكومة الديمقراطية القائمة على أقلية تسعى إلى السلطة، وهذا يؤدي إلى شيوع الفوضى والفساد؛ مما يؤدي إلى الوصول إلى حكم الاستبداد الفردي، وهذا التدهور يؤدي إلى التفكير المنطقي في إقامة الدولة المثالية، ويحكم الفلاسفة مرة أخرى، ثم تعود الدورة في الحدوث من جديد (٣).

ويرى ابن خلدون أن حركة التاريخ تمر بثلاث مراحل، المرحلة الأولى: مرحلة البداوة: وقد بين أن أهل البدو أقدر على الغلبة وتحقيق النصر والسيطرة من غيرهم، وهم أبعد الناس عن مظاهر الترف، وأقدرهم على صناعة المدينة المتسمة بكل وسائل الترف من غيرهم (٤)، والمرحلة الثانية: مرحلة التحضر والدخول في المدنية، وفي هذه المرحلة تنتقل الدولة من السلطان

(١) هو: عبد الرحمن بن مُجَّد بن خلدون ولي الدين أبو زيد الحضرمي الإشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون، ولد سنة (٧٣٢هـ) بمدينة تونس، ونشأ بها، وبرع في العلوم، وتقدّم في الفنون، وهو الحافظ المتبحر في سائر العلوم، الرحال المطلع، الجهد المفضال، الإخباري العجيب، الكاتب الأديب، سارت أخباره مسير الشمس، وبيته عريق في الفضل والنباهة، أعلامه بين رئاسة سلطانية وعلمية مدة قرون، وولي قضاء المالكية بالقاهرة، وألف في الحساب، وأصول الفقه، وألف تاريخه (السير والعبر) المشهور الذي عرفه الخاصة والجمهور، وهو عظيم النفع والفائدة، وتوفي سنة (٨٠٨هـ)، انظر: شذرات الذهب، ابن العماد (٧٦/٤)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف (١/٣٢٧-٣٢٨)، والأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط (١٥) ٢٠٠٢م (٣/٣٣٠).

(٢) هو: فيكو جيان باتيستنا، فيلسوف إيطالي، ولد في نابولي عام ١٦٦٨، عمل فترة في الطب، ثم تعلم بنفسه الفلسفة والأدب، وكتب الشعر والنثر وبعض النصوص من أدب المناسبات، وعمل أستاذًا للبيان في جامعة نابولي، وتوفي سنة ١٧٤٤م، ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرايبيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط (٣) ٢٠٠٦م، (ص ٤٨٧-٤٨٩).

(٣) انظر: علم التاريخ واتجاهات تفسيره، أنور محمود زناتي (ص ٨٠-٨١).

(٤) انظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرحمن بن مُجَّد بن مُجَّد، ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط (٢)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (١/٢١٤).

المشترك والعصبية إلى الانفراد بالحكم، ومن السعي إلى اكتساب المجد إلى الركون إلى الدعة وحب الراحة والسكون^(١)، والمرحلة الثالثة: مرحلة الانهيار، وتلك المرحلة قرينة شيوع الترف، وغياب العصبية، وضعف الجند؛ مما يؤدي في النهاية إلى الانهيار^(٢)، وقد أصَّل ابن خلدون لكل مرحلة من تلك المراحل تأصيلاً عميقاً^(٣).

أما فيكو فقد وضع أيضاً ثلاثة أسس في الحركة الدورية في تفسير التاريخ، تتمثل في المرحلة البطولية، والمرحلة الإلهية، والمرحلة البشرية، فالمرحلة التاريخية تبدأ بالمرحلة الدينية، وكل الشعوب قامت على أساس الدين^(٤)، وتقوم تلك النظرة عنده على أساس تطور الأمم من الهمجية إلى الأديان، ثم انتقالها إلى الخضوع إلى القوانين والحكومات، حتى تصل إلى مرحلة التعامل الاجتماعي في حياة اجتماعية مُنظَّمة، وكل الشعوب تمر بالتاريخ المثالي الأبدي في نشأتها ونضجها وسقوطها^(٥).

٢- الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ:

يعتبر الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ من أقدم التفسيرات التي عرفها الإنسان، وهو يعني أن أعمال الرجال العظماء هي التي تصنع الحوادث التاريخية في هذا العالم، وهؤلاء الذين يصنعون أحداث التاريخ ويحركونها أفراد هم أعلى درجة من بقية البشر، ويسمَّون بالأبطال، وتكون لهم شجاعة استثنائية، ونبيل أخلاق، وقوة من طراز مختلف، ويعتبر البطل المحرك الرئيس

(١) انظر: المرجع السابق (١/٢١٠-٢١١).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٢١٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (١/١٥٢).

(٤) انظر: فلسفة التاريخ عند فيكو، عطيات أبو السعود، مؤسسة هنداوي، عام: ٢٠٢١م، (ص ٤٨).

(٥) انظر: المرجع السابق (ص ٨١).

لأية أزمة أو ثورة أو حرب أو تَعْيُرٍ عظيمٍ يؤثر على المجتمع وأفراده، وبذلك يحدث هذا التغيير نتيجةً لظهور هذا الفرد الذي أخذ على عاتقه مهمة الإصلاح والتغيير في المجتمع أو الأمة^(١).

٣- الاتجاه الديني في تفسير التاريخ:

ينطلق رواد هذه المدرسة من نقطة تتمثل في أن التاريخ هو طريق الإنسانية إلى الله، فتواريخ الأمم والعقائد والأخلاق لا معنى لها سوى هداية النفس إلى حرية الضمير في ضوء الفكر الديني^(٢)، وتقوم تلك النظرة في دراسة التاريخ على أن هناك قوى مُحَرِّكَةً لجميع الأحداث والأعمال البشرية، وهذه القوة تُمَثِّلُ الإرادة الإلهية، حيث تفرض سلطانها على البشر وجميع أعمالهم على نحو معين، وتقودهم تجاه مصير محدد محتوم؛ ولذلك كان البشر يقصدون بعض الأشخاص؛ لاعتقادهم أن هناك صلة بين هؤلاء الأشخاص والآلهة؛ لأنهم منحدرون من أصل إلهي، ولهم علاقة بدوران حركة التاريخ^(٣)، وفي ضوء تلك النظرة كان الكهنة يطلقون الأحكام على أنها مستمدة من التشريع الإلهي الكوني، ومن ثمَّ فإن مخالفتها تعني مخالفة إرادة الإله، وتستوجب معها العقوبات القاسية، ويتصف هذا الاتجاه بأنه يبيّن تاريخًا عامًّا، أي: تاريخًا يبدأ من بداية الخليفة إلى نهاية العالم، ويعيب هذا الاتجاه إنكاره للصنع البشري أو للجهود البشرية في حركة التاريخ^(٤).

(١) انظر: علم التاريخ واتجاهات تفسيره، أنور محمود زناقي (ص ٨٧-٨٨).

(٢) انظر: التفسير الديني للتاريخ، محمود الشرقاوي، الناشر: مطبوعات الشعب، مصر، (ص ٩).

(٣) انظر: التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ألبان ج ويد جري، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٦م، (ص ١٠٠).

(٤) انظر: علم التاريخ واتجاهات تفسيره، أنور محمود زناقي (ص ٩١-٩٢).

والتفسير الديني في المسيحية مستمدٌ من العقيدة المسيحية، "فالتاريخ في هذا التفسير تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه جميعاً في حركة صاعدة إلى مثلها الأعلى، مهما اقترفت من ذنوب، وارتكبت من آثام، ما دام المسيح عليه السلام قد خلصها بصلبه"^(١).
 أما التفسير اليهودي للتاريخ فقد بُني على فكرة السيطرة الإلهية، فبداية التاريخ ترجع إلى الله، وهو الذي أوجد السعادة والشقاوة في أحداث التاريخ، وَتَصَوَّرُ اليهود لله يحمل أهمية كبيرة في تفسيرهم للتاريخ؛ فمن هذا التصور يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار، أما الشعوب الأخرى فإنها في مكانة منحطة عنهم^(٢).

٤ - الاتجاه المثالي (ميتافيزيقا هيجل):

تقوم فلسفة هيجل^(٣) في تفسير حركة التاريخ على أن كل فترة من فترات التاريخ تمثل وحدة مستقلة، وأن ملامح التاريخ السياسية والاقتصادية والخلقية والاجتماعية والدينية والعقلية تُشكِّلُ وحدةً متناسقةً، وأن أية فترة أساسية تنمو فكرتها الجوهرية إلى الحد الأقصى، ثم تولد أضدادها، فالحركة التاريخية تقوم على مبدأ التناقض، فحين تصل دولة إلى الحد الأقصى تُولد أضدادها أو نقائضها، ويستمر الصراع دائماً^(٤).

(١) انظر: التفسير الديني للتاريخ، محمود الشرقاوي (ص ١٨٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) هو: جورج فلهم فريدريش هيجل، فيلسوف ألماني مشهور، ولد في شتوتغارت عام ١٧٧٠م، من أشهر مقالاته: (الإيمان والعلم)، و(حول المنهج العلمي للقانون الطبيعي)، أما الأثر الذي عاد عليه بأوسع الشهرة، وجعل اسمه يُتداول في الأوساط الفلسفية فهو (موسوعة العلوم الفلسفية)، وقد استدعي هيجل في صيف ١٨١٨م إلى جامعة برلين، ودرس فيها ثلاث عشرة سنة، أَلَّفَ فيها (مبادئ فلسفة القانون) و(الدروس في فلسفة التاريخ)، وصار هيجل معلم الثقافة الفلسفية الألمانية، وتوفي بالكوليرا في برلين عام ١٨٣١م، ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرايشي (ص ٧٢١-٧٢٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٨٣).

٥- الاتجاه الحضاري:

يعد توينبي^(١) من أبرز مؤرخي الحضارة في دراسة التاريخ، وقد وضع نظريته الخاصة بقراءة التاريخ، وهي نظرية التحدي والاستجابة، وجعلها أساسًا لتفسير نشوء الحضارات، حيث تفسر هذه النظرية أن سلوك الفرد عند تعرضه لصدمة ما قد يستجيب لها بنوعين من الاستجابة: الأولى: الهروب إلى الماضي والتمسك به، والثانية: تقبُّل هذه الصدمة والاعتراف بها، ثم محاولة التغلب عليها، فيكون في هذه الحالة انبساطيًا، ومنهج توينبي يقوم على أنه لا يمكن دراسة كل حادثة أو واقعة بمعزل عن سياق التاريخ كله؛ فلا بد من ربطه بالأحداث المتعاقبة في سياقها الزمني، ولو من بعيد^(٢).

ثانياً: اتجاهات التفسير الحديثة:

ظهرت كثير من المدارس الحديثة التي اتسمت باعتماد منهجية مستنبطة من أيديولوجية فكرية معينة، ترسمت منها الأدوات والمنهج، غير خاضعة للنظرة القديمة، ومن أهم تلك المدارس:

١- المدرسة العقلانية:

رفعت هذه المدرسة من شأن العقل، ونفت ما عداه، ونظرت إلى التاريخ نظرة مغايرة، حيث تنطلق وفق رؤية أن الفيلسوف المؤرخ له رسالة واضحة، تتمثل في نشر أفكار التنوير، وتربية الشعوب على المثل الجديدة التي تتمثل في الإيمان بالعلم والعقل والتسامح وقابلية الإنسان

(١) هو: أرنولد توينبي، مؤرخ وفيلسوف تاريخ إنجليزي، ولد عام ١٨٨٩م، مؤلفه الرئيس دراسة في التاريخ، وهو في اثني عشر جزءًا، وقد أكد فيه إرادته بناء فلسفة في التاريخ انطلاقًا من دراسة إحدى وعشرين حضارة، ومن مؤلفاته أيضًا: الفكر التاريخي اليوناني، والحضارة في محنة، والحرب والحضارة، والعالم والغرب، وتوفي عام ١٩٧٥م، انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ص ٢٤٦).

(٢) انظر: علم التاريخ واتجاهات تفسيره، أنور محمود الزناتي (ص ١٢٧-١٢٨).

للسعي نحو الكمال، ومقاومة الخرافات، وعدم الخوف مما وراء الطبيعة، والتصدي لخبث رجال الدين واستبداد الحكام، والوقوف ضد الحرب بكافة أشكالها^(١).

كما تحاول المدرسة العقلانية وضع رؤية فلسفية متكاملة تفسر في ضوءها حركة التاريخ؛ وذلك لأن هذه الفلسفة مبنية على أن الفلسفات تأتي متأخرة عن حركة التاريخ، وجوهرها في تناول الأحداث التاريخية ينطلق من أن البشر لا يتفكرون إلا تحت وطأة الضرورة، وأنانية البشر الفطرية هي سبب من أسباب حفظ البقاء متوارثاً^(٢)، وتهتم العقلانية في دراسة التاريخ بالنفس البشرية أكثر من اهتمامها بالوقائع، وهذا ما عبر عنه فولتير^(٣) بقوله: "إن مصير البشر أهم من ثروات القصور، فلا بد من الاهتمام بالجنس البشري في التاريخ"^(٤).

وتسير العقلانية وفق رؤية علمية حادة تتجنب فيها الأبعاد النفسية في تفسير التاريخ، وتعتمد في الكتابة على اللغات المحليّة أو اللغات القديمة، وتؤمن بالتقدم، والتاريخ حسب رأيهم

(١) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيموري، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط (١) ٢٠١٣م، (ص ٥٨).

(٢) انظر: العقلانية بين التاريخية والمنطقية، أحمد زيغمي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (١٩)، ٢٠١٥م، (ص ٣٠٥).

(٣) هو: فرانسوا ماري آرويه، ويعرف بـ (فولتير)، أديب وفيلسوف فرنسي، ولد عام ١٦٩٤م في باريس، تخرج من معهد (لوي لوغران) اليسوعي، ولم يدرس القانون، ونذر نفسه للأدب؛ لذلك نُفيَ بأمر أبيه إلى مدينة (كان)، وكان مناوئاً للنصرانية في بعض أعماله؛ لذلك حبس في بلده، ولم يخرج من سجنه إلا بشرط السفر إلى إنجلترا التي أعجب بها، وقدم للملك جورج الأول الطبعة النهائية من (الهنيادة) التي نشرت في لندن، وأهديت إلى الملكة، وقد صنف بسبب أعماله -ومنها الرسائل الفلسفية- في عداد الكُتّاب الهدامين، وتوفي عام ١٧٧٨م، ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرايشي (ص ٤٧١-٤٧٥).

(٤) المدارس التاريخية الحديثة، د/الهادي التيموري (ص ٦٥).

يسير وفق خط تصاعدي، وتتخلى عن الاعتماد على العامل السياسي فقط في تفسير التاريخ، وتتجه نحو التفسير الشامل للتاريخ^(١).

٢- المدرسة الماركسية:

المدرسة الماركسية إحدى المدارس المادية التي تناولت التاريخ الإنساني، فتدرس التاريخ من خلال دراسة المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، والإنسان في الدراسة هو نتاج الواقع المادي، وانعكاس له، كما أنه خالق الأفكار والتصورات، وهو الفاعل الرئيس في الطبيعة والتاريخ، فالمجتمع يدرسه على أنه نتاج أفكار الإنسان، وقد رسخ ماركس^(٢) أن الحركة الاقتصادية هي المؤثرة في كل الإنسانية، فالأفكار السائدة في عصر ما في نظر ماركس ليست سوى ما تقرره الطبقة الغنية في هذا العصر^(٣).

ومن خلال السابق يتبين أن المدرسة الماركسية في دراسة التاريخ تدرس المجتمع بوصفه حقبة تاريخية متكاملة، وتهتم بمسيرة التاريخ الكلية بغض النظر عن الأحداث الجزئية، كما تعول على العامل الاقتصادي، وتفسر معظم الأحداث التاريخية في ضوءه، هذا فضلاً عن الاهتمام بالأفراد ولا سيما الطبقة العاملة، وإبراز دورها في حركة التاريخ^(٤).

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٥٨-٦١).

(٢) هو: كارل ماركس، وهو الجناح الاقتصادي للفكر الاشتراكي، وقد كتب كتابه رأس المال الذي كان سبباً في إشعال ثورات الطبقة العاملة، وقد تسببت آراؤه الفلسفية في كثير من الاضطرابات الاجتماعية في الغرب، ومات سنة ١٨٨٣م، وكان يهودياً ثم تنكر للأديان، ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ص ٦٢٠-٦٢٢).

(٣) انظر: العمدة في فلسفة القيم، عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط(١) ١٩٨٦م، (ص ٦٣٦).

(٤) انظر: المادية التاريخية: دراسة في نظرية المجتمع الماركسية، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، روسيا، (ص ٢٧٤-٢٧٥).

٣- المدرسة البنيوية:

الاتجاه البنيوي هو توجُّه منهجي، تتولَّى بموجبه العلوم استخراج البنى من الأشياء، فيرى أنّ كل ظاهرة -إنسانية كانت أم أدبيّة- تُشكّل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحلّلها أو نفكّكها إلى عناصرها المؤلّفة منها، من دون أن ننظر إلى أيّة عوامل خارجيّة، فمن أساسيات هذا المنهج في البحث التاريخي تحليل البنى التي تتألف منها المادة التاريخية^(١).

وتقسم هذا المدرسة التاريخ إلى ثلاثة أعصر: عصر النهضة، وهو الذي بمقتضاه قام العلم في القرن السادس عشر على فكرة التشابه، بمعنى تحليل الظواهر بالتشابه، ثم العصر الكلاسيكي بداية من القرن السابع، وفيه وقع انقطاع بين الكلمات والأشياء، وبرز التفريق بين الدال والمدلول، وهو ما جعل العلماء يسعون نحو الترتيب، وفي القرن الثامن عشر استطاع الإنسان التفاعل مع الهزات الاجتماعية التي أدت في النهاية إلى الثورة الصناعية، ويبدو من هذا أن التحليل البنيوي للتاريخ يأخذ السمات العامة للحقبة التاريخية، ويربط بينها وبين أهم منتجات هذا العصر^(٢).

٤- المدرسة الحولية:

المدرسة الحولية ليست كياناً واحداً، إنما هي عدة كيانات مختلفة، منها المسيحي المحافظ، والماركسي، وغير ذلك، وقد ظهرت تلك المدرسة في فترة الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩م، وحملت مجلة الحوليات اسم "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، وهذا كان سبب نشأتها، وهو محاولة إيجاد حلول اقتصادية للمجتمعات الأوروبية، ورؤية هذه المدرسة

(١) انظر: البنيوية فلسفة موت الإنسان، روجيه غارودي، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط(١) ١٩٧٩م، (ص ١٧).

(٢) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيموري (ص ١٥٥-١٥٦).

تتمثل في إخراج التاريخ من بؤرة العادات القديمة، وتجريده من الانغلاق على ذاته، ودفع البحث في مجال دراسة التاريخ الاقتصادي وعلاقته بالتاريخ الاجتماعي (١).

٥- المدرسة الإنسانية:

محور هذه المدرسة هو الإنسان، فقد أصبح الإنسان عماد أيديولوجية نخبة عصر النهضة، وكان للميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة) قبل ذلك التاريخ القول الفصل، ووُجدت مركزية جديدة هي مركزية الإنسان نفسه، وهذا لا يعني أنَّ المؤرِّخ الإنساني قد تنكَّر لوجود الله، إنّما أصبح الشأن الإنساني هو مركز الثقل، وقد تبلورت أفكار هذه المدرسة على يد ديكارت (٢) الذي أسَّس لقناعة الإنسان بفرديته، بحيث يجب على الفرد الخضوع للدولة، والدولة تستمد سلطاتها من البشر لا من الله، والمنهج الإنساني في هذه النقطة خاضع لنظرة ميكافيلي (٣) في

(١) انظر: مدرسة الحوليات ودورها في الكتابات والمناهج التاريخية، صليحة بوزيد، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد الأول، العدد الثاني، أكتوبر، ٢٠٢٠م، (ص ٦-٧).

(٢) هو: رينيه ديكارت، فيلسوف وعالم رياضيات وفيزيائي فرنسي، ولد في لاهاي (تعرف الآن لاهاي ديكارت) عام ١٥٩٦م، يُعدُّ المؤسس الحقيقي للفلسفة الحديثة، من مؤلفاته: الآثار العلوية، وانكسار الضوء، والهندسة، ومقال في المنهج، وتوفي عام ١٦٥٠م، انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ص ٢٩٨-٣٠٤).

(٣) هو: نيقولا ميكافيلي، ولد عام ١٤٦٩م في فلورنسا من أسرة عريقة؛ فقد كان أبوه محامياً مشهوراً من كبار الداعين إلى الجمهورية، انتخب ميكافيلي سكرتيراً للمستشارية الثانية لجمهورية فلورنسا، وهي تشرف على الشؤون الخارجية والعسكرية، وبقي في الحكم ثلاث عشرة سنة، انتهت بنفيه بعد مجيء الجيش الفرنسي مرة أخرى إلى فلورنسا، ولجوء الأهالي إلى أسرة مديشي التي كانت تحكم فرنسا، وقد كتب ميكافيلي كتابه (كتاب الأمير) الذي يُعدُّ من أهم الكتب في عالم السياسة، وأهداه إلى أحد أفراد هذه الأسرة؛ لكي ينعم عليه بمنصب جديد، يعود من خلاله إلى الحياة العامة، وقد طُبِعَ هذا الكتاب عام ١٥٣٢م بعد خمس سنوات من وفاة ميكافيلي سنة ١٥٢٧م، وهو صاحب مقولة (الغاية تبرر الوسيلة)، و ينظر: كتاب الأمير، نيقولا ميكافيلي، ترجمة: أكرم مؤمن، دار ابن سينا، القاهرة، مصر، مقدمة المترجم (٣-١٩).

تجريده السياسة من أية مرجعية دينية، وفي ضوء تأسيس المدرسة الإنسانية لقناعة الإنسان بفرديته، وأنه ليس كائنًا اجتماعيًا أتى تفسيرهم لحركة التاريخ (١).

٦- مدرسة المستشرقين:

يقصد بحركة الاستشراق تلك الحركة التي تهتم بدراسة علوم الشرق عمومًا، ويقصد بالمدرسة الاستشراقية في التاريخ تلك المدرسة التي تُعنى بدراسة التاريخ الإسلامي، والمستشرقون هم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءًا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية (٢)، وتواجه المدرسة الاستشراقية في دراسة التاريخ الإسلامي نقدًا حادًا؛ بسبب غياب أدوات دراسة التاريخ الإسلامي لديهم أولاً (٣)، وثانيًا بسبب دوافع الاستشراق في دراسته، وهي متنوعة بين دوافع استعمارية وأخرى تبشيرية، وتظهر نزعة ثقافة الاستعلاء في دراسات المستشرقين، ومحاولة فرض سيطرة الثقافة الغربية وإزاحة الثقافة الإسلامية وتحقيرها؛ لذلك فإن الاستشراق يفتقد الموضوعية في دراسته للتاريخ الإسلامي (٤).

(١) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيموري (ص ٤٠-٤٤).

(٢) انظر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، (ص ٣٠).

(٣) انظر: مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان،

ط (٤) ٢٠٠٥م، (ص ٢١٧-٢١٨).

(٤) انظر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، فاروق عمر فوزي (ص ٢٧-٢٨).

المطلب الثاني:**جهود الدكتور الحجي في بيان التفسير المادي للتاريخ وتقويمه**

يعتبر التفسير المادي من الوسائل التي سلكها أعداء الإسلام للنيل من التاريخ الإسلامي، فالتفسير المادي للتاريخ أحد الوسائل التي تفضي في النهاية إلى اقتلاع مفاهيم التاريخ الإسلامي، فضلا عن أنه يؤدي إلى اقتلاع مفاهيم الإسلام وعقيدته^(١).

نقض الدكتور الحجي التفسير المادي للتاريخ الإسلامي، وذكر أسباب ذلك:

حكم الدكتور الحجي ببطلان تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً، ودلّل على ذلك بأدلة عدة، منها ما يأتي:

١- انعدام المغريات أو الدوافع الاقتصادية للدخول في الإسلام في بداية ظهوره:

ينطلق التفسير المادي للتاريخ وفق اتجاهات متنوعة^(٢) من زاوية ضيقة، ويحصر قراءة التاريخ في اتجاه واحد، ومن خلال رؤية واحدة، فأصحاب هذا الاتجاه فرضوا جوانبهم المادية بالقوة على الشعوب، وألغوا الاعتبارات النفسية والروحية والعقلية^(٣).

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي، مكتبة الصحوة بيروت، ط(٣) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (ص ٥٥).

(٢) من هذه الاتجاهات النظرية المادية البيولوجية التي دعا أصحابها إلى تطبيق القوانين البيولوجية -مثل نظرية داروين وما يتعلق بها- على التاريخ وعلى المجتمعات البشرية باعتبار أنها نوع من الكائنات الحية، وأنها خاضعة للقوانين العامة التي تخضع لها كل الموجودات، فبحثوا في التاريخ البشري على أنه وجه من أوجه النشوء والارتقاء.

انظر: الاتجاهات الحديثة في دراسة التاريخ، جواد علي، مجلة الرسالة، العدد (٧٨٨)، ٩-٨-١٩٤٨م.

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٦٣).

وَيُذَلِّلُ الدكتور الحجى على أن هذا التفسير لا يمكن عقلاً تطبيقه على التاريخ الإسلامي بأن التفسير المادي يُخضع حركة التاريخ للتغيير الاقتصادي أو الصناعي، والحقيقة أنه ليس هناك ثورة صناعية قامت في جزيرة العرب ومكة تحديداً أدت لظهور الإسلام^(١)، كما استدلل الدكتور الحجى بأدلة تنفي أن يكون هناك دوافع اقتصادية قائمة في سير حركة التاريخ الإسلامي، من ذلك الصعوبات الكثيرة التي تعرض لها المسلمون في أول الدعوة، وفي مقدمتها مقاومة المشركين المستمرة للدعوة الإسلامية، ومع هذا العناد من المشركين وعظم المعاناة التي وجدها المسلمون خلال فترة طويلة إلا أنهم قابلوا ذلك بثبات وصبر، معتزين بالدعوة الإسلامية، دون انتظار أي مقابل مادي، فحين كانت الدعوة الإسلامية مطاردة وأتباعها قليلين لم تكن هناك أية إغراءات مادية أو غيرها^(٢).

٢- تعارض الدافع المادي مع ما اشتهر عن المسلمين الأوائل من الزهد في الدنيا:

يعتبر الدافع المادي أهم عوامل تفسير التاريخ في الاتجاه المادي؛ لذلك رأى الدكتور الحجى أن التفسير المادي للتاريخ لا يتوافق مع التاريخ الإسلامي، ولا يمكن إسقاطه عليه؛ لأن التاريخ الإسلامي يفتقد الدافع المادي، ورأى أن أية محاولة لتفسير حركة التاريخ الإسلامي بالدافع الاقتصادي مجانبة للصواب، وَيُرَدُّهَا ما تَقَرَّرَ من زهد المسلمين الأوائل وإعراضهم عن ملذات الحياة الدنيا وشهواتها، ويرى أن حصر دوافع الفتوحات الإسلامية في الغنيمة فقط لا يتوافق مع حقيقة الأمور، والأدلة على ذلك كثيرة^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٦٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٦٤).

ومن الأدلة التي ذكرها الدكتور الحجى (١) ما رواه الطبري في تاريخه بسنده أنه: "لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا، ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله، لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله، لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله، وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس" (٢)، فهذا يهدم فكرة البعد المادي أو رغبة الحصول على المال.

ومما يؤيد هذا -أيضاً- كما ذكر الدكتور الحجى (٣) ما روي في فتح سعدٍ أحد بلدان كسرى وهي محاطة بالماء، فلما استشارهم قالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل، فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور وهو يقول: "من يبدأ فيحمني لنا الفراض -يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى-؛ ليجوز الناس إليهم آمنين"، فانتدب عاصم بن عمرو وذوو البأس من الناس قريب من ستمائة، فأمر سعد عليهم عاصم بن عمرو، فوقفوا على حافة دجلة، فقال عاصم: "من ينتدب معي لنكون أول الناس دخولاً في هذا البحر، فنحمني الفراض من الجانب الآخر؟"، فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين -والأعاجم وقوفٌ صفوفاً من الجانب الآخر-، فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة فقال: "أتخافون من هذه النطفة؟"، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٦٥).

(٢) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، دار المعارف، مصر، ط (٢) ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، (٤/١٩).

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٦-٦٧).

﴿مُوجَلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ثم أقحم فرسه فيها، واقتحم الناس، وقد افترق الستون فرقتين: أصحاب الخيل الذكور، وأصحاب الخيل الإناث، فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: دبوانا دبوانا، يقولون: مجانين مجانين" (١).

وكان سعد يُرَدِّدُ في هذا الوقت: "حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهن الله دينه، وليهزم الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات" (٢).

إن هذه الحوادث ونظائرها تخالف التفسير المادي للتاريخ، فكيف يلقي الإنسان نفسه في غمرات الموت لدافع مادي، إن جوهر الدعوة الإسلامية منافع لتلك النظرة، فلم يكن غرض فتوحات الصحابة رضي الله عنهم والفاحين بعدهم ماديًا، بل كانت تلك الفتوحات من أجل تحرير الإنسان من عبوديته، ومن أجل كرامته وحرمة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٣- تعارض التفسير المادي مع وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لقادة جيوشه:

التفسير المادي للتاريخ ينزع عن الإنسان الأفضلية التي فضله الله بها، فهو تفسير يتصادم مع جوهر الدين، ومع إنسانية الإنسان، يقول الدكتور الحجي: "إن فهم الإنسان من خلال المادة فقط هو في الحقيقة مسخ وإنكار لإنسانيته، وعدوان كبير على هذه الإنسانية، ولقد وصف الله تعالى الكفار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢] (٣).

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/٩-١٠).

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري (٤/١١-١٢).

(٣) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي (ص ٦٢).

فالمذهب المادي مع الخطأ الشديد الذي يعتري تناوله للأحداث يتصادم مع الإنسانية ككل، ومع صريح نصوص الشريعة، فكيف تتوافق النظرة المادية مع وصيته ﷺ لقادة جيوش عند الذهاب إلى الحرب، فعن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال-، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم؛ ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»(١).

فهذه الوصية منه ﷺ تمحو كل مزاعم الماديين في أن الدافع المادي كان هو المحرك للتاريخ الإسلامي، وتبين كيف كان يحرص رسول الله ﷺ على إخراج الناس من الظلمات إلى النور دون النظر إلى مكاسب مادية؛ فأول الخصال الثلاث التي أمر قائد جيشه بعرضها على الكافرين دعوتهم إلى الإسلام (ادعهم إلى الإسلام)، فإن قبلوا صاروا إخوة لنا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، ووجب الكف عنهم (فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، رقم ١٧٣١، (٣/١٣٥٧).

٤ - تعارض النظرة المادية مع إقلاع المسلمين عما كانوا عليه من فواحش وآثام قبل

الإسلام:

إن المنهج المادي عاجز بشكل بالغ عن تفسير حركة التاريخ الإسلامي، فما هي الحاجات والدوافع المادية التي غَيَّرَتْ مفاهيم العرب وغيرهم ممن دخل في الإسلام، وجعلهم خلقًا جديدًا يَعَاوُونَ كل ما كانت عليه الجاهلية من فواحش وآثام، واستبدلوها بكل المعاني الخيرة^(١)، أكان الدافع المادي؟! إن الدافع المادي في العادة يجعل الإنسان يَهْوِي في مواطن الآثام لا يرتقي عنها.

وهذه شهادة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذا التحول الكبير في حياتهم، يقول للنجاشي^(٢): "أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا مِّنَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - وَعَدَّدَ عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرَّمْنَا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا،

(١) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن حجي (ص ٦٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (١٧٤٠)، (٣/٢٦٣-٢٦٨)، وقد حَسَّنَ إسنادهُ محققو المسند.

فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث" (١).

فهذا التحول الذي ذكره جعفر رضي الله عنه ليس وراءه أي دافع مادي، بل الدافع المادي موجود قبل الإسلام؛ فقد كانوا يرفلون في الملذات دون وازع أو رادع من دين أو ضمير، فكان بعضهم يأكل مال بعض، ويأكل القوي الضعيف، حتى جاء الإسلام ونهى عن ذلك، وقضى عليه، وهذا عكس ما يقرره الماديون، ويحاولون إصاقه بالإسلام الذي جاء ليرفع عن الناس بطش المادية، ويخرجهم من عبادة غير الله إلى عبادة الله، ومن الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن السفه إلى الحكمة.

٥- تعارض النظرة المادية مع ما اشتهر عن الصحابة والفاخرين من حبهم الموت في

سبيل الله كما يجب غيرهم الحياة:

يبين الدكتور الحجى بطلان النزعة المادية في تفسير التاريخ بعجزها عن تفسير كيف أن هذا الجيل شهد له أعداؤه بأنهم يجبون الموت كحب الناس للحياة، كيف يكونون ممن يسعون إلى الماديات وحطام الدنيا (٢).

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشليبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط (٢) ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، (١/٣٣٥-٣٣٦)، وتثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدأبادي المعتزلي، دار المصطفى، شبرا، القاهرة، مصر، (٢/٥٠٥-٥٠٧)، ودلائل النبوة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، حققه: محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط (٢) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (ص ٢٤٦-٢٤٩).

(٢) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلام، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٩).

وإذا أراد امرؤ أن يعرف ما الدافع الذي جعل المسلمين يلقون أنفسهم في الحروب بقلوب ثابتة فإنه لن يجد غير الإيمان بالله وحده، ورجاء ما عنده ﷺ، وحب الموت في سبيل الله، وهذا الدافع يظهر في كل أحداث التاريخ الإسلامي، يقول الدكتور الحجى في الهجرة: "أظهرت الهجرة - مثل غيرها من الأحداث الكثيرة الوفيرة - قوة الإيمان التي لا تُقاس بالقوة المادية، وأن الله ينصر عبده، ويبيح له جنده، حتى ليقوم القليل منهم بما يواجه بهم الجيش الجليل، كما جرى في الغار والمعارك والفتوحات" (١).

بيان الدكتور الحجى غرض الماديين من تفسيرهم المادي للتاريخ الإسلامي:

إن تلك الحركة المشبوهة التي تحوم حول التاريخ الإسلامي تثير كثيراً من الريبة؛ لما تقرر من عوار هذا المنهج، ومن انتفاء كل مقومات بناء المنهج المادي في التاريخ الإسلامي. وقد بيّن الدكتور الحجى الدافع وراء هذا التفسير المادي للتاريخ الإسلامي مع انتفاء الداعي له بقوله: "والحقيقة أن اعتبار العامل الاقتصادي والبحث عن الغنائم كان سبباً في ظهور الإسلام وانتشاره يُقصد به نزع الصفة الإلهية عن الإسلام وتشويهه، وإضعافه في نفوس المسلمين، ثم القضاء عليه، والإشارة إلى أنه لم يكن إلا موجة كإحدى موجات الفتوح التي انتهت دورها، ثم إن هذه الفكرة بجرُّهم إلى فكرة أخرى مرتبطة بها، وهي القول بأن الدعوة الإسلامية قد أدّت دورها، واستنفدت أغراضها، لقد كان لهذه الأفكار الباطلة خطورة في حياة المسلمين؛ فقد أنتجت من جملة ما أنتجت جيلاً من ذراري المسلمين لا يثق بتراثه، جيلاً مستعرباً، قام في أمته بالمهمة التي يريدونها المستشرقون وزيادة" (٢).

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٥٠).

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٩).

فهذا الاتجاه لتفسير التاريخ الإسلامي ليس إلا وسيلة من الوسائل التي تفضي في النهاية إلى اقتلاع مفاهيم التاريخ الإسلامي، فضلا عن أنه يؤدي إلى اقتلاع مفاهيم الإسلام وعقيدته^(١).

إن هذه الدعوة الخبيثة هي التي من أجلها تُطوى أعناق النصوص، وتُعيَّب كثير من الشواهد عمداً، ويعمى على كثير من الشخصيات، وليس ذلك إلا لتثبيت فكرة أن الإسلام يحمل وراءه بعداً مادياً.

خلاصة جهود الدكتور الحجي في نقده للتفسير المادي ما يأتي:

- ١- بيانه عوار هذا المنهج في دراسة التاريخ عموماً، وتوضيح مواطن الخلل فيه، وتبيين مصادمته للإنسانية في العموم.
- ٢- توضيح تصادم هذا المنهج مع معطيات التاريخ الإسلامي.
- ٣- ذكر كثير من الأحداث التاريخية التي تتنافى مع طبيعة المنهج المادي.
- ٤- ذكر كثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي لا يستطيع المنهج المادي قراءتها، أو التبرير لها.
- ٥- توضيح علة انحراف بعض الدراسات لدراسة التاريخ الإسلامي من هذا المنطلق.
- ٦- بيان خطورة هذا الاتجاه في تفسير التاريخ الإسلامي على أبناء المسلمين وعقيدتهم.
- ٧- ذكر آثار هذا الاتجاه على أبناء المسلمين.

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٥٥).

وتعتبر هذه الجهود من أهم الوسائل التي يستعين بها المسلمون في مواجهة هذا الفكر المنحرف الظالم لأبطال المسلمين، والمحرف لأكثر صفحات المسلمين نقاءً، والمتجني على الإسلام وتاريخه المشرق، وهذه الجهود مما يُذكر في مناقب الدكتور الحجري، ويُشكر له.

المطلب الثالث:

جهوده في بيان التفسير القومي للتاريخ

أولاً: تعريف القومية لغةً واصطلاحاً:

١ - القومية في اللغة:

القومي: اسم منسوب إلى قوم، والقومية: مصدر صناعي مأخوذ من قوم^(١)، قال ابن فارس: "القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم"^(٢).
والقوم: هم عشيرة الرجل وشيعته^(٣)، والقوم: تطلق على الرجال خاصة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿وَلَا يَسَاءُ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ [الحجرات: ١١]، ففرق بين القوم والنساء، وربما دخل فيه النساء بالتبعية، والقَوْمُ يَذْكَرُ وَيؤنث^(٤).
وقيل: "القوم في الأصل مصدر قام، ثم غلب على الرجال دون النساء؛ ولذلك قابلهن به، وسموا بذلك؛ لأنهم قوامون على النساء بالأمر التي ليس للنساء أن يقمن بها"^(٥).

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (٣/١٨٧٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٥/٤٣).

(٣) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (٥/٢٣١).

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٤) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، (٥/٢٠١٦).

(٥) لسان العرب، ابن منظور (١٢/٥٠٥).

وتأتي القومية في اللغة بمعنى القوامة، يقال: "فلان ذو قومية على ماله وأمره، وتقول: هذا الأمر لا قومية له، أي: لا قوام له" (١).

وعرفت القومية في المعاجم المعاصرة بأنها: "صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة، ووحدة التاريخ والأهداف" (٢).

٢- القومية اصطلاحًا:

تعددت تعريفات القومية، شأنها في ذلك شأن بقية المصطلحات الواردة إلينا، ولعل من أبرز تعريفاتها ما يأتي:

أ- هي: "مجموعة من المعتقدات بشأن الأمة" (٣)، وأصحاب هذا التعريف يذهبون إلى أن هناك فرقاً بين مفهوم الأمة والقومية، فأية أمة لا بد أن يكون لديها معتقدات مختلفة، أما مفهوم القومية فإنه يهتم بتوحيد تلك المعتقدات، وما يميز القومية وفق هذه النظرة هو الاعتقاد بأن الأمة هي الهدف الأوحده الذي يستحق السعي وراء تحقيقه، وهو تأكيد يستلزم غالباً أن الأمة تحتاج إلى ولاء مطلق لا نقاش فيه (٤).

ب- وتعرف بأنها: حب الأمة أو الشعب، والتحمس لمصالحهما الحقيقة، والولاء للدولة والتعلق بالوطن (٥).

(١) تهذيب اللغة، مُجَّد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، تحقيق: مُجَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (١) ٢٠٠١م، (٩/٢٦٦).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/١٨٧٧).

(٣) القومية، ستيفن جروزي، مُجَّد إبراهيم الجندي، ومُجَّد عبد الرحمن إسماعيل، مؤسسة هنداي، ط (١) ٢٠١٥م، (ص ١٢).

(٤) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) القومية في السياسية والتاريخ، فردريك هرتز، ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة إبراهيم صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١١م، (ص ٦).

ج- وتعرف بأنها: وجود اجتماعي وتاريخي حضاري، مع وعي لهذا بالانتماء لهذا الوجود من المرحلة التي مهدت للإسلام بوصفه ثورة قومية ذات رسالة نقلت الشعور المبهم بالانتماء إلى أمة واحدة إلى وعي اقترنت فيه الثورة الروحية بالثورة القومية، حيث قامت دولة وثقافة وحضارة عربية من طراز جديد^(١).

د- وقيل: "هي حركة سياسة فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدق للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا"^(٢).

ويعرفها الدكتور عبد الرحمن الحجي بأنها "تفسير يقوم على أساس أنه تاريخ العرب، أو جزء من هذا التاريخ، وليس على أساس أن العرب الذين أسلموا جزء فيه"^(٣). ومن خلال التعريفات السابقة يتبين أن القومية تطلق في العموم على التعصب للوطن، ويُعنى بالقومية العربية أنها القومية التي تتعصب للعرب، وتدعو إلى إقامة وحدة دينية وفكرية ولغوية بين البلدان العربية، وتطويع الشريعة الإسلامية للأهداف العروبية.

ثانياً: نقد الدكتور الحجي للتفسير القومي للتاريخ:

ذهب الدكتور الحجي إلى أن التفسير القومي للتاريخ يجانب فهم التاريخ الإسلامي؛ لأن المنهج القومي ينطلق من رؤية أحادية تنافي النظرة الشاملة في تناول التاريخ الإسلامي؛ ومما يبطل التفسير القومي للتاريخ الإسلامي عند الدكتور الحجي ما يأتي:

(١) انظر: القومية العربية والوحدة من منظور البعث الاشتراكي، إلياس فرح، منشورات الطليعة العربية، تونس، ١٩٨٩م، (ص ٦-٧).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط(٤) ١٤٢٠هـ، (١/٤٤٤).

(٣) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٥).

١- إغفال التفسير القومي دور غير العرب في التاريخ الإسلامي:

النظرة القومية تنظر إلى تاريخ العرب على أنه التاريخ الإسلامي، وتغفل القوميات المختلفة التي شملها الإسلام^(١).

ومن نتائج هذه النظرة تعريب المنتج الإسلامي الحضاري كله، ومن ثم تعطيله، ووفق هذه النظرة الأحادية في تفسير التاريخ ظهرت كثير من الكتابات التي ضمت أعلام علماء المسلمين، وذكرت أناسا ليسوا عرباً مثل (سلسلة أعلام العرب)، ومن تلك الكتابات كتاب (مُجَّد والقومية العربية)، والنبى ﷺ لم يبعث للعرب فقط، وإنما بعث للناس كافة^(٢).

والتفسير القومي للتاريخ الإسلامي يقع في خلطٍ كبير حين يُدخل من ليس عربياً على العرب؛ إذ كيف يكون الفاتح المسلم صلاح الدين الأيوبي عربياً وهو الكردي الأصل، وما كان عربياً يوماً ما؟!

وكيف يكون القائد المسلم طارق بن زياد عربياً وهو بربري الأصل؟! ^(٣) فإذا درس التاريخ الإسلامي دراسة قومية أدى ذلك إلى تزوير الحقائق بعدّ هؤلاء الفاتحين عرباً، وإصاق كل مجد حققوه إلى العرب، وهذا مخالف للحقائق.

٢- تعارض التفسير القومي مع نصوص الكتاب والسنة:

تتعارض النظرة القومية التي يراد إخضاع التاريخ الإسلامي لها مع كثير من نصوص الوحيين كما ذكر الدكتور الحجي^(٤).

(١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: القومية بين التزوير والتبرير، عبد الرحمن الحجي، مجلة المجتمع، العدد (٢٧٤)، ذو القعدة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، (ص ٤٤).

(٤) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٥-٧٦).

ويشير الدكتور الحجي بذلك إلى قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فأساس المفاضلة ليس لعرق ولا لون، بل بالتقوى.

وهذا ما أكدته ﷺ في حجة الوداع بقوله: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (١).

وقد هدم النبي ﷺ الفوارق العرقية في شؤون الولاية فقال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة» (٢).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا"، يعني بلالاً (٣)، فعمر العربي القرشي يصف بلالاً الحبشي غير العربي بأنه سيد.

والتاريخ الإسلامي مليء بالشواهد الدالة على أن دعوة الإسلام ليست دعوة قومية؛ فكما هو معروف كان سلمان فارسياً، وكان صهيب رومياً، وقد شملتهما أخوة الإسلام.

٣- وجود شواهد كثيرة في التاريخ الإسلامي دالة على أن الدعوة الإسلامية ليست

دعوة قومية:

أ- الهجرة:

مما يبين خطأ التفسير القومي للتاريخ أن الإسلام ليس ديناً وطنياً أو عرقياً معيناً، بل إن الإسلام هو الوطن والقومية.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (٢٣٤٨٩)، (٤٧٤/٢٨)، وصح إسناده محققو المسند.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٢)، (٦٢/٩).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح، رقم (٣٧٥٤)، (٢٧/٥).

وقد سبق في الصفحات السابقة أن المسلمين فروا بدينهم من أرض العرب إلى أرض الحبشة؛ لأن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد؛ فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفُتِنُوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره ما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: "إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده؛ فالحقوا ببلادته حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه" (١).

وهذه الهجرة تُفَوِّضُ فكرة القومية من قواعدها، يقول الدكتور الحجري: "تشير الهجرة إلى أن الإسلام لا يعرف وطنًا ولا قومًا بعينهم، يكون حِكْرًا عليهم؛ فالقوم في الإسلام هم المسلمون، والوطن فيه الذي ترتفع على قَمَمِهِ شامخاتٍ رايةٌ لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله، يعمل المسلم على امتدادها حيث استطاع" (٢).

ب- دخول غير العرب الإسلام:

يرى الدكتور الحجري ﷺ أن مما يدل على أن الدعوة الإسلامية ليست دعوة قومية دخول غير العرب الإسلام، بل كان من أوائل من دخله من غير العرب سيدنا بلال، وهو من سادة هذه الأمة (٣).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب البَيْتِ، باب الإذن بالهجرة، رقم (١٧٧٣٤)، (١٦/٩)، وقد حَسَّنَ الشيخ الألباني هذا الحديث، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، رقم (٣١٩٠)، (٥٧٧/٧-٥٧٨).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٣٢٧).

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجري (ص ٧٨-٧٩).

ويرى الدكتور الحجى أنه لو كان الإسلام دعوةً قوميةً لامتنعت القوميات الأخرى من الدخول فيه، بل يؤكد التاريخ الإسلامي أن غير العرب أقبلوا بشدة على الدخول في الإسلام، وانصهروا في بوتقته، حتى إننا نجد المسلمين من غير العرب أكثر من المسلمين العرب اليوم^(١).

ج- محاربة المسلمين المشركين العرب:

لو كانت دعوة الإسلام قومية لما وجدنا أهل مكة يحاربونها، ولكانوا أول المؤمنين بها المدافعين عنها، يقول الدكتور الحجى: "قد كان الأولى بأهل مكة أن يكونوا أول المؤمنين، لكنهم كانوا له من أكبر المعاندين والمحاربين! فأين الرابطة القومية التي يتحدثون عنها؟ هل حقيقة أن دعائها يصدقون ويصدقون ذلك؟ لكن الذي يبدو أنهم أدري من غيرهم ببطلان هذا الكلام، وهم لا يدعون إليها عن إيمانٍ بها، بل مؤامرة على الإسلام ومواجهة له، ومتى كانت القومية رابطة فضلا عن أن تكون فكرةً أو منهجًا"^(٢).

فلم تكن العروبة حائلاً لمشركي العرب عن حرب النبي ﷺ، بل عادت قريشُ النبي العربي الكريم ﷺ، وتعاونت مع يهود المدينة لاستئصال المسلمين، وحشدوا الأحزاب إلى المدينة من أجل ذلك، وارتد بعض العرب بعد وفاة النبي ﷺ عن الإسلام؛ فكانت حروب الردة التي راح فيها الكثير من الفريقين، وحارب العربُ العربَ، حتى يُرى الولد وأبوه كل واحدٍ منهما في معسكر من المعسكرين^(٣).

وقد كان ولاء الصحابة ﷺ للإسلام واضحاً في سلوكهم، لا يعرفون غيره، وعلى أساسه توزن الأمور، وتتخذ المواقف، وتتجه النصره مهما كانت، فقاتل المسلمون العرب المشركين

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٨٠).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٩٥).

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٨٠-٨٢).

العرب، وكان فيهم إخوانهم بل آبائهم وأهلهم، ومع ذلك كانت المواجهة واضحة، والمفاصلة مكشوفة، والمقاتلة شديدة، والمسلمون لا يفعلون ذلك جهلاً بأي معنى كريم، فهم أهله وأولى به من كل أحد، بل على العكس فإن المسلم أحفظ الناس للرحم، وكل صلة كريمة، وكافة الروابط الخيرة^(١).

٤ - عدم خضوع الحركة العلمية الإسلامية للنظرة القومية القاصرة:

أكد الدكتور الحجي على أن القراءة القومية العروبية هي قراءة مبتورة للتاريخ الإسلامي، فدراسة تاريخ علوم المسلمين وتأليفهم وتصنيفهم يتبين منه أنه لا يخضع للنظرة القومية، يقول الدكتور الحجي: "لم يعرف التأليف قومية بل ميدانية العالم الإسلامي كله، سواء في التراجم العامة أو الطبقات العلمية، إلا إذا اقتصر على بلد أو مدينة بعينها، وفي هذه الحالة يترجم للذين يدخلونها من المسلمين من أهل العلم أو طلابه... فالذاهب من مكان لآخر في أي بقاع العالم الإسلامي يدرس في غير بلده، ويتولى المناصب فيه، وهذه علامة التوحيد في الوجهة الفكرية والتكوين، وكلها تقوم على التوحيد... وهذه هي الوحدة الصادقة القوية، وما عداها زيف خادع وسراب زائل"^(٢).

ولم يعرف تاريخ الحركة العلمية الفوارق الجغرافية، ولا النزعات القومية؛ فكم من عالم من أكابر علماء المسلمين الذين حفظوا الشريعة لم يكن عربياً^(٣)، واحتفى به العلماء والطلبة المسلمون العرب بلا أي تمييز على أساس عرقي.

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ١١٣).

(٢) جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجي (ص ٨).

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٥).

وإذا تحلَّى دارس تاريخ علوم المسلمين بالنظرة القومية في تناوله تلك العلوم فإنه إمَّا أن يُزَيِّفَ الحقائق أو يغييها، وليست تلك الوحدة في التاريخ الإسلامي في العلوم فقط، بل في كل مجالات؛ لأن هذا مستمد من الشريعة التي تستوجب رفض أي ولاء لغير الإسلام.

٥- كون الإسلام هو الذي رفع شأن العرب لا العكس:

وبين الدكتور الحجي أن من أسباب سقوط الدراسات القومية إغفالها أن الإسلام هو الذي رفع شأن العرب لا العكس، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، فأمة العرب كانت أمة منسية، رفع الله ذكرها بأن بعث فيهم رسوله ﷺ، وأنزل فيهم القرآن، فارتفع بهذا التشريف العرب والعربية، ولقد أدرك الصحابة تلك الحقيقة، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ الخليفة العربي أمير المؤمنين ينزل من على دابته في يوم فتح بيت المقدس؛ ليركب غلامه، فيقول له أبو عبيدة: لقد صنعت صنيعًا عظيمًا عند أهل هذه الأرض، فقال عمر لأبي عبيدة: "هاه -رافعًا بها صوتة-، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، كنتم أذل الأمم فأعزكم الله بالإسلام، ومهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله" (١)، فلم يفتخر عمر ﷺ بعروبته أو غير ذلك، إنما افتخر بالإسلام (٢).

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد والرفائق، باب ما جاء في الفقر، رقم (٥٨٤)، (ص ٢٠٧)، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، قام بنشره: مُجَّد عفيف الزعي، بإذن خطي من محققه حبيب الرحمن الأعظمي، ووكيل مجلس إحياء المعارف بـ (ماليكاون) ناسك (الهند)، وصححه الشيخ الألباني، ونقل عن الحاكم والذهبي أنهما صحَّحاه، ووافقهما، ينظر: السلسلة الصحيحة (١/١١٧-١١٨).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ١٠٧)، ونظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٩).

ثالثاً: رد الدكتور الحجي على الاستدلال بكون اللغة العربية لغة القرآن والدين على كون الإسلام قومياً خاصاً بالعرب:

يرى الدكتور الحجي أن القرآن هو دستور الإسلام، وقد نزل بالعربية؛ لأن النبي ﷺ عربي، وأتباعه سيكونون من العرب (١).

والمعنى الذي أشار إليه الدكتور الحجي ذكره الله تعالى في القرآن، فقال ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وعلى الرغم من كون النبي ﷺ عربياً إلا أنه أرسل إلى الناس عامة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وأمر نبيه ﷺ بالإخبار بذلك فقال ﷺ: ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد ذكر النبي ﷺ أن من الأمور التي خصه الله تعالى بها أن الله بعثه إلى الناس عامة، فعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي»، وذكر منها «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» (٢).

وقد حاول القوميون إضعاف الإسلام في نفوس المسلمين والقضاء عليه؛ فادعوا أن الإسلام دين قومي خاص بالعرب، متمسكين بحجة أن التراث الإسلامي والإنتاج الفكري للمسلمين كتب باللغة العربية.

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٨١).

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب التيمم، رقم (٣٣٥)، (٧٤/١)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٣ (٥٢١)، (٣٧٠/١-٣٧١).

ويؤكد الدكتور الحجى أن كتابة التراث الإسلامي ليس لها علاقة بقومية أصحاب تلك اللغة أو جنسهم، بل لأنها لغة القرآن الكريم؛ ولذلك اتخذها البربر والفرس وغيرهم من القوميات الأخرى لغةً لهم بعد إسلامهم، وليس هذا إلا لحبهم الشديد للإسلام، ولولاه ما فعلوا^(١).

وقد حاول أعداء الإسلام تدمير اللغة العربية؛ فدعوا إلى العامية، وإلى الكتابة بالحروف الإفرنجية كما ذكر الدكتور الحجى^(٢).

ويرجع اهتمام المسلمين باللغة العربية واعتزازهم بها وحبهم لها إلى كونها لغة العقيدة الإسلامية، وليس بسبب قوميتها، ولا نجد أية إشارة إلى عروبة الإسلام في آيات الكتاب المجيد، وأحاديث الرسول ﷺ، وأقوال الصحابة، ولم يظهر ذلك - كذلك - في مواقفهم وتصرفاتهم، ويُستخلص من السابق أن التاريخ الإسلامي تاريخ الشريعة الإسلامية، والتطبيق الواقعي للإسلام، ولا يمكن لأحد أن يفهمه ويفسره وهو بعيد عن هذه العقيدة، كما أن هذه التفسيرات المادية والقومية شوهت التاريخ الإسلامي كما ذكر الدكتور الحجى^(٣).

رابعاً: خلاصة جهود الدكتور الحجى في نقده التفسير القومي للتاريخ الإسلامي:

- ١- أن النظرة القومية متناقضة مع التاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ الإسلامي ليس تاريخاً قومياً، بل لقد أسهم في أحداثه الكبيرة رجالٌ من مختلف القوميات.
- ٢- أن دعوة الإسلام تنبذ القومية والتعصب لجماعة أو لأرض أو لهدف غير الإسلام، وهذا مشاهدٌ في التاريخ الإسلامي، وعليه سار الصحابة ومن بعدهم.

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٨١).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٨٢-٨٣).

٣- عرف الإسلام الوحدة الدينية، فكان العالم المسلم غير العربي أو العربي يحاضر في أي مسجد في بلاد المسلمين ولا يُنظر لقوميته.

٤- كانت القومية العربية من معوقات الدعوة الإسلامية في بدايتها، وحارب العرب الكفار العرب المسلمين، فكيف تفسر المدرسة القومية هذا الحدث؟

٥- تؤدي دراسة التاريخ الإسلامي دراسة قومية إلى تغييب بعض الحقائق ومسح بعضها، وهذا يجانب الموضوعية.

وإن من أسباب رفض التفسير القومي للتاريخ الإسلامي حصرَ هذا التصور لأفق الدين، ونحله أمورًا ليست فيه، وتحريفه لنصوص شرعية كثيرة، كما أن هذا التصور يؤدي إلى نزع صفة الإلهية عن الرسالة الإسلامية، ويلغي عمومية الرسالة النبوية، ويؤدي في النهاية إلى إنهاء فاعليتها، وينقض دورها^(١).

(١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

المطلب الرابع:

جهوده في بيان التفسير الإسلامي للتاريخ وتقويمه

يرى الدكتور الحجى رحمته الله أن التفسير الإسلامي هو التفسير الوحيد الذي يأتيك بالنتائج والمعلومات والأحكام الحقة الدقيقة الصحيحة، وعلّة كون المنهج الإسلامي هو المنهج الأقوم في دراسة التاريخ؛ لأنه منهج رباني، فهو لا يقيم تفسيراً سليماً للتاريخ فحسب، بل يقيم تفسيراً سليماً للحياة، ويضع المقومات التي بها تنمر وتضمن تفسيراً مؤكداً ملموساً حقيقياً للتاريخ عموماً والحياة الإسلامية والإنسانية كذلك، وهذا المنهج يعمل على تربية الفرد بكل مقوماته، وكذلك تربية الأمة (١).

وقد تحدث الدكتور الحجى عن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ المسلم، منها أن يفهم الإسلام فهماً عميقاً شاملاً للعقائد والعبادات والشرائع، وأن يقرأ السيرة النبوية قراءة شاملة تشمل البيئة والأشخاص والحوادث، وأن يعرف سنن الله في الكون، وأن يقرأ الأحداث قراءة عميقة، وأن يربطها بالسنن الكونية (٢).

وقراءة السيرة النبوية قراءة شاملة عميقة يقتضي التشبع بالأحداث، والعيش في جو السيرة عمقاً وتعلقاً، وهذا المقوم ضروري في فهم التاريخ الإسلامي، فأى دراسة لا تقرأ القرآن وما يخصه من أحداث ووقائع متعلقة بالسيرة النبوية، وتتشبع بها في النفس والسلوك والحياة،

(١) انظر: التاريخ الإسلامي: رصد مساره، وسير أغواره الحلقة (٣): آثار المنهج المعجز، عبد الرحمن الحجى، مجلة المجتمع، العدد (١٨٠٠)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (ص ٤٤)

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي: رصد مساره، وسير أغواره، الحلقة (١)، عبد الرحمن الحجى، مجلة المجتمع، العدد (١٧٩٨)، ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (ص ٤٤).

وتتفاعل معها- لا تستطيع أن تقدم السيرة، أو تقومها بصورة حسنة، ومن هذا المنطلق يرى الدكتور الحجى أن التفسيرات الغربية للتاريخ الإسلامي وقعت في كثير من الأخطاء^(١). وقد كان للدكتور الحجى جهوداً بارزة في بيان التفسير الإسلامي للتاريخ؛ فذكر مصادر التاريخ الإسلامي، وَبَيَّنَّ كيفية فهم التاريخ، وكشف وسائل الأعداء في دراسة التاريخ الإسلامي، وفرق بين المنهج الإسلامي وغيره في دراسة التاريخ، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: مصادر التاريخ الإسلامي:

يرى الدكتور الحجى أن التاريخ الإسلامي هو التاريخ التطبيقي للشريعة الإسلامية كلها، وأن دراسته دراسة للإسلام من الناحية التطبيقية^(٢)؛ لذلك كانت المصادر الشرعية من قرآن وسنة من مصادر التاريخ الإسلامي، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١- القرآن الكريم:

يرى الدكتور الحجى أن القرآن الكريم مصدر ثرٌ أصيل من مصادر السيرة النبوية -وهي جزء من التاريخ الإسلامي-.

يقول الدكتور الحجى: "فالقرآن الكريم مليء بأحداث السيرة وأحوالها وأخبارها، وهو الحق المبين، والصدق الأصيل المتين، أصدق وأوثق وأحق كتاب على الأرض، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]"^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٠).

(٣) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣١-٣٢).

وهذا ما يؤكد في مواضع كثيرة من كتبه، ويرى أنه لا بد من الاعتماد على القرآن الكريم في دراسة السيرة النبوية؛ لأن الاعتماد على المصادر الصحيحة للتاريخ الإسلامي - ومنها القرآن - يُحصِّن عقول المسلمين ضد محاولات التشكيك في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، ويجعلهم قادرين على تفنيد الشبهات وردّها والرد عليها^(١).

٢- السنة النبوية:

يرى الدكتور الحجى رحمته الله أن كتب السنة المطهرة مصدر من أهم مصادر التاريخ بعد القرآن الكريم.

يقول الدكتور الحجى: "والتاريخ الإسلامي ابتداء من السيرة الشريفة التي تلاحت مع الحديث الشريف وعموم السنة المطهرة نشأ ونشأت في أحضان السنة وعلومها ذات الشروط الدقيقة، والتي قامت لخدمتها عدة علوم وثيقة، ولفهم هذه الحقيقة الكبرى يمكن بسهولة أن تراجع أمهات الكتب الموثقة في التاريخ الإسلامي"^(٢).

وقال عن دراسة السيرة النبوية التي تُعدُّ جزءاً مهماً أصيلاً من التاريخ الإسلامي: "وبالنسبة لدراسة السيرة الشريفة على وجه الخصوص لا بد من الاعتماد أولاً على القرآن الكريم، وكتب الأحاديث المعتمدة، وما رواه المسلمون من الأخبار الصحيحة في المؤلفات الموثوقة، مع تمحيص هذه الأخبار على قدر الطاقة"^(٣).

وبعد أن ذكر أن من مصادر التاريخ الإسلامي القرآن الكريم قال: "ثم كتب السنة المطهرة والسيرة الشريفة، وبعدها المؤلفات الأمهات، والأصول الموثوقة، وهي كثيرة شاملة،

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٠٦-١٠٧).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣١-٣٢).

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٠٦-١٠٧).

توفّر فيها الحفظ والصدق والرواية والدراية والرعاية والدراسة، وهي خاضعة للموازن الدقيقة في التمحيص متناً وسنداً" (١).

ولما كانت السنة النبوية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي فإنها حظيت بعناية تامة في تناولها ودراستها، وقَيَّضَ اللهُ لها من يحفظها، ويقوم بتدقيق مصادرها (٢).

والسنة المطهرة - بجانب كونها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم - مع السيرة النبوية إيضاح وبيان للإسلام كله (٣).

فالسيرة النبوية شرح عملي وتصوير للقرآن الكريم، ونقل لمضامينه النقية المليئة بالخيرات، فالسنة النبوية يقتدى بها في كل الأحوال، وفي كل الظروف والقضايا والأوضاع والألوان، قيادة وجندية، حاكماً ومحكوماً، فرداً وأسرةً، مجتمعاً ودولةً، في كل الأمور الداخلية والخارجية، والبناء الاجتماعي للحال والاستقبال، فالسنة النبوية تمثل الصورة والمشاهدة والمقاصد والمراسد والمواقف كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٤).

٣- كتب التاريخ الموثوقة:

سبق نقل كلام الدكتور الحجى في الحث على الاعتماد على ما كتبه ورواه المسلمون من الأخبار والأحداث التاريخية مع تمحيصها قدر الطاقة، ومما قاله في ذلك: "وبالنسبة لدراسة السيرة الشريفة على وجه الخصوص لا بد من الاعتماد أولاً على القرآن الكريم، وكتب

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٢٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٥٨).

(٤) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة

الأحاديث المعتمدة، وما رواه المسلمون من الأخبار الصحيحة في المؤلفات الموثوقة، مع تمحيص هذه الأخبار على قدر الطاقة"^(١).

وقال: "ثم كتب السنة المطهرة والسيرة الشريفة، وبعدها المؤلفات الأمهات، والأصول الموثوقة، وهي كثيرة شاملة، توفّر فيها الحفظ والصدق والرواية والدراية والرعاية والدراسة، وهي خاضعة للموازن الدقيقة في التمحيص متناً وسنداً"^(٢).

٤- كتابات غير المسلمين حول التاريخ الإسلامي:

ذكر الدكتور الحجى أن دراسة التاريخ الإسلامي ينبغي ألا تعتمد على المصادر الإسلامية وحدها، ولا على المصادر الأولى التي كتبها الباحثون الثقات أو المؤرخون المسلمون، بل ينبغي أن تعتمد اعتماداً كبيراً على منابع غير الصافية التي كتبها أيدي غير أمينة؛ لتفنيدها ما فيه من أباطيل، وعرضها على الحقائق، وعلى الرغم من غياب الإنصاف العلمي في تلك الكتابات إلا أنها قدّمت خدماتٍ للتاريخ الإسلامي، بقصد أو دون قصد^(٣).

ثانياً: منهج فهم التاريخ الإسلامي:

وضّح الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمته الله الوسائل التي يمكن من خلالها فهم التاريخ الإسلامي فهماً صحيحاً، وتمثل هذه الوسائل فيما يأتي:

١- الانطلاق في فهم التاريخ الإسلامي من العقيدة الإسلامية:

يرى الدكتور الحجى أن التاريخ الإسلامي مرتبط بالعقيدة الإسلامية من حيث الدافع

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٠٦-١٠٧).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٢).

(٣) انظر: نظرات في التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن حجى (ص ١٣).

والتأثر، ومن حيث المحرك والصبغة الدائمة (١).

والتاريخ الإسلامي هو تاريخ عقيدة شاملة، لها سماتها وخصائصها ومقوماتها المتميزة (٢). فإذا أردنا فهم التاريخ الإسلامي فهما صحيحًا فعلينا الانطلاق من العقيدة الإسلامية؛ لأن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية، وفي تفسير حوادثه والحكم عليه؛ ولأن التفسير الإسلامي للتاريخ منبثق من تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، فهو يقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فلا يخرج عن دائرة المعتقدات الإسلامية، كما أنه مبني على دوافع المجتمع الإسلامي الأول، ويؤكد الدكتور عبد الرحمن الحجي أن فهم التاريخ الإسلامي وحركته وتفسيره لا يكون إلا من خلال العقيدة، والإيمان بمنهج الله تعالى، والإيمان بالغيب، وأن المنهج الإسلامي هو الذي يمكن أن يفهم الحياة، ويجيد تفسير التاريخ وحركته.

وقد ركَّز الدكتور الحجي تركيزًا شديدًا على التنبيه على دور العقيدة في حركة التاريخ الإسلامي، وهي أحد الأركان المهمة التي تشكل الصورة الكلية لهذا التاريخ، وهي التي ترجع إليها حركة الفتوحات الكثيرة التي شهدتها الأمة الإسلامية، وإليها يرجع التقدم العلمي والثقافي في المجتمع الإسلامي، يقول الدكتور الحجي: "كما تنظم العقيدة هذا المجتمع، وتقود في الدرب الفرد ذي الثقافة المؤمنة بالله وشرعه، الصادقة في نفسها ومع الناس، الأصيلة في منبتها والأساس، الرحبة في أجوائها والآفاق الواضحة في الدافع والهدف، النظيفة في المنطلق

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٩٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ١٣).

والانسياب، المتفاعلة في النفس والمجتمع، المتسامحة في حقيقتها والواقع، المتفتحة في الأخذ والرد، الحريصة على البذل والعطاء" (١).

والعقيدة الإسلامية الصحيحة كانت العامل المؤثر الأقوى في الحركة العلمية، وكثير من الوقائع في التاريخ الإسلامي، يقول الدكتور الحجى: "فالمقومات العلمية بكل آفاقها وأحوالها وأعماقها الشائخة المتميزة ليست إلا ثمرة من ثمار العقيدة الإسلامية وشريعته" (٢).

لذا أكد الدكتور الحجى على أنه لا بد أن تدرس الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي من منطلق العقيدة والشريعة، وأثرهما في كل خطوة من خطوات التاريخ الإسلامي، كما أنه لا بد من إبراز المنطلق الإيماني في تشكيل المعارف الإسلامية، والدوافع للحركة العلمية في الحضارة الإسلامية (٣).

٢- قراءة التاريخ وأحداثه في ضوء السنن الكونية:

قراءة التاريخ وفهمه في ضوء السنن الكونية منهج قرآني؛ فالقرآن يدعو إلى الإفادة من السنن الكونية، وقد بين الدكتور الحجى ﷺ أن الله ﷻ وضع في القرآن الكريم منهجاً غير مسبوق في معرفة الحياة والتاريخ، ودراسته وتفسيره، وأن الأساس الأول من أسس المنهج الإسلامي في قراءة التاريخ هو تتبع السنن الكونية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]،

(١) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، من منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط (١) ٢٠٠٧م، (ص ١١).

(٢) المرجع السابق (ص ١٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ١١-١٣).

ولا بد من الاعتبار في هذه بقراءة الأحداث ومعرفة مجريات الأمور، وربط تلك الأحداث بالسنن الكونية، فدراسة التاريخ الإنساني عمومًا ليس لقراءة الأحداث فقط، وإنما لقراءتها وتفسيرها وفهمها على أساس سليم؛ لأخذ العبرة منها^(١).

إذن قراءة الواقع في ضوء السنن الكونية منهج دعا إليه القرآن؛ ليؤدي هذا إلى الفهم الشديد العميق للحوادث والمجريات المستحدثة، مع فهم عميق شديد للإسلام^(٢).

فالقرآن يُمكننا من فهم التاريخ وتفسير أحداثه من خلال السنن الربانية التي وردت في كتاب الله، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وبهذا البناء الرباني المضيء تستريح النفس، وتستقيم الحياة، وتصح الحقائق، ويرد الشارد، وتصفو الموارد، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٣- النظرة الشاملة للتاريخ الإسلامي:

الشمولية سمة أساسية من سمات التاريخ الإسلامي نفسه، ويرى الدكتور الحجى أن مثل التاريخ الإسلامي في تكوينه مثل الشجرة، امتن الله على هذه الأمة وخصها بها، واختار لهم من يغرسها وهو النبي ﷺ، وقد عمل النبي ﷺ بجهد المتفاني وتصميمه في حمل هذه الأمانة، ثم سار من بعده من الصحابة والتابعين على نفس النهج الذي رسمه لهم النبي ﷺ حتى ارتفعت تلك الشجرة، فجدور الشجرة تمثل العقيدة، وساقها تمثل أسسه ومصادره وأركانه وطريقه ونظراته الكلية إلى الكون والإنسان والحياة، وكل غصن فيها يمثل جانبًا من الجوانب الإسلامية؛

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٠٥).

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي: رصد مساره، وسير أغواره، عبد الرحمن حجى (ص ٤٤-٤٥).

التاريخ، والفقه، والفكر المتنوع، والأخلاق، وتنظيم كل جوانب الحياة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة وسياساتها الداخلية والخارجية، إلى غير ذلك من التفاصيل^(١).
لذا يجب أن تكون دراسة التاريخ الإسلامي دراسة شاملة، لا تقتصر على أحداث معينة كالمعارك، وإنما تستوعب كل جوانب النشاط الإنساني وتراثه الحضاري^(٢).

٤ - التبع والاستقراء وتعليل الأحداث:

دعا الدكتور الحجري إلى تكوين عقلية ناقدة مميزة، تكون مستعدة لتبع الأحداث واستقراءها، ومهتمة بفقه الأحداث وتعليلها، وربط الأحداث والنتائج بمقدماتها وأسبابها؛ لأن الهدف من دراسة التاريخ الإسلامي ليس تخريج قصاصين وراة للتاريخ فقط، وإنما تخريج جيل متمكن من التمييز بين الغث والسمين، يفيد من الأحداث السابقة في واقعه المعاصر^(٣).

ثالثاً: جهوده في كشف وسائل أعداء الإسلام في دراسة التاريخ الإسلامي:

يبين الدكتور الحجري أن أعداء الإسلام سلكوا مسالك عديدة متشابكة متنوعة لتحقيق أهدافهم؛ وذلك لغياب آليات المنهج الإسلامي عندهم، وتحقيقاً لأهدافهم في إسقاط تاريخ المسلمين بالكلية^(٤)، وتتمثل هذه الوسائل فيما يلي:

١ - التشويه:

والطريقة التي اعتمدها أعداء الإسلام في هذا المسلك هي عرض التاريخ الإسلامي قطعاً مشوهة مبتورة عن سياقها، وتصوير المعارك الإسلامية بصورة وحشية، وربطها بالأهداف المادية، وإصاقها بغير أهدافها؛ حتى ينزعوا عنها صفة الجهاد في سبيل الله^(١).

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجري (ص ١٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ١٠٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ١٠٦).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٢٥).

ووفق هذه الدراسات لتاريخ الإسلام صُدِّرت كثير من الآراء المغلوطة عن الإسلام، وُرِّوَج لها ضد الإسلام وتاريخه، ومن أبرز تلك المفتريات على تاريخ الإسلام أن دافع الغزوات كان الغنيمة، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن الإسلام دين قومي للعرب خاصة (٢).

٢- التجهيل:

ويعتمد التجهيل على القفز وطوي كثير من الصفحات من التاريخ، فكانت دراسات الأعداء تقفز من واقع إلى آخر قفزًا عشوائيًا غير منظم، أُهْمِل في هذا التناول الأحداث التي تحمل الصورة الواضحة في تاريخ الإسلام، ومن الأهمية التنبيه إلى الخطر العظيم الذي قام به بعض المسلمين من تبني المذاهب الغريبة في دراسة التاريخ الإسلامي، فأفسدوا إفسادًا كبيرًا، وهؤلاء محسوبون على الأمة، وهم في الحقيقة أعداء لها (٣).

٣- التشكيك.

وتشكيك أعداء الإسلام في التاريخ الإسلامي سواء أكان ذلك في رجاله المؤرخين أم في شخصيات من التاريخ الإسلامي يُبَيِّنُ رغبة أعداء الإسلام في تشويهه، من خلال تطويع المناهج العلمية لخدمة أهدافهم، فيأتي إلى أوثق الأخبار فيقلبها متعمدًا إلى عكسها، ويأتي لشخصية كبيرة من عظماء الأمة ليشكك فيها، فيجمع -مثلًا- الأخبار التي رويت عن الإمام علي عليه السلام فيقلبها، ويقتص منها؛ ليستطيع وصفه بانعدام الشجاعة (٤).

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٥-٢٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٥٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٢٦-٢٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٢٩-٣٠).

٤ - التجزيء:

سبق بيان جهد الدكتور الحجي في بيان خصائص وسمات التاريخ الإسلامي، ومن أهم تلك السمات أن التاريخ الإسلامي لا بد أن تتسم دراسته بالشمول، وقد سلك أعداء الأمة مسلك تجزيء التاريخ الإسلامي إلى أشلاء، ودراسته على أنه أوصال وأجزاء غير متصلة^(١).

٥ - الإهمال:

من الخطط التي انتهجها أعداء الأمة الإسلامية لتشويه التاريخ الإسلامي إهمال بعض المواطنين التي تظهر عظمة الإسلام في التاريخ الإسلامي، وتجاهل نقاط الفخر فيه، ومحو بعض الجوانب المهمة في تاريخ بعض الشخصيات الإسلامية؛ لتشويه هذه الشخصية أو الحقبة التاريخية أو المجتمع، فيهملون كل حدث يمكن أن يكون مدعاةً للفخر في تاريخ المسلمين أو في تاريخ حقبة ما من الحقب التاريخية^(٢).

فيهمل المستشرقون في دراستهم بعض الشخصيات؛ لأن تناولها يُبيِّن العزة الكبيرة التي كان عليها الإسلام في تلك الفترة، وهذا ما يريدون تغييبه دائماً.

ومن الشخصيات التي كان لها قوة ترهب نفوس الكفار شخصية الفارس محمود بن عبد الجبار بن راحلة، أحد بني طريف، عاش أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقاد معركة حامية ألفونسو الثاني ومعه فريق من جيشه عام (٢٢٥ هـ = ٨٤٠ م)، وجرت بينهم معركة غير متكافئة، قاتل فيها ابن راحلة بشجاعة فائقة، وحين كان يحارب في المعركة اصطدم فرسه

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٤٧-٤٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٤٨-٥٠).

بشجرة فسقط من عليه مَيِّتًا، ولم يستطع أحد من فرسان العدو أن يقترب منه مخافة أن تكون حيلة منه أو كمينًا لهم^(١).

رابعًا: جهود الدكتور الحجى في توضيح الفرق بين التفسير الإسلامي والتفسير الغربية للتاريخ الإسلامي:

يوضح الدكتور الحجى أولاً أن هناك فرقًا بين الإنسان المسلم وغيره، فالمسلم له ما يميزه، وذلك مستمد من تميز الإسلام، وليس من أي عوامل أخرى قومية أو جغرافية أو وراثية، فلا بد أن يكون تاريخه ودراسته متميزة بميزة الإسلام^(٢).

كما أن هناك منطلقاتٍ مختلفةً في قراءة التاريخ الإسلامي بين المسلمين وغيرهم، فهناك اختلاف فكري وثقافي بين المؤرخ المسلم وغيره، بل في الولاء أيضًا، فالمؤرخ الإسلامي يؤمن بالإسلام وكل الكيانات التي قامت به وعليه، وولأوه للإسلام وحده وليس لشيء آخر، كما أن النظرة إلى الشرائع السماوية والموقف منها يختلف بين المسلمين وغيرهم؛ فغير المسلمين لا ينظرون إلى الإسلام كما ينظر المسلمون إلى الشرائع الأخرى؛ وبذلك يتبين أن هناك إشكالياتٍ متعددةً في تناول المستشرقين ومن سار على دربهم من أبناء المسلمين لأحداث التاريخ الإسلامي^(٣).

ودراسة التاريخ الإسلامي تختلف عن دراسة التفاسير الغربية، ويتمثل هذا الاختلاف في نقاط أهمها:

- (١) انظر: تأمل واعتبار: قراءات في حكايات أندلسية، عبد الرحمن الحجى (ص ١١٦).
- (٢) انظر: التاريخ الإسلامي: رصد مساره، وسير أغواره، الحلقة (٣)، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٥).
- (٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤).

- ١- أن التفسير الإسلامي مستمد من أصول الإسلام، متميز بالمنهج الرباني الفريد، بخلاف التفاسير الغربية التي نبعت من فلسفة مادية وضعية من صنع البشر.
- ٢- أن التفسير الإسلامي شامل لكل جوانب الحياة، ويضع في دراسته الإنسان والمجتمع والحركة الاقتصادية والعسكرية وحركة الدولة، فهو تاريخ لا يركز على جانب واحد من حياة المجتمع الذي يدرسه^(١).

(١) انظر: التاريخ الإسلامي رصد مساره، وسبر أغواره، الحلقة (٣)، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٥).

المبحث الثاني

جهوده في خدمة السيرة النبوية

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم السيرة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تأريخه لحياة النبي ﷺ قبل البعثة.

المطلب الثالث: المرحلة المكية.

المطلب الرابع: المرحلة المدنية.

المطلب الأول:

مفهوم السيرة النبوية

تعريف السيرة لغويًا:

تطلق السيرة في اللغة على السنة، والطريقة، والحالة، والهيئة، وفي التنزيل العزيز:

﴿سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١]، وسيرة رسول الله ﷺ أي: سنته، ويقال: سِيرَ سيرة

أي: حَدَّثَ أحاديث الأوائل (١).

تعريف السيرة اصطلاحًا:

بان من التعريف اللغوي أن السيرة تطلق على السنة، ويرى بعض العلماء أن السيرة

النبوية تدخل في تعريف الحديث (٢).

والحديث أو السنة عند المحدثين: "ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو

صفة" (١).

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٢١٣٩/٥)، ومعجم

مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٦١/٣)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من

الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف مُجَدِّد

عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط (١) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (٥/٣٢٩٠)،

ومختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله مُجَدِّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ مُجَدِّد،

المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت، وصيدا، ط (٥) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (ص ١٥٩)، ولسان العرب، ابن

منظور (٤/٣٨٩-٣٩٠).

(٢) انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مُجَدِّد جمال الدين بن مُجَدِّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص ٦٣-٦٤).

وقيل هي: "كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة حَلْقِيَّة أو حُلْقِيَّة، أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء، أو بعدها"، والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي(٢).

أما المؤرخون فالسيرة عندهم هي: "أخباره ومغازيه ﷺ"(٣).
وبهذا نستطيع أن نقول في تعريف السيرة اصطلاحاً: "هي دراسة حياة النبي ﷺ، وبيان أخلاقه وصفاته وخصائصه ودلائل نبوته، وأحوال عصره"(٤).
وهي أيضاً: "الموسوعة الشاملة لكل ما يتعلق بأحوال النبي ﷺ، وأخلاقه، ومعاملاته، وصفاته، وهدايته لأمته"(٥).

(١) انظر: السنة قبل التدوين، مُجَّد عجاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(٣) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (ص ١٦)، وخبر الواحد وحجتيه، المؤلف: أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط(١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (ص ٦١)، والسنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقران الكريم، المؤلفة: شيخة بنت مفرج المفرج، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (ص ٩)، و المستشرقون والسنة، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الريان، بيروت، لبنان، (ص ٢٦).

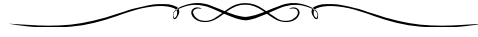
(٢) ينظر: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، مُجَّد صامل السلمي وآخرون، دار روائع المملكة، جدة، ط(٢) ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، (ص ٢٠).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، مُجَّد بن مصطفى بن عبد السلام الديسي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، عام: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، (ص ٤).

والسيرة النبوية شرح عملي وتصوير للقرآن الكريم كله، وهي الصورة والمشاهد والمقاصد والمراسد والمواقف التي أقامتها تعاليم الإسلام في القرآن الكريم والسنة المطهرة كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (١).



(١) السيرة النبوية الشريفة: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤٨).

المطلب الثاني:

تأريخه لحياة النبي ﷺ من الولادة إلى البعثة

أولاً: نسبه:

النبي ﷺ هو سيد ولد آدم كما جاء في الحديث الصحيح^(١)، وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شيبه بن هاشم، واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف: المغيرة بن قصي، واسم قصي: زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كما ذُكِرَ في سير ابن هشام^(٢).

وقد ذكر الدكتور الحجي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ هذا الترتيب مُتَّفَقٌ عليه، محفوظ بإجماع الأئمة والعلماء، فالنبي ﷺ ينتهي نسبه إلى عدنان الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم أبي الأنبياء السَّلَواتِ^(٣).

ويؤكد ما قاله الدكتور الحجي قولُ ابن حبان: "إلى هنا ليس بين النسابة خلافٌ فيه، ومن عدنان هم مختلفون فيه إلى إبراهيم"^(٤).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم (٢٢٧٨)، (١٧٨٢/٤).

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢-١/١).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن علي الحجي (ص ٨٣).

(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان مُجَد بن حبان بن أحمد بن حبان، صحَّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك، وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية، بيروت، ط(٣) ١٤١٧هـ، (٤٠/١).

ثانيًا: مولده:

وُلِدَ النبي ﷺ يوم الاثنين؛ لقول النبي ﷺ عندما سئل عن صيامه يوم الاثنين: «ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، وفيه أُنزِلَ عَلَيَّ» (١).

وقد قال ابن كثير رحمته الله: "وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد ﷺ يوم الاثنين" (٢).
ولا خلاف في أن مولده كان عام الفيل، قال ابن القيم رحمته الله: "لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل" (٣).

وقد ذكر الدكتور الحجي حكمة ولادة النبي ﷺ في ذلك العام الذي كان تاريخًا مهمًا في حياة العرب قبل الإسلام فقال: "وإنه لمن الممكن اعتبار مولد الرسول الكريم ﷺ أكبر إرهاب مبرك بقرب نبوته، ولادة اقترنت بها أحداث منبهة قاطعة مثل حادثة الفيل، في العام الذي حمل هذا الاسم، وأضحى تاريخًا عند العرب قبل الإسلام شهيرًا، بحدث غير اعتيادي، استمروا يذكرونه ويتذكرونه مع استعماله وبدونه، ولذلك أهمية كبرى، ولعل فيه حكمة على أن هذا الحدث ذا السنة الخارقة يبقى معروفًا ومذكورًا لمن شاهده أو سمع به، مثولا في الذاكرة والخاطرة، مثلما لمن كان ناظره، وفيه كانت هذه الولادة الكريمة الميمونة المباركة لأهل الأرض أجمعين" (٤).
وقال عن اقتران ولادة النبي ﷺ بحادثة الفيل: "لكنه إشارة من الله تعالى لهذه الولادة الكريمة، وما جرى فيها من معان، كان منها التكريم لتلك الولادة، والتنويه بها، وإظهار

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والاثنين والخميس، رقم ١٩٨ (١١٦٢)، (٨٢٠/٢).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (٣/٣٧٤).

(٣) زاد المعاد، ابن القيم (١/٧٤).

(٤) السيرة النبوية الشريفة: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٧٤-٢٧٥).

مكانتها، والإعلاء لشأنها وما تنتظرها، فاحتملت قصة الفيل فضيلة النصر الذي أراده الله، وتم بمعجزة منه ﷺ" (١).

أما تاريخ يوم ولادته ﷺ من شهر ربيع الأول ففيه اختلاف وأقوال، أورد ابن كثير منها يوم الثاني، ويوم الثامن، ويوم العاشر، ويوم الثاني عشر، ويوم السابع عشر، ويوم الثاني والعشرون، وذكر أن يوم الثاني عشر من ربيع الأول هو المشهور عند الجمهور (٢).

وقد اختار الدكتور الحجى ﷺ المشهور عند الجمهور، وهو أن ولادته كانت يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل، وقال: "كانت ولادة الرسول الكريم المباركة الميمونة ﷺ أسعد يوم طلعت عليه الشمس، إنباء إشارة وبشارة بيوم الفرج والفرح والإسعاد؛ لانفكك الإنسانية من جاهليتها؛ لذا بقي يوم الاثنين (ربيع الأول) مُهمًّا في حياة النبوة الكريمة" (٣).

ثالثاً: رضاعته ﷺ:

لم يُشِرِ الدكتور الحجى في ربيعة النبي ﷺ إلا لإرضاع حليلة السعدية له، حيث بقي عندها النبي ﷺ قرابة أربع سنوات (٤).

وقد ذكر النبي ﷺ أن ثوية جارية عمه أبي لهب أرضعته، فعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، انكح أختي ابنة أبي سفيان قال: وتحبين ذلك؟ قلت: نعم، لست لك بمخلية وأحب من شاركني في الخير أختي، فقال: «إن ذلك لا يحل لي»، فقلت: يا رسول الله، فوالله إنا نتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة، فقال: «ابنة أم سلمة؟» فقلت:

(١) المرجع السابق (ص ٢٥٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٣/٣٧٤-٣٧٥).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٨٦).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٨٧).

نعم، قال: «فوالله، لو لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي؛ إنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثوية؛ فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن»، وقد قال أحد رواة الحديث: ثوية أعتقها أبو لهب (١).

وقد ذكرت كتب التاريخ والسير أن ثوية جارية عمه أبي لهب أرضعته قبل حليلة السعدية (٢).

رابعاً: وفاة أمه وجدده عبد المطلب:

لما بلغ الرسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب في الأبواء، وهو مكان بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيه إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة، وعادت به حاضنته أم أيمن إلى مكة (٣).

وقد قال ابن حجر: "أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقول: هي أمي بعد أمي" (٤).

وبعد وفاة أمه كفله جدده عبد المطلب، وكان يُكرمه، ويُفرد به بالعناية (٥)، وقد كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيهِ؛ إجلالاً له، فكان رسول الله يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه فيأخذه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب المراضع من المواليات وغيرهن، رقم (٥٣٧٢)، (١٦٧/٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٤٠٦/٣).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجري (ص ٨٧-٨٨).

(٤) فتح الباري، ابن حجر (٨٨/٧)، لكن الحديث الذي ذكره ابن حجر ذكر الشيخ الألباني أنه ضعيف، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، رقم (٧٠٥٩)، (١١٦٧/١٤).

(٥) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجري (ص ٨٨).

أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: "دعوا ابني؛ فوالله إن له لشأناً"، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، وَيَسْرُهُ ما يراه يصنع (١).

ولما بلغ الرسول ﷺ الثامنة من عمره الشريف توفي جده عبد المطلب، فكفله بعده عمه أبو طالب حتى وفاته في السنة العاشرة للبعثة النبوية (٢).

خامساً: رحلاته ﷺ:

ذكر الدكتور الحجى ﷺ أن النبي ﷺ لم يخرج من مكة المكرمة غير خرجتين سريعتين، كما أنه لم ير بلاداً وأجواءً وتضاريسٍ إلا التي كانت في الجزيرة العربية، قريبة من مكة المكرمة ثم من المدينة المنورة (٣).

أما الأولى فكانت لما بلغ ﷺ اثني عشر عاماً من عمره، فقد ذهب مع عمه في قافلة تجارية إلى بصرى الشام، لم يمكث فيها غير أيام معدودة، وعاد به عمه إلى مكة مسرعاً، وكانت الثانية لما بلغ خمساً وعشرين سنة، وقد خرج إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد ﷺ (٤). وعن خروجه في تجارة خديجة ﷺ يقول الدكتور الحجى: "حين بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف عمل لخديجة بنت خويلد التي انتدبت في تجارة لها إلى بصرى الشام، هذي ثاني الخرجتين، كان برفقته ميسرة، رأى من أمانته وأخلاقه ومعاملاته عجباً، عاد لخديجة بأرباح كبيرة مما لم تعهده مع غيره، أمر دعاها أن تخطبه لنفسها" (٥).

(١) السيرة النبوية، ابن هشام (١/١٦٨).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ٨٨).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٨٨).

(٤) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (١/٧٥-٧٦).

(٥) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ٩٧).

سادساً: مشاركاته ﷺ:

يقول الدكتور الحجى رَحِمَهُ اللهُ: "لم يكن النبي ﷺ منعزلاً عن أقرانه في مجتمع مكة، بل كان يقوم بما يقومون به، وإن اختلف سلوكه عنهم؛ ذلك حتى يروه، ويكونوا له شهوداً، يعرفون نوعيته، ويعرف هو أحولهم" (١).

ومن أشهر الأمور التي شارك فيها النبي ﷺ قبل بعثته ما يأتي:

١- حرب الفجار:

لما قامت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة من جهة وقيس عيلان من جهة أخرى شارك رسول الله ﷺ في هذه الحرب مع أعمامه (٢).

وذكر الدكتور الحجى ذلك، وذكر سبب تسميتها بهذا الاسم فقال: "جرت في الشهر الحرام؛ لذلك سميت فجار، حضرها الرسول ﷺ، كان يكف النبل عن أعمامه" (٣).
وقد ذكرت كتب التاريخ والسير أن النبي ﷺ قال عن مشاركته في هذا اليوم: «كنت أنبل على أعمامي»، أي: أُرِدُّ عَنْهُمْ نَبْلَ عَدُوِّهِمْ إِذَا رَمَوْهُمْ (٤).

وقد قال مؤلف كتاب (ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية): "وابن إسحاق ذكر القصة بدون إسناد، وذكرها الذهبي عنه كما في السيرة من (تاريخ الإسلام)، وابن كثير كما في (البداية

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ٩٦-٩٧).

(٢) السيرة النبوية من البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٦م، (١/٢٥٥).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ٩٠).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/١٨٦)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (١/٥٠٦)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٣/٤٥٣).

انظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، محمد بن عبد الله العوشن، دار طيبة، (ص ١٦-١٧).

والنهاية)، ورواه ابن سعد عن الواقدي وفيه: قال رسول الله ﷺ - وذكر الفجار - فقال: «قد حضرته مع عمومتي، ورميت فيه بأسهم، وما أحبُّ أي لم أكن فعلت»، والواقدي متروك، وسكت عنها الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على (فقه السيرة) للغزالي رحمه الله، لكنه لم يدرجها في (صحيح السيرة النبوية)، ولم يذكرها الشيخ محمد بن رزق الطرهوني - حفظه الله تعالى - في (صحيح السيرة)؛ فدلَّ على عدم صحتها عندهما، وقال الدكتور أكرم العمري - حفظه الله تعالى -: (ولم يثبت أن رسول الله ﷺ شهدها).

مما سبق يتبين أنه لم يثبت اشتراكه ﷺ في حرب الفجار، ففعل الله تعالى عصمه من المشاركة في هذه الحرب التي وقعت في الأشهر الحرم، والله أعلم^(١).

٢- حلف الفضول:

ذكر رسول الله ﷺ أنه حضر حلف الفضول في دار ابن جدعان؛ ردًّا للظلم، وحمايةً للمظلوم وإنصافًا له من الظالم كما ذكر الحجي^(٢).
وقد قال رسول الله ﷺ: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"^(٣).

(١) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، مُجَّد بن عبد الله العوشن (ص ١٦-١٧).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٩٠).

(٣) أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب إعطاء الفيء على الديوان، رقم (١٣٢١١)، (١٣/٣٤٤-٣٤٥).

وقد صحَّح الإمام ابن الملقن هذا الحديث، وذكر أنه وقع في بعض رواياته تسمية الحلف بحلف المطيبين، ونقل عن غير واحد من العلماء أن الصحيح حلف الفضول؛ لأن حلف المطيبين كان قبل مولد النبي ﷺ، انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط (١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (٧/٣٢٥-٣٢٨).

وقد قال الإمام البيهقي: " وكان سبب الحلف - فيما زعم أهل التواريخ - أن قريشاً كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان والزبير بن عبد المطلب فدعوا إلى التحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابهما بنو هاشم، وبعض القبائل من قريش... فسموا ذلك الحلفَ حلفَ الفضول؛ تشبيهاً له بحلفِ كان بمكة أيام جرهم على مثل هذا، شهده رجال يقال لهم: فضل، وفضال، وفضيل، وفضالة، وقيل: قام به رجال يقال لهم: فضل، وفضيل، وفضيل، والفضول: جمع فضل" (١).

٣- وضع الحجر الأسود:

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أنه لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة - قبل بعثته بخمس سنوات - اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة؛ لما أصابها من تصدع جدرانها، وقُسم العمل في بناء الكعبة بين القبائل، وتولت كل واحدة منها ناحية من نواحي الكعبة، فجعلوا بينها بحجارة الوادي، ولما بلغ البنيان موضع الحجر وقع خلاف بين قبائل قريش، فكلٌّ يريد أن ينال شرف رفع الحجر، حتى بلغ الأمر أن استعدوا للقتال، لولا أن اقترح عليهم أحدهم أن يُحكّموا أول داخل عليهم من أحد أبواب الكعبة، فوافقوا على ذلك، وإذا بالداخل الأول يكون محمداً صلى الله عليه وسلم، وما إن راوه هتفوا: هذا الأمين، رضينا، وما إن انتهى إليهم حتى أخبروه الخبر فقال: «هلموا ثوباً»، فأتوه به، فوضع الحجر في وسطه، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية الثوب، ثم

(١) معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ودار قتيبة، دمشق، وبيروت، ودار الوعي، حلب، ودمشق، ودار الوفاء، المنصورة، والقاهرة، ط (١) ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، (٩/٣٠٤).

ارفعوه جميعاً»، ففعلوا، فلما بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة، ووضعها في مكانه^(١)، فأنقذ الله ﷺ بالنبي ﷺ قريشاً وأهل مكة والكعبة؛ ادخارا لمستقل الدعوة الإسلامية؛ لتكون ذات علاقة بما تأتي به الأيام في علم الله جلال جلاله؛ فكان ﷺ مثلما سيكون مستقبلاً رحمة للعالمين كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] (٢).

وفي هذه القصة ظهرت حكمة النبي ﷺ، وأنه ذو عقل راجح، وحكمة بليغة، وقد كانت طريقة حله للنزاع والخلاف موفقةً وعادلةً وحكيمةً؛ لذا رضي بها الجميع، وحققت دماء كثيرة، وأوقفت حروباً طاحنة.

سابعاً: تعبه في غار حراء:

كان من عادة مفكري أهل مكة أن ينقطعوا عن الناس مُدَّةً كلما جدَّ لهم أمر، يلجأون خلالها إلى آهتهم، وإلى عقلمهم؛ بحثاً عن حل لهذا الأمر الذي يشغلهم، ووجد النبي ﷺ في هذا المسلك طريقاً يعيش فيه خلوته^(٣).

(١) هذا الخبر ذكره ابن إسحاق في سيرته، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، مُجَّد بن إسحاق بن يسار المطليبي المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط (١) ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، (ص ١٠٨-١٠٩)، ورواه عنه الطبري في تاريخه (٢/٢٨٩-٢٩٠).

وهذا الخبر ضعيف، انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، حققه وخرج رواياته وعلق عليه: مُجَّد بن طاهر البرزنجي، إشراف ومراجعة: مُجَّد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، وبيروت، ط (١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، (٥٥١/٦).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجري (ص ٩٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكّي، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ص ٣٠٢).

فقد كان ﷺ يذهب إلى غار حراء الأيام والليالي ذوات العدد، يقضي وقته في عبادة ربه، والتفكير في الكون والحياة، ولا يُعْرَفُ متى بدأ ذلك قبل البعثة النبوية الشريفة، لكن تَبَيَّنَ من خلال المتابعات أنه كان قبل البعثة بثلاث سنوات كما ذكر الدكتور الحجي ﷺ (١).
 وحديث تعبد النبي ﷺ في غار حراء صحيح، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التبعُد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك» (٢).

هكذا كانت حياته كلها قبل البعثة مكشوفة معروفة نظيفة، مختلفة عما يتم لأقرانه ومعارفه وأقاربه، لم يمارس ما يمارسونه من أمور الجاهلية (٣).

(١) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ٩٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (٣)، (٧/١)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٢٥٢)، (١٦٠)، (١/١٣٩-١٤٠).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٩٥).

المطلب الثالث:

تأريخه لحياة النبي ﷺ من البعثة إلى الهجرة

أولاً: نزول الوحي:

ذكر الدكتور الحجي أن النبي ﷺ بُعِثَ وهو ابن أربعين سنة فقال: "بعث الرسول الكريم ﷺ في مكة وهو في سن الأربعين، استمرت الدعوة الإسلامية الكريمة فيها ثلاثة عشر عامًا، توجهت بالهجرة الشريفة إلى المدينة المنورة" (١).

وقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بُعِثَ وهو ابن أربعين سنة (٢).

وقد بيّن الحجي رحمته الله أن أول ما بدئ به ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فقال: "إن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح" (٣).

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله (٤) حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١٠٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٥٤٧)، (١٨٧/٤).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١٠٥).

(٤) المرجع السابق (ص ١٠٥-١٠٦).

الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني^(١) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]»، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني^(٢) زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(٣)، وتكسب المعدوم^(٤)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءًا تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا

(١) قال ابن الأثير: "وفي حديث إبتداء الوحي «فأخذني جبريل فغطني»، الغط: العصر الشديد والكبس، ومنه الغط في الماء: الغوص، قيل: إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئًا"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف العين، باب الغين مع الطاء، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُجَدُّ الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٣/٣٧٣).

(٢) أي: لفوني، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الزاي، باب الزاي مع الميم، (٢/٣١٣).
(٣) تحمل الكل: أي: من لا يقدر على العمل والكسب، والكل العيال، وهو أحد معانيه، ويطلق على الواحد والجمع، والذكر والأنثى، وهو من الكلال أي: الإعياء، ثم استعمل في كل أمر ضائع أو أمر مثقل، ينظر فتح الباري، لابن حجر (١/١٨٠).

(٤) قال ابن الأثير: "في حديث المبعث قالت له خديجة: (كلا، إنك تكسب المعدوم، وتحمل الكل)، يقال: فلان يكسب المعدوم إذا كان مجودًا محظوظًا: أي يكسب ما يُجْرَمُهُ غيره، وقيل: أرادت تكسب الناس الشيء المعدوم الذي لا يجدونه مما يحتاجون إليه، وقيل: أرادت بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف العين، باب العين مع الدال، (٣/١٩١).

ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع^(١)، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ^(٢).

وقد ابتدئ ﷺ بالرؤيا حتى لا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية؛ فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا^(٣).

ثم تتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عليه قوله: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ (١) قُرْآنًا نَذِيرًا﴾ [المدثر: ١-٢]، وكان هذا أول ما نزل عليه بعد ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤)، وكانت سورة المدثر أمرًا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار^(٥).

فلما أمر ﷺ بإعلان الدعوة والصدع بالإنذار قام بالرسالة أتم قيام، ودعاء إلى الله القريب والبعيد والأحرار والعبيد، فأمن به حينئذ كل لبيب محب سعيد، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد، وكان أول من بادر إلى التصديق به من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق،

(١) في تعريف الجذع قال ابن حجر: "الصغير من البهائم، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابًا؛ ليكون أمكنَ لنصره، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيرًا أعمى"، فتح الباري، ابن حجر (٢٦/١).

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، رقم (٤٩٥٣)، (١٧٣/٦-١٧٤)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم ٢٥٢ (١٦٠)، (١٣٩/١-١٤٠).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، النووي (١٩٧/٢-١٩٨).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٢/١).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص ٨٩٥).

ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليها السلام، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه جميعاً كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١).

ثانياً: الدعوة السرية:

سبق في العنصر السابق أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالدعوة بقوله تعالى: قوله: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ﴾ (١) ﴿فَأَنْذِرْ﴾.

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن الدارسين اعتادوا تسمية المرحلة المكية بالمرحلة أو الدعوة السرية، ولم تكن هذه السرية إلا حفاظاً على الدعوة ومستقبلها (٢). ولا تعني السرية التي وصفت بها الدعوة في بدايتها الكتمان؛ لأن الدعوة بطبيعتها تعني تبليغ الغير أمراً لِيَتَّبِعَهُ، مع ترغيبه في الاتباع، وتخوفه من الترك، كما تفيد الدعوة الطلب المتكرر، والنصح المؤكد، وإظهار الخير، والمصلحة للمدعوين، بأساليب متعددة، وبوسائل مختلفة (٣).

ومما يدل على أن السرية لم تكن بمعنى الكتمان أن أبا بكر رضي الله عنه وهو من السابقين إلى الإسلام قد سمع قبل إسلامه من قريش أعداء الإسلام حديثهم عن الدعوة؛ فقد لقي أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد من ترك آلهتنا، وتسفيهاك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ١٠٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (ص

غيره، والموالاة على طاعته»، وقرأ عليه القرآن فلم يقر، ولم ينكر، فأسلم، وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق" (١).

وقد تعقب الإمام ابن كثير تردد أبي بكر الصديق في إسلامه الوارد في النص السابق فقال: " وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله: فلم يقر ولم ينكر منكراً؛ فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله؟!؛ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه، ولم يتلعم" (٢).

ويذكر الحجي ﷺ أن بعض الصحابة ﷺ لم يختلف بإسلامه، منهم أبو ذر الغفاري الذي سمع عن رسول الله ﷺ وهو في قومه فجاء إلى مكة، وقابل رسول الله ﷺ، فلما قرأ عليه القرآن، ودعاه للإسلام أسلم مكانه، وجاء إلى الكعبة ونادى بأعلى صوته: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، فضربه المشركون ضرباً مبرحاً، لكنه عاد لمثلها، وهذا يدل على أن قريشا كانت على علم ومعرفة بالدعوة الإسلامية الجديدة، وإن خفيت عليهم تحركاتها (٣).

وقصة إسلام أبي ذر ﷺ صحيحة؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس قال: "لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيتك يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما

(١) هذا الخبر ذكره ابن إسحاق في سيرته في قصة إسلام أبي بكر ﷺ، وهو ضعيف؛ لأنه منقطع؛ فمحمد بن إسحاق لم يذكر إسناده إلى راوي هذا الخبر، وقد نقله ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن إسحاق، وتعقب قوله: "وقرأ عليه القرآن فلم يقر، ولم ينكر"، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٤/٦٨).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (٤/٦٨).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٠٨).

هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت، فَتَزَوَّدَ، وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه - يعني الليل - فاضطجع، فرآه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قُرْبَيْتَهُ وزاده إلى المسجد، فظل ذلك اليوم ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: ما أنى للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، ولا يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه علي معه، ثم قال له: ألا تحدثني؟ ما الذي أَقْدَمَكَ هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعلت، ففعل فأخبره، فقال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل النبي ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري»، فقال: والذي نفسي بيده، لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه، فقال: ويلكم! أستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد بمثلها، وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه" (١).

ثالثًا: الجهر بالدعوة الإسلامية:

ذكر الدكتور الحجي ﷺ أنه أسلم خلال السنوات الثلاث الأولى من الدعوة الإسلامية عدد من أهل مكة، وكانوا من جميع الفئات، نساء ورجالًا وأطفالًا، وأنه فلما فشا ذكر

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب إسلام أبي ذر ؓ، رقم (٣٨٦١)، (٤٧/٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ومن فضائل أبي ذر ؓ، رقم ٣٣ (٢٤٧٤)، (٤/١٩٢٣-١٩٢٥).

الإسلام بمكة أمر الله نبيه ﷺ أن يصدع بما جاءه من الحق (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ﴾ ﴿الشعراء: ٢١٤﴾، ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا؟، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟»، قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، قال أبو لهب: تباً لك، ما جمعنا إلا لهذا!، ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] (٢).

وفي هذا يقول الدكتور الحجي رحمته الله: "لما نزلت آية سورة الحجر ﴿فَأَصْدَعُ يَمَانُومُرُ وَأَعْرَضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] أعلن الرسول الكريم ﷺ عن الدعوة الكريمة، وقف على جبل الصفا، نادى بأعلى صوته ﷺ، كانت إبداعاً عجيباً، نادى الأقبام بأسمائها، جعلوا يأتون نحوه، من لم يمكنه أرسل أحداً يستطلع له، حتى إذا اجتمعوا عليه قال لهم مبتدئاً من بديهته معلومة معروفة مسلم بها من قبلهم جميعاً، ثم بنى عليها، قال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً خلف هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً قط، قال: .فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، ثم انفضوا عنه، وقد علموه واضحاً، لم يعترض أحدٌ غير عمه أبي

(١) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١٠٨-١٠٩).

(٢) متفقٌ عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، رقم (٤٩٧١)، (١٧٩/٦)، والإمام مسلم في

صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (٣٥٥) (٢٠٨)، (١٩٣/١-١٩٤).

لهب الذي كذب، واشتد شدة مجنونة، تُعاونهُ زوجته، فأنزل الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]"(١).

رابعاً: محاربة قريش للنبي ﷺ والدعوة الإسلامية:

لما دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وصدع به كما أمره الله، وذكر آلهة قريش، وعابها - أجمع الكفار على عداوته، ومنع رسول الله ﷺ من الكفار عمه أبو طالب، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مُظهِراً لأمره، لا يرده عنه شيء(٢).

وقد ذكر الدكتور الحجي أن قريشاً وقفت أمام الدعوة بكل أسلوب مُعَادٍ مُحَارِبٍ إلى جانب التعذيب بأشكاله دون حدود، بعد أن قُرُوا من مواجهة حقائقها الغلابة على الرغم من المعجزات التي طلبوها مراتٍ، وادعوا أنها لو تمت أمامهم، وتحققت في الواقع لآمنوا(٣).

ولما لم تلق قريش نجاحاً في صرف هؤلاء الفتيان الذين أسلموا عن دينهم، ولم يَلِنُ رسول الله ﷺ، ولم يُجَاهِمِ اشتد عليهم ذلك، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم، فكذبوه، وأذوه، ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون، وتفننوا في إيذاء رسول الله ﷺ وذهبوا فيه كل مذهب.

ومما يدل على قسوة ما لاقاه النبي ﷺ من المشركين ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١١٠-١١١).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٢٦٤).

(٣) الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ١١٧).

الثعالب^(١)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: (يا مُحَمَّد، فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟)»، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٢).

وقد صدق الدكتور الحجري ﷺ إذ قال: إنه لولا صبر رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين واحتمالهم وجهادهم لام شقت هذه الدعوة المباركة طريقها، ولما صمدت أمام المحن والأحداث التي مرت بها في بدايتها^(٣).

وقد ذكر الدكتور الحجري أن قريشاً عدّبو النبي ﷺ وأصحابه، بل وصل الأمر إلى قتل بعضهم، يقول الحجري: "هكذا امتلأ العهد المكي بالمخاضات المغرقة المتشابكة، المتجاوزة لكل الاعتبارات والمواجهات، لكن الرسول الكريم ﷺ كان متوقعاً لها، مستعداً لخوضها، عارفاً مدرّكاً أعباءها، وأنه لا راحة منذ يوم الرسالة الأول، بلغت مبلغاً عظيماً حد الفتك والإخراج، بل والقتل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]"^(٤).

(١) قرن الثعالب: بسكون الراء، ويسمى أيضاً قرن المنازل، وهو موضع يُخْرَمُ منه أهل نجد، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف القاف، باب القاف مع الراء، (٤/٥٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤/١١٥) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، رقم (٣٢٣١)، (٤/١١٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم ١١١ (١٧٩٥)، (٥/١٨١).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجري (ص ٩٩).

(٤) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجري (ص ٨٠).

ومن صور أذى المشركين للنبي ﷺ ما فعله به أهل الطائف، فإنه لما آذت قريش النبي ﷺ أشدَّ الأذى خرج إلى الطائف يلتمس النصرة راجياً أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله ﷻ.

يقول الحجي ﷺ: "ثم كانت هجرة الطائف، هاجرها رسول الله ﷺ وحده، كانت بحثاً عن أرض جديدة للإسلام، وقوم آخريين يدعون إليه، ودوما يشق الإسلام مسالك لتتقدم دعوته، وتنتشر، ويدخلها الناس محبين" (١).

لكن أهل الطائف لم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونهم، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبله من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، فلما اطمان رسول الله ﷺ قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» (٢).

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٤٦).

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام (١/٤٢٠)، وقد ضَعَّفَ الشيخ الألباني هذا الحديث، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم (٢٩٣٣)، (٦/٤٨٦-٤٨٧).

لقد سلك ﷺ كل سبيل لأداء هذه الأمانة التي هيأه الله تعالى لأدائها على أكمل وجه، ويظهر ذلك فيما جرى له في الطائف، وفي دعائه العجيب، بفيض مدلوله الباهر كما يذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١).

إن الشجاعة تتجسد في مناداة الرسول الكريم ﷺ بدعوة مخالفة تمام المخالفة لكل ما عند العرب وقريش خاصة التي عرفت بسطوتها وقوتها، وقد كانت دعوته تثيرهم ضده، وكان يعلم أنه سيلاقي كل صنوف العذاب، وأنواع التنكيلات البدنية والنفسية، وكل ألوان الإغراء والفتن، ومع ذلك كان صموده رحمته الله قوياً راسحاً طيلة فترة المواجهة مع المشركين في مكة وغيرها، وما أعظم صبره وتحمله يوم الطائف حين ذهب إليها في السنة العاشرة للبعثة لعرض الإسلام على أهلها، فقابلوه بالإهانة والطرده والضرب بالحجارة، حتى دميت قدماه الشريفتان، وما أعظم ما خاطب به ربه رحمته الله يومها كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (٢).

وقد ذكر نماذج من تعذيب المشركين وقتلهم للمسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، منها ما يأتي:

١ - قتل ربيب النبي ﷺ الحارث بن أبي هالة:

ذكر الدكتور الحجي أن قريشاً تعرّضوا للنبي ﷺ بالأذى لما صدع بما أمره الله في المسجد الحرام، فوصل الصريخ أهله، فكان أول من أدرك النبي ﷺ ريبه الحارث بن أبي هالة فدافع عنه حتى عطفوا عليه فقتلوه رحمته الله، فاستشهد تحت الركن اليماني، وكان أول شهيد من الرجال (٣).

(١) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجي (ص ٨٣).

(٢) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٠-٣١).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ١١٤).

وقد ذكر ابن حجر هذه الرواية في ترجمة الحارث بن أبي هالة، ونقل رواية عن عثمان بن مظعون تذكر أن عدد المسلمين لما استشهد الحارث كان أربعين رجلاً^(١).

٢- قتل السيدة سمية والدة عمار بن ياسر رضي الله عنه:

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله ما جرى لسمية وزوجها ياسر وابنها عمار؛ فقد كان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهم، ويقول: "صبرا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة"، وقد هددوا أم عمار لترجع عن الإسلام فأبت، فطعنها أبو جهل لعنه الله في موطن عفتها، وألحقوا بها زوجها إغراقاً بالماء^(٢). وقد قال ابن حجر عن سمية والدة عمار بن ياسر: "كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبو جهل وطعنها في قبلها فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة فزوجه سمية، فولدت له عمارة فأعتقه، وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبق إلى الإسلام"^(٣).

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال؛ فإنه هانت

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (١/٦٩٦).

(٢) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى، (ص ١٢٠).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٨/١٩٠).

عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول أحد أحد" (١).

٣- تعذيب بلال بن رباح رضي الله عنه:

يقول الدكتور الحجري رحمته الله: "وهذا بلال العبد الحبش الذي أعتقه فيما بعد أبو بكر الصديق، والذي قال فيه عمر بن الخطاب: (أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا) (٢) كان عبدًا لأمية بن خلف، يُعَذِّبُهُ تعذيبًا يُفْري صاحبه، وكان بإمكانه أن ينجو من ذلك بكلمة يقولها بفمه إرضاء لقريش، لكنه على العكس كان يُكْرِرُ دوما وهم يعذبونه، ويصرخ بها في وجوههم: (أحد أحد)، وإنه لو يعرف كلمة في الإسلام تُقال أشد منها عليهم لقالها" (٣).

وقد سبق في السطور السابقة قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واثم على ما أرادوا إلا بلال؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول أحد أحد".

٣- تعذيب خباب بن الأرت رضي الله عنه:

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم (٣٨٣٢)، (٣٨٢/٦)، وقد حسن إسناده محققو المسند.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح رضي الله عنه، رقم (٣٧٥٤)، (٢٧/٥).

(٣) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٢٤-٢٢٥).

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت قال: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه، فَيُجَاءُ بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله، لَيَتَمَنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمته الله هذا الخبر فقال: "وكان أهل الدعوة في ضيقٍ لا يدعو للأمل لولا نصر الله، إلى درجة أن أحد أوائل المسلمين وهو خباب بن الأرت جرى معه مثل هذا، فيحدثنا عنه بقوله: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شِدَّةً، فقلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم يُؤخَذُ الرجل، فيُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فَيُجَاءُ بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصرفه عن ذلك، والله، لَيَتَمَنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(٢).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمته الله دلالة خبر خباب بن الأرت رحمته الله بقوله: "هذا الخبر يدل على استعداد لا حدود له لتحمل لو حدث مثل هذا، يكون بذلك قدوة احتمال واستعداد لا يتأتى إلا بهذا الإيمان القوي الذي يمنحه دينٌ عظيمٌ، ليس فقط مُتَجَرِّدًا من كل انتظار، أو رغبة لنفع، بل لاحتمال لا نهاية له؛ مما يشير إلى أن الأمر إيمانٌ بالدين عميقٌ، يمنح هذه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٢)، (٤/٢٠١).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٢٨-٢٢٩).

الطاقة والمكنة العالية، متجهة إلى الله تعالى، تسمو على كل أمور الدنيا، وأنه ﷺ مثال وقدوة وأسوة حسنة لهذا ولغيره" (١).

هكذا كان حال صحابة رسول الله من الثبات على الإسلام، يقول الحجي ﷺ "رغم عدم اكتمال الإسلام نزولاً بصيغته الكاملة في العهد المكي؛ حيث كان ما يزال في أوله، يرى وقتها أن كل من أسلم نساءً ورجالاً وأطفالاً من كل الفئات يقع تحت طائلة التعذيب، مع ذلك كان إيمان أحدهم من القوة بحيث يستجيب لكل الأوامر الإلهية، ويثبت عليها بأعلى درجة" (٢).

خامساً: الهجرة إلى الحبشة:

عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة، وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفُتِنُوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في مَنَعَةٍ من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده؛ فالحقوا ببلادته حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه» (٣).

وقد ذكر الدكتور الحجي ﷺ هجرة المسلمين إلى الحبشة، وعدد من هاجروا فقال: "كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب السنة الخامسة للمبعث النبوي الشريف، خرج ستة عشر نفرًا، عدد المهاجرين للحبشة الهجرة الثانية نحو مائة نساءً ورجالاً وأطفالاً، تلك التي تمت أوائل السنة السادسة للمبعث النبوي الشريف، قبل الخروج من دار الأرقم بن أبي الأرقم، يكون

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١٢١).

(٢) المرجع السابق (ص ١١٥).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب الإذن بالهجرة، رقم (١٧٧٩٣)، (١٨/٢٩-٣٠)، وَجَوَّدَ إسناده الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، رقم (٣١٩٠)، (٧/٥٧٧-٥٧٨).

جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين المهجرتين الثانية سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارًا أو وُلِدُوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة، هذا يعني أن أكثر المسلمين هاجروا إلى الحبشة" (١).

وهكذا تمت هجرتان متتابعتان إلى الحبشة، وقد لاحقت قريش المهاجرين إليها؛ لإعادتهم، لكنهم فشلوا في كل ذلك، وعادوا خائبين (٢).

سادساً: إسلام عمر بن الخطاب:

كان النبي ﷺ يتشوف لإسلام عمر بن الخطاب؛ لما يرجوه بإسلامه من خير للإسلام والمسلمين، فكان يدعو: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بأبي جهل أو عمر بن الخطاب»، وكان أحبهما إليه عمر (٣).

وقد ذكر الدكتور الحجي رَحِمَهُ اللهُ قصة إسلام عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ، واستشهد بها على حفاظ المسلمين على سرية الدعوة؛ فقد خرج عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ مُتَقَلِّدًا سيفه ذاهبًا إلى رسول الله ﷺ ليقتله، فرآه في الطريق نعيم بن عبد الله بن النجم، فسأله: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا، هذا الصابئ الذي فَرَّقَ أمر قريش، وَسَقَّه أَحلامَهَا، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله، قال نعيم: والله لقد غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٢٣).

(٢) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجي (ص ٩١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ، رقم ٣٦٨١، (٥٦/٦)، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٩٩٦م، وَقَوَّى الحافظ ابن حجر هذا الحديث بشواهد، انظر: فتح الباري، ابن حجر (٤٨/٧).

على الأرض وقد قتلت محمدًا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال خنتك وابن عمك؛ فقد والله أسلما.

يقول الدكتور الحجي رحمته الله "انظروا نُعَيْمًا، تَسْلَسَلْ مُتَدَرِّجًا منسابا في الحديث مع عمر؛ ليصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن عمر يعرف بإسلام نعيم وهو قريبه، بل ولا بإسلام أخته فاطمة، وزوجها سعيد ابن عمه" (١).

لقد قصد الدكتور الحجي بذكر هذه الحادثة التأكيد على حرص المسلمين على إخفاء إسلامهم، وممارسة العبادة في سرية تامة، لدرجة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يعرف إسلام أقرب المقربين إليه.

فرجع عمر عامدًا إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينة التي سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئًا، قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما مُجَّدًا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا، وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفا، أنظر ما هذا الذي جاء به مُجَّد، وكان عمر كاتبًا، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بأهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته

(١) الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ١١٧).

الصحيفة، فقرأ ﴿طه﴾ [طه: ١] إلى قوله ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه؛ فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»، فإله الله يا عمر، فقال له عند ذلك عمر: فدلي يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرغ، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «أئذن له»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حجزته -أو بمجمع رداءه-، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: «ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله، ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة»، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم، ففرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهم^(١).

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (١/ ٣٤٣-٣٤٦).

ولقد كان إسلام عمر بن الخطاب عزًّا أعز الله به الإسلام والمسلمين، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "مازلنا أعزة منذ أسلم عمر" (١).

سابعاً: صحيفة المقاطعة:

لم تجد قريشُ أمام ثبات الصحابة الكرام، واستمرار الدعوة بالتقدم بإقبال العقلاء عليها إلا أن تقرر كتابة صحيفة المقاطعة الظالمة الآثمة الماحقة الساحقة كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٢).

ولما رأت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد عزوا بإسلام عمر بن الخطاب أجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني عبد مناف ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم؛ حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة، وكان هذا في الأول من شهر المحرم سنة سبع للبعثة (٣).

يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "لما لم تجد قريش إمكانية أن تثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لجأت إلى المقاطعة، حيث حصرت المسلمين في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ؛ ليَجْبِرَهُمْ على تسليم رسول الله إليهم ليقتلوه" (٤).

ويؤكد الدكتور الحجى على أن الهدف من هذه المقاطعة لم يكن مجرد حرمان المسلمين من الطعام والشراب وغيرهما، وإنما كان هدفهم الضغط على المسلمين وبني هاشم وبني عبد مناف لتسليم رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لقتله، لكن نجوم الضحى كانت أقرب لقريش من ذلك، وقد

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم (٣٦٨٤)، (١١/٥).

(٢) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى (ص ٩١).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر (١٩٢/٧).

(٤) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٩٩).

تحمل المحاصرون جميعاً هذا الأذى الشديد، فأما المسلمون فقد تحملوه إيماناً واحتساباً، وأما البقية فتحملوه قرابةً وحميةً ومشاركةً، ومن الكفار من هادن المقاطعين معاونةً وتعاطفاً، وقد استمرت المقاطعة ثلاث سنوات مثقلة، من السنة السابعة حتى السنة العاشرة للبعثة النبوية الشريفة، قبل الهجرة الكريمة بثلاث سنوات، تليها متتابعة ثلاث أخرى مثلها، وفي هذه المحنة الشديدة أكل المحاصرون خلال المقاطعة أوراق الشجر، وشدوا على بطونهم الحجر، وكان رسول الله ﷺ أكثرهم تحملاً واحتمالاً وإقداماً، وهكذا تكون القدوة دائماً (١)، ومن ناله الأذى خديجة بنت خويلد المجاهدة الأبية الوفية، الغنية المترفة المدللة، المؤمنة التي أُرهِقَتْ بدنياً، وكانت تجاوزت الخامسة والستين من عمرها المبارك، متعجبة مستغربة مندهشة من القسوة التي تصل هذا المستوى من النكران لمن يدعوهم إلى الخير بالقرآن المنزل من الواحد الديان (٢).

يقول الدكتور الحجي رَحِمَهُ اللهُ: "ففي المقاطعة التي أرادتها قريش ضد المسلمين، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في جوف الكعبة؛ لحصار المسلمين ومن عاونهم من بني عبد المطلب وإجاعتهم حتى يسلموا لهم محمدًا ﷺ، وفي هذا تصحيح لما هو معروف من أن هذه المقاطعة كانت لإجاعتهم، بل هو حتى يسلموهم محمدًا ﷺ ليقتلوه، وبذلك ينتهون من هذا الأمر؛ أمر الإسلام ودعوته، وكان ابتداء هذه المقاطعة من ليلة هلال المحرم من سنة سبع للبعثة ولمدة ثلاث سنوات إلى السنة العاشرة، وظهرت في ذلك المعجزات المادية والمعنوية في الصبر والإصرار والتقوية" (٣).

(١) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجي (ص ٩٢).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١٢٦).

(٣) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٩١).

ومن أمارات النبوة التي حدثت في هذه المقاطعة أن رسول الله ﷺ قد أخبر أن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو الله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان، فأخبر رسول الله عمه بذلك فقال: فو الله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهاوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذبًا دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شراً، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا^(١).

لقد أثبتت هذه المقاطعة قوة الإسلام وأتباعه، وضعف قريش والمشركين، وفي هذا يقول الدكتور الحجى رحمته الله: "لعل المقاطعة وغيرها من الوسائل القاسية وموقف المسلمين وثباتهم خير دليل على نصاعة الإسلام وقوته وسموه ونوعية أتباعه، كما هو دليل على إخفاق قريش والمشركين وعجزهم وإفلاسهم"^(٢).

ثامناً: عام الحزن:

سُمِّي العام الذي توفيت فيه السيدة خديجة رحمها الله وأبو طالب عم النبي ﷺ عام الحزن، قال الدكتور الحجى رحمته الله: "هذه خديجة المحبة المشفقة الحانية على رسول الله ﷺ، قضت بعد إنهاء المقاطعة، بعد أبي طالب بأيام؛ لذلك كان له أثر بالغ على الرسول ﷺ، حتى سمي ذلك العام العاشر للبعثة النبوية الشريفة: عام الحزن"^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٣٧٧/١).

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٣).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٢٦).

وقد تَتَابَعَتْ على رسول الله ﷺ المصائب بموت السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وموت عمه أبي طالب الذي كان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعاً وناصرًا على قومه، وقد نالت قريش من رسول الله ﷺ بعد موت عمه من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابًا، فلما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بنية؛ فإن الله مانعٌ أباك»، ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»^(١).

الإسراء والمعراج:

إن أحد أهداف رحلة الإسراء والمعراج كان التسرية عن النبي ﷺ وتسليته بسبب حزنه على زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب، يقول الدكتور الحجي رحمته الله: "من ثم كانت رحلة الإسراء والمعراج من أجل تسلية الرسول الكريم ﷺ والتسرية عنه ورعايته"^(٢).

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه»، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء»، قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر

(١) السيرة النبوية، ابن هشام (٤١٦/١).

والحديث أخرجه الإمام الطبري في تاريخه (٣٤٤/٢) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: لما نثر ذلك السفيه التراب على رأس رسول الله ﷺ... الحديث، وقد ضعف الذهبي هذا الحديث فقال عنه: "غريب مرسل"، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩٣/١).

(٢) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٢٨).

وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء»، وذكر الحديث مطوَّلاً، وفيه التقى النبي ﷺ بإخوته من الأنبياء والمرسلين، وفيه فرض الصلوات الخمس (١)، والحديث في صحيح البخاري أيضاً لكن ليس فيه الإسراء (٢).

وكانت رحلة الإسراء والمعراج في يوم الاثنين ليلة السابع والعشرين من شهر رجب بالروح والجسد، من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى والعودة إلى مكة المكرمة في نفس الليلة كما ذكر الدكتور الحجي ﷺ (٣).

والقول بأن هذه الرحلة كانت بجسد النبي ﷺ وروحه هو مذهب جمهور السلف والخلف، قال الإمام ابن كثير ﷺ: "وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه، كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج، وغير ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة؛ فدل على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما، وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له؛ إذ ليس في ذلك كبير أمر؛ فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا مناماً" (٤).

تاسعاً: ارتياد الأسواق والمواسم للدعوة إلى الله:

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماء، وفرض الصلاة، رقم ٢٥٩ (١٦٢)، (١٤٥/١-١٤٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم (٣٨٨٧)، (٥٢/٥-٥٤).

(٣) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ٩٩-١٠٠).

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير (٤/٢٨١-٢٨٢).

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص جدًّا على ارتياد الأسواق والمواسم والحج، وكان ربما ابتداءً ذلك بعد الخروج من دار الأرقم بن أبي الأرقم أو بعد هجرة الحبشة الثانية خلال السنة السادسة للبعثة النبوية^(١).

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل أيام المواسم، ويقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»، فأتاه رجل من همدان فقال: «ممن أنت؟»، فقال الرجل: من همدان، قال: «فهل عند قومك من منعة؟» قال: "نعم"^(٢).

وعن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا يسكت، يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، إلا أن وراءه رجلًا أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يُكذِّبُهُ؟ قالوا: عمه أبو لهب"^(٣).

وفي هذا يقول الحجى رحمته الله: "كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعرض الدعوة في المواسم كافة، في كل أماكن اللقاء من الأسواق والمناسبات والحج، لا سيما بعد أن بدت مكة صعبة التجاوب، لقد تحجرت أرضها، أسلم من أهلها من قد أسلم، السنوات الأخيرة من العهد المكي قل الداخلون إلى الدائرة الإسلامية المنيرة، بل إن قريشًا زاد عنادها واضطهادهم لأتباعها وحرهم

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ١٢٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله، رقم (١٥١٩٢)، (٣٧٠/٢٣-٣٧١)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط البخاري".

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه، رقم (١٦٠٢٣)، (٤٠٤/٢٥-٤٠٥)، وقال محققو المسند عن هذا الحديث: "صحيح لغيره، وهذا إسنادٌ حسنٌ".

لها، لاسيما بعد الهجرة إلى الحبشة وإسلام من أسلم وقويت بهم الجبهة الإسلامية، حتى أخذت وسائلهم أكثر عنفا وقسوة بل ووحشية" (١).

وذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن الكل - حتى من استحسناها، ورأى فيها دليل النبوة الصادقة - كاد أن يعرض عن الدعوة الإسلامية الكريمة، ويرفض قبولها؛ حسابا لمكانة قريش وتأثيرها ومتابعة الناس عموما لها كما يذكر الدكتور الحجي (٢).

ولقد أثمرت دعوة النبي صلوات الله عليه في الأسواق والمواسم؛ فقد التقى في السنة الحادية عشرة بسة من أهل المدينة، فدعاهم إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأمنوا كلهم حالا، وعادوا إلى المدينة ينشرون دين الله تعالى، ليقدم في موسم الحج العام التالي اثنا عشر رجلاً مسلمين، ويأبوعوا الرسول صلوات الله عليه بيعة العقبة الأولى، ثم عادوا إلى المدينة برفقة مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فهكذا انتشر الإسلام في المدينة المنورة (٣).

وفي السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية الشريفة قدم خمسة وسبعون من أهل المدينة إلى الرسول صلوات الله عليه ليأبوعوه بيعة العقبة الثانية، يأتي إليهم، ويحمنونه مما يحمنون منه أنفسهم وأهليهم وديارهم (٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: مكث رسول الله صلوات الله عليه بمكة عشر سنين، يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة (١)، وفي المواسم بمنى يقول: «من يؤوبني، من ينصرتني حتى أبلغ رسالة

(١) الإشارات والبشارات ، عبدالرحمن الحجي (ص ١٢٥).

(٢) انظر: دولة المدينة المنورة ، عبدالرحمن الحجي (ص ٩٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٤/٣٧٥-٣٧٧).

(٤) زاد المعاد، ابن القيم، (٤١/٣).

ربي وله الجنة؟»، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش، لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله له من يثرب فأويناه، وَصَدَّقْنَا، فيخرج الرجل منا فيؤمن به، ويُقْرئُ القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دارٌ من دُورِ الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعًا فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلًا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعبَ العقبة، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله، عَلَامَ نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم، وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة»، قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - فقال: رويدًا يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإذا أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينًا فَبَيَّنُوا ذلك؛ فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا، ولا نسلبها أبدًا، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا، وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة» (٢).

(١) مجنة: كان أحد أسواق العرب في الجاهلية، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص (٢٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله ب، رقم (١٤٤٥٦)، (٣٤٦/٢٢ - ٣٤٨)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

عاشراً: الهجرة إلى المدينة:

بعد بيعة العقبة الثانية بدأ الاستعداد للهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة؛ مدينة الإيمان والمحبة والسلام، حيث أقيمت دولة الإسلام لأول مرة في هذه الأرض كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (١).

فقد هاجر المسلمون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة عندما وجدوا لهم إخواناً يؤوئهم، ويناصروهم، ويستقرون عندهم، وحين علمت قريش بذلك بدأت تُعدُّ العدة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم، ووضعت أعنف خطة لتنفيذ الذي اتفقوا في دار نذوتهم، فقد جهَّزوا أربعين شاباً، أخذوا من كل قبيلة واحداً، ليضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة رَجُلٍ واحدٍ؛ فيضيع دمه بين القبائل، لكن الله تعالى تكفَّل بحمايته، ورد كيدهم في نحورهم خائبين مخذولين، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بينهم إلى بيت الصديق؛ ليخرجا معاً باتجاه جبل ثور (٢).

ولما علمت قريش بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة أخذت تطارده في كل اتجاه، وبما أن المدينة المنورة تقع شمال مكة المكرمة فمن المفترض أن يأخذ السير اتجاهها نحو الشمال، لكن الحكمة اقتضته أن يتجه جنوباً؛ لذلك تكون قريش قد جاست أنحاءها تلك دون جدوى، وذكر الدكتور الحجى رحمته الله أنه على الرغم من حرص قريش على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وما لاقاه منهم من أذى إلا أنه حرص على رد ودائعهم التي أودعوها عنده صلى الله عليه وسلم (٣).

وتروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها ما حديث في الهجرة، فتذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين: «إني أُرِيْتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبدالرحمن الحجى (ص ١٣٤-١٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص ١٠١).

(٣) المرجع السابق السابق (ص ١٠٢).

قَبِلَ المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قَبِلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك؛ فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر -وهو الخبط- أربعة أشهر، فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهرية قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَقَنَّعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله، ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أُخْرِجْ من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أُذِنَ لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالمثل»، قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب^(١)، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فَكَمِنَا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقن^(٢)، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ، فلا يسمع أمرًا يكتادان^(٣) به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما

(١) أي: صنعنا لهما طعامًا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف السين، باب السين مع الفاء، (٣٧٣/٢).

(٢) قال ابن الأثير: "في حديث الهجرة: (وَهُوَ غُلَامٌ لَقِنٌ ثَقِفٌ) أي: ذو فطنة وذكاء، ورجل ثَقِفٌ، وَثَقِفٌ، وَثَقْفٌ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الثاء، باب الثاء مع القاف، (٢١٦/١).

(٣) قال ابن حجر: "قوله: يكتادان به: في رواية الكشميهني يكادان به بغير مثناة، أي: يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد"، فتح الباري (٢٣٧/٧).

عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل^(١)، وهو لبن منحتهما ورضيفهما^(٢)، حتى ينقع^(٣) بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خريئًا^(٤)، وهو على دين كفار قريش، فأمنأه فدفعًا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل^(٥).

ويذكر الدكتور الحجري أنه كان مع الرسول الحبيب ﷺ أبو بكر الصديق، والدليل عبد الله بن أريقط -وهو مشرك-، وعامر بن فهيرة، وقد اتجه الركب بأربعتهم نحو المدينة المنورة ضاربًا نحو الجنوب ثم مصعدًا نحو الشمال في سير حثيث متواصل لأكثر نهار يوم الاثنين؛ للابتعاد أكثر ما يمكن عن عيون العدو، وبعدها لحق بهم سراقة بن مالك، فكان ما كان من أمره والمعجزة الحاضرة، ثم أسلم قبل الأخرى اللاحقة التي رآها بعينه، حتى وصل الركب العزيز ضاحية قباء -عوالي المدينة- الاسم الذي تنورت به منذ ذلك اليوم^(٦).

- (١) قال ابن حجر: "قوله: في رسل بكسر الراء بعدها مهملة ساكنة، اللب الطري"، فتح الباري (٢٣٧/٧).
- (٢) قال ابن حجر: "قوله: ورضيفهما بفتح الراء وكسر المعجمة بوزن رغيف، أي: اللب المروضف، أي: التي وُضِعَتْ فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد، وتزول رخاوته"، فتح الباري، ابن حجر (٢٣٧/٧).
- (٣) قال ابن حجر: "قوله: حتى ينقع بها عامر، ينقع بكسر العين المهملة، أي: يصيح بغنمه، والنعيق صوت الراعي إذا زجر الغنم، ووقع في رواية أبي ذر حتى ينقع بهما -بالتثنية- أي: يسمعهما صوته إذا زجر غنمه"، فتح الباري (٢٣٧/٧).
- (٤) قال ابن الأثير: "الخريت: الماهر الذي يهتدي لأخزاتِ المفازة، وهي طرقها الخفية ومضايقتها، وقيل: إنه يهتدي لمثل خرت الإبرة من الطريق"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الخاء، باب الخاء مع الراء، (١٩/٢).
- (٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٥)، (٥٨/٥-٦٠).
- (٦) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجري (ص ١٠٣).

وقد كان الأنصار يخرجون كل يوم ينتظرون رسول الله ﷺ حتى يردهم حر الظهيرة، وكان أول من رآه يهودي فنادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجى ﷺ أن استقبال الأنصار للنبي ﷺ كان تاريخياً فريداً، وكان اليوم يوماً باسماً مليئاً بالنشوة والفرح والابتهاج والفخر والعزة والأمل والانتصار^(٢).

وفي ذلك يقول البراء بن عازب رضي عنه: "ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ"^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، رقم (٣٩٢٥)، (٦٦/٥).

(٢) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ١٤٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٦)، (٦١/٥).

المطلب الرابع:

المرحلة المدنية

أولاً: تأسيس المسجد في المدينة المنورة:

لبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مَرَبِدًا للتمر لسهيل وسهل، وهما غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد (١) ليتخذة مسجداً، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا أبر ربنا وأطهر

هذا الحمال (٢) لا حمال خبير

(١) قال ابن الأثير: "فيه: إن مسجده ﷺ كان مربداً ليتيمين، المربد: الموضع الذي تُحْبَسُ فيه الإبل والغنم، وبه سمي مربد المدينة والبصرة، وهو بكسر الميم وفتح الباء، من ربد بالمكان إذا أقام فيه، وریده إذا حبسه"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الراء، باب الراء مع الباء، (١٨٢/٢).

(٢) قال ابن الأثير: "وفي حديث بناء مسجد المدينة: هذا الحمال لا حمال خبير، الحمال بالكسر من الحمل، والذي يُحْمَلُ من خبير التمر، أي: إن هذا في الآخرة أفضل من ذلك وأحمد عاقبة، كأنه جمع جمل أو حمل، ويجوز أن يكون مصدر حمل أو حاملاً"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الحاء، باب الحاء مع الميم، (٤٤٣/١).

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (١)

وقد أشار الدكتور الحجي رحمته الله إلى هذا الحدث العظيم، فذكر أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ابتداءً الإعداد لبناء المسجد والقيام به أول يوم من وصوله، وشارك الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار في بنائه، ينقل اللبن والتراب حتى اغبر صدره الشريف، وعمره الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاث وخمسون سنة (٢).

وقد اختلف في المسجد الذي أسس على التقوى، قال ابن حجر رحمته الله: "وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿لَمَسَّجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا، وهو ظاهر الآية، وروى مسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدكم هذا، ولأحمد والترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد: اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما: هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال: هو هذا، وفي ذلك -يعني مسجد قباء- خير كثير، ولأحمد عن سهل بن سعد نحوه، وأخرجه من وجه آخر عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب مرفوعاً، قال القرطبي: هذا السؤال صدر ممن ظهرت له المساواة بين المسجدين في اشتراكهما في أن كلاً منهما بناه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلذلك سئل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فأجاب بأن المراد مسجده، وكأن المزينة التي اقتضت تعيينه دون مسجد قباء لكون مسجد قباء لم يكن بناؤه بأمرٍ جزمٍ من الله لنبيه، أو

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٦)، (٥/٦٠-٦١).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي (ص ١٥٦).

كان رأيًا رآه بخلاف مسجده، أو كان حصل له أو لأصحابه فيه من الأحوال القلبية ما لم يحصل لغيره، انتهى، ويحتمل أن تكون المزية لما اتفق من طول إقامته ﷺ بمسجد المدينة، بخلاف مسجد قباء فما أقام به إلا أيامًا قلائل، وكفى بهذا مزية من غير حاجة إلى ما تكلفه القرطبي، والحق أن كلاً منهما أسس على التقوى، وقوله تعالى في بقية الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ﴾ [التوبة: ١٠٨] يُؤَيِّدُ كون المراد مسجد قباء، وعند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ﴾ في أهل قباء، وعلى هذا فالسر في جوابه ﷺ بأن المسجد الذي أسس على التقوى مسجده رفع توهم أن ذلك خاصٌ بمسجد قباء، والله أعلم" (١).

ويذكر الدكتور الحجى ﷺ أن الموكب الكريم اتجه بعد أربعة أيام من استقراره ﷺ في قباء إلى داخل المدينة المنورة التي بدأ فيها الرسول الكريم ﷺ تأسيس دولة وأولوياتها اللازمة التي لا بد منها بتوجيه الله ﷻ، وقد انتهى المقام برسول الله ﷺ حيث بركت الناقة، فأقام مسجده، وبذلك بدأت حياة جديدة للدعوة الإسلامية، وقامت دولة الإسلام أول مرة في أرض الله تعالى، تقيم منهج الله تعالى، كما تبني للإنسان السعادة في الدارين بما تشيده في الحياة من الحضارة الإنسانية الفاصلة المترقية الإلهية القرآنية الفريدة (٢).

وقد اتخذ النبي ﷺ مسكنًا له ولأهله، وفي هذا يقول الدكتور الحجى ﷺ "ثم أرسل ﷺ من يأتي بأهله وأقاربه جميعًا من مكة المكرمة، فيهم زوجته سودة وعائشة، نزلوا بالسنح (٣)،

(١) فتح الباري، ابن حجر (٢٤٥/٧).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ١٤٨).

(٣) السنح: مكان في عوالي المدينة المنورة، انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص ١٦٢)، والمعالم الأثرية في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، وبيروت، ط (١) ١٤١١هـ، (ص ١٤٤).

حيث بنى النبي ﷺ بعائشة، دخل بها هناك في شوال من السنة الهجرية الأولى بعد ثمانية أشهر منها، ثم انتقل بهم إلى المسجد" (١).

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لا يملكون شيئاً؛ فقد تركوا أموالهم وأولادهم وأرضهم وديارهم نصرَةً لله ولرسوله ﷺ ولدينه، ولم يكونوا أهل زراعة، ومع ذلك أعطاهم الأنصار الذين هم أهل الأرض والعقار الأرض؛ ليعملوا فيها بنصف ثمارها، ومنهم من أعطيت له منيحة محضه، واستغنوا عنها لما فتح الله عليهم خيبر (٢).

وقد ذكر لنا القرآن هذا الخلق العظيم من الأنصار، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ اتخذوا المدينة مدينة الرسول ﷺ فابتنوها منازل، ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ بالله ورسوله ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: من قبل المهاجرين، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ يحبون مَنْ تَرَكَ مَنْزِلَهُ، وانتقل إليهم من غيرهم، وعني بذلك الأنصار يحبون المهاجرين" (٣).

ويذكر الدكتور الحجى أن الأنصار كانوا يتسابقون للتآخي مع المهاجرين، وكانوا جميعاً يريدون نبيل شرف مؤاخاة المهاجرين (٤).

(١) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجى (ص ١٩٢).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم، النووي (٩٨/١٢-٩٩).

(٣) جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري (٥٢٤/٢٢).

(٤) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجى (ص ١٥٧).

وقد كانت هذه المؤاخاة التي جرت بين المهاجرين والأنصار عجيبة لا مثيل لها في التاريخ الإنساني كله، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قَدِمَ علينا عبد الرحمن بن عوف، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير المال، فقال سعد: قد عَلِمَتِ الأنصارُ أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، حتى إذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل (١) شيئاً من سمن وأقط، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وضر (٢) من صفرة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهيم» (٣) قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: «ما سقت (٤) فيها؟»، قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: «أولم ولو بشاة» (٥).

- (١) أي: ربح، انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط (٧) ١٣٢٣هـ، (٦/١٤٩).
- (٢) قال ابن الأثير: فيه أنه رأى بعبد الرحمن بن عوف وضرًا من صفرة فقال: «مهيم» أي: لَطَطًا من مخلوق، أو طيب له لون، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته، والوضر: الأثر من غير الطيب، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الواو، باب الواو مع الضاد، (٥/١٩٦).
- (٣) أي: ما أمركم وشأنكم، وهي كلمة يمانية، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الميم، باب الميم مع الهاء، (٤/٣٧٨).
- (٤) أي: ما أمهرتها بدل بُضعها، وقد قيل للمهر سوق؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرًا؛ لأنها كانت الغالب على أموالهم، ثم وضع السوق موضع المهر وإن لم يكن إبلاً وغنمًا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف السين، باب السين مع الواو، (٢/٤٢٤).
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، رقم (٣٧٨١)، (٥/٣١-٣٢).

يقول الحجي رحمته الله: "هذه القضية تُؤسّسُ أمرًا عجيبيًا، لا يمكن أن يحدث أبدًا في أي مجتمع ولا بأي منهج، ولا يحلم به أحد إلا بهذا الدين ومنهجه الإلهي العظيم الكريم" (١). وقال الدكتور الحجي مُبيّنًا صفات كل من المهاجرين والأنصار: "أظهرت هذه القضية نوعية المهاجرين والأنصار من هذا الحب والرفافة الإيمانية، ذلك الكرم والحب والإيثار من الأنصار قابله من المهاجرين عدم الاستغلال الذي لا يعرفونه، ولا يخطر لهم على بال، بل كان منهم التعفف وعزة النفس؛ حيث إن الأخذ كان لدى الحاجة وبمقدارها" (٢).

ثالثًا: الوثيقة (الصحيفة):

عندما استقر الرسول صلوات الله عليه بالمدينة نظم العلاقات بين أهلها، وكتب كتابًا بهذا الشأن، وكانت كتابة الصحيفة في السنة الأولى الهجرية بعد بناء المسجد النبوي وعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك رضي الله عنه كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (٣). وعن جابر بن عبد الله قال: كتب النبي صلوات الله عليه على كل بطن عُقوله (٤)، ثم كتب أنه لا يحل لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه، ثم أخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك (٥). وبعد الدكتور الحجي رحمته الله هذه الصحيفة مع بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أهم اللبّات في بناء المجتمع الإسلامي الوليد في المدينة المنورة (٦).

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٥٧).

(٢) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجي (ص ١٩٤).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٥٩-١٦٠).

(٤) البطن: ما دون القبيلة وفوق الفخذ، والمراد: كتب عليهم ما تغرمه العاقلة من الديات، فَبَيَّنَ ما على كل قوم منها، ويجمع على أبطن وبطون، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الباء، باب الباء مع الطاء، (١/١٣٧).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب تحريم تولي العتيق غير موابيه، رقم ١٧ (١٥٠٧)، (٢/١١٤٦).

(٦) انظر: الإشارات والبشارات، عبدالرحمن الحجي (ص ١٦٠).

رابعاً: الغزوات والسرايا:

يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام ابن كثير: "فلما استقروا بالمدينة، ووافاهم رسول الله ﷺ، واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجأون إليه شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك" (١).

وذكر الدكتور الحجي ﷺ أنه أُذِنَ بالقتال، وشرع الجهاد بمراحله وقواعده وثوابته كان لابد من اليقظة والاستعداد دوماً (٢).

وأشار الدكتور الحجي إلى الخطر الكبير الذي كان محيطاً بالدولة الإسلامية، والمشاكل التي كانت تحيط بالدولة من كل جانب، ومن الداخل والخارج، وهي أمور ستجلب معارك بإمكانيات لا قبل لهذه الدولة الوليدة بها (٣).

وقد ذكر الدكتور الحجي بعض الغزوات التي قام بها النبي ﷺ، وبعض السرايا التي بعثها، وكان منها ما يأتي:

١- سرايا السنة الأولى من الهجرة:

يذكر الحجي ﷺ أن النبي ﷺ أرسل في السنة الأولى من الهجرة ثلاث سرايا، أولها السرية التي قادها حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وكانت الثانية بقيادة عبيدة بن الحارث بن المطلب،

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٣٤/٥).

(٢) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٤٩).

(٣) انظر: دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجي (ص ٢٠٦-٢٠٧).

والثالثة بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان الهدف من هذه السرايا هو التعرض لقوافل قريش المنطلقة من مكة إلى الشام، ولم يحصل في هذه السرايا قتال (١).

وهذه السرايا الثلاث كانت أول السرايا في الإسلام، أما سرية حمزة رضي الله عنه فكانت على رأس سبعة أشهر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عدد هذه السرية ثلاثين رجلاً من المهاجرين خاصة، ذهبوا يعترضون عيرا لقريش قادمة من الشام فيها أبو جهل، لكن حجر بين الفريقين حليف للطرفين؛ فلم يقتتلوا، وأما سرية عبدة فكانت على رأس ثمانية أشهر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا ستين رجلاً من المهاجرين، لكنهم لم يسلوا السيوف، ولم يسطفوا للقتال، وكان بينهم الرمي فقط، وقد رمى سعد بن أبي وقاص فيها بسهم؛ فكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما سرية سعد بن أبي وقاص فكانت في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا عشرين راكباً، لكنهم لما وصلوا كانت العير قد مرّت (٢).

٢- غزوات الأبواء (٣) (ودان)، وبواط (٤)، وسفوان (٥):

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٢٠٠-٢٠١).

(٢) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٣/١٤٦-١٤٧).

(٣) الأبواء: واد من أودية الحجاز التهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة، فيتكون من التقائهما وادي الأبواء، وينحدر إلى البحر جاعلاً أنقاض ودان على يساره، ويسمى اليوم (وادي الخريبة)، غير أن اسم الأبواء معروف لدى المثقفين، وسكانه: بنو مُجَد من بني عمرو، وبنو أيوب من البلادية من بني عمرو، ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص ٣٩)، والمعالم الأثرية في السنة والسيرة، مُجَد بن مُجَد حسن شراب (ص ١٤).

(٤) بواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى (ينبع)، غزاه النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من الهجرة، وكان يريد قريشاً، فرجع ولم يلق كيدا، وفي بعض الروايات (أبواط)، ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص ٥٠)، والمعالم الأثرية في السنة والسيرة، مُجَد بن مُجَد حسن شراب (ص ٥٤).

(٥) سفوان: بفتح السين المهملة وسكون الفاء، وعلى صيغة التشنية، جاء في النص: أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، وهي غزوة بدر الأولى، انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص ١٥٨)، والمعالم الأثرية في السنة والسيرة، مُجَد بن مُجَد حسن شراب (ص ١٤٠).

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن غزوة الأبواء (ودان) أول غزوة غزاها النبي صلوات الله عليه، ثم غزوة بواط، وغزوة سفوان، وكانت جميعها في السنة الثانية للهجرة، وكانت تهدف إلى التعرض لغير قريش، لكنه صلوات الله عليه لم يحقق الهدف الذي خرج من أجله، فعقد معاهدة مع عمرو بن مخشي الضمري على ألا يُعِين قريشًا ولا المسلمين، وكانت هذه المعاهدة في غزوة الأبواء (١).

قال الإمام ابن القيم: "ثم غزا بنفسه غزوة الأبواء، ويقال لها: ودان، وهي أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواء حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عباد، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عيرًا لقريش، فلم يلقَ كيدًا، وفي هذه الغزوة وادع مخشي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا أن يُكثروا عليه جَمْعًا، ولا يُعِينوا عليه عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة... ثم غزا رسول الله صلوات الله عليه بواط في شهر ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواء سعد بن أبي وقاص، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من أصحابه يعترض عيرًا لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط، وهما جبلان فرعان، أصلهما واحد من جبال جهينة مما يلي طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو أربعة برد، فلم يلقَ كيدًا فرجع... ثم خرج على رأس ثلاثة عشر شهرًا من مهاجره يطلب كرز بن جابر الفهري، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان كرز قد أغار على سرح المدينة، فاستاقه وكان يرعى

قال عاتق البلادي: "لا يعرف اليوم موضع باسم سفوان، إنما هناك واد يسمى (سفا) بين المدينة وبدر في منتصف المسافة على الطريق بينهما قرب الروحاء، فلعله هو تُثَي، ولكنه بعيد عن بدر؛ حيث نسبت الغزوة إلى بدر، فقيل: غزوة بدر الأولى"، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث (ص ١٥٨-١٥٩).

(١) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٠١).

بالحمى، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاتته كرز، ولم يلحقه، فرجع إلى المدينة" (١).

٣- غزوة العشيرة:

يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "غزوة العشيرة في جمادى الأولى من السنة الثانية خرج الرسول ﷺ في مئة وخمسين من المهاجرين، يعترضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، لما بلغ العشيرة من جهة ينبع (٢) وجد العير قد فاتته، فأقام جمادى الأولى وليالي من جمادى الثانية، وادع فيها بني مدلب وحلفاءهم من بني ضمرة، وكتب عهداً أخرى مع جهات متعددة، فعاد إلى المدينة ولم يلق حرباً" (٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ثم خرج رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وخرج في خمسين ومائة، ويقال: في مائتين من المهاجرين، ولم يُكره أحدًا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها يعترضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، وقد كان جاءه الخبر بفصولها من مكة، فيها أموال لقريش، فبلغ ذا العشيرة، وقيل: العشيرة

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٣/١٤٨-١٤٩).

(٢) ينبع: جاء في غزاة ذي العشيرة، وإذا ذكر هذا الاسم في السيرة أو أي كتاب من كتب المتقدمين فلا ينصرف إلا على وادي ينبع النخل، وهو واد فحل كثير العيون والقرى والنخيل، يتعلق رأسه عند بواط على قرابة (٧٠) كيلاً من المدينة غرباً، ثم ينحدر بين سلسلتين من الجبال عظيمتين، فتكثر روافده منهما، وهذا هو سر وفرة مياهه وتَفَجُّر عيون، والسلسلتان هما: جبل الأشعر في الجنوب، ويسمى اليوم (الفقرة)، تسيل منه أودية عظام في ينبع، من أهمها: نخلى وعبائر، وجبال رضوى من الشمال، ومنها أودية أيضاً، من أهمها: ضأس وغيره، أما مدينة ينبع البحر -وهي المدينة الرئيسة اليوم- فهي محدثة، ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص ٣٤٠-٣٤١)، والمعالم الأثرية في السنة والسيرة، مُجَّد بن مُجَّد حسن شراب (ص ٣٠١).

(٣) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجى (ص ٢٠٢).

بالمد، وقيل: العسيرة بالمهملة، وهي بناحية ينبع، وبين ينبع والمدينة تسعة برد، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، وهي التي وعده الله إياها، أو المقاتلة وذات الشوكة ووفى له بوعده، وفي هذه الغزوة وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة^(١).

٤ - سرية عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه:

أشار الدكتور الحجى رحمة الله إلى سرية عبد الله بن جحش الأسدي التي كانت في رجب من السنة الثانية للهجرة في ثمانية نفر إلى نخلة^(٢)، وقد أراد النبي ﷺ أن يعرف منها مزيداً من المعلومات عن قريش، وقد أعطى النبي ﷺ عبد الله بن جحش كتاباً، وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين، فلما فتحه وجد فيه أمر الرسول ﷺ بأن يسير إلى نخلة بين مكة والطائف، فيترصد بها قريشاً، ويعلم أخبارهم^(٣).

يقول محمود شيت خطاب^(٤): "ابتكر الرسول ﷺ الرسائل المكتوبة؛ للمحافظة على الكتمان، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيد عن حركة المسلمين، والكتمان أهم عامل من عوامل مبدأ المباغتة، وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب، وقد سبق المسلمون

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٣/١٤٩).

(٢) دولة المدينة المنورة، الحجى، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٠٢).

(٣) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٣/١٥٠).

(٤) هو: محمود شيت خطاب الدليمي، ولد في الموصل عام ١٩١٩ من أبوين عرييين، انتسب إلى الكلية العسكرية سنة ١٩٣٧، وتخرج فيها برتبة ملازم، وترقى في الرتب العسكرية، وكان عضواً في الكثير من الهيئات والجمعيات العلمية، وكتب في عدد من المجالات والدوريات الجادة، ومن مؤلفاته: الرسول القائد، وقادة فتح بلاد المغرب العربي، وقادة فتح بلاد الأندلس، وغيرها، وتوفي سنة ١٩٩٨م، ينظر: اللواء الركن محمود شيت خطاب: المجاهد الذي حمل سيفه في كتبه، لعبد الله محمود، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (ص ١٢-٥٤).

غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق للكتمان قبل أن يفتن إليه الألمان ويستعملوه في الحرب العالمية الثانية" (١).

وفي هذه السرية حصل قتالٌ وأسْرٌ وغنيمةٌ لأول مرة في التاريخ الإسلامي؛ فقد قتلت السرية أحد رجال القافلة الأربعة، وأسرت اثنين، وفر واحد، وغنمت القافلة/ وعادت إلى المدينة، وقد ثارت قريش على النبي ﷺ لما وقع من القتل في الأشهر الحرم، واعتبرت النبي لا يُقيمُ وزنًا لحرمه الشهر الحرم؛ لهذا رفض النبي ﷺ الغنائم، وقال لأفراد السرية: «والله، ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرم» (٢)، فوقف العير والأسيرين، ولما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] حينئذ قبض الرسول ﷺ العير والأسيرين (٣).

٥- غزوة بدر الكبرى:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: "إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد" (٤). وقد أشار الدكتور الحجي إلى سبب غزوة بدر فيقول: "فهذا أبو جهل فرعون هذه الأمة وهو يقود قريشًا وأهل مكة لقتال الرسول الكريم ﷺ، وإبادة الإسلام، والقضاء على المسلمين،

(١) الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت، ط (٦) ١٤٢٢هـ، (ص ٩٤).

(٢) هذا الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب قسمة الغنيمة في دار الحرب، رقم (١٨٠٤٦)، (١٩٧/١٨-١٩٩)، وصححه الحافظ ابن حجر بمجموع طرقه، ينظر: فتح الباري (١/١٥٤-١٥٥).

(٣) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٣/١٥٠-١٥١).

(٤) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر، رقم (٣٩٥١)، (٧٢/٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٢٧٦٩)، (٢١٢٠/٤-٢١٢١).

إلى معركة بدر ١٧ رمضان سنة ٢هـ، وبعد فشل كل المحاولات من عدد من زعماء قريش ومكة لترك الحرب والعودة إلى مكة بعد نجات العير القادمة من الشام بقيادة أبي سفيان وحماية سبعين من فرسان قريش وشجعانها، التي خرج رسول الله ﷺ لاعتراضها، أصر أبو جهل على مواجهة المسلمين، والقضاء على الإسلام ونبيه ﷺ وأتباعه" (١).

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

وفي تفسير هذا قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ يعني: إحدى الفرقتين؛ فرقة أبي سفيان بن حرب والعير، وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم، وقوله: ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ يقول: إن ما معهم غنيمة لكم، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يقول: وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة، يقول: ليس لها حد، ولا فيها قتال أن تكون لكم، يقول: تودون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم الذين في لقاءهم القتال والحرب" (٢).

قال الدكتور الحجى رحمه الله: "خذُ بدرًا وكيف أن المسلمين خرجوا للقافلة ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٩٦).

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري (٤٠/١١).

الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿﴾ [الأنفال: ٧]، ثم تَفَلَّتُ القافلة فيكون اللقاء والحرب، وتكون النتيجة المعروفة ﴿﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿﴾ [آل عمران: ١٢٣]" (١).

وغزوة بدر هي يوم الفرقان الذي نصر الله فيه الحق وأهله، وخذل الباطل وحزبه، وقد أشار الدكتور الحجى إلى هذا، وأن هذا النصر الذي وهبه الله للمسلمين كان نتيجة استعداد المسلمين لحماية الدعوة الإسلامية الجديدة، وردع أية محاولة قد تهدد دولتهم الوليدة، وقد قاموا قبل هذه الغزوة العظمى ببعض الغزوات والسرايا التي انتهت بمهادنة أو قتال، حتى كانت بدر العظمى التي عرفت بيوم الفرقان: ﴿﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ [الأنفال: ٤١] (٢)، وهي غزوة فاصلة في التاريخ الإسلامي والإنساني على السواء كما قال الدكتور الحجى (٣).

وما أعظم موقف الأنصار يوم بدر؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "شهدت من المقداد بن الأسود شهيداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه، وَسَرَّهُ، يعني: قوله (٤)، وفي رواية أخرى ذكر أن هذا قاله المقداد يوم بدر (٥).

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٨٩).

(٢) انظر: دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجى (ص ٢٠٩).

(٣) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٩٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴿﴾ [الأنفال: ٩]، رقم (٣٩٥٢)، (٧٣/٥).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١/٦) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿﴾ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿﴾ [المائدة: ٢٤]، رقم (٤٦٠٩).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمه الله مواقف بطولية للمسلمين في غزوة بدر، تُعبّر عن استعداد المسلمين للتضحية بأنفسهم في سبيل الله، وعن حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من هذه المواقف ما يأتي:

أ- موقف سعد بن معاذ والأنصار:

قال الدكتور الحجي رحمه الله: "وانظر إلى سعد بن معاذ ماذا يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر: (فقد آمننا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة؛ فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجلٌ واحدٌ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله)، فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ونشطه وقال: «سيروا، وأبشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كأي الآن أنظر إلى مصارع القوم»، ثم عبَّر سعد عن حب المسلمين والأنصار الذين يتحدث بلسانهم للرسول صلى الله عليه وسلم، واستعدادهم للبدل في سبيل الله، وأن من تخلف منهم كان بسبب عدم توقعهم قتالاً فقال: (يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصرونك ويجاهدون معك)، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا له بالخير، ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ، فكان فيه، وهكذا استحققت هذه النوعية نصر الله تعالى في بدر، أول لقاء بين المسلمين والمشركين، ورغم التفاوت الذي ما كان يظن أحد أن تدور الدائرة عليهم أتى نصر الله الذي كانت ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم به والمسلمين عاليةً جداً ﴿﴾ ولقد

نَصَرَكُمُ اللَّهُ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وهكذا سمي الله ﷻ يوم بدر يوم الفرقان ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، وهذا هو الحق المبين الذي عاشه المسلمون، وأدركوه" (١).

ويذكر الدكتور الحجي ﷻ أنه لو جلبت قريش الجيوش ردف الجيوش لما نالت من المسلمين شيئاً؛ لأن المعركة بين الكفر والإيمان، ولأنه لو انهزم المسلمون فيها لذهب أمر هذه الدعوة؛ لذلك أراد الله تعالى نصرها الباهر الناجز المؤزر بهذا الشكل المفاجئ (٢).

ب- بطولة عمير بن الحمام الأنصاري ﷻ:

عن أنس بن مالك ﷻ أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال «نعم»، قال: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله ﷺ «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتِل (٣).

وقد ذكر الدكتور الحجي ﷻ هذه القصة مثلاً على تضحيات الصحابة في سبيل الله، وبذلهم أغلى ما يملكون وهي النفس رخيصة في سبيل الله، وإسراعهم إلى ذلك (٤).

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٢١-٢٢٢).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجي (ص ١٧٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم ١٤ (١٩٠١)، (٣/١٥٠٩-١٥١١).

(٤) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٩٧).

ج- حب سواد بن غزية لرسول الله ﷺ:

قال الدكتور الحجى رحمه الله: "وفي بدر لما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف الصحابة استعدادًا للقتال، ويده سهم يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية، وهو مستنبل (متقدم) من الصف، فأشار ﷺ إليه قائلاً: «استو يا سواد»، فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: "فأقدي"، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه الشريف وقال: «استقد»، قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟»، قال: يا رسول الله، حضر ما ترى؛ فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير" (١).

د- شجاعة أسد الله حمزة، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، ومبارزتهم

يوم بدر:

أخرج رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين لمبارزة ثلاثة من المشركين، فبارز علي رضي الله عنه الوليد بن عتبة فقتله، وبارز حمزة أسد الله رضي الله عنه شيبه بن ربيعة فقتله، وبارز عبيدة بن الحارث رضي الله عنه بن ربيعة فضرب كل منهما الآخر ضربة، لكن حمزة وعليًا رضي الله عنهما ضدا على عتبة بن ربيعة فقتلاه، وقد توفي عبيدة بعد المعركة كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٢).

وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة عبيدة: "وكان أحد السابقين الأولين، وهو أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين، هاجر هو وأخوه الطفيل وحصين، وكان رُعةً من الرجال، مليحًا، كبير المنزل عند رسول الله ﷺ، وهو الذي بارز رأس المشركين يوم بدر، فاختلَفَا

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٠١)، وهذا الخبر ذكره ابن هشام في السيرة (١/٦٢٦)، والطبري في تاريخه (٢/٤٤٦-٤٤٧) من طريق محمد بن إسحاق، وصححه الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني رقم (٢٨٣٥)، (٦/٨٠٨-٨٠٩).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٠٠-٤٠١).

ضربتین، فأثبت كل منهما الآخر، وشد علي وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملاً عبيدة وبه رمق، ثم توفي بالصفراء في العشر الأخير من رمضان سنة اثنتين ﷺ، وقد كان النبي ﷺ أمره على ستين راكباً من المهاجرين، وعقد له لواء، فكان أول لواء عُقِدَ في الإسلام^(١)، ولعل الإمام الذهبي قصد السرية التي كانت في السنة الأولى من الهجرة، وقد سبق الحديث عنها، وقد ذكر الدكتور الحجى ﷺ أن لواء المهاجرين في بدر كان مع مصعب بن عمير^(٢).

وغزوة بدرٍ مما يدل على أن الإسلام دعوة عالمية لا قومية كما ذكر الدكتور الحجى؛ فقد قاتل العرب المسلمون العرب المشركين، وأسر المسلمون بني قومه من العرب المشركين، بل إن النبي ﷺ وصف المشركين - وفيهم أشرف مكة - بالننائة، وهي ننانة معنوية بسبب كفرهم^(٣). والدكتور الحجى يشير إلى ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن جبير بن مطعم ﷺ أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»^(٤).

وإن النصر لا محالة بعون الله تعالى وإرادته ووعدده للذين اتبعوا شريعته، وأحبوها أكثر من أنفسهم الغالية النفيسة التي قدّموها رخيصة في سبيل الله يوم معركة بدر الكبرى ١٧ رمضان في السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة، وهو أمر دائم، فالله ﷻ يُنزل نصره على أوليائه ما داموا على شريعته قائمين^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٥٦/١).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ١٢٠).

(٣) المرجع السابق (ص ١٩٣-١٩٥).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، رقم (٣١٣٩)، (٩١/٤).

(٥) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ١٩٩-٢٠٠).

٥ - معركة أحد:

يذكر الدكتور الحجي رحمته الله تاريخ هذه المعركة، وما حدث للمسلمين فيها فيقول: "ومعلوم ما جرى للمسلمين يوم أحد الذي كان يوم السبت للنصف من شوال السنة الثالثة للهجرة، حيث رجع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مساءه إلى المدينة، وقد أصيب المسلمون فيها بما لم يُصابوه في أية معركة أخرى في حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بما ناله من الأذى الشديد، وسالت الدماء، ثم ما وقع من القتل في المسلمين، وفيها قتل عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء رضي الله عنه، ومثل بالعديد منهم" (١).

وفي جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه سئل عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: "جرح وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ (٢)، وهشمت البيضة (٣) على رأسه، فكانت فاطمة عليها السلام تغسل الدم، وعليّ يُمسِكُ، فلما رأت أن الدم لا يزيد إلا أكثره أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألرقتة؛ فاستمسك الدم" (٤).

ويروي وحشي بن حرب ما جرى في مقتل حمزة بن عبد المطلب فيقول: "إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار بيدٍ، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت

(١) المرجع السابق (ص ١٣٧).

(٢) أي: المقدم من أسنانه، انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/١٢١).

(٣) الهشم: الكسر، والبيضة: الخوذة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الهاء، باب الهاء مع الشين، (٥/٢٦٤).

(٤) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة، رقم (٢٩١١)، (٤/٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم ١٠١ (١٧٩٠)، (٣/١٤١٦).

حر، فلما أن خرج الناس عام عينين وعينين - جبل بحيان أحد، بينه وبينه واد- (١) خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاؤ الله ورسوله ﷺ؟، ثم شد عليه، فكان كأمس الذهاب (٢)، وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحرقتي، فأضعها في ثنثي (٣) حتى خرجت من بين وركيه، فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقبل لي: إنه لا يهيج الرسل (٤)، فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رأني قال: «أنت وحشي؟» قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تُعَيِّبَ وجهك عني؟» قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة، لعلني أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان (٥).

ومن استشهد في هذه المعركة أجمل فتیان مكة وأنعمهم وأعطرهم مصعب بن عمير رضي الله عنه حامل لواء رسول الله ﷺ يومي بدرٍ وأحد، وفي ذلك يقول الدكتور الحجي: "وفي معركة أحد

(١) قال ابن حجر رحمته الله: "عام عينين: أي: سنة أحد، وقوله: عينين جبل بحيان أحد أي: من ناحية أحد، يُقال: فلان حيان كذا - بالمهملة المكسورة بعد تحتانية خفيفة - أي: مقابله، وهو تفسيرٌ من بعض رواته، والسبب في نسبة وحشي العام إليه دون أحد أن قريشاً كانوا نزلوا عنده"، فتح الباري (٣٦٩/٧).

(٢) قال ابن حجر رحمته الله: "وقوله: كأمس الذهاب هي كناية عن قتله، أي: صَيَّرَهُ عَدَمًا"، فتح الباري (٣٦٩/٧).

(٣) قال ابن حجر رحمته الله: "قوله: في ثنثي - بضم المثناة وتشديد النون - هي العانة، وقيل: ما بين السرة والعانة"، فتح الباري (٣٦٩/٧-٣٧٠).

(٤) أي: لا ينالهم منه إزعاج، فتح الباري، ابن حجر (٣٧٠/٧).

(٥) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، رقم (٤٠٧٢)، (٥/١٠٠-١٠١).

منتصف شوال السنة الثالثة للهجرة الشريفة كان الذي يحمل لواء رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وهو من بني عبد الدار، والمشركون يحمل رايتهم بنو عبد الدار، وفيهم من إخوة مصعب، واستشهد مصعب في أحد، كان مصعب أترق وأنعم وأعطر غلام في مكة، يُضرب به المثل في لبسه ودلاله، حتى في الذي كان يستعمله، فكان فتى مكة جمالاً وتيهاً^(١).

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن خباب رضي الله عنه قال: "هاجرنا مع النبي ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمننا من مات لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، ومننا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها^(٢)، قُتِلَ -أي مصعب- يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بردة، إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجله خرج رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجله من الإذخر"^(٣).

ومن عظيم أثر الإسلام في نفوس متبعيه أن الله فتح قلب أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش من بني عبد الأشهل للإسلام فأسلم، وعلم أن المسلمين ذهبوا للجهاد، فحمل سيفه في الحال، ولحق بهم مجاهدًا، وقاتل حتى قُتِلَ، ووُجِدَ في الرمق الأخير، ودُهِشَ لرؤيته الأنصار؛ لِمَا يعرفون من كفره وصدده، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ فسألوا فأخبرهم الخبر، وإنه حين دُكِرَ أمره لرسول الله ﷺ قال: «إنه لمن أهل الجنة»، فكان إقدامه واستشهاده هو مقتضى الصدق في هذا الدين، وكان أصيرم الرجل الذي دخل الجنة ولم يركع لله ركعة^(٤).

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ١١٧-١١٨).

(٢) أي: يجنيها، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الهاء، باب الهاء مع الدال، (٢٥٠/٥).

(٣) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفنًا إلا ما يُؤاري رأسه أو قدميه غطى رأسه، رقم (١٢٧٦)، (٧٧/٢-٧٨)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في كفن الميت، رقم ٤٤ (٩٤٠)، (٦٤٩/٢).

(٤) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ٢٦٦-٢٦٧).

وأصيرم كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم أحد، وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم، فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم، فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، وما جاء؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؟ قالوا: ما جاء بك يا عمرو، أحديبا^(١) على قومك، أو رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله فقاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لمن أهل الجنة»^(٢).

٦- معركة الخندق (الأحزاب):

كادت أن تكون معركة الخندق (الأحزاب) بسبب ما لاقى فيها المسلمون من الشدة والمتاعب والمخاطر ماحقة، وأن تودي بهم لولا فضل الله عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ نَكْمُ جُنُودٍ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم، وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم، وتحزبوا، وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور... وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشرف

(١) أي: أعطفًا وشفقةً، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الحاء، باب الحاء مع الدال، (٣٤٩/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، رقم (٢٣٦٣٤)، (٤١/٣٩-٤٢)، وحسن إسناده محققو المسند.

يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، منهم: سلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة، واجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب رسول الله ﷺ، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً، وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلك بإشارة سلمان الفارسي، فعمل المسلمون فيه، واجتهدوا، ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب، وحَفَرَ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات، وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أُحُدٍ، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وقيل: سبعمائة، وأسندوا ظهورهم إلى سلع^(١)، ووجههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم، يحجب الرجال والخيالة أن تصل إليهم، وجعل النساء والذراري في آطام^(٢) المدينة، وكانت بنو قريظة - وهم طائفة من اليهود - لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل، فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري اليهودي، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعظم الخطب، واشتد الأمر، وضاقت الحال كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريباً من شهر، إلا أنهم لا يصلون

(١) بفتح السين وسكون اللام، وهو جبل معروف بالمدينة، انظر: فتح الباري، ابن حجر (٥٠٣/٢).

(٢) الآطام: جمع أطم بضم الهمزة والطاء، وهي الحصون التي تبني بالحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح، انظر: فتح

الباري، ابن حجر (٩٥/٤).

إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري - وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية - ركب ومعه فوارس، فاقتحموا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله ﷺ خيل المسلمين إليه، فلم يبرز إليه أحد، فأمر عليًا فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله علي رضي الله عنه، فكان علامةً على النصر، ثم أرسل الله ﷻ على الأحزاب ريجًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تَبَقْ لهم خيمةٌ ولا شيءٌ، ولا تُوقَدُ لهم نارٌ، ولا يقر لهم قرار، حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ (١).

قال الدكتور الحجي رحمه الله: "في معركة الخندق (الأحزاب) شوال السنة الخامسة للهجرة حاول بعض فرسان قريش اقتحام الخندق فأمكن عدد منهم ذلك، فُقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وهرب الباقون طالبين النجاة، وكان ممن قُتِلَ عمرو بن عبد ود العامري، وهو من فوارس العرب وشجعانهم وأبطالهم المعلمين، فلما بارزه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قَتَلَهُ، وحمل الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ على نوفل بن عبد الله حتى شَقَّه باثنين، وكاد يقتل فرسه بنفس الضربة، فقليل له: يا أبا عبد الله، ما رأينا مثل سيفك، فقال: والله ما هو السيف، ولكنها الساعد، وكان رسول الله ﷺ قد دعا له ول سيفه من قبل، فبارك الله تعالى له ذلك، وبقيت الجثتان؛ عمرو بن عبد ود، ونوفل بن عبد الله أيامًا، فأرسل المشركون يريدون جثة عمرو بن عبد ود، وعرضوا ثمنًا ضخماً لذلك، فقال لهم ﷺ: «لا خير في جيفته، ولا في ثمنه، ادفعوه إليهم؛ فإنه خبيث الجيفة - الجثة - خبيث الدية»، فلم يقبل منهم شيئًا، وقال ﷺ مثل ذلك

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٣٨٣-٣٨٤).

حين طلبوا جثة نوفل مقابل دية، فقال: «إنه خبيث الدية، فلعهن الله، ولعن ديته، فلا أرب لنا في ديته، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه»^(١).

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس أنه قال: قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين، فأعطوا بجيفته مالا، فقال رسول الله ﷺ: «ادفعوا إليهم جيفتهم؛ فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية»، فلم يقبل منهم شيئا^(٢).

٧- معركة مؤتة:

ذكر الدكتور الحجى ﷺ أن معركة مؤتة كانت في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، وكانت مؤتة على بعد (١٢٠٠ كم) عن المدينة المنورة، وهي أول لقاء مع الروم^(٣). ومعركة مؤتة هي المعركة التي استشهد فيها قادة الجيش الثلاثة ﷺ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، فعن عبد الله بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، استعمل عليهم زيد بن حارثة، «فإن قتل زيد -أو استشهد- فأميركم جعفر، فإن قتل -أو استشهد- فأميركم عبد الله بن رواحة»، فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قُتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قُتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه، وأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد، الله وأثنى عليه، وقال: «إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيداً أخذ الراية، فقاتل حتى قتل -أو استشهد-، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب، فقاتل حتى قُتل -أو استشهد-، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قُتل -أو استشهد-، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه»، فأمهل

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (١٩٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، رقم (٢٢٣٠)، (١٠٢/٤)، وَضَعَفَ إسناده محققو المسند.

(٣) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى (٢١٢).

ثم أمهل آل جعفر -ثلاثا- أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا إلي ابني أخي»، قال: فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال: «ادعوا إلي الحلاق»، فجيء بالحلاق فحلق رءوسنا، ثم قال: «أما مُحَمَّدٌ فشبيهه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلقي»، ثم أخذ بيدي فأشالها، فقال: «اللهم اخلف جعفرًا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه»، قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أمتنا فذكرت له يُتَمَنَّا، وجعلت تفرح له، فقال: «العيلة^(١) تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!»^(٢).

٨- صلح الحديبية وفتح مكة:

قصد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم مكة للعمرة لا للحرب، بل إنهم لم يكونوا مستعدين للحرب، قال الدكتور الحجى رحمه الله: "وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وكان هذا في أولئك الذين بايعوا الرسول ﷺ في صلح الحديبية في ذي قعدة السنة السادسة للهجرة، وكان عددهم ألفا وخمسمئة (خمس عشرة مئة)، جاؤوا للعمرة وغير مستعدين من كل ناحية للمواجهة والقتال، ومع ذلك بايعوه ﷺ جميعًا على الموت، وعلى أن لا يفروا، حقًا إنه الجيل الفريد الذين استحقوا هذه المكانة من الله تعالى وكانوا -أهل الحديبية- جديرين بها، وبوصف الرسول ﷺ لهم: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»^(٣).

(١) العيلة: الفقر، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف العين، باب العين مع الباء، (٣/٣٣٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (١٧٥٠)، (٣/٢٧٨-٢٧٩)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحسن بن سعد فمن رجال مسلم".

(٣) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٩٤-٩٥).

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نجئ لقتال أحدٍ، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا^(١)، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي^(٢)، ولئن فذن الله أمره^(٣)».

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا يوم الحديبية ألقًا وأربعمائة، فبايعناه -وعمرُ أخذُ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة-... وبايعناه على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت"^(٤).

وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول: "كانوا أربع عشرة مائة"، فقال لي سعيد: حدثني جابر: "كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية"^(٥).

(١) أي: استراحوا، وكثروا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الجيم، باب الجيم مع الميم، (٣٠١/١).

(٢) قال ابن الأثير: "السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت، وقيل: أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف السين، باب السين مع اللام، (٣٩٠/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، (١٩٤/٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب استجباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، رقم ٦٧ (١٨٥٦)، (١٤٨٣/٣).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (٤١٥٣)، (١٢٣/٥).

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال النبي ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»، وقال جابر: "لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة"^(١).

فقد كانت المسيرة تتجه نحو مكة لزيارة البيت الحرام وأداء العمرة؛ شوقاً إليها، وتكريماً لمكانة البيت الحرام، وتعظيماً لحرمته، بذلك خرج الرسول الكريم ﷺ من المدينة المنورة في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة النبوية مُعْتَمِراً، لا يريد حرباً، وقد ساق معه الهدي سبعين بدنة، وأحرم بالعمرة؛ ليأمن الناس من أي حرب، فلما علمت قريش بذلك تهيأت لحرب المسلمين وصددهم، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك تفادى الصدام معهم، وحوّل طريقه عن مقاتلتهم حتى وصل الحديبية، وبركت الناقة فقال الناس: "خلأت القصواء"، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء»^(٢)، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يُعْظَمُونَ فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها»^(٣).

وقد دعا النبي ﷺ عمر لبيعه إلى مكة فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (٤١٥٤)، (١٢٣/٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، رقم ٧١ (١٨٥٦)، (١٤٨٤/٣).

(٢) خلأت القصواء: أي امتنعت من المشي، أي: بركت، والقصواء هي الناقة التي قُطِعَ طرف أذنها، ولم تكن ناقة النبي ﷺ قصواء، وإنما كان هذا لقباً لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الخاء، باب الخاء مع اللام، (٥٨/٢)، وحرف القاف، باب القاف مع الصاد، (٧٥/٤)، وفتح الباري، لابن حجر (١١٣/١ و ٣٣٥/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، (١٩٣/٣).

ولكن أدلك على رجل هو أعز مني عثمان بن عفان، فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت، مُعَظِّمًا لحرمة، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردف خلفه، وأجاره حتى بَلَغَ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتِلَ (١).

لذلك أرسلت قريش وفدًا ليعقد مع النبي ﷺ صلح الحديبية، وكان رئيس هذا الوفد أبا سهيل بن عمرو، قال الدكتور الحجري رَحِمَهُ اللهُ: "وأبو سهيل بن عمرو الذي كان خطيب قريش وفصيحتهم ومن أشرافهم، أسلم فيما بعد يوم فتح مكة (٥٨هـ)، واستشهد يوم اليرموك (١٥هـ)، وكان رئيس وفد مفاوضي قريش في صلح الحديبية في ذي قعدة السنة السادسة للهجرة" (٢). وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن سهيل بن عمرو جاء النبي ﷺ فقال: "ها، اكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه مُحَمَّدٌ رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: مُحَمَّدٌ بن عبد الله، فقال النبي ﷺ:

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث المسور بن مخزوم الزهري رَحِمَهُ اللهُ، رقم (١٨٩١٠)، (٣١/٢١٦-٢١٧)، وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ محققو المسند، انظر: المسند، أحمد (٣١/٢٢٠-٢٢١).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجري (ص ١١٦).

«والله، إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب مُحَمَّد بن عبد الله» - قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها» فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله، لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَةً(١)، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا مُحَمَّد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرِّدُ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذِّبَ عذاباً شديداً في الله، فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: أأنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية(٢) في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به»، فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله

(١) أي: قهراً، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الضاد، باب الضاء مع الغين، (٩٠/٣)، وفتح الباري (٣٤٣/٥).

(٢) أي: الخصلة المذمومة الحقيرة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الدال، باب الدال مع النون، (١٣٧/٢)، وفتح الباري، ابن حجر (١١٧/١).

ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله، ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة، يا نبي الله، أتحب ذلك؟، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا" (١).

وينقل الدكتور الحجي ﷺ تعجب النبي ﷺ من صنيع قريش مع الدعوة الإسلامية الجديدة فيقول: "وقال ﷺ مثل ذلك في المدينة، بعد أن نصره الله وأقام دولة الإسلام وحكم شريعة الله، حيث بها قام مجتمع فاضل كريم، أيام الحديبية (٦ هـ) حين تعنتت قريش وركبت رأسها: «يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟، فوالله، لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة»" (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، (١٩٥/٣-١٩٦).

(٢) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٢٠)، والحديث المذكور أخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده، حديث المسور بن مخزمة الزهري، رقم (١٨٩١٠)، (٢١٢/٣١)، وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ مُحَقِّقُو الْمَسْنَدِ، انظر: المسند، أحمد (٢٢٠/٣١-٢٢١).

وعلى الرغم من بنود صلح الحديبية التي رآها الصحابة ظلماً للمسلمين إلا أن قريشاً نقضت هذا الصلح، وقد ذكر الدكتور الحجى أن نقض قريش لصلح الحديبية عَجَل فتح مكة وزوال الشرك منها، لينتشر الإسلام في الجزيرة العربية^(١).

فقد كان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد مُجَّد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم^(٢).

وقد روى الإمام البيهقي في السنن الكبرى عن عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن مخزومة أنهما حدثاه جميعاً قالوا: "كان في صلح رسول الله ﷺ يوم الحديبية بينه وبين قريش: أنه من شاء أن يدخل في عقد مُجَّد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عقد مُجَّد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله ﷺ وعهده ليلاً بماء لهم يقال له (الوتير)^(٣) قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا مُجَّد وهذا الليل، وما يرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالكرع والسلاح، فقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ، وإن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث المسور بن مخزومة الزهري ﷺ، رقم (١٨٩١٠)، (٢١٨/٣١)، وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ محققو المسند، انظر: المسند، أحمد (٢٢٠/٣١-٢٢١).

(٣) الوتير: بفتح الواو وكسر التاء، وآخره راء، وهو موضع معروف جنوب غربي مكة على حدود الحرم، يبعد عن مكة (١٦) كيلاً، وهو من ديار خزاعة قديماً وحالياً، ويعرف اليوم بـ (الوتائر)، ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص ٣٣١)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة، مُجَّد بن مُجَّد حسن شراب (ص ٢٩٥).

خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر، وقد قال أبيات شعر،
فلما قَدِمَ على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

اللهم إني ناشد محمدًا	حَلَفَ أَيْبِنَا وَأَيْبِهِ الْأَتْلِدَا
كنا والدا وكنت ولدا	ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرا عتدا	وادعوا عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفا وجهه تريدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذل وأقل عددا	قد جعلوا لي بكداء مرصدا
هم بيتونا بالوتير هجدا	فقتلونا رُكْعًا وَسُجْدًا

فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ»، فما برح حتى مرت عنانة^(١) في السماء، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وكنتمهم مخرجه، وسأل الله أن يعمي على قريش خبره؛ حتى ييغتهم في بلادهم^(٢).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار؟"، ثم ذكر فتح مكة فقال: "أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة،

(١) أي: سحابة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف العين، باب العين مع النون، (٣/٣١٣).
(٢) أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجزية، باب نقض أهل العهد أو بعضهم العهد، رقم (١٨٨٩١)، (١٦٣/١٩-١٦٥)، وهو حديث حسن، انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، لمحمد بن طاهر البرزنجي (٢/٢٦٩-٢٧١).

فبعث الزبير على إحدى المجنبتين^(١)، وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسْر^(٢)، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبة، فنظر فرآني، قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «لا يأتيني إلا أنصاري» - وفي رواية أحد الرواة - فقال: «اهتف لي بالأنصار»، فأطافوا به، ووبشت قريش أوباشًا^(٣) لها وأتباعًا، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا، فقال رسول الله ﷺ: «تروني إلى أوباش قريش وأتباعهم»، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال: «حتى توافوني بالصفاء»، فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحدًا إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئًا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أبيضت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، ثم قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدرسته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار»، قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: «قلتم: أما الرجل فأدرسته رغبة في قريته؟»، قالوا: قد كان ذلك، قال: «كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه ليكون ويقولون: والله، ما قلنا الذي قلنا إلا الضن^(٤) بالله وبرسوله، فقال

(١) قال ابن الأثير: "وفي حديث الفتح (كان خالد بن الوليد ﷺ على المجنبة اليمنى، والزبير على المجنبة اليسرى)، مجنبة الجيش: هي التي تكون في الميمنة والميسرة، وهما مجنبتان، والنون مكسورة، وقيل: هي الكتيبة التي تأخذ إحدى ناحيتي الطريق، والأول أصح"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الجيم، باب الجيم مع النون، (٣٠٣/١).

(٢) أي: الذين بغير سلاح، ينظر: فتح الباري، ابن حجر (١٢/٨).

(٣) أي: جمعت جمعًا من قبائل شتى، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الواو، باب الواو مع الباء، (١٤٥/٥-١٤٦).

(٤) أي: بخلاً به، وشحًا أن يشاركنا فيه غيرنا، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الضاد، باب الضاد مع النون، (١٠٤/٣).

رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم، ويعذرانكم»، قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت، قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسية القوس^(١)، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا، فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله، ويدعو بما شاء أن يدعو^(٢).

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم أيضاً قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»^(٣). وفي هذا يقول الدكتور الحجري: "ثم في رمضان من السنة نفسها - السنة الثامنة من الهجرة - تستسلم عاصمة الوثنية مكة المكرمة صلحاً، بعدما مارست أشد أنواع المواجهات للدعوة الإسلامية حتى القتل، ثم الحروب المتتابة الماحقة المهلكة المدمرة، مع ذلك هبوا طلقاء أحراراً دون أي أذى"^(٤).

والطلاق من قريش كما قال النبي ﷺ^(٥)، وهم الذين عفا عنهم النبي ﷺ يوم فتح مكة^(١)، وأطلقهم فلم يسترقهم، وهم الذين أسلموا في هذا اليوم^(٢).

(١) قال ابن الأثير: "سبة القوس: ما عطف من طرفيها، ولها سيتان، والجمع سيات، وليس هذا بابها؛ فإن الهاء فيها عوض من الواو المحذوفة كعدة"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف السين، باب السين مع الياء، (٤٣٥/٢).
 (٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم ٨٤ (١٧٨٠)، (٣/١٤٠٥-١٤٠٦).
 (٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم ٨٦ (١٧٨٠)، (٣/١٤٠٧-١٤٠٨).
 (٤) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجري (ص ٢١٢).
 (٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ومن حديث جرير بن عبد الله البجلي، رقم (١٩٢١٥)، (٣١/٥٤٧)، وَصَحَّحَهُ محققو المسند.

ويتعجب الدكتور الحجري رحمته الله لما فتحوا مكة، فعلى الرغم من انتصارهم وتمكنهم من قريش إلا أنهم لم يتطلعوا إلى أموالهم وديارهم التي أخرجتهم منها قريش، يقول الدكتور الحجري رحمته الله: "فحين أتم رحمته الله فتح الفتوح (فتح مكة) سأله أسامة بن زيد: أين نزل غدا يا رسول الله؟ قال: «وهل ترك لنا عقيل داراً»، وطلب أن تضرب قبته (خيمته) في نفس المكان الذي حاصرت قريش فيه المسلمين في شعب أبي طالب في خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر، حيث قال رحمته الله: «نحن نازلون غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»، ومن أعاجيب هذه الدعوة الكريمة وتعاجيبها -ولا عجب من أمرها؛ لأنها من الله تعالى- أن هؤلاء الصحابة الكرام حين عادوا إلى مكة فاتحين -رمضان السنة الثامنة للهجرة- لم يأخذ أي أحد منهم، ولم يفكر بمال أو عقار، أثاث أو دار مما تركه وأخذته قريش، ولم يكن ذلك على بالهم أو في حسابهم، لا سيما بعد توجيه الرسول الكريم رحمته الله من سأل منهم عن هذا الأمر، كانوا يريدون أن يكون جهادهم خالصاً لله تعالى، وهذا في كل الأعمال، وكانوا يحافظون على ذلك ولا ينقصون منه، سائلين الأجر من الله تعالى في كل هذا وغيره، ديدن مؤلف" (٣).

والحديث الذي أشار إليه الدكتور الحجري متفق عليه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أسامة بن زيد بن حارثة أنه قال: يا رسول الله، أتزل في دارك بمكة؟ فقال:

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الطاء، باب الطاء مع اللام، (٣/١٣٦).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/١٥٠).

(٣) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجري (ص ٣٩١-٣٩٢).

«وهل ترك لنا عقيل من رباح أو دور؟»، وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرثه جعفر ولا علي شيئاً؛ لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرين^(١).

٩- غزوة تبوك:

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، وكان جيش هذه الغزوة يسمى جيش العسرة، وتبوك تقع على بعد (٧٠٠ كم) من المدينة المنورة، وهذه الغزوة أكبر حملة للمسلمين، وقادها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لثاني لقاء مع الروم؛ تمهيدا للفتوحات القادمة^(٢).

وقد وصف الله هذه الغزوة بالعسرة فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقد سئل عمر بن الخطاب عن العسرة فذكر أنها غزوة تبوك؛ فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن العسرة قال: "خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيه فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، قد عودك الله في الدعاء خيراً؛ فادع لنا، فقال: «أتحب ذلك؟» قال: نعم، قال: فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركن النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح، رقم (٤٢٨٢-٤٢٨٣)، (١٤٧/٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب النزول بمكة للحج، وتورث دورها، رقم (٤٣٩-١٣٥١)، (٩٨٤/٢).

(٢) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى (ص ٢١٣).

يرجعها حتى أظلت سحابة، فسكبت، فملاًوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر" (١).

وقد استدلل الإمام الطبري بهذا الحديث على أن غزوة تبوك هي العسرة التي ذكرها الله في الآية السابقة، ونقل ذلك عن غير واحد من السلف (٢).

خامساً: إرسال الرسل لملوك الأرض:

يرى الدكتور الحجى رحمته الله أن إرسال الرسل إلى ملوك الأرض كان تمهيداً لانتشار الإسلام خارج الجزيرة، ودليلاً على عالمية الإسلام، يقول الدكتور الحجى رحمته الله: "إرسال السفراء إلى ملوك العالم خارج الجزيرة العربية، وهي خطوة عجيبة، لا سيما في تلك الظروف، كانت في بدايات محرم من السنة السابعة للهجرة؛ مما تدل على رؤية البعد المستقبلي، وما سيأتي من أمور في بعدها الزمني، وانتشار الإسلام خارج الجزيرة، ربما مهدت هذه الخطوة لما بعدها من تلك الأحداث، الإسلام دعوة عالمية، ذلك معروف من أول يوم، تلك طبيعته الواضحة، هذا وغيره من توجيهه الله تعالى في أحداث مستقبلية قادمة" (٣).

وعالمية الإسلام أكدها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النجاسة وتطهيرها، رقم (١٣٨٣)، (٤/٢٢٣)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حَقَّقَهُ، وَحَرَّجَ أَحَادِيثَهُ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْحَقِيقُ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوطُ، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٧/١٦٠).

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري (١٢/٤٩-٥٢).

(٣) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجى (ص ١٨٢).

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصلي، وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^(١).

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله عدد هؤلاء الرسل فيقول: "كانت بواكير الانطلاق إلى العالم تدق أبوابها برفق حنون، وحس كريم، وفهم قائم، ونظر مكث وطيد، ففي أوائل محرم من السنة السابعة للهجرة النبوية الشريفة انطلق سته من الصحابة الكرام على الخيول المطهمة، يحمل كل واحدٍ منهم رسالةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودَعَّ هؤلاء الرسل السفراء الستة ماشيًا، وهم على ظهور آساد تمور، ولا تجور، هبت نسماها كالريح في نفس اللحظة، كلٌّ إلى جهته المحددة، ترعاهم عناية الله القدير تعالى، ثم تحدَّث الدكتور الحجي رحمته الله عن هؤلاء الرسل بالتفصيل فقال: "كان هؤلاء السفراء الستة باكورة سفراء الدعوة، مبادرة تُمثِّلُ الدبلوماسية النبوية الكريمة المتقدمة، ذهبوا إلى أكبر وأشهر وأخبر ملوك الأرض يومها يدعونهم إلى دين الله تعالى العزيز ومنهجه الفريد"، ثم ذكر الدكتور الحجي رحمته الله هؤلاء الستة، ورد الملوك والحكام عليهم^(٢)، وهم:

١- حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أُرْسِلَ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط حاكم مصر، وكان مقره الإسكندرية، وهو وإن لم يسلم إلا أن رَدَّهُ كان وديًا كريمًا، وأرسل هدايا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، رقم (٣٣٥)، (٧٤/١)، والإمام مسلم في صحيحه،

كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٣(٥٢١)، (٣٧٠-٣٧١).

(٢) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٨٣-١٨٤).

أما المقوقس فقد تلقى كتاب النبي ﷺ بالتعظيم والاحترام، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة؛ لتركبها، والسلام عليك"، ولم يزد على هذا، ولم يُسلم، والجاريتان مارية وسيرين (١).

٢- الصاحبي القائد السفير دحية بن خليفة الكلبي ﷺ، وأُرْسِلَ إلى قيصر الروم هرقل الأول إمبراطور الروم، وجرى اللقاء به في بيت المقدس، وهو وإن لم يسلم إلا أن ردّه وديعاً مجاملاً.

وذكر الدكتور الحجي ﷺ تعظيم قيصر الروم لكتاب رسول الله ﷺ فقال: "بل إن آخرين وإن لم يُسلموا أَعْظَمُوهُ، وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخْدُمُوهُ، ومنهم من أسلم حين سمع أخباره، وكثير من الأحرار والرهبان، وحتى من ملوكهم من عملوا ذلك، كما فعل هرقل (قيصر الروم) الذي وَجَّهَ إليه رسول الله ﷺ كتابه بعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة يدعوه للإسلام، فلقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه أخبر أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل (قيصر الروم) يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي... فقرأ الكتاب لهرقل، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحَمَّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٣/٦٠٣-٦٠٤).

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]» (١).

والحديث الذي ذكره الدكتور الحجى أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال: "انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبيننا أنا بالشأم إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به، فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، قال: فقال هرقل: هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فَأَجْلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبتني فكذبوه، قال أبو سفيان: وايم الله، لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آباءه ملك؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون، قال: هل يَزْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخَطَةٌ لَهُ؟ قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالا، يصيب منا، ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا، ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك

(١) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٣٧).

عن حسبه فيكم فرعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آباءه ملك فرعمت أن لا، فقلت: لو كان من آباءه ملك قلت رجل يطلب ملك آباءه، وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فرعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن لِيَدَعِ الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له فرعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فرعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه؟ فرعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجلاً، ينال منكم، وتنالون منه، وكذلك الرسل تُبْتَلَى، ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر؟ فرعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله؟ فرعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أَحَدٌ قبله قلت رجل ائتم بقول قِيلَ قبله، قال: ثم قال: بم يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف، قال: إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم، ولو أي أعلم أي أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليلغن ملكه ما تحت قدمي، قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، من مُحَمَّد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: ﴿قُلْ يَا هَلْ أَكْتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت

لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام".

وفي رواية البخاري: "قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم، فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم؟ قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فقال: علي بهم، فدعا بهم فقال: إني إنما اخترت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له، ورضوا عنه" (١).

٣- وأرسل عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس إمبراطور الدولة الفارسية الساسانية الذي مزق رسالة رسول الله ﷺ، فدعا عليه وقال: «مزق الله ملكه»؛ فأذهب الله تعالى ملكه، حيث قتله ابنه شيرويه (قباد)، وكان ذلك معجزة لرسول الله ﷺ، ثم زال ملك أكاسرة ساسان؛ تحقيقاً لقوله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده»، حيث زالت هذه الإمبراطورية المعمرة إلى الأبد، ولم تعد ثانية ألبتة بحال.

والدكتور الحجى يشير إلى ما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مرَّقه، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَرَّقُوا كُلَّ مُمَرَّقٍ (٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ

إِلَّا اللَّهَ﴾ ، رقم (٤٥٥٣)، (٦/٣٥-٣٦)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣)، (٣/١٣٩٣-١٣٩٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، رقم (٤٤٢٤)، (٨/٦).

قال ابن حجر: "قوله: (فحسبت أن ابن المسيب) القائل هو الزهري، وهو موصول بالإسناد المذكور - أي إسناد الإمام البخاري -... ويحتمل أن يكون ابن المسيب سمعه من عبد الله بن حذافة صاحب القصة؛ فإن ابن سعد ذكر من حديثه أنه قال: فقرأ عليه كتاب رسول الله ﷺ فأخذه فَمَزَقَهُ، قوله: (فدعا عليه رسول الله ﷺ) أي على كسرى وجنوده، قوله: (أن (بمزقوا كل مَزَّق) بفتح الزاي، أي: يتفرقوا ويتقطعوا، وفي حديث عبد الله بن حذافة: فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: (اللهم مزق ملكه)"^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ستٍ أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كُتُبًا، فقبل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتابًا إلا محتومًا، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتمًا من فضة، فصبه منه نقشه ثلاثة أسطر: مُحَمَّد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم، وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي - وهو أحد الستة - إلى كسرى يدعوهم إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرئ عليه، ثم أخذه فَمَزَقَهُ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزق ملكه»، وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جليدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه ورجلا آخر، وكتب معهما كتابًا، فَمَزَقَهُ المدينة فدفعها كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ، ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد»، فجاءاه من الغد فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها - وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من

(١) فتح الباري، ابن حجر (١٢٧/٨).

جمادى الأولى سنة سبع - وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله»، فرجعا إلى باذان بذلك فأسلم هو والأبناء^(١) الذين باليمن^(٢).

وقد قال الدكتور الحجري: "ولقد أهدى عبد الله بن حذافة السهمي سفير رسول الله ﷺ إلى إمبراطور فارس كسرى أبرويز ليدعوه إلى الإسلام فمزق الكتاب، لكن الله مَزَّقَ مُلْكَهُ، وَفُتِلَ بيد ابنه، وكان الرسول ﷺ حين بلغه ما فعل هذا الكسرى بالكتاب وحامله دعا عليه بقوله: (اللهم مَزَّقْ ملكه) فكان، وتلك إحدى معجزات الرسول ﷺ"^(٣).

٤- وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة، وهو أصحمة بن أبجر، وقد أسلم هذا النجاشي، وهو غير النجاشي الذي هاجر إليه المسلمون الهجرتين في العهد المكي، الذي كان هو بدوره أسلم كذلك، وكانت وفاته بعد عزوة بدر الكبرى. وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ^(٤).

(١) الأبناء: جمع ابن، ويقال لأولاد فارس (الأبناء)، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف ابن ذي يزن لما جاء يستنجد على الحبشة، فنصروه، وملكو اليمن، وتديروها، وتزوجوا في العرب، فقبل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الهمة، باب الهمة مع الباء، (١٧/١-١٨).

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد، السيرة النبوية، ذكر بعثة رسول الله ﷺ الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وما كتب به رسول الله ﷺ لناس من العرب وغيرهم، (٢٥٨/١-٢٦٠). وقد صحَّح الشيخ الألباني هذا الحديث، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم (١٤٢٩)، (٣/٤١٤-٤١٥).

(٣) جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٤).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ﷻ، رقم ٧٥ (١٧٧٤)، (٣/١٣٩٧).

وقد قال النجاشي عندما بلغه كتاب رسول الله ﷺ: "أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشقى من الخبر"، ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ، اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَّغْنِي كِتَابَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عَيْسَى، فَوَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنْ عَيْسَى لَا يَزِيدُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ تَفَرُّوقًا، إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا، وَقَدْ قَرَبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدِّقًا، وَقَدْ بَايَعْتِكَ وَبَايَعْتَ ابْنَ عَمِّكَ، وَأَسْلَمْتَ عَلَيَّ يَدِيهِ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ"^(١).

٥- وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب النصارى بالشام.

قال ابن كثير رحمته الله: "ذكر إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى بالشام، قال ابن إسحاق: (ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمه إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق)، قال الواقدي: (وكتب معه: «سلام على من اتبع الهدى، وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك»، فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال: ومن ينتزع ملكي؟ إني سأسير إليه"^(٢)).

٦- أرسل النبي ﷺ سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي ملك اليمامة وصاحبها.

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٦٠٢/٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٤٨٣/٦).

بعث رسول الله ﷺ سليط بن عمرو العامري - وهو أحد الستة - إلى هوزة بن علي الحنفي يدعو إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، فقدم عليه، وأنزله، وحباه، وقرأ كتاب النبي ﷺ، ورد رداً دون رد، وكتب إلى النبي ﷺ: "ما أحسن ما تدعو إليه، وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك"، وأجاز سليط بن عمرو بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ، وأخبره عنه بما قال، وقرأ كتابه، وقال: «لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه»، فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات (١).

سادساً: حجة الوداع:

يذكر الدكتور الحجي أنه نودي في حج السنة التاسعة ألا يحج بعد العام مشركاً؛ ليصفو الحج للإسلام وحسب، ليكون الرسول ﷺ في موسم حج العام السنة العاشرة للهجرة في حجة الوداع، يرشدهم في هذا الجمع النادر للمرة الوحيدة بكلمات نبي مودع لأمته التي ستحمل الرسالة من بعده إلى الأجيال التالية بأمانة واكتمال وجهاد (٢).

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشرّاً كثيراً، كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه" (٣).

وذكر الدكتور الحجي رحمته الله وقت إهلال النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بالحج فيقول: "فلما كان

يوم التروية ثامن ذي الحجة - كان يوم خميس - توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج" (١).

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٦٢/١).

(٢) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجي (ص ٢١٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم ٤٧٧ (١٢١٨)، (٢/٨٨٦-٨٨٧).

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج" (٢).

وأورد الحجي رحمته الله خطب النبي الثلاثة التي خطبها في حجة الوداع إذ يقول: "الخطبة الأولى بعرفة (الجمعة تاسع ذي الحجة)، ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم التروية، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بثبّة له من شعر فضربت بنمرة، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس" (٣).

وقد أخرج الإمام مسلم ما ذكره الدكتور الحجي، وهذه الخطبة في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم عرفة فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة، وأول ربا أضع رباناً ربا عباس بن عبد المطلب؛ فإنه موضوعة كله، فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحلتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجي (ص ٣١٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٤٧٧ (١٢١٨)، (٢/٨٨٩).

(٣) الإشارات والبشارات، عبدالرحمن الحجي (ص ٣١٧).

تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات»^(١).

والخطبة الثانية كانت يوم النحر فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس، أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «فأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»، فأعادها مرارا، ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته: «فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

وكانت الخطبة الثالثة بمنى في أوسط أيام التشريق، فقال: «يا أيها الناس، أتدرون في أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟» قالوا: في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه»، ثم قال: «اسمعوا مني نَعِيشُوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يجلب مال امرئ إلا بطيب نفس منه، ألا وإن كل دم ومال ومأثرة^(٣) كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعًا في بني ليث فقتلته هذيل، ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوعًا،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم ٤٧٧ (١٢١٨)، (١٨٩/٢-١٨٩٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم (١٧٣٩)، (١٧٦/٢).

(٣) قال ابن الأثير: "مآثر العرب: مكارمها ومفاخرها التي تُؤثَرُ عنها، أي: تُروى وتُذكر"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الهمزة، باب الهمزة مع الناء، (٢٢/١).

وإن الله وَعَلَيْكَ قَضَى أَنْ أُولَ رَبِّا يَوْضَعُ رَبِّا الْعَبَّاسِ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، لَكُمْ رَعُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلَمُونَ، وَلَا تَظْلَمُونَ، أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَائِمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَّ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ^(١)، لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنْ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا، أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا غَيْرِكُمْ، وَلَا يَأْذَنَ فِي بَيْوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ^(٢)، فَإِنْ خَفْتُمْ نَشْوَزَهْنَ فَعُظُوهُنَّ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ^(٣)، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ، وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُرْودْهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَ عَلَيْهَا»، وَبَسَطَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «أَلَا

(١) أي: أسراء، أو كالأسراء، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير حرف العين، باب العين مع النون، (٣/٣١٤).

(٢) وفي معنى (أن لا يوطئن فرشكم أحدًا غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه) قال الإمام النووي: "والمختار أن معناه أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلًا أجنبيًا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة؛ فالنهي يتناول جميع ذلك، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا مَنْ عَلِمَتْ أو ظَنَّتْ أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عُرفَ رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا، ولم يترجح شيء، ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول، ولا الإذن، والله أعلم"، شرح النووي على مسلم (١٨٤/٨).

(٣) قال الإمام النووي: "وأما الضرب المبرح فهو الضرب الشديد الشاق، ومعناه اضربوهن ضربًا ليس بشديد ولا شاقًا"، شرح النووي على مسلم (١٨٤/٨).

هل بلغت، ألاهل بلغت، ألاهل بلغت؟»، ثم قال: «ليبلغ الشاهد الغائب؛ فإنه رب مُبْلَغٍ أسعد من سامع»^(١).

يقول الدكتور الحجي رحمته الله بعد إيراد هذه الخطب الثلاثة: "هنا يمكن بيان أهمية خطبة حجة الوداع، جمعت مجمل تعاليم الإسلام لإقامة مجتمعه بشكل عملي، بدأ فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم وذويه، عاداته في كل الأمور، حيث تناولت الأمور الرئيسة: التوصية بالنساء، وتحريم الدماء والأموال والأعراض وصياتها، قرن كل ذلك بجرمة اليوم والشهر والبلد الذي كان فيه، ولا بد من الأمانة في أدائه جميعاً، مظهرًا يحمل خطورة كل ما يُهَدَّدُ هذه الأمور، مُبَيِّنًا حرمة هذه المحرمات كالربا، والزنا، وأن البعد يتم بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن المسلمين إخوة، وأن البعد عن تلك الأمور من شأن أهل الجاهلية التي وضع صلى الله عليه وسلم كل أمورها تحت قدميه الشريفتين، تلك التي جاء الإسلام لإزالتها ونقل البشرية منها إلى دين الله تعالى"^(٢).

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "فكان جماعة الهدي الذي قَدِمَ به عليٌّ من اليمن، والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة، فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي... ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غير"^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث عم أبي حرة الرقاشي، رقم (٢٠٦٩٥)، (٣٤/٢٩٩-٣٠٢)، وَصَحَّحَ محققو المسند هذا الحديث لغيره.

(٢) الإشارات والبشارات، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٢٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٤٧٧ (١٢١٨)، (٢/٨٨٩-٨٨٨).

وقد ذكر الدكتور الحجري رحمته الله عدد الهدى الذي ساقه النبي صلى الله عليه وسلم، وما نحره منها بيده الشريفة، ووقت إهلال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بالحج فيقول: "كانت جماعة الهدى مائة، فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثلاثاً وستين بقدر عمره الشريف"^(١).

سابعاً: استخلاف أبي بكر في الصلاة:

مرض النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودته من الحج، وكان في أول الأمر يخرج إلى المسجد فيصلي بالصحابة رضي الله عنهم، ثم لما عجز عن الخروج استخلف أبا بكر على الصلاة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»، فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ أَسِيفٌ^(٢)، وإنه متى ما يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «مروا أبا بكر يصلي بالناس»، فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجلٌ أَسِيفٌ، وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، قال: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة، فقام يُهادى^(٣) بين رجلين، ورجلاه يخطان^(٤) في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب أبو بكر يتأخر، فأوماً إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً، وكان

(١) الإشارات والبشارات النبوية، عبدالرحمن الحجري (ص ٣١٧).

(٢) أي: سريع البكاء والحزن، وقيل: هو الرقيق، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الهمزة، باب الهمزة مع السين، (٤٨/١)، وفتح الباري، ابن حجر (١/٧٨).

(٣) أي: يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الهاء، باب الهاء مع الدال، (٢٥٥/٥).

(٤) أي: لم يكن يقدر على تمكينهما من الأرض، انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢/١٥٤).

رسول الله ﷺ يصلي قاعدًا، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر ﷺ" (١).

ويذكر الدكتور الحجي ﷺ أن النبي ﷺ طلب بتأكيد أن يصلي أبو بكر بالناس حتى بعد أيام وفاته ﷺ (٢).

ثامنًا: وفاته ﷺ:

ذكر الدكتور الحجي ﷺ أن النبي ﷺ دعا الناس في مرض موته إلى الحضور في المسجد، فصعد المنبر وقعد، فقام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال: «أما بعد، أيها الناس، إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، ولن تروني في هذا المقام فيكم، وقد كنت أرى أن غيره غير مُعْنٍ عني حتى أقومه فيكم، ألا فمن كنت جلدت له ظَهْرًا فهذا ظهري فليستقد، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عِرْضًا فهذا عرضي فليستقد، ولا يقولن قائل: أخاف الشحناء من قِبَلِ رسول الله ﷺ، ألا وإن الشحناء ليست من شأني، ولا من خُلُقِي، وإن من أحبكم إلي من أخذ حَقًّا إن كان له علي، وحلَّلني، فلقيت الله ﷻ وليس لأحد عندي مظلمة" (٣)، وذكر الدكتور الحجي أن رجلاً قام يطلب عفوًا مما صنع، وآخر

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم، رقم (٧١٣)، (١/١٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، رقم ٩٥ (٤١٨)، (١/٣١٣-٣١٤).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٢٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الفاء، فضل بن العباس، رقم (٧١٨)، (١٨/٢٨٠)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية.

وهذا الحديث ضَعْفُهُ الشيخ الألباني، وذكر أنه منكرٌ انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني رقم (٦٢٩٧)، (١٣/٦٤٣-٦٤٧)، بل قال الذهبي عن هذا الحديث: "أخاف أن يكون كذبا مختلفًا"، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط (١) ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م، (٣/٣٨٢).

يرجوه أن يدعو له فأجابهم ملبياً رغبتهم، وكانت آخر صلواته ﷺ الظهر له مع المسلمين في هذا اليوم^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجر، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف^(٢)، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، فَبُهْتَنَا^(٣) ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص^(٤) أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر، فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك^(٥).

وقد ذكر الدكتور الحجى أن الله توفي نبيه محمداً ﷺ يوم الاثنين حين اشتد الضحى في الثاني عشر من ربيع الأول عند تمام عشر سنين من الهجرة النبوية الشريفة^(٦).

أما سكرات الموت فقد عانى منها النبي ﷺ؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة -أو علبة فيها ماء، شكَّ أحد الرواة- فجعل يدخل يديه في الماء

(١) ينظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٢٤-٣٢٥).

(٢) قال الإمام النووي: "قوله: (كأن وجهه ورقة مصحف) عبارة عن الجمال البارع، وحسن البشرة، وصفاء الوجه واستنارته"، شرح النووي على مسلم، النووي (٤/١٤٢).

(٣) بھتنا: بالبناء للمجهول، أي: أخذنا بغتة، وانتابتنا الحيرة، انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط (١) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (٢/٥٦٤).

(٤) أي: رجع إلى ورائه فهقري، ينظر: شرح النووي على مسلم (٤/١٤٣).

(٥) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، رقم (٦٨٠)، (١/١٣٦-١٣٧)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض

وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، رقم ٩٨ (٤١٩)، (١/٣١٥).

(٦) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٢٥).

فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكراتٍ»، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى»، حتى قُبِضَ، ومالت يده" (١).

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة، ثم يُخَيَّرَ»، فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي عُشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى»، قلت: إذا لا يختارنا، وعرفت الحديث الذي كان يُحدِّثنا به وهو صحيح في قوله: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير»، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: «اللهم الرفيق الأعلى» (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا حُيِّرَ بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة، فسمعتة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] فعلمت أنه حُيِّرَ" (٣).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمه الله ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها من معاناة النبي ﷺ من شدة سكرات الموت، ثم قال رحمه الله: "هكذا ذهب الرسول الكريم ﷺ إلى ربه، كانت آخر

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم (٦٥١٠)، (١٠٧/٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ، رقم (٤٤٦٣)، (١٥/٦)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، رقم ٨٧ (٢٤٤٤)، (١٨٩٤/٤).

(٣) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [النساء: ٦٩]، رقم (٤٤٦٣)، (٤٦/٦)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، رقم ٨٦ (٢٤٤٤)، (١٨٩٣/٤).

كلماته «مع الرفيق الأعلى» ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] (١).

(١) انظر: الإشارات والبشارات ، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٢٥-٣٢٦).

المبحث الثالث

جهوده في خدمة تاريخ الأندلس

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في بيان حال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي.

المطلب الثاني: جهوده في بيان العهد التي مرت بها الأندلس

من الفتح حتى السقوط.

المطلب الثالث: جهوده في بيان انتشار الإسلام في إسبانيا.

المطلب الرابع: جهوده في بيان العلاقة العلمية بين الأندلس

والمشرق الإسلامي.

المطلب الأول:**جهوده في بيان حال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي**

كانت إسبانيا في ذلك الوقت تعيش فترة من فترات الجهل والتخلف البالغ، وكان الظلم هو القانون السائد؛ فالحكام يمتلكون الأموال وخيرات البلاد، ويتخذون القصور والقلاع والحصون مسكنًا، بينما يعيش الشعب في بؤس شديد، ولا يجدون المأوى والسكن، بل وصل بهم الحال إلى أن يباعوا ويشتروا، وكانت الأخلاق متدنية، والحرمات منتهكة، وانعدمت مقومات الحياة الطبيعية؛ فالنظافة الشخصية على سبيل المثال اختفت، حتى إنهم كانوا يتركون شعورهم تنسدل على وجوههم، ولا يهدبونها، وكانوا - كما يذكر الرحالة المسلمون الذي جاؤوا هذه البلاد في ذلك الوقت - لا يستحمون في العام إلا مرة أو مرتين، بل يظنون أن هذه الأوساخ التي تتراكم على أجسادهم هي صحة لهذا الجسد، وخير وبركة له^(١).

ويوضح الدكتور الحجى رحمة الله أمرين من الفساد الذي ساد إسبانيا قبل الفتح الإسلامي، وهما:

الأول: استبداد القوط بالحكم قبل الفتح الإسلامي، وبسبب سوء سياستهم ساءت أحوال إسبانيا، واضطرت حياة سكانها، بالفوضى المنتشرة، وكثير من الناس يعيشون في شقاء؛ لسوء الأحوال المعيشية، واستغلال الطبقة الحاكمة وأصحاب المصالح للشعب.

(١) انظر: جغرافية الأندلس، أبو عبيد البكري، تحقيق عبد الرحمن الحجى، دار الإرشاد، بيروت، ط(١) ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م، (ص ٨١).

والثاني: الصراع بين الطبقات والحاكمين، وبين الحاكمين أنفسهم، وكان الشعب الإسباني مقسمًا إلى طبقات، مع وجود الفوارق الطبقيّة، فلا يحظى بالحياة الكريمة إلا طبقة معينة، حصلت على الامتيازات، والأسرة المالكة هي التي بيدها كل شيء، أما بقية الشعب فيلاقي الإهمال والظلم، وتفرض عليهم الضرائب والتكاليف الباهظة، ويرى الدكتور الحجى أن مثل هذا الوضع لا يمكن أن يوفر استقرارًا أو عدالة اجتماعية؛ فقد كانت الطبقات المنتجة في المجتمع محرومةً من كثير من حقوقها، وتؤدي فقط المسؤوليات والتكاليف التي عليها^(١).

لذلك عندما جاء الفتح الإسلامي أُقبل أهلُ إسبانيا يعتنقون عقيدة الإسلام، ويأخذون شريعته أخلاقًا وسلوكًا، ودخلوا في الإسلام طواعية دون إكراه، وامتزجت عناصر الشعب كلها في ظل العقيدة والشريعة الإسلامية، وقد كان حال إسبانيا كحال الجزيرة العربية قبل الدعوة الإسلامية بأئسة يائسة، وانحدرت بعقائدها ومسالكتها وتعاملها وأساليب حياتها أفرادًا ومجتمعات، وكانت في درك سحيق من التردّي والضلال كما ذكر الدكتور الحجى ﷺ^(٢).

وصدق الله إذ يقول: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ

رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم: ١].

وما أروع إجابة ربي بن عامر رضي الله عنه على قائد الفرس في موقعة القادسية عندما سأله: ما جاء بكم؟ فقال ربي: "الله ابتعثنا لنخرج مَنْ شاء مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعْتِهَا، وَمَنْ جَوَرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ،

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٨-٣٩).

(٢) ينظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ٥٩).

فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ، وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبِي قَاتَلَنَا أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ، قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبِي، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ" (١).

وذكر الدكتور الحجي رحمه الله أنه حين جاء الإسلام أخرج إسبانيا من الظلمات إلى النور، ومن الذلة إلى العزة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله" (٢)، وقد كان حال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي في ذلة واستبداد، وحين دخل أهلها الإسلام إليها قضى على الأوضاع السيئة التي سبق وصفها قبل الفتح، ولم تعد هناك طبقة متحكمة متمثلة في الأسرة الحاكمة والنبلاء، وانتهت عبودية الأرض؛ حيث تحرر كل من دخل الإسلام (٣).

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (٦٢٢/٩).

(٢) أخرج نحوه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان، رقم (٢٠٧)، (٢٩٨/١)، المحقق: الفريق العلمي لمكتب خدمة السنة، بإشراف أشرف بن محمد نجيب المصري، الناشر: دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، الجمهورية العربية السورية، ط (١) ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، وقال عنه الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٨/١).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٧٣).

المطلب الثاني: جهوده في بيان العهود التي مرت بها الأندلس من الفتح حتى السقوط

أولاً: الفتح الإسلامي للأندلس:

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن فكرة فتح شبة الجزيرة الإيبيرية فكرة إسلامية بحتة تماماً^(١)؛ ففكرة فتح الأندلس ترجع إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٢)، فقد كان القائد عقبة بن نافع الفهري يُفكّر في اجتياز مضيق جبل طارق، بعد أن قام المسلمون بنشاطات عسكرية عدة على شواطئ إسبانيا الشرقية وجزر ميورقة^(٣) ومنورقة^(٤) واليابسة^(٥)، وقد جهز موسى بن نصير ولده عبد الله فافتتح جزيرتي ميورقة ومنورقة^(٦)، وكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الجيش

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٨).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٢٢٦/١٠).

(٣) مئورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء -يلتقي فيه ساكنان- وقاف، وهي جزيرة في شرقي الأندلس، ينظر: معجم البلدان، للحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، دار صادر، بيروت، ط(٢) ١٩٩٥م، (٢٤٦/٥).

(٤) مئورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، وفتح الراء، وقاف، وهي جزيرة عامرة في شرقي الأندلس قرب ميورقة، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٢١٦/٥).

(٥) انظر: المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط(٣) ١٩٥٥م، (٤٦٦/٢-٤٧٠).

اليابسة: جزيرة نحو الأندلس في طريق من يقلع من دانية في المراكب يريد ميورقة فيلقاها قبلها، وهي كثيرة الزبيب، فيها ينشأ أكثر المراكب؛ لجودة خشبها، انظر: معجم البلدان، للحموي (٤٢٤/٥).

(٦) انظر: العبر في خبر من عَبرَ، للذهبي، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (٧٧/١).

الإسلامي في القيروان قائلاً: "أما بعد، فإن فتح القسطنطينية إنما يكون من الأندلس" (١).
والفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) أمر طبيعي حسب خطة المسلمين في الجهاد والفتوحات المتمثلة بتأمين حدودهم، ونشر دعوتهم فيما وراء الحدود، وهذا يقتضي أن يستمر المد الإسلامي ما دامت فيه القوة على الاستمرار كما يذكر الدكتور الحجى (٢).

وقد نوه الدكتور الحجى على بعض الأحداث المهمة في الفتح الإسلامي للأندلس، منها ما يأتي:

١ - اتصال يوليان بالمسلمين في المغرب الأقصى:

يرى الدكتور الحجى رحمته الله أن اتصال يوليان وعرضه مساعدة المسلمين في فتح الأندلس جاء في الوقت الذي كان يفكر فيه موسى بن نصير في فتح الأندلس، يقول الدكتور الحجى رحمته الله: "وأما الاتصال بـ (يوليان) (٣) حاكم مدينة سبتة (٤) وإعانتته المسلمين في تنفيذ فكرة

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (٢٥٥/٤)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط (١) ١٩٦٨م، (١/٢٠٤).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٧).

(٣) يوليان هو: حاكم مسيحي، كان يحكم مدينة سبتة وما يجاورها، يدعى يُليان (جوليان، يوليان، وليان، بليان، إليان، جليان)، وكانت له عدة وقوة لم ير لها موسى بن نصير مثيلاً لها من قبل، والروايات متناقضة حول شخصية يوليان، فيقال: إنه مسيحي من إفريقية، ويقال: إنه مسيحي من بربر غمارة، وقيل: إنه رومي، وقيل: إنه قوطي من أتباع ملك إسبانيا، وكان الحاكم البيزنطي العام على ولاية سبتة، ثم تعاون مع غيطشة حتى مات، فتعاون مع لذريق الذي خلف غيطشة، ثم تعاون مع موسى بن نصير وطارق بن زياد، انظر: قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ومنار للنشر والتوزيع، ط (١) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (١/١٤٢-١٤٥).

(٤) سبتة: بفتح السين، وسكون الباء، وفتح التاء، مدينة وميناء كبير بالمملكة المغربية، تقع على ساحل البحر المتوسط في مواجهة مضيق جبل طارق، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها، وهي أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر، تقابل جزيرة الأندلس، وهي مدينة حصينة، ضاربة في البحر، وبينها وبين فاس - قديماً في زمن

الفتح جاءت مواتية على ما يبدو في الوقت الذي كان موسى بن نصير والي الشمال الإفريقي قبل وخلال فتح إسبانيا يفكر في تنفيذ فكرة الفتح" (١).

ففي هذه الفترة اغتصب (لذريق) (٢) عرش الأندلس، وأمعن في مطاردة بيت (غيطشة) (٣) الحاكم السابق للأندلس، وتتبع أنصاره بالأذى؛ لذا فروا من إسبانيا، والتمسوا سبل النجاة إلى أقصى الشمال أو إلى والي سبتة يوليان الذي نجحوا بمساعدته في الاتصال بالعرب، وحثوهم على فتح الأندلس (٤).

وكان الهدف من الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية هو نشر الدين الإسلامي، وإعلاء راية التوحيد في الأراضي الأوروبية، وحماية حدود بلاد المسلمين من أعدائهم البيزنطيين، وإنقاذ

= الحموي - عشرة أيام، وقد سقطت سنة (٨١٨هـ) في أيدي البرتغاليين، ثم في أيدي الإسبان سنة (٩٨٨هـ) حتى يومنا هذا، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٣/١٨٢-١٨٣)، وتاريخ سبتة، مُجدد بن تاويت، من منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط (١) ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، (ص ١٧٥-٢٠٧).

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٩).

(٢) لذريق: اشتد الخلاف حول أصله، فمن قائل: إنه كان زعيماً قوطياً كبيراً ذا علم بأمور الحرب والسلم، ومن قائل: إنه ينحدر من أصلاب ملكية، وإن جده الملك (شنداسفتو)، ومن قائل: إنه ابن (نيودفيدو) دوق قرطبة الذي عاقبه غيطشة على ثورته عليه بسمل عينيه، ومهما يكن من أمر فإن المراجع الإسبانية اللاتينية القديمة تُجمَع على أنه كان رجلاً قادرًا، وأنه كان قبل اعتلائه العرش حاكمًا لولاية بيتيكا، وأن الذين بايعوه على العرش فعلوا ذلك في قرطبة عاصمة ولايته، وكان قد أعلن نفسه ملكًا في ربيع سنة (٧١٠م)، انظر: قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب (١/١٣٢-١٣٣).

(٣) هو: غيطشة بن أبقه، كانت ولايته على الأندلس سنة سبع وسبعين (٧٧٧هـ-٧٠٠م)، وكان حسن السيرة، لين العريكة، وأطلق كل محبوس كان في سجن أبيه، وأدى الأموال إلى أربابها، توفي وخلف ولدين فلم يرض بهما أهل الأندلس، وكانت وفاته أواخر سنة (٧٠٨م) أو أوائل سنة (٧٠٩م)، ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (٤/٣٩)، وقادة فتح الأندلس، لمحمود شيت خطاب (١/١٣٠-١٣١).

(٤) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، عبد العزيز سالم، دار المعارف، لبنان، (ص ٦٦).

المجتمع القوطي من الظلم والعبودية، وقد جاء الفتح تلبيةً لنداء حاكم سبته يوليان وأبناء الملك السابق غيطشة الذين أرادوا التخلص من حاكم إسبانيا، واستعادة أملاك أبناء غيطشة؛ لذا سَهَّلُوا عملية الفتح للمسلمين (١).

ويذهب الدكتور الحجى رحمته الله إلى أن إسلام (يوليان) سرًّا من وقت مبكر منذ أيام ولاية عقبة بن نافع لشمال الإفريقي كان وراء معاونته المسلمين في فتح الأندلس (٢).

ويُدلِّلُ الدكتور الحجى رحمته الله على إسلام يوليان حاكم سبته بأمرين: الأول: قبول القائد العظيم للشمال الإفريقي وأحد كبار فاتحيه عقبة بن نافع نصيحة يوليان في ترك مدينة سبته التي ما سُمِعَ أنها فتحت، بل كان عبور حملات الفتح كلها منها.

والثاني: أنه تبين - بعد البحث والمتابعة الجادة - أن نسل يوليان ابتداءً من ابنه الذي نجد عقبه كلهم تقريباً كانوا من علماء المسلمين وأعلامهم، بل كان منهم العلماء المؤلفون والقضاة المعروفون، ولهم ترجمات في كتب الأعلام الأندلسية، ويظهر هذا من قائمة نسب نسله. ويرى الدكتور الحجى أن بعض القوط والإسبان كان لهم رغبة للفتح الإسلامي؛ لذا كانوا مع الجيش الإسلامي أدلةً لهم، يعاونونهم بكل السبل من معلومات ولغة ونصرة، منذ عمليات الفتح الأولى والتحضير لها، أي: قبل الحملة الاستكشافية، وهؤلاء كانوا قد أسلموا سابقاً، وأعانوا على قدوم الخير إلى بلدهم وهم به فرحون (٣).

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٢٤هـ، (١٨/١).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٦٠).

(٣) انظر: أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٨-٣٩).

لكن المصادر التاريخية تذكر أن مساعدة (يوليان) حاكم سبته للمسلمين كان دافعها الانتقام من حاكم الأندلس (لذريق) الذي اغتصب الحكم، واضطهد أبناء الحاكم السابق كما سبق.

وتذكر المصادر أيضا أن (يوليان) أراد أن ينتقم من (لذريق) الذي اغتصب بنته الجميلة، يقول ابن الأثير: "وكانت عادة ملوك الأندلس أنهم يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى مدينة طليطلة^(١) يكونون في خدمة الملك، لا يخدمه غيرهم، يتأدبون بذلك، فإذا بلغوا الحلم أنكح بعضهم بعضاً، وتولى تجهيزهم، فلما ولي (لذريق) أرسل إليه (يوليان) - وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبته وغيرهما - ابنة له، فاستحسنها (لذريق)، وافترضها، فكتبت إلى أبيها، فأغضبه ذلك، فكتب إلى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على إفريقية بالطاعة، واستدعاه إليه، فسار إليه، فأدخله (يوليان) مدائنه، وأخذ عليه العهد له ولأصحابه بما يرضى به، ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها، وذلك آخر سنة تسعين"^(٢).

لكن بعض المؤرخين المحدثين - وعلى رأسهم قسم من المستشرقين - يرون أن قصة ابنة (يوليان) في بلاط طليطلة محض أسطورة، ليس لها أساس من الواقع، وقد شايعهم من المؤرخين العرب والمسلمين في هذا الرأي، بل وشككوا في وجود شخصية (يوليان) أصلاً.

(١) طليطلة: مدينة كبيرة بالأندلس، من أجل مدنها قديماً، وأكثرها خيراً، تسمى مدينة الملوك، ذات خصائص محمودية، وهي حصينة، ومركز لجميع بلاد الأندلس، كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق، وما زالت في أيدي المسلمين منذ أيام الفتح إلى أن ملكها الإفرنج سنة (٤٧٧هـ)، انظر: معجم البلدان، للحموي (٤/٣٩-٤٠)، وآثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت، (ص ٥٤٥)، والروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحيمري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط(٢) ١٩٨٠م، (ص ٣٩٣).

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٤/٣٩).

لكن الأحداث كلها وما عرف به القوط والغرب في هذا الوقت يؤكد صحة هذه القصة، وأنها كانت سبباً مهماً في تعاون (يوليان) مع الفاتحين المسلمين^(١).
ومن المؤرخين المعاصرين من يرى أن مشاكل القوط الغربيين الداخلية بعد رحيل (غيطشة) سنة (٧٠٨ م أو سنة ٧٠٩ م) منعت من الاستمرار في معاونة (يوليان)؛ فأصبح وحيداً أمام تيار الفتح الإسلامي الجارف، وأصبحت ولايته وحدها هدفاً للفتح، ولم يكن بإمكانه أن يثبت طويلاً بعد أن رأى الولايات البيزنطية في الشمال الإفريقي تنهار واحدة بعد أخرى أمام زحف المسلمين الفاتحين، وكان آخر تلك الولايات ولاية طنجة المجاورة لولايته التي فتحها المسلمون؛ لذا لم يبق أمامه غير التعاون مع المسلمين الفاتحين؛ ليبقى في منصبه على ولاية سبتة، وإلا فإن المسلمين قادرون على فتح ولايته عنوة كما فتحوا غيرها من الولايات، وهذا هو السبب غير المباشر لتقريبه من المسلمين الفاتحين، وتعاونهم معهم، ومعاونته لهم^(٢).

٢- استشارة موسى بن نصير للخليفة الوليد بن عبد الملك:

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله استشارة موسى بن نصير للخليفة الأموي في ذلك الوقت فقال: "لعل موسى بدأ استشارته للخلافة في دمشق (الوليد بن عبد الملك: ٨٦-٩٦ هـ = ٧٠٥-٧١٥ م) قبل اتصالاته بـ (يوليان) أو اتصال هذا الأخير بموسى، لقد ترددت الخلافة بادئ الأمر بالقيام بمثل هذا العمل الكبير؛ خوفاً على المسلمين من المخاطرة في مفاوز، أو إيقاعهم في مهالك، لكن موسى أقنع الخليفة الوليد بالأمر، ثم تمَّ الاتفاق على أن يسبق الفتح اختبار المكان بالسرايا أو الحملات الاستطلاعية"^(٣).

(١) انظر: قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب (١٤٦/١-١٥٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٤٦/١).

(٣) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٠).

وقد ذكر ابن الأثير أمر (يوليان) ودعوته موسى بن نصير لفتح الأندلس ثم قال: "فكتب موسى إلى الوليد بما فتح الله عليه، وما دعاه إليه (يوليان)، فكتب إليه الوليد: خضها بالسرايا، ولا تُعزِّرَ بالمسلمين في بحر شديد الأهوال، فكتب إليه موسى: إنه ليس ببحر متسع، وإنما هو خليج يَبِينُ - يظهر - ما وراءه، فكتب إليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وإن كان الأمر على ما حكيت" (١).

٣- الحملة الاستطلاعية:

ذكر الدكتور الحجي أن موسى بن نصير رضي الله عنه أرسل سرية بقيادة أحد المسلمين من البربر، وهو طريف بن مالك رضي الله عنه، وكانت هذه السرية مكونة من خمسمائة جندي، منهم مائة فارس، وقد حققت هذه السرية هدفها، وعادت بالأخبار مطمئنة والمشجعة على الاستمرار في عملية الفتح (٢).

وسرية طريف بن مالك كانت في رمضان سنة (٩١هـ = ٧١٠م)، وهي سرية استكشافية إلى جنوبي إسبانيا، وقد جاز هذا الجيش الزقاق في أربعة مراكب من سبته بسفن (يوليان) أو غيرها، لكن الدكتور الحجي يرى أنها كانت سفناً إسلامية، ونزل قرب أو في جزيرة (بالوما) في الجانب الإسباني، وعرفت اليوم بكل لغات العالم بـ (جزيرة طريف)، وقد كان نجاحها حافزاً لتوجيه جيش كبير لفتح الأندلس، وكان هذا الذي وَجَّهَهُ موسى بن نصير بقيادة طارق بن زياد مُؤَلَّفًا من البربر وعدد قليل من العرب المسلمين (٣).

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣٩/٤).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٦٠-٦١).

(٣) انظر: تاريخ الأندلس، ابن الكردبوس، والكتاب مطبوع بعنوان: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نصاب جديدان، تحقيق: د/أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، عام: ١٩٧١م، ص ٤٦) والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت،

وقد قال ابن الأثير عن حملة طريف بن مالك: "فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف في أربعمئة رجل ومعهم مائة فرس، فسار في أربع سفائن، فخرج في جزيرة بالأندلس، فسميت جزيرة طريف؛ لنزوله فيها، ثم أغار على الجزيرة الخضراء، فأصاب غنيمة كثيرة، ورجع سالمًا في رمضان سنة إحدى وتسعين، فلما رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الغزو" (١).

٤ - حملة طارق بن زياد:

يرى الدكتور الحجي رحمته الله أنه من المتوقع أن يكون طريف دَرَسَ أحوال المنطقة، وتَعَرَّفَ على مواقعها بإرسال جماعات إلى أماكن عدة، منها جبل طارق لهذا الغرض، وقد كانت المعلومات التي جمعها طريف عونًا على وضع خطة الفتح المناسبة، ثم كان نزول طارق بجيشه على الجبل (٢).

وكان موسى بن نصير قد استعمل طارق بن زياد على طنجة، واختاره ليكون على مقدمة الجيش الذي سيفتح الأندلس، وكان (يوليان) مُجَاوِرًا لطارق بالخضراء التي تلي طنجة، فداخله طارق حتى صار معه إلى الرضى، ووعدته (يوليان) بإدخاله الأندلس هو وجنوده، وكان قد اجتمع لطارق اثنا عشر ألفًا من البربر، وعزم على غزو الأندلس بعد أن أخذ إذن ابن نصير مولاه في ذلك، فكان (يوليان) يحمل أصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس، ولا يشعر أهل الأندلس بذلك، ويظنون أن المراكب تختلف بالتجار، فحمل الناس فوجًا بعد فوج إلى الأندلس، فلما لم يبق إلا فوج واحد ركب طارق ومن معه حتى جاز البحر إلى أصحابه، وتخلف (يوليان) بالجزيرة الخضراء؛ ليكون أطيّب لنفسه ونفوس أصحابه، فنزل

= ط (٣) ١٩٨٣ م، (٥/٢)، والعر وديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون) (٢٨٥/٧)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري (١/٢٥٣).

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٤/٣٩).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٦١).

طارق جبلاً من جبال الأندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة (٩٢هـ = ٧١١م)؛ فسمي ذلك الجبل باسمه (١).

٥- معركة وادي برباط (٢):

يذكر الدكتور الحجى أنه عندما عبر طارق بن زياد بالجيش الإسلامي إلى جنوبي إسبانيا الجزيرة الخضراء وقعت مناوشات بين المسلمين والقوط انتصر فيها المسلمون، وقد جرى هذا القتال عند أو قرب جبل طارق قبل معركة البرباط الرئيسية، وقد اقتتلوا ثلاثة أيام، وكان على الروم (تدمير) (٣) الذي استخلفه (لذريق) ملك الروم بعد أن كتب إليه ليعلمه بأن قومًا لا يدري أمن أهل الأرض أم من أهل السماء قد وطأوا إلى بلادنا، وقد لقيتهم فلتنهض إلى بنفسك، وحقًا، إنهم من أهل الأرض بمنهج السماء كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (٤).

(١) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي (٦/٢)، والروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ص ٣٥).

(٢) وادي برباط: بالفتح ثم السكون ثم باء موحدة، وألف، وطاء مهملة، وهو واد بالأندلس من أعمال شذونة، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٣٦٨/١).

(٣) هو: تدمير بن غوبادوش أو جوبادوش، إليه تنتسب بلاد تدمير بالأندلس، وهي مرسية وما والاها، وهو أحد كبار قادة غيطشة ملك الأندلس الذي اغتصب ملكه لذريق، وكان نصرانيًا مثقفًا، استطاع بعلمه وفضله اكتساب احترام المسلمين، وقد عقد الصلح مع المسلمين على الجزيرة، وأصبح من أهل الذمة، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (٣٢١/٥)، وقادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب (٣٩/٢).

(٤) انظر: الفتح الإسلامي ونتاجه، عبد الرحمن الحجى، مقطع فيديو على الشبكة العنكبوتية.

<https://youtu.be/FIcl20OSPml> .

وقد نقل الدكتور الحجى هذه الرواية عن كتاب تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق: عبد الإله أحمد نيهان، ومحمد فاتح صالح، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط (١) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص ٧٠).

وقد ذكر الدكتور الحجي أن الجيش القوطي كان يفوق الجيش الإسلامي في العدة والعدد والعتاد والتنظيم والتدريب، إلا أن المسلمين تفوقوا بقوة العقيدة والروح المعنوية الإيمانية، يقول الدكتور الحجي: "كان الجيش القوطي يفوق الجيش الإسلامي مرات عديدة في العدد والعُدَد، مع كل التمتع بالروح المعنوية العالية، مثلما كذلك في التنظيم والتدريب والخبرة، وهو يحارب في بلد يعرفه وقريب من مصدر الإمداد، لكن الجيش الإسلامي كان متفوقاً بالروح المعنوية الإيمانية، وبقوة العقيدة وأهدافها الإنسانية السامية الكريمة، كان هذا الجيش متماسكاً، قوي البناء، شديد الاندفاع، مستعداً للاستشهاد، يسترخص الحياة من أجل هذه العقيدة وأهدافها، متعالياً على كل روابط الأرض ودوافع الدنيا ومنافع الحياة، على حين كان الجيش القوطي يفتقد هذه المعاني، فيثقله واقعه، وتفتت فيه عوامل ضعف أسيرة تجاه هذه العقيدة المنيرة وبالقياس لها" (١).

واختلف المؤرخون في عدد القوط في هذه الحرب، فقد ذكرت المصادر أنه لما بلغ (لذريق) خبر عبور المسلمين إلى الأندلس جمع ما أمكن جمعه من الجيش، فقليل: إنه جمع مائة ألف (٢)، وقليل: إنه جمع أربعين ألفاً (٣).

ويؤكد الدكتور الحجي رحمته الله على دور العقيدة في تفوق المسلمين على القوط بقوله: "لولا العقيدة وسمو الهدف فيها لكانت الغلبة للجيش القوطي الذي يفوق الجيش الإسلامي في

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٠).

(٢) انظر: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، لابن هذيل (ص ٧٠)، ونفح الطيب، المقري (١/٢٣١)، ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (١/٤٢)، وفجر الأندلس، حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ط (١) ١٩٥٩م، (ص ٢٧)، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، عبد العزيز سالم (ص ٧٥).

(٣) انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون (٤/١٥٠).

الجانب المادي، لا سيما في بلد عرفه، وأن هذا الجيش القوطي قَاتَلَ قتالًا شديدًا^(١)، ولم يعرف الهزيمة قط إلا على أيدي المسلمين^(٢).

وقد كان اللقاء بين الجيشين يوم الأحد من شهر رمضان، واستمر إلى يوم الخميس من شوال، بعد تنمة ثمانية أيام، وكانت المعركة خلال أيامها الثمانية تزداد عنفًا في المجالدة، وقدم المسلمون كثيرًا من الشهداء، وكانت قلة منهم يركبون الخيل، بينما توفر لجيش القوط منها العدد الكبير، فخرج إليهم طارق بجميع أصحابه رجالة، ليس فيهم راكب إلا القليل، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى ظنوا أنه الفناء، وصبر الفريقان جميعًا صبرًا عظيمًا، ثم أنزل الله وَعَجَّلَ نصره على المسلمين، واستمرار هذه المعركة ثمانية أيام دليل قوي على قوة الجيش القوطي، وشدة قتاله^(٣).

وَعَدَّ الدكتور الحجي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استمرار هذه المعركة ثمانية أيام، وما دار فيها من قتال شديد، عدَّ هذا دليلًا على أن الأوضاع العسكرية في شبه الجزيرة الإيبيرية لم تكن سيئة إلى ذلك الحد الذي يتعمد بعضهم تصويره، وأرجع هذا الفتح مثل غيره إلى قوة المسلمين بتمكن العقيدة، وتغلغل معانيها في نفوسهم، ولا يرجع أبدًا إلى سوء أحوال الآخرين^(٤).

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (ص ٧٠).

(٢) انظر: الفتح الإسلامي ونتائجه، مقطع فيديو على الشبكة العنكبوتية، <https://youtu.be/FIcl20OSPm>

(٣) انظر: نفخ الطيب، للمقري (٢٥٩/١)، وصف الأندلس، لابن الشباط (ص ١٣٤-١٣٥)، والكتاب مطبوع مع تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، بعنوان: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نسان جديان، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، عام: ١٩٧١م، ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (٤٢/١).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٢).

وقد كان المسلمون يقاتلون العدو في أرض جَرَبَهَا في هضاب ومفاوز شاقة، لكن تفوق المسلمين بالعقيدة اكتسح أمامه كل هذه المصاعب، ولم يكن انتصارهم سهلاً؛ فقد قدموا في هذه المعركة ثلاثة آلاف شهيد^(١).

وقد كان اللقاء بين المسلمين والقوط حاسماً، وامتن الله على المسلمين بالنصر الكبير، وَتَشَتَّتَ الجيش القوطي، وَقُتِلَ (لذريق) أو غرق كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٢).

وبعد النصر الذي حققه طارق في معركة (وادي برباط) سار بجيشه إلى (شدونة)^(٣) الواقعة إلى الغرب من قرطبة^(٤)، وحاصرها وبعد أن غنم منها توجه إلى (مورور)^(٥) التي تبعد عن قرطبة عشرين فرسخاً تقريباً، ثم عطف على (قرمونة)^(٦)، ثم مال إلى (إشبيلية) فصالحة

(١) انظر: فجر الأندلس، حسين مؤنس (٧٢).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٧٣).

(٣) شدونة: بفتح الشين، وبعد الواو الساكنة نون، وهي مدينة بالأندلس تتصل بنواحيها بنواحي مورور من أعمال الأندلس، وهي منحرفة عن مورور إلى الغرب، مائلة إلى القبلة، نزلها جند فلسطين من العرب، وكورة شدونة كورة جلييلة القدر، جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة، عذبة التربة، لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة (١٣٦هـ) وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام، وفيها كانت الهزيمة على لذريق حين افتتحت الأندلس سنة (٩٦هـ)، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٣/٣٢٩)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري، دار الخليل، بيروت، لبنان، ط (٢) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (ص ١٠٠).

(٤) انظر: موسوعة الديار الأندلسية، مُجَّد عبده حتاملة، المكتبة الوطنية، ط (١) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (١/٥٣٢-٥٣٣).

(٥) مورور، ويقال: موزور: اسم لكورة بالأندلس، تتصل أعمالها بأعمال قرمونة، وهي كثيرة الزيتون والفواكه، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٥/٢٢٢)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٨٨).

(٦) قرمونة، ويُقال: قرمونية: كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، قديمة البنيان، بينها وبين إشبيلية سبعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة اثنان وعشرون فرسخاً، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٤/٣٣٠)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٥٨-١٥٩).

أهلها على الجزية^(١)، وبعد معركة وادي برباط تجمعت فلول القوط الهاربين في مدينة (إستجه)^(٢) الواقعة على بُعد ستة وخمسين ميلاً جنوب (قرطبة)، وكانت (إستجه) مدينة حصينة، فهاجمها طارق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وظفر بها صلحاً^(٣).

لهذا يرجح الدكتور الحجى رحمة الله أن (٨٠%) من المدن الأندلسية فُتِحَتْ صلحاً وليس عنوة (حرباً)، وذلك حين لاحظ أهلها نوعية الفاتحين القادمين من وراء الصحاري والقفار والأنهار، وما يحملونه لهم من بذور صالحة، تريد هدايتهم والخير لهم، وهذا الذي من أجله جاؤوا، وهذه البذور الصالحة هي التي تثمر وحدها الخير لكل أحد مهما كان^(٤).

٦- عبور موسى بن نصير إلى الأندلس:

كان طارق بن زياد على صلة بقائده موسى بن نصير، وكان بينهما مكاتبة مستمرة، يخبره عن كل شيء أولاً بأول منذ بداية الفتح، ويستشيريه فيما يحتاج إليه، وقد طلب منه المدد في إحدى المعارك^(٥).

وقد كتب طارق إلى مولاه موسى بن نصير: إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية؛ فالغوثن الغوث^(٦)، وبذلك يكون طارق بن زياد هو الذي استدعى موسى بن نصير إلى الأندلس.

(١) انظر: نفع الطيب، للمقري (٢٦/١).

(٢) إستجه: بالكسر، ثم السكون، وكسر التاء فوقها نقطتان، وجيم، وهاء، اسم لكورة بالأندلس، وهي قديمة واسعة الرساتيق والأراضي على نهر سنجل، وهو نهر غرناطة، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ، وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة، ينظر: معجم البلدان، للحموي (١٧٤/١)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٤-١٥).

(٣) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٩-٨/٢).

(٤) انظر: أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٦-٥٧).

(٥) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٨٧).

(٦) انظر: الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م، (١١٨/٢).

ويرى الدكتور الحجى رحمته الله أن سبب الاستغاثة أن طارقاً وَزَعَ جيشه الذي استشهد نصفه أو أقل بقليل بعد المعارك العديدة خلال عمليات الفتح، ووسع مهامه، وبهذه السرعة التي تضعه في خطر من ثغرات خلفية؛ لذلك وجد موسى أنه من المناسب أن يلحق على رأس جيش يقوده بنفسه^(١).

وقد جهز موسى جيشاً قوامه ثمانية عشر ألفاً، بعد أن رتب الأمور في القيروان، واستخلف ابنه عبد الله على إفريقيا، وأقبل إلى الأندلس ومعه ابنه عبد العزيز وعبد الأعلى، وعبر المضيق إلى إسبانيا في شهر رمضان سنة (٩٣هـ = ٧١٢م)، ورست سفائنه في موضع حمل اسمه مرسى موسى، ولم تصل جيوش موسى إلى الأندلس دفعة واحدة، بل كانت مقسمة فرقاً بحسب قبائلهم وأصوالهم ومراتبهم، وكان لكل جماعة راية، وقد ابتنى في ذلك المكان مسجداً عرف بـ (مسجد الرايات)، وظل عامراً قرونًا طويلة^(٢).

وقد كان خط سير حملة موسى منذ عبوره في (شهر رمضان ٩٣هـ = ٧١٢م) حتى لقائه بطارق (ذو القعدة ٩٤هـ = ٧١٣م) الآتي: سبتة، عبر مضيق جبل طارق، الجزيرة الخضراء^(٣)،

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٨٧).

(٢) انظر: تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، (ص ٣٥)، والبيان المغرب، ابن عذارى (١٢/٢)، ووصف الأندلس، لابن الشباط (ص ١٤٤ - ١٤٥)، ونفح الطيب، للمقري (١/٢٦٩)، وفجر الأندلس، حسين مؤنس (ص ٩١).

(٣) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شنونة، وهي شرقي شنونة وقبلي قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن، وأطيبها أرضاً، وسورها يضرب به ماء البحر، ينظر: معجم البلدان، للحموي (١٣٦/٢).

مدينة شذونة، قرمونة، إشبيلية، لفنت، ماردة^(١)، وأرسل ابنه عبد العزيز في جيشٍ فَتَحَ: لبلبة^(٢)، وباجة^(٣)، وإشبيلية، وإلبيرة^(٤)، ومالقة^(٥)، وقرطاجنة^(٦)، وأوريولة^(٧)، وطلبيبة^(٨)، وكان لقاءه بطارق في طليطلة كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله^(٩).

(١) ماردة: مدينة واسعة من نواحي الأندلس بجوبي قرطبة، منحرفة إلى الغرب قليلاً، وكانت مدينةً ينزلها الملوك الأوائل؛ فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبه إليها، وهي مدينة راقية، كثيرة الرخام، عالية البنيان، فيها آثار قديمة حسنة تُفصِّدُ للفرجة والتعجب، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٣٨/٥-٣٩)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٧٥).

(٢) لبلبة: بفتح لامها وسكون الباء، قصبه كورة بالأندلس كبيرة، يتصل عملها بعمل أكشونية، وهي شرق من أكشونية، وغرب من قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية أربعة وأربعون فرسخاً، وبينها وبين إشبيلية اثنان وأربعون ميلاً، وهي برية بحرية، غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر، ولأدمها فضل على غيره، ولها مدن، وتعرف لبلبة بالحمر، ينظر: معجم البلدان، للحموي (١٠/٥)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٦٨-١٦٩).

(٣) باجة: هي من أقدم مدائن الأندلس، بُنيت في أيام الأقالمة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجددة، نزلها جند مصر، وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين، وتفسير باجة في كلام العجم: الصلح، وحوز باجة وخطتها واسعة، ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة، ينظر: صفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٣٦).

(٤) إلبيرة: من كور الأندلس، جلييلة القدر، نزلها جند دمشق من العرب، وحولها أنهار كثيرة، وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجلييلة، والأمصار النبيلة، فخربت في الفتنة، وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة التي بينها وبين إلبيرة ستة أميال، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٢٤٤/١)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٢٩).

(٥) مالقة: مدينة أندلسية على شاطئ البحر، وهي من تأسيس الأوائل، وأكثرها على جسر من بناء الأوائل، وهي حسنة عامرة أهلة، كثيرة الديار، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهو من أحسن التين طيباً وعودياً، ولها ريسان كبيران، وشرب أهلها من الآبار، ولها وادٍ يجري في زمان الشتاء، وليس بدائم الجري، وهي في غاية الحصانة والمنعة، وجامع مدينة مالقة بالمدينة، وهو خمس بلاطات، وللمدينة خمسة أبواب، وبها مبانٍ فخمة، وحمامات حسنة، وأسواق جامعة كثيرة في الرض والمدينة، ينظر: صفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٧٧-١٧٨).

(٦) قرطاجنة الخلفاء: هي من كورة تدمير، وهي مدينة قديمة أزلية، لها ميناء ترسو فيها المراكب الكبار والصغار، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع، ولها إقليم يسمى الفندون، وقليلاً ما يوجد مثله في طيب الأرض وعودية الماء، ويحكى أن السنبل يحدد فيه عن مطرة واحدة، وإليه المنتهى في الجودة، ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر أربعون ميلاً، وبقرطاجنة هذه هزم عبد العزيز بن موسى بن نصير تدمير الذي سميت به تدمير، ينظر: صفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٥١).

(٧) أوريولة: بالضم ثم السكون، وكسر الراء، وباء مضمومة، ولام، وهاء، وهي مدينة قديمة من أعمال الأندلس من ناحية تدمير، بساينها متصلة ببساتين مرسية، وهي أحد حصون الأندلس، وأحد المواضع السبعة التي صالح عليها تدمير بن

وأضى موسى وطارق فصل الشتاء في طليطلة التي أصبحت تعج بجيوش المسلمين، وقد استغل موسى هذه الفترة للقضاء على المقاومة القوطية، وتنظيم المناطق المفتوحة^(٣). وبعد انتهاء فصل الشتاء، وحلول فصل الربيع تهيأ الجيش الإسلامي لترك طليطلة، واتجه نحو الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية، إلى منطقة عرفت بـ (الثغر الأعلى)^(٤)، وذلك في جمادى الثانية سنة (٩٥هـ=٧١٤م) كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله^(٥).

وقد نشط كلٌّ من موسى وطارق في فتح الأندلس؛ فقد أمر موسى طارقًا بالتقدم أمامه في أصحابه، وسار موسى خلفه في جيوشه، فارتقى إلى الثغر الأعلى، وأوغل في البلاد، وطارق أمامه، لا يبران بموضع إلا فتح عليهما، وغنمهما الله تعالى ما فيه، وقد ألقى الله الرعب في

عبدوس عبد العزيز بن موسى بن نصير حين هزمه عبد العزيز، فصاحه على هذه المعقل وعلى أداء الجزية، وكان حصن أرويوقة قاعدة تدمير، ولها قصبه في نهاية من الامتناع على قنة جبل، ولها بساتين وجنات فيها فواكه كثيرة، وفيها رخاء شامل وأسواق وضياع، وبينها وبين مرسية اثنا عشر ميلاً، وبينها وبين قرطاجنة خمسة وأربعون ميلاً، وقد ولي قضاءها أبو الوليد الباجي، انظر: معجم البلدان، للحموي (١/٢٨٠)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٣٤).

(١) طلبة: بفتح أوله وثانيه، وكسر الباء الموحدة، وهي مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، كبيرة قديمة البناء، بينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثون ميلاً، وهي أقصى ثغور المسلمين، وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي مدينة كبيرة، وقلعتها أرفع القلاع حصناً، ومدنتها أشرف البلاد حسناً، وهو بلد واسع الساحة، كثير المنافع، به أسواق وديار حسنة، ولها عمل واسع، ومزارعها زاكية؛ وبينها وبين طليطلة سبعون ميلاً، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٣٧/٣٨-٣٨)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٢٧-١٢٨).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ١٠٤).

(٣) انظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة (٢/٧٦).

(٤) الثغر الأعلى: يمثل في الجغرافية الأندلسية ولاية الحدود الشمالية، وهي ولاية (سرقسطة) وأعمالها، ويقابل في الجغرافية الحديثة ولاية (أرغون)، وتُعدُّ مدينة (سرقسطة) قاعدة هذا الثغر، انظر: الثغر الأعلى الأندلسي: دراسة في أحواله

السياسية، خليل إبراهيم صالح السامرائي، مطبعة أسعد، بغداد، عام ١٩٧٦م، (ص ٣٩).

(٥) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ١١١).

قلوب الكفرة، فلم يعارضهما أحد إلا بطلب الصلح، وموسى يجيء إثر طارق في ذلك كله، ويكمل ما ابتدأه، ويوثق للناس ما عاهدوه عليه^(١).

وقد كتب موسى بن نصير رضي الله عنه إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يخبره بالفتح، فخر ساجدًا لله الذي منَّ على المسلمين بهذا الفتح المبين والنصر المؤزر^(٢).

وعن هذا الفتح يقول الدكتور الحجى رضي الله عنه: "أمرُ هذا الفتح الإسلاميّ - في كل مكان في عموم تاريخه، مثله في شبه الجزيرة الأيبيرية - مدهشٌ، يدعو إلى العجب، واستغرق فتح الأندلس - غير سرية طريف - ثلاث سنوات ونصف أو نحو أربع سنوات"، ويؤكد الدكتور الحجى رضي الله عنه على الغاية من فتح المسلمين الأندلس إذ يقول: "لم يكن فتح المسلمين للأندلس مجرد حدث سياسي أو انتصار عسكري، بل كان حدثًا حضاريًا، وإنجازًا رائعًا، وإعلانًا عن حياةٍ جديدةٍ، حلت تلك الأرض، وكان لها أثر في تلك الديار وما جاورها من الأقطار"^(٣)، ويرى الدكتور الحجى رضي الله عنه أن هذا الفتح هو اليقظة الكبرى؛ فقد أيقظهم الإسلام من سبات عميق، والنعمة الفضلى؛ فقد أنقذهم الإسلام من ضلال مغرق عنيد؛ ليحيوا في نوره الغامر، وظله الوارف، وخيره العريض^(٤).

٧- عودة القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى المشرق الإسلامي:

ذكر الدكتور الحجى نقلاً عن أحد المصادر التاريخية أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أرسل إلى موسى بن نصير مرتين يأمره بالرجوع إلى دمشق، وكان ذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل، فإن الخليفة لما استبطأ موسى في القفول أرسل له رجلاً آخر، وكتب إليه يوبخه،

(١) انظر: السابق (ص ١١٢-١١٣)، ونفح الطيب، المقري (١/٢٧٣).

(٢) انظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، (٢/٧٥-٧٦).

(٣) أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (٢/١٥١-١٥٢).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٦٤٧-٦٤٨).

ويأمره بالخروج، وألزم رسوله إزعاجه، فانقلع حينئذ من مدينة (لك) بـ (جليقية)^(١)، وخر على الفج المعروف بـ (فج موسى)، ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر^(٢). وكان الجيش الإسلامي قد تمكن من دخول (جليقية) والاستيلاء على معظم قلاعها، وطاردوا العدو الذي فر إلى جبال (أوسترياس)، واعتصم بها، فحاول موسى محاصرة العدو وإرغامه على الاستسلام جماعة بعد جماعة، حتى لم يبق سوى زعيم يدعى (بلاي) أو (بلايو)^(٣) وقليل من أنصاره^(٤)، وقد شدد موسى عليه الحصار حتى كاد أن يلقي سلاحه لولا إرسال الخليفة رسولاً آخر يتعجل موسى في العودة إلى دمشق بعد أن استبطأ رجوعه إثر

(١) جَلِيْقِيَّة: بكسرتين، واللام مشددة، وياء ساكنة، وقاف مكسورة، وياء مشددة، وهاء، ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب، وصل إليه موسى بن نصير لما فتح الأندلس، وهي بلاد لا يطيب سكانها لغير أهلها، وأهلها أهل غدرٍ ودناءة أخلاقٍ، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرةً أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسوها إلى أن تنقطع عليهم، وثيابهم أضيّق الثياب، وهي مفرجة تبدو من تفاريحها أكثر أبدانهم، وفيهم بأس شديد، لا يرون الفرار عند اللقاء، بل يرون الموت دونه، انظر: معجم البلدان، للحموي (١٥٧/٢)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٦٦).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٤٢)، ونفح الطيب، للمقري (٢٧٦/١).

(٣) بلايو (Pelayo): ويقال: بلاجيوس (Pelagius)، وتعرفه الرواية العربية باسم (بلاي)، وهو شخصية يحيط بأصلها الغموض، لكنه على الأرجح ينتمي إلى أصل قوطي نبيل، وتقول بعض الروايات إنه كان ابناً للدوق (فافيل) دوق (كنتبرية)، وأنه كان الساعد الأيمن للملك (لذريق)، وقد وقع (بلاي) أسيراً بأيدي المسلمين، وسجن في قرطبة، لكنه تمكن من الفرار سنة (٩٨هـ-٧١٨م)، واتجه إلى منطقة (أشتوريش) في الشمال الغربي من البلاد، وأخذ ينتقل في هذه المنطقة حتى استقر به المقام في قرية (كانجا دي أونيس Cangas)، حيث التف حوله نفر من القوط الهاريين من المسلمين، ومن الآيبيريين والرومان المقيمين في هذه المنطقة، فأخذ يحرضهم على الثوب بالعرب، ويعيب عليهم الاستسلام والتراجع، وقد لوحق بلاي من قبل منوسة القائد البربري المسلم في منطقة الاشتوريش، لكن بلاي تمكن من الإفلات منه والاختفاء في الجبال المنيع، وبخاصة في منطقة الصخرة، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل إبراهيم السامرائي، وعبد الواحد دنون طه، وناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط (١) ٢٠٠٠م.

(٤) انظر: المسلمون في المغرب والأندلس، مُجَّد زيتون، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، عام: ١٩٨٤م، (ص ١٦٨).

وصول رسوله الأول؛ لذا عاد موسى تاركًا ذلك الزعيم ومن معه معتصمًا بالجبال، واستهان بهم المسلمون بعدهم في الأندلس؛ فنمو وزادوا حتى كونوا الملكة النصرانية في الشمال التي تمكنت بعد ثمانية قرون من طرد المسلمين من الأندلس (١).

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن طارق بن زياد أتجه نحو موسى ملتحقًا به بناء على أوامره للتوجه إلى الشام من مكان ما في الثغر الأعلى (٢)، وكان في ذي الحجة سنة (٩٥هـ) (٣).

ويقول الدكتور الحجي رحمته الله واصفًا القائد موسى بن نصير رحمته الله وحرصه على الجهاد على الرغم من كبر سنه: " كان موسى كما رأينا قائدًا مؤمنًا تقيًا، متحمسًا لنشر الإسلام من أجل حمل رايته إلى كل مكان، متمتعًا بشجاعة المؤمن وتضحيته وطاقاته السياسية والإدارية، مع العزم والحزم الذي رباه الإسلام عليه، كان يقوم بكل ذلك الجهاد وعمره خمس وسبعون سنة أو يزيد، ومع كل ذلك كان بالإمكان أن يحل مكانه غيره؛ ففي المسلمين كثير من القادة الأفاضل الأنجاد، لكن أمر استدعاء الخليفة أعاد موسى وطارقًا مع طائفة كبيرة من الجيش، وأوقف الاستمرار في الفتح؛ تخوفًا على المسلمين" (٤).

وقبل أن يعود موسى إلى الشرق نَظَمَ شؤون الحكم بهذه البلاد الشاسعة، فعَيَّنَ ابنه عبد العزيز على إمارة الأندلس، وجعل مقره (إشبيلية)، وعَيَّنَ ابنه الثاني عبد الله على (إفريقية)، وعَيَّنَ ابنه الثالث عبد الملك حاكمًا على المغرب الأقصى، وجعل مقره (طنجة) (٥).

(١) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (١٦/٢).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ١٤٤).

(٣) انظر: نفح الطيب، المقري (٢٧٦/١-٢٧٧).

(٤) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ١٥١).

(٥) انظر: المسلمون في المغرب والأندلس، مُجَدُّ زيتون (ص ١٦٩).

ثانياً: عهد الولاية في الأندلس:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أنه بعد عودة القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق بدأ في الأندلس ما يعرف بعهد الولاية، وكان ذلك في الفترة من (٧١٤هـ = ٧١٤م) إلى (١٣٨هـ = ٧٥٥م) (١).

وقد كان المتبع أن يتولى حاكم (إفريقية) تعيين ولاية الأندلس في معظم الأحيان مع متابعة إدارتها، وقد عين أهالي الأندلس من يلي أمرهم بالموافقة مع حاكم إفريقية أو مقر الخلافة في دمشق (٢).

ويؤكد الدكتور الحجي رحمته الله أن الأندلس كانت في هذا العهد تابعة لولاية (إفريقية)، متخذةً من (إشبيلية) عاصمة لها، ثم انتقلت إلى (قرطبة) لتبقى دائمة (٣). وقد كان أول ولاية الأندلس عبد العزيز بن موسى الذي كان من خيرة الولاة (٤)، ووصفه الدكتور الحجي رحمته الله بأنه كان رجلاً تقياً قوياً حريصاً مع نشاطٍ وإقدامٍ، كما كان إدارياً وعسكرياً ماهراً، محباً للإصلاح، متلهفاً عليه، وقد بدأ ينظم أحوال البلاد، ويُنم عمليات الفتح، وقضى على كثير من الجيوب المتبقية فأخضعها (٥).

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ١٥٧).

(٢) انظر: تاريخ الأندلس، ابن القوطية (ص ٣٩-٤٠).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ١٥٩).

(٤) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٢/٢٤)، ونفح الطيب، المقرئ (١/٢٨١).

(٥) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ١٦٧).

وقد ضبط عبد العزيز سلطان الأندلس، وسدّ ثغورها، وافتتح مدائن كثيرة، وكان من خير الولاة، إلا أن مدته لم تطل؛ فقد وثب الجند عليه، وقتلوه؛ لأشياء نقموها عليه، وكان قتله صدر رجب سنة (٩٧هـ) بمدينة (إشبيلية)، فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر^(١). ولم يتوقف الجهاد في عهد الولاة في شبة الجزيرة الإيبيرية؛ فقد أتم عبد العزيز ما كان على موسى إتمامه، ودام جهاد المسلمين وراء جبال (البرت)^(٢) خلال الثلثين الأولين من هذا العهد، وشارك فيه عدد من الولاة، واستشهد عدد منهم خلف جبال (البرت) في فرنسا^(٣). وقد تميز هذا العهد بأنه عهد تأسيس، تمت فيه إنجازات كثيرة في كل الميادين، وتحققت فيه الفتوح المتعددة الألوان، وكانت أيامه أيام غرس لكثير من النتاج الفكري والعمري الذي وضعت أسسه في هذا العهد، وجنى ثمارها من بعدهم^(٤).

ثالثاً: عهد الإمارة في الأندلس:

أسقط العباسيون الدولة الأموية في المشرق، وتبعوا الأمويين في كل مكان قتلاً وتشريداً، ولم ينبج من نجا من هذه المطاردة إلا بأعجوبة، وكان ممن نجا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، الملقّب بـ (الداخل)؛ لكونه أول من دخل إلى الأندلس من بني أمية، وبني دولة بني أمية في الأندلس، وقد كان والي الأندلس آنذاك يوسف بن عبد الرحمن

(١) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٢٤/٢).

(٢) جبال البرت: أو جبال البرتات، وهي مشتقة من اللاتينية، ومعناها الأبواب، وهي الجبل الحاجز بين بلاد الأندلس وبلاد الفرنجة، وهي سلسلة من الجبال تمتد على مسافة (٤٥٠ كم)، من خليج جاسكون حتى خليج ليون، وتقع سفوحها الشمالية في فرنسا، والجنوبية في إسبانيا، ينظر: جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، وفاء عبد الله بن سليمان المزروع، مكتبة دار القاهرة، مصر، ط(١) ٢٠٠٣م، (ص ٣٣١-٣٣٢).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٦١).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٢٤٨).

الفهري، وكان في ذلك الوقت منشغلاً ببعض الأعمال الحربية في شمال الأندلس، وفي هذا الوقت أعد عبد الرحمن الداخل الخطة للعبور إلى الأندلس، بعد أن وفد إليه وفد من أهل الأندلس يدعونه إليهم، فأبحر من المغرب متجهاً إلى الأندلس، وتقدم نحو قرطبة بعد أن فشلت المفاوضات بينه وبين والي الأندلس ومن معه، والتقى الطرفان في معركة (المسارة) التي وقعت يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة (١٣٨هـ=٧٥٦م)، ولم تستمر غير ساعات، ثم انتصر فيها عبد الرحمن الداخل، وأقام صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وتمت له البيعة مساءً في نفس اليوم في مسجد قرطبة أميراً على الأندلس^(١).

وبذلك أصبحت الأندلس في هذا العهد بلدًا إسلاميًا مستقلاً عن الخلافة الإسلامية بعد أن كان خاضعاً لها، ولم تحاول الدولة العباسية جدياً إعادته؛ لأن استقلاله سياسياً بهذا الشكل على ما يبدو لا يمثل خطراً على الكيان الإسلامي، بل بقي يحمل رسالة الإسلام في الداخل والخارج، ولا يدعو ذلك بالضرورة للخصومة والمواجهة، وقد ذكر بعض المؤرخين محاولة عابرة لإعادة الأندلس إلى الخلافة الإسلامية، لكنها لم تات بشيء^(٢).

يتبين مما سبق أن عهد الإمارة يبدأ بمجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية في الشام سنة (١٣٢هـ=٧٥٠م)^(٣).

ويذكر الدكتور الحجي أن من أهم الأحداث في عهد عبد الرحمن الداخل سير إمبراطور دولة الفرنجة (شارلمان)^(١) لغزو الأندلس في سنة (١٦١هـ=٧٧٨م)؛ تلبية للدعوة التي وجهها

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في الأندلس، مُجدّ سهيل طقوس، دار النفائس، ط(٣) ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، (ص ١٤٦-١٤٧).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٥٣).

إليه بعض التأثيرين ضد سلطة قرطبة، وهو أمر كان يسعى إليه الإمبراطور، وربما شجعه، وأثاره (٢).

لكن (شارلمان) فشل في غزو شرق الأندلس، وعقد معاهدة سلام وصداقة بينه وبين عبد الرحمن الداخل (٣).

ويرى الدكتور الحجي رحمته الله أنه كان من ثمار هذا العهد أن قامت علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول في أوروبا وغيرها، بعد أن ظهرت هيبة الدولة في الأندلس، ووضحت قوتها، وَعَلَّتْ مكانتها، وحرصت هذه الدول أشد الحرص على صداقة الأندلس، وإقامة علاقات ودية معها؛ لذلك وجهت إلى الأندلس سفارات كثيرة، واتسمت سياسة الأندلس في هذه المدة مع قلة نشاط الفتح باعتماد عدم الأعداء، واحترام العهود والمواثيق والصداقات (٤).

وذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن من أهم أعمال عبد الرحمن الداخل تأسيس مسجد قرطبة الجامع سنة (١٦٨هـ = ٧٨٤م)، وقد أتم بناءه من جاء بعده من الأمراء والخلفاء، حتى غدا هذا المسجد أعظم آيات الفن المعماري، لا في الأندلس وحدها، بل في العالم أجمع (٥)، وقد استغرق تأسيس هذا المسجد عامًا (٦).

(١) هو: شارلمان أو شارل الكبير، ملك الإفرنج، وإمبراطور الغرب، حاول الاستيلاء على إسبانيا ففشل في سرقسطة سنة (٧٧٨م)، حمى العلماء والأدباء، وأقام علاقات تجارية مع الشرق، وتوفي سنة (٨١٤م)، انظر: المنجد في اللغة والأعلام (١/٣٢٨).

(٢) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٥١٢).

(٣) انظر: نفع الطيب، المقرئ (١/٣٣٠-٣٣١).

(٤) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٢٥، ٣٣٧).

(٥) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٥١٤).

(٦) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٢/٢٢٩).

وقد اتبعت السلطة الأندلسية في هذا العهد سياسة رشيدة مع الرعية، تقوم على أصول إسلامية من العدل، والرفق بالرعية، والإنصاف مع غير المسلمين^(١). كما فتحت الأندلس في هذا العهد أبوابها للقادمين من إسبانيا النصرانية طلباً للعلم والخير والسلم، وقابلتهم بالترحيب^(٢)، بل إن السلطات الأندلسية لم تمنع من المصاهرات مع إسبانيا الشمالية نفسها^(٣).

رابعاً: عهد الخلافة في الأندلس:

يبدأ هذا العهد منذ إعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة ومبايعته بالخلافة، وينتهي بوفاة الحكم المستنصر، وهذا أمر معقول، وإن جرى هنا اعتبار الدولة العامرية امتداداً للخلافة؛ إذ كانت تحكم باسمها، وتحتمي بظلمها كما يرى الدكتور الحجي^(٤).

ويقصد الدكتور الحجي رحمته الله بالدولة العامرية أي: الذين تغلبوا على هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر، وتولوا كل شيء في وجوده؛ فقد كان لهشام إذ ولي عشرة أعوام وأشهر، فلم يزل متغلباً عليه، لا يظهر، ولا ينفذ له أمر، فقد تغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، فكان يتولى جميع الأمور إلى أن مات، فصار مكانه ابنه عبد الملك بن محمد الملقب

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٣٣).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ط (١) ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، (ص ٣٣-٣٥).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٣٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ٣٤٦-٣٤٧).

بالمظفر، فجرى على ذلك أيضا إلى أن مات، فصار مكانه أخوه عبد الرحمن بن مُجَدِّ الملقب بالناصر، وظل هشام هكذا متغلبًا عليه، لا ينفذ له أمر إلى أن قُتِلَ (١).

ويبين الدكتور الحجى ﷺ ما أصاب الأندلس في حكم الحاجب المنصور الذي تغلب على هشام المؤيد بن الحكم المستنصر، فيذكر أن الأندلس عاشت في هذا القرن المأسى المبكية والحيرة المذهلة، وعانت من الصراع الدموي الأعمى على السلطة، فكانت فتنة، بل فتنة حائلة، ونسي كثير من الحكام القيم الإسلامية القويمة الرفيعة، حتى فقدوا الأندلس، وكان من الأسباب الكبيرة في نشوء هذه الحالة تلك السياسة الديكتاتورية والتسلط الفردي الذي انتهجه المنصور ابن أبي عامر بعد أن انتزع أو سرق السلطة لنفسه ولبيته، وقد قضى في الداخل على كل معارضة، وضرب الفرسان والأبطال وأصحاب الرأي بعضهم ببعض، وكان يستعين بالواحد منهم على الآخر، ثم يقضي على الثاني، فلما زالت هذه القوة المتفردة (المنصور) لم يبق هناك من يمسك الخلافة، ويحافظ على وحدة الأندلس، وقامت دولة الطوائف (٢).

وقد كان هذا الوضع نتيجة طبيعية لاستخلاف الحكم ابنه وهو في الثانية عشرة من عمره، فكان هذا النواة الأولى لضعف الحكم في الأندلس، ونشوء الفتن بين المسلمين؛ إذ لم يكن باستطاعة هذا الوليد النهوض بأمور الأمة لصغر سنه، فتغلب عليه آخرون، وحكموا باسمه، ورغب البعض في تولية غيره (٣).

ويذكر الدكتور الحجى ﷺ أن الأندلس بلغت في عهد الخلافة من القوة السياسية والحضارة مبلغًا جعلها مركزا ترنو إليه الأنظار، ويجد حكام الدول المجاورة - لاسيما الأوروبية -

(١) انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، للحميدي مُجَدِّ بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبي عبد الله بن أبي نصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٩٦٦م، (ص ١٧).

(٢) انظر: جغرافية الأندلس، لأبي عبيدة البكري، تحقيق عبد الرحمن الحجى (ص ٣٠-٣١).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٤٦).

أنهم بحاجة إليه، ويسعون لكسب وده وصداقته، كما يجد طالبو العلم والمعرفة أنفسهم مشدودين نحوه، وتم في هذا العهد إنشاءات عمرانية كثيرة، منها مدينة الزهراء، والزاهرة، وسالم، والمرية، وأنشئت الحصون(١).

وينوه الدكتور الحجى رحمته الله على التقدم الحضاري والعمراني فيذكر أنه في هذا العهد أنشئت المساجد، وتمت التوسعات في مسجد قرطبة الجامع الذي جلب له الحكم المستنصر الماء من عين جبل قرطبة، كما بنى معهداً للفقراء والضعفاء واليتامى، وأقام المدارس لتعليمهم، وجدد الحاجب المنصور ابن أبي عامر قنطرة قرطبة، وأقام قنطرة إستجه على نهر شنيل، وبنيت مدينة الزهراء في عهد عبد الرحمن الناصر، والزاهرة أيام الحاجب المنصور(٢).

ويذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن الأندلس تعرضت في هذا العهد لهجوم الجوس أكثر من مرة، كما حدثت أيام عبد الرحمن الناصر مواجهة قوية بين الأندلس وإسبانيا النصرانية التي تحالفت ضد الأندلس في معركة (الخدق) التي قادها الناصر بنفسه سنة (٣٢٧هـ=٩٣٩م)(٣).

خامساً: عهد الطوائف في الأندلس:

عاشت الأندلس بعد انتهاء عهد الخلافة وذهاب حكم أسرة بني عامر سنوات صعبة من الفرقة والتنافس، وقد حاول عدد من المسؤولين المخلصين استمرار وحدته، وإعادة خلافته، وبدلوا في ذلك جهوداً كبيرة دون جدوى، فانتابت الأندلس حالة مريضة تبعث على الأسى، وعندها بدأ عهد الطوائف، وذلك حين أعلن أهل قرطبة وعلى رأسهم جَهْوَر بن مُحَمَّد بن

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٤٩-٣٥٣).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٣١٦-٣١٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٣٠٧-٣١٣).

جهور^(١) إلغاء الخلافة، وأسندوا أمرهم إلى الوزير جهور سنة (٤٢٢هـ)، وقد أدار جهور حكومة قرطبة ببراعة ونباهة أثنى عليها المؤرخون كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله^(٢).

وكان الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله من وزراء الدولة العامرية، قديم الرياسة، موصوفاً بالدهاء والعقل، لم يدخل في أمور الفتن قبل ذلك، وكان يتصاون عنها، فلما خلا له الجو، وأمكنته الفرصة وثب عليها، فتولى أمرها، وقام بحمايتها، وجعل نفسه ممسكاً للمدينة إلى أن يجيء مُسْتَحِقُّ يَتَّفَقُ عليه فيسلمها إليه، وقد رتب البوابين والحشم على تلك القصور على ما كانت عليه أيام الدولة، ولم يتحول عن داره إليها، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجالٍ رتبهم لذلك، وأشرف عليهم، وكان يشهد الجنائز، ويعود المرضى، يدبر الأمر تدبير السلاطين المتغلبين، وكان مأموناً، وكانت قرطبة في أيامه حرماً يأمن فيه كل خائف من غيره، ومات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (٤٣٥هـ)^(٣).

قيام دويلات عدة في مدن الأندلس في هذا العهد:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن عهد الطوائف في الأندلس كان في الفترة من (٤٠٠هـ) إلى (٤٨٤هـ)، وقد قامت في عدد من مناطق الأندلس دويلات مستقلة، يحكم كلاً منها أمير

(١) هو: جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله، رئيس قرطبة وأميرها وصاحبها بعد اندلاع الفتن بالأندلس، نصب نفسه ممسكاً لقرطبة إلى أن يتهياً من يصلح للملك، وعاش إحدى وسبعين سنة، وكان من وزراء الدولة العامرية، ومن رجال الكمال دهاءً ورأياً وسؤدداً وتصوناً، تملك قرطبة من غير أن يتلقب بإمرة، ولا تحول من داره، وجعل بيوت الأموال تحت أيدي جماعةٍ ودائعٍ، وصيّر أهل الأسواق أجناداً، ورزقهم من أموال أعطاها إياهم مضاربة، وفرق عليهم الأسلحة، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز وهو بزي النسك، واستمر في الأمر إلى أن مات في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (٤٣٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥٢٥/١٧).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٢٣).

(٣) انظر: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة أبي جعفر الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، عام: ١٩٦٧م، (ص ٣٤-٣٥).

مستقل عن غيره من الأمراء، وقسمت الأندلس إلى ست مناطق رئيسة، يضم كلٌّ منها إمارةً أو أكثر، حتى وصل عدد الإمارات عشرين إمارةً أحياناً، واتصف بعض الأمراء بالأثرة والعدر، وغلبوا مصالحهم الشخصية على مصالح الأمة، وباعوا -ثمناً لبقائهم في السلطة- دينهم وضمائهم وبلادهم لعدوهم المتربص بهم جميعاً الذي يتمنى هلاكهم جميعاً، وقد سقط نتيجةً لذلك بعض المدن والقواعد الأندلسية في أيدي إسبانيا النصرانية^(١).

ويوضح الدكتور الحجى ما كان يقوم به أمراء الطوائف فيقول: "تلك الدول الطوائف التي كان بعضها تلجأ إلى هذه القوة النصرانية لتمده بعون أو مدد أو تحميته، ليقف أحياناً ضد إخوته مقابل دفع مال، أو تنازل عن أرض وحصون أقامها المسلمون بجهدهم وعرقهم، وحافظوا عليها بدمائهم، كل ذلك كان يزيد في قوة عدوه، وفي ضعفهم وتهافتهم وهزائمهم"^(٢).

سقوط طليطلة:

سقطت نتيجةً لحرص أمراء الطوائف على البقاء في السلطة -كما سبق- بعض المدن والقواعد الأندلسية في أيدي إسبانيا النصرانية، وكان من هذه المدن مملكة (طليطلة) التي حاصرها (الفونسو السادس) سبع سنوات، وقد أفاد جدًّا من إقامته وإيوائه فيها أيام نفيه؛ فعلم طرقها ودروبها، واطلع على عورتها، وسمع بعض قادتها يذكر أن (طليطلة) لا يمكن أن تسقط إلا إذا أنفق النصارى سبع سنوات في تخريب أحوازها وانتساف مؤنثها، وهذا ما فعله (الفونسو) حتى وقعت (طليطلة) في يده في شهر الله المحرم سنة (٤٧٨هـ = ١٠٨٥م) كما يذكر الدكتور الحجى رحمته الله^(٣).

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٢١-٣٢٦).

(٢) انظر: مختصر التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى، مركز طروس للنشر والتوزيع، الكويت، ط (١) ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، (ص ٧٣).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٣١-٣٣٢).

وقد دخل (الفونسو السادس) طليطلة بعد أن أعطى أهلها الأمان، بضمان حرياتهم، واحترام شعائر دينهم وحقوقهم، وحرمة مساجدهم، لكنه نقض هذا العهد بعد شهرين فقط، وَحَوَّلَ مسجد (طليطلة) الجامع إلى كنيسة بقوة السلاح، وحطم المحراب ليقام الهيكل مكانه، علمًا بأنه كان من شروط تسليم المدينة إلى (الفونسو) أن يحتفظ المسلمون إلى الأبد بمسجدهم الجامع (١).

ويتعجب الدكتور الحجي رحمته الله من حال ملوك الطوائف الذين وقفوا جامدين لا يتحركون لنجدة طليطلة، وكان الأمر لا يخصهم، ووقفوا فاغرين أفواههم جُبْنًا وغفلةً وتفاهة، بل ارتقى عدد منهم على أعتاب (الفونسو السادس) طالبين عونه، أو عارضين له الخضوع ذلة تأبأها النفس المسلمة، وقد تغافلوا عن أنه لا يفرق بين طليطلة وغيرها من القواعد الأندلسية، ولكن العجب يزول إذا تذكرنا نزعتهم الأنانية وعصبيتهم (٢).

الدعوة إلى التوحيد بعد سقوط طليطلة:

لعل أهم ما ترتب على سقوط طليطلة ظهور شخصيات سعت إلى التوحيد ونبت الفرقة والخلاف، ومن هؤلاء أمير مملكة (بطليوس) (٣) المتوكل بن الأفطس (٤)؛ فإن جميع ملوك

(١) انظر: نفع الطيب، للمقري (٤/٤٤٧)، والتاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٣٤).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٨٣).

(٣) بَطْلْيُوس: بفتححتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة، وهي مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة، بينها وبين ماردة أربعون ميلًا، ينظر: معجم البلدان، للحموي (١/٤٤٧)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٤٦).

(٤) هو: عمر (المتوكل) بن مُجَدِّ (المظفر) بن عبد الله بن مُجَدِّ بن مسلمة أبو حفص التجيبي، آخر ملوك بني الأفطس أصحاب بطليوس في الأندلس، انفرد بالملك سنة (٤٧٣هـ)، وانتقل إلى عاصمة آبائه بطليوس، وكان أديبًا شاعرًا، له من أجرة السلطان في بلده ما كان لمعاصره المعتمد بن عباد في إشبيلية، وكان سبب موته أن المعتمد بن عباد كتب إلى يوسف بن تاشفين بعد معركة (الزلاقة) يخبره بأنه شعر أن المتوكل اتصل بالطاغية ألفونسو السادس ملك قشتالة، ويخرضه على

الطوائف في هذا العهد كانوا يدفعون الجزية لـ (الفونسو السادس) إياه، ولما أرسل إليه (الفونسو) طالباً تسليم بعض قلاعهم وحصونه وتقديم الأموال، ويتوعده بشر العواقب إذا لم يفعل فإنه على الرغم من صعوبة الموقف رفض التهديد، وَرَدَّ عليه برسالة قوية تدل على الشجاعة والإباء كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (١).

ونص الرسالة التي أشار إليها الحجى: "وصل إلينا من عظيم الروم كتابٌ مدع في المقادير وأحكام العزيز القدير، يردد ويرق، ويجمع تارة ثم يفرق، ويلدد بجنوده الوافرة، وأحواله المتظافرة، ولو علم أن الله جنوداً أعز بهم الإسلام، وأظهر بهم دينَ نبينا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون... أما تعبيرك للمسلمين فيما وهى من أحوالهم فبالذنوب المركوبة، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك علمت أي مصاب أذقناك، كما كانت آباؤك تتجرعه، فلم نزل نذيقها من الحِمام ضروب الآلام شؤماً تراه وتسمعه، وإذا المآل تتورعه، وبالأمس كانت طبيعة المنصور على سلفك، أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تَفِدُّ كل عام عليه، وأما نحن إن قلَّتُ أعدادنا، وعدم من المخلوقين استمدادنا فما بيننا وبينك بحر نخوضه، ولا صعب نروضه إلا السيوف تشهد بجدها رقاب قومك، وجلاد تبصره في ليلك ويومك، وبالله تعالى وملائكته المسومين، فنقوى عليك ونستعين... وما تتربصون بنا إحدي

معالجته قبل وصول الطاغية إلى الثغر، فزحف ابن تاشفين إلى بطليوس، واستولى عليها، وقبض على المتوكل وولديه الأفضل والعباس، ثم قتلهم يوم الأضحى سنة (٤٨٩هـ)، وفي رثائهم نظم ابن عبدون قصيدة مشهورة، ينظر: فوات الوفيات، لابن شاعر الكنتي مُحَمَّد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر بن هارون بن شاعر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٩٧٣-١٩٧٤م، (٣/١٥٥)، وتاريخ ابن خلدون (٤/٢٠٥)، والأعلام، للزركلي (٥/٦٠-٦١).

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٨٨-٣٩٠).

الحسينين: نصر عليكم، فيا لها من نعمة ومنة، أو شهادة في سبيل الله، فيا لها من جنة، وفي الله العوض مما به هددت، وفرج يفتر بما مددت، ويقطع بك فيما أعددت" (١).

ويذهب الحجى إلى أن المتوكل لعله هو الذي أرسل القاضي أبا الوليد الباجي إلى حواضر الأندلس يدعوهم إلى توحيد الصفوف (٢)؛ فقد جاء في المصادر التاريخية أنه لما عظم عيث الطاغية (الفونسو بن فردلند)، وتناول إلى الثغور، ولم يقنع بضرائب المال انتدب المتوكل القاضي أبا الوليد الباجي للذهاب إلى أولئك الرؤساء يندبهم إلى لم الشعث، ومدافعة العدو، ويطوف عليهم واحدًا واحدًا، وكلهم يصغي إلى وعظه (٣).

ويذكر الدكتور الحجى فضل العلماء ودورهم في لم شمل الأندلس، واستجماع مسلمي الأندلس هويتهم، ويرى أن هذا هو موقعهم ودورهم في الحياة الإسلامية بجانب جهود العديد من الأمراء (٤).

الاستنجد بيوסף بن تاشفين:

كان من نتائج سقوط (طليطلة) التواصل مع يوسف بن تاشفين في المغرب، وطلب العون منه في صد هجمات النصارى، وقد ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن المتوكل الأفتس سبق

(١) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مجهول المؤلف، تحقيق: عبد القادر زمامة، وسهيل زكار، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط (١) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (ص ٣٦-٣٧).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٩١).

(٣) انظر: الحلة السيرة، ابن الأبار، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٨٥م، (٢/٩٨).

(٤) انظر: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى، المجمع الثقافي، أبو طي، الإمارات العربية المتحدة، عام: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (ص ٢٥).

المعتمد بن عباد في الكتابة إلى يوسف بن تاشفين، وذلك حين دعا أبو الوليد الباجي إلى توحيد الأندلس، أما المعتمد فقد كتب إلى ابن تاشفين حين سقطت (طليطلة)^(١). وكانت فكرة استدعاء المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين لدى المعتمد بن عباد وغيره قبل سقوط طليطلة بمدة، فأخرجها سقوط طليطلة للتنفيذ، وأرسل المعتمد وفدًا مع وفود أخرى لأمرء الطوائف إلى يوسف بن تاشفين في العدو المغربية يطلبون منه إعانتهم في الجهاد ضد النصارى، وقد أجابهم يوسف بن تاشفين، وقدم لهم العون الذي لم ينقطع، ولم يكن مسئولية إدارية فقط، بل كان مسئولية إيمانية تستدعيها الأخوة الإيمانية كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله^(٢).

وكان قد تزامن مع سقوط طليطلة حصار إشبيلية التي كانت تدفع الجزية كل عام، فأرسل (الفونسو) إلى المعتمد بن عباد يطلب منه تسليم الأموال التي تعهد المعتمد بتأديتها إلى ملك قشتالة^(٣)، كما طلب من المعتمد السماح لزوجة (الفونسو) أن تلد في مسجد قرطبة؛ لأن القساوسة والأساقفة ذكروا له أنه لو وُلِدَ له ولدٌ في أكبر مساجد المسلمين دانت له السلطة عليهم، فلما رفض المعتمد بن عباد هذا الطلب أساء السفير -وكان يهوديًّا- الأدب، وهَدَّدَ ابن عباد؛ فقتله ابن عباد، وأمر باعتقال بقية الوفد، فلما سمع (الفونسو) الخبر غضب، وأقسم أن ينتقم أشدَّ انتقام، فجهز جيشًا ضخمًا من إسبانيا النصرانية، وأرسل سرايا تعيث في

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٤٥٧).

(٢) انظر: هجرة علماء الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٢٥).

(٣) انظر: أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، لسان الدين الخطيب، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت/ (٢/٢٢١).

قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس، كانت قصبته طليطلة، وهو عمل من الأعمال الأندلسية، قاعدته قشتالة، سمي العمل بها، وقالوا: ما حَلَفَ الجبل المسمى بـ (الشارات) في جهة الجنوب يسمى إشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة، انظر: معجم البلدان، للحموي (٤/٣٥٢)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٦١).

الأرض فسادًا في غربي الأندلس، وسار هو إلى إشبيلية يحرق في طريقه العمران، وينسف الزرع، فحاصر إشبيلية، وأرسل إلى المعتمد رسالة يقول فيها: "كثرت بطول مقامي في مجلسي الذباب، واشتد علي الحرُّ، فأتحفني من قصرِك بمروحة أروح بها على نفسي، وأطرد بها الذباب عن وجهي"، فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة: "قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك، لا تروح عليك إن شاء الله" (١).

فلما تُرجمَ توقيع ابن عباد لـ (الفونسو) أطرق إطراق من لم يخطر به ذلك، وفشا في بلاد الأندلس خبر توقيع ابن عباد، وما أظهر من العزيمة على إجازة الصحراويين، والاستظهار بهم على (الفونسو)؛ فاستبشر الناس، وفتحت لهم أبواب الآمال، وانفرد ابن عباد بتدبير ما عزم عليه من مداخلة يوسف بن تاشفين، ورأت ملوك الطوائف بالأندلس ما عزم عليه من ذلك، فمنهم من كتب إليه، ومنهم من شافهه، وكلهم يُحذِّره سوء عاقبة ذلك، وقالوا له: الملك عقيم، والسيوفان لا يجتمعان في غمد، فأجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلاً: (رعي الجمال خير من رعي الخنازير)، أي: أن يكون مأكولاً لابن تاشفين أسيراً يرعى جمالاً في الصحراء خيرٌ من أن يكون مُمَرَّقاً لـ (الفونسو) أسيراً يرعى خنازيره في قشتالة، وكان ابن عباد مشهوراً بوثاقة الاعتقاد، وقال لِعُدَّالِهِ ولائمه: "يا قوم أنا من أمري على حالين: حالة يقين وحالة شك، ولا بد لي من إحداهما، أما حالة الشك فإني إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى ابن فرذند - الفونسو - ففي الممكن أن يفني لي، ويُبقي علي، ويمكن ألا يفعل، فهذه حالة شك، وأما حالة اليقين فهي أني إن استندت إلى ابن تاشفين فأنا أرضي الله، وإن استندت إلى ابن فرذند أسخط الله، فإذا

(١) انظر: نفع الطيب، للمقري (٤/٣٥٨).

كانت حالة الشك فيها عارضة فلأني شيء أَدع ما يرضي الله، وآتي ما يسخطه؟"، وحينئذ أقصر أصحابه عن لومه^(١).

معركة الزلاقة:

أجاب يوسف بن تاشفين أمير المغرب الرسل، وقرر نجدة أهل الأندلس وإعانتهم، فعبرت الجيوش المرابطية من (سبتة) إلى (الجزيرة الخضراء) بجيش عدده سبعة آلاف فارس، وكان أولها بقيادة دواد بن عائشة^(٢)، وآخرها موكب يوسف بن تاشفين الذي دخل الأندلس في يوم الخميس منتصف ربيع الأول (٤٧٩هـ)، ولما اقترب يوسف بن تاشفين والجيش المرابطي من إشبيلية خرج المعتمد وجماعته من الفرسان لتلقيه، وتعانق المعتمد ويوسف، ودعوا الله تعالى أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه^(٣)، وحين سمع ألفونس أبناء هذا الجيش ترك حصار سرقسطة^(٣)،

(١) انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (ص ٢٨٨).

(٢) داود بن عائشة، من أكبر قادة يوسف بن تاشفين وأوفاهم، وكان بطلاً شهماً، وهو أول من وافى ابن عباد لنجدة أهل الأندلس، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (ص ٢٩١)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٩٢).

(٣) سَرْقُسْطَةُ: بفتح السين والراء، وضم القاف، وسكون السين المهملة، وفتح الطاء المهملة، هي بلدة مشهورة في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجناح والبساتين، ولها سور حجارة حصين، وسميت بالمدينة البيضاء؛ لكثرة حصنها وجيارها، وقيل تعرف بالبيضاء لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، ومن خواصها أنها لا تدخلها حية ألبتة، وإن جلبت إليها ماتت، ومن الناس من يزعم أن فيها طلسمًا لذلك، ومنهم من يقول: إن أكثر بنائها من الرخام الذي هو صنف من الملح الدراني الذي لا تدخل الحناش موضعًا يكون فيه، ولسرقسطة جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة، ومبانٍ رفيعة، وهي أطيب البلدان بقعةً، وأكثرها ثمرًا؛ لكثرة الفواكه في بساتينهم، حتى لا يقوم ثمنها بمؤنة نقلها لرخصتها، وربما بيع فيها وسق القارب من التفاح بما تتباع به الأبطال اليسيرة في غيرها، ومما خصت به سرقسطة معدن الملح الدراني الذي لا يوجد مثله في مكان، ولا يعدل به، وقد أخذ النصارى سرقسطة من يد المسلمين سنة (٥١٢هـ) بعد أن حاصروها تسعة أشهر، انظر: معجم البلدان، للحموي (٣/٢١٢-٢١٣)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٩٦-٩٧).

وبدأ يستعد، فكتب ملك أرغون شانجة، وأمراء ما وراء جبال البرت يطلب النجدة، فجمع جيشاً يفوق عدده خمسين ألفاً، وقد أخذه الغرور فقال مغتراً بعددهم: "بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء"، وعلى الرغم من تفوق عدد جيشه على المسلمين الذي كان يصل عدد جيشهم إلى النصف أو أقل إلا أن (الفونسو) حاول خداع المسلمين والغدر بهم؛ فقد كتب إليهم يوم الخميس (الحادي عشر من رجب) يخبرهم أن تكون المعركة يوم الاثنين، لكن ابن عباد وابن تاشفين أدركا هذه الخديعة، وعلموا باستعداد معسكر النصارى؛ فاتخذ المسلمون الحذر، وزحف (الفونسو) بجيشه لقتال المسلمين، ودار بين الطرفين قتالاً حاسماً، ظهرت فيه براعة الجيش الإسلامي والقائدين ابن عباد وابن تاشفين، ودام القتال يوماً واحداً فقط، وما إن حل المغرب حتى فر (الفونسو) من المعركة، فأمر ابن تاشفين بالكف (١).

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله أهمية انتصار المسلمين في معركة الزلاقة فيقول: " كانت الزلاقة يوماً مشهوداً من أيام الإسلام، وهي لا تعني فقط رد عدوان (ألفونش)، ورد جيشه خاسراً، أو انتصاراً في معركة؛ فهي فضلاً عن أنها أنعشت النفوس، وقوّت الآمال، كما مهدت لإيواء الأندلس وانضمامها إلى سلطان المرابطين، لكنها لعلها أعانت في مدِّ عُمُرِ إسلامية شبه الجزيرة الأندلسية لأربعة قرون أخرى" (٢).

سادساً: عهد المرابطين (٣):

قامت دولة المرابطين على أسس إسلامية في البلاد المغربية، ويرجع تأسيسها إلى قبيلة لمتونة، وتعود في أوليتها إلى يحيى الجدالي، أمير (جدالة) شقيقة (لمتونة)، فقد توجه يحيى في

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٤٦٢-٤٦٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٦٧).

(٣) يسمي الدكتور الحجي ^١ هذا العهد بـ (الانتعاش الأول).

جماعة إلى الحج، وخرجوا في عودتهم إلى القيروان؛ للاستماع إلى بعض علمائها، واتصلوا هناك بأبي عمران موسى الفارسي شيخ المذهب المالكي، وطلبوا منه أن يرسل معهم عالماً يُفَقِّهُهُمْ فِي الدين؛ لانقطاعهم في الصحراء، فأرسل معهم عبد الله بن ياسين الجزولي، وأقام ابن ياسين رباطاً، والتف حوله جماعة انقادت له، وستوعبت ما يدعو إليه، وأخلصت له، وبلغ عددهم ألف رجل تقريباً، وقد أطلق عليه اسم المرابطين كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١).

عودة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس:

سألت أحوال الأندلس مرة أخرى بسبب تصرفات ملوك أمراء الطوائف؛ فقد عادوا إلى سيرتهم الأولى من الاختلاف فيما بينهم، وتعاونهم مع العدو على بعضهم البعض، وأداء الجزية للنصارى الذين بدأوا يستعيدون بعض قوتهم، فعاودوا الهجوم على الأندلس، واتخذوا من حصن (لييط أليدو) (٢) قاعدة تلك الهجمات، وركزوا عدوانهم على شرق الأندلس (٣).

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن عودة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس كانت هذه المرة بسبب ورود الكتب والفتاوى إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بإنجاد الأندلس وإنقاذه من ملوك الطوائف؛ فإنه بسبب عودتهم إلى الخلاف والتنازع سألت أحوال الطوائف مرة أخرى، فما كان من يوسف بن تاشفين إلا أن استجاب، وجهز جيشاً عبر به إلى الأندلس للمرة الثالثة في أوائل سنة ٤٨٣هـ (٤).

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٤٧٩-٤٨١).

(٢) لييط أليدو: حصن يقع بين مرسية ولورقة، انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (١٨٥/٢).

(٣) انظر: التبيان، ابن بلقين، تحقيق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، عام: ١٩٩٥م، (ص ١٢٥)، ونفح الطيب، للمقري (١٠٤/٦)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (ص ٦٧).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٤٨٣).

سابعاً: عهد الموحدين^(١):

قامت دولة الموحدين في المغرب الأقصى على يد زعيمهم الأول مُحمَّد بن تومرت، وهو رجل من قبائل (مصمودة) الأمازيغية، رحل في طلب العلم، فسافر إلى قرطبة، وتلقى العلم فيها، ثم سافر إلى بلاد المشرق، فذهب إلى الإسكندرية، ثم إلى مكة، فأدى فريضة الحج، وتعلم على يد علمائها، فلما عاد إلى الشمال الإفريقي بدأ في دعوة الناس إلى التمسك بالدين وتطبيقه، ونبذ كل فهم لا يرتضيه الإسلام، والتحق به عبد المؤمن الكومي الذي غدا من رجاله المعتمدين كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله^(٢).

وعبد المؤمن بن علي هذا كان قد قَدِمَ مع عمه من بلده القريب من تلمسان في طريقه إلى المشرق؛ ليطلب العلم، ويقضي فريضة الحج، فسأله ابن تومرت عن شخصه، وعن أحواله، ولما وقف على مقصده ذكر له أن العلم والشرف والذكر والأمر التي يطلبها موجودة، وأنها تنال بصحبته، ودعاه إلى معاونته فيما هو قائم به من إمامة المنكر، وإحياء العلم، وإخماد البدع؛ فصار من أخص رجاله، وأعظم أصحابه وقادته^(٣).

ويذكر الدكتور الحجى رحمته الله الظروف والأسباب التي أدت إلى قيام دولة الموحدين، وتتلخص في أن مبالغة بعض علماء الأندلس في العناية والاهتمام بالفقه المذهبي وفروعه أضعف الروح الإسلامية العالية عند البعض، وقاد إلى شيء من قلة العناية بمصادر الشريعة الإسلامية الأساسية: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما ظهرت بعض الأفكار التي تكدر صفاء العقيدة الإسلامية، وتخالف الفهم الإسلامي السليم؛ فأثار ذلك العلماء المخلصين

(١) يسمى الدكتور الحجى رحمه الله هذا العهد بـ (الانتعاش الثاني).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٥١٩).

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُحمَّد عبد الله عنان (١٦٥/٣-١٦٦).

ودعاهم إلى التصحيح، وقام جماعة منهم يدافعون عن الفهم الواضح الصحيح للإسلام، ويدعون إلى إزالة كل ما يشوبه مما لا ينسجم مع تعاليمه السمحة، وإلى الفهم النقي، والتوحيد الخالص، وصفاء العقيدة، وقد أطلقوا على نفسها اسم (الموحدين)، ورفضوا كل ما يسيئ إلى عقيدة التوحيد(١).

وقد استمدت دولة الموحدين وجودها من الإسلام، وارتكزت عليه أصول سياستها، وانبثقت منه تنظيمات الدولة وسياساتها الإدارية وغيرها، مع وجود بعض الهفوات كما يذكر الدكتور الحجى رحمته الله(٢).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الثورة على سلطان المرابطين في الأندلس اضطرت في أواخر عهدهم في شبه الجزيرة في الوقت الذي اضطرم فيه المغرب بثورة الموحدين الجارفة، وتضعف سلطان المرابطين في عقر دولتهم، وتعذر عليهم إرسال الإمداد إلى ما وراء البحر، وكان من أسباب الثورة على المرابطين في الأندلس أنهم انقلبوا من منقذين لأمرء الطوائف إلى فاتحين، واستولوا على دول الطوائف واحدة بعد أخرى، واقترن هذا الفتح في بعض الأحيان بكثير من العنف والقسوة، وسقط عدد من أمرء الطوائف مدافعين عن أنفسهم وملكهم، فكان لهذا التحول بلا ريب أعظم صدى في جنبات الأندلس، وأعمق أثر في نفوس الأمة الأندلسية، وزاد غضب الأندلسيين أساليب الحكام والقادة المرابطين في حكم هذا القطر الجديد، فلم تكن طريقتهم لينة ولا رفيقة، على الرغم من نصائح أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين المثالية لعماله وقادته باتباع العدل، والرفق بالرعية، وكانت أساليب هؤلاء الحكام والقادة -ومعظمهم من أقارب أمير المسلمين وأصهاره- بُحافي بعنفها وخشونتها ما جُبِلَتْ عليه الأمة الأندلسية

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٥١٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٥٦٤).

المتحضرة المترفة من الأساليب المهذبة الرقيقة؛ لذا لم يمض سوى خمسة عشر عامًا فقط على وفاة عاهل المرابطين يوسف بن تاشفين حتى اضطرت الثورة ضد المرابطين في (قرطبة) حاضرة الأندلس يومئذ سنة (٥١٥ هـ = ١١٢١ م)، ولم تكن هذه الفورات وأمثالها في البداية سوى محاولات للتنفس من حكم المرابطين المتزمت المرهق، ولم تقو الفكرة الوطنية الأندلسية وتبلور إلا في أواخر عهد المرابطين، حينما اضطرت الأندلس كلها من شرقها إلى غربها بالثورة ضدهم، حتى انهار سلطان المرابطين تبعًا في شرقي الأندلس، وكانت هذه الفورات المتعاقبة تتسم بالطابع الوطني، ومُتَّبِلٌ بوضوح فكرة تحرير الأندلس من المرابطين، ولم يكن أولئك الزعماء الخوارج يجمعون في سبيل تحقيق غايتهم، أو في سبيل التطاحن فيما بينهم عن الاستعانة بالنصارى الذين كانوا يسارعون بتلبية أمثال هذه الدعوات التي يحققون من خلالها مصالحهم بالتفريق بين الأمراء المسلمين، واستنزاف قواهم، وانتزاع ما يمكن انتزاعه منهم من الأموال والأراضي، كما أن المرابطين كانوا يُمَثَّلُونَ خطرًا يهددهم هم أيضًا، ولما استولى الموحدون على مملكة (مرسية)^(١) خلصت الأندلس كلها لطاعة الموحدين، وغاضت النزعة القومية الأندلسية، واستسلمت الأندلس لحكم سادتها من وراء البحر، واستطاع الموحدون أن يوطدوا سلطانهم في الجزيرة، والتف حول البلاط الموحدي سواء بإشبيلية أو المغرب أعلام الأندلس من فقهاء وعلماء وكتّاب وشعراء، وحشد الخلفاء الموحدون إلى جانبهم أقطاب البيان والتفكير الأندلسيين، واتخذوا منهم وزراء وكتّابًا وأطبًا، وخدم بعض العلماء والفلاسفة العظام

(١) مُرْسِيَّة: بضم الميم، وسكون الراء، وكسر السين، وفتح الياء، مدينة أندلسية ذات أشجار وحدائق محدقة بها، عُثِرَتْ حتى صارت قاعدة الأندلس، وهي على نهر كبير يسقي جميعها كنييل مصر، ولها جامع جليل، وحمامات، وأسواق عامرة، وهي رخيصة الفواكه، كثيرة الشجر والأعنان وأصناف الثمار، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة، وبها شجر التين كثير، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال، ومنها إلى بلنسية خمس مراحل، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل، انظر: معجم البلدان، للحموي (١٠٧/٥)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٨١-١٨٣).

الأندلسيين في بلاط الخليفة الموحدى، وهكذا استقام الأمر بالأندلس في ظل الحكم الموحدى مدى نصف قرن آخر (١).

ويقول الحجى رحمته الله: "وَرثَ الموحدون دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ووصلت دولتهم مستوى عاليًا من القوة، وشيدت للفضائل صروحًا، وأسهمت في الاستمرار بالعلم والمعرفة، وحرسوا الحضارة الإسلامية في بقعها، وحمت كيان الإسلام في الأندلس" (٢).

ومما يحسب للموحدين أن بلاطهم سطع في (إشبيلية) التي جعل الموحدون منها حاضرة الأندلس، وخصوها بمنتهى الرعاية، وعملوا على تحصينها وتحميلها بطائفة من الصروح الفخمة، وقامت منشآتهم العمرانية العظيمة بإشبيلية وغيرها من قواعد الأندلس من قصور ومساجد وحصون وقناطر وأسوار تُشيدُ بهمتهم وقوة سلطانهم وفخامة دولتهم (٣).

ويبين الدكتور الحجى رحمته الله أن الأندلس تمتعت في عهد الموحدين بمستوى كبير من القوة العسكرية والسياسية والعمرانية وغيرها بسبب حرص الموحدين على هذا ورعايتهم له، وأنه بسبب ما بلغت الدولة الموحدية من القوة الحربية والسياسية والحضارية حضرت الوفود الكثيرة من دول إسبانيا النصرانية وغيرها من الدول الأوروبية إلى البلاط الموحدى للصدقة وعقد المعاهدات، أو طلب المعونة (٤).

وقد استقام الأمر بالأندلس في ظل حكم الموحدين لمدة نصف قرن آخر، حتى حدثت نكبة العقاب الساحقة سنة (٦٠٩ هـ) التي تَرَتَّبَ عليها انهيار سلطان الموحدين في شبه الجزيرة، وعندئذ تغيرت الأمور التي لم تقتصر على استتالة الممالك النصرانية، وضغطها على

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُجَّد عبد الله عنان (٣/٢٩-٣٢).

(٢) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٥٢٠).

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُجَّد عبد الله عنان (٣/٣١).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٥٦٤-٥٦٥).

مختلف نواحي الأندلس، وتحفزها لافتتاح قواعدها الكبرى، بل تحركت في الوقت نفسه بوادر الثورة داخل الأندلس، وقد غذتها العوامل القومية القديمة ضد حكم وهنت دعائمه^(١).

ثامناً: مملكة غرناطة:

يذكر الدكتور الحجي رحمته الله أنه بعد معركة العقاب وسقوط الموحدون نشأت مملكة غرناطة على يد ابن الأحمر سنة (١٢٣٨هـ)، لكن هذه المملكة لم تستطع المحافظة على كل الأندلس التي كانت خاضعة لسلطان الموحدون، وإنما ضمت الطرف الجنوبي من شبة الجزيرة الأندلسية: جنوب نهر الوادي الكبير إلى البحر المتوسط، حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق، ومن (لورقة)^(٢) في ولاية (مرسية) شرقاً إلى البحر المتوسط، ومن الشمال حتى قلعة (يحصب) في ولاية (جيان)^(٣) إلى (شدونة) في ولاية (قادس)^(٤) غرباً، وشملت ثلاث ولايات كبيرة: ولاية (غرناطة) في الوسط وفيها العاصمة (غرناطة)، وولاية (المرية) في الشرق، وولاية (مالقة) في الجنوب والغرب، هذه هي المنطقة التي استطاع الاحتفاظ بها نفر من رجال الأندلس بقيادة مُجَّد

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُجَّد عبد الله عنان (٣٢/٣).

(٢) لُورقة: بضم اللام، وسكون الواو، وفتح الراء والقاف، وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، على ظهر جبل، وهي إحدى المعقل السبعة التي عاهد عليها تدمير، وبها حصن ومعقل محكم، وفيها عنب وزروع وفواكه كثيرة، وبينها وبين مرسية أربعون ميلاً، انظر: معجم البلدان، للحموي (٢٥/٥)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٧١).

(٣) جِيَان: بفتح الجيم، وتشديد الياء، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة إلبيرة، وهي مائلة عن إلبيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي كورة كبيرة تجمع أكثر من ثلاثة آلاف قرية، وكورتها متصلة بكورة تدمير وكورة طليطلة، وهي كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار، كثيرة اللحوم والعسل، يُزَيَّرُ فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع، وغلات القمح والشعير والبقلاء وسائر الحبوب، وهي في سفح جبل عالٍ جداً، وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة، وهي من أغر المدن، وشريف البقاع، وفي داخلها عيون وينابيع مطردة، وبينها وبين بياسة ستون ميلاً، انظر: معجم البلدان، للحموي (١٩٥/٢)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٧٠).

(٤) قادس: جزيرة في غربي الأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية، تقارب أعمال شدونة، طولها اثنا عشر ميلاً، وهي قريبة من البر، وبها مزارع كثيرة الربيع، وأكثر مواشيتها المعز، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٢٩٠/٤)، وصفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ١٤٥).

ابن الأحمر مدى قرنين ونصف، وقد تَعَجَّبَ الدكتور الحجى رحمته الله من صمود هذه المملكة واستمرارها هذه المدة على الرغم من صغرها وقلة عدد سكانها^(١).

وكان مُحَمَّد بن الأحمر يتمتع بخصال باهرة من الشجاعة والإقدام والشغف بالجهاد والمقدرة على التنظيم، وكان جَمَّ التواضع، ويُعرف بالشيخ، ويُلقَّب بأمير المسلمين، وهو اللقب الذي غلب على سلاطين غرناطة فيما بعد، وهو الذي ابتنى حصن الحمراء الشهير، وجعله دار الملك، وجلب له الماء، وسكنه بأهله وولده، وكان يباشر الأمور بنفسه، ويدقق في جمع الأموال والجبايات، حتى امتلأت خزائنه بالمال والسلاح، وكان يعقد للناس مجالس عامة يومين في الأسبوع، يستمع فيها إلى المظالم وذوي الحاجات، ويستقبل الوفود، وينشده الشعراء، وكان يجري في تصريف شئون الملك على قاعدة الشورى، فيعقد مجالس يحضرها الأعيان والقضاة وغيرهم من ذوي الرأي؛ للاسترشاد برأيهم ونصحهم^(٢).

وكما ذكر الدكتور الحجى نشأة مملكة غرناطة ذكر أسباب صمودها لمدة أكثر من قرنين، وهي تتلخص فيما يأتي^(٣):

١ - موقع مملكة غرناطة الجغرافي البعيد عن الأعداء:

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن قوة العدو وتفوقه ووجود عوامل في داخل الأندلس مكنته من استغلال الظروف لتنفيذ مشاريعه باقتطاع أجزاء من الأندلس، وكانت المناطق والحصون ثم القواعد الأندلسية الأقرب إليه هي أول ما يلقي هذا المصير خلال تقدمه، أما مملكة غرناطة فقد كانت أبعد مكاناً عن العدو، مع مناعة موقعها، وقربها من عدوة المغرب، وعدم وجود

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٨٦).

(٢) انظر: قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب (١٠٧/٢-١٠٨).

(٣) انظر هذه الأسباب كلها: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (٥٨٧-٥٩١).

خط معاد أمام مسلمي غرناطة يقف حائلاً دون الاستعانة بإخوتهم في المغرب وبقية الشمال الإفريقي.

٢- نجدة مسلمي المغرب إخوانهم في غرناطة:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن موقع مملكة غرناطة في الزاوية الجنوبية لشبة الجزيرة الأندلسية التي قد تبدو منقطعة حيث البحر من الجنوب والعدو من الشمال لم يدعها تعيش طوال سنيها وحيدة، بل كان الإخوة في المغرب لا يتأخرون عن عون إخوانهم الأندلسيين، ولطالما جاهدوا صفاً واحداً؛ لدرء الخطر، ولا يبخلون بتضحية؛ استجابة لأخوة الدين، ورغبة في نصرتهم، ولم يكن لهم وراء ذلك معنم.

٣- هجرة أهل المدن الأندلسية الأخرى بعد سقوطها إلى غرناطة:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أنه بعد سقوط المدن والقواعد الأندلسية واحدة تلو الأخرى هجر بعض المسلمين مدتهم بعد سقوطها، والتحقوا بمدينة غرناطة التي كانت الكلمة فيها ما زالت لسلطان المسلمين.

٤- تمسك أهل غرناطة بالإسلام وقيمه ومبادئه:

يبيّن الدكتور الحجي رحمته الله سبباً آخر لثبات مملكة غرناطة وصمودها، فذكر أن بقاء مقدار من الالتزام بالإسلام عند أهل غرناطة هو الذي وهب هذه معاني التضحية والبذل والجهاد في سبيل الله معنى حياً وحياءً حقيقيةً، وهو الذي جمع هذه الطاقات، ودفعها للوقوف مجتمعة، والاستعداد للبذل، وفتح القدرات، ورفع الهمم، ودعا إلى وقوف المغاربة مع إخوانهم في جهادهم ضد النصارى، وهو الذي حث على الانتفاع بكل الإمكانيات الأخرى في الظروف المتاحة؛ مما أنتج ثمرات حضارية عظيمة في هذه الظروف الصعبة.

الأسباب التي أدت إلى سقوط غرناطة:

كان سقوط غرناطة آخر مدن المسلمين في الأندلس في المحرم عام (٨٧٩هـ) إثر معاهدة لضمان وأمان حق مسلمي الأندلس، وقد تضمنت هذه المعاهدة سبعة وستين شرطاً، وتعهد فيها المملكان الكاثوليكيان بأمر كثيرة، فسلم آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله الصغير مفتاحها بعد حصارٍ شديدٍ استمر أكثر من سبعة أشهر، أبدت فيه غرناطة كل ضروب الشجاعة والصبر بعد أن قُطِعَ عن المسلمين خلال هذه المدة الطعام والشراب، وحيل بينهم وبين الاتصال مع إخوانهم في المغرب؛ فأثر هذا في معنوية أهل المدينة، فلم يمانعوا في الاستسلام^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجي أسباب سقوط غرناطة، وكان منها عنده ما يأتي:

١- العوامل الخارجية:

يؤكد الدكتور الحجي رحمته الله على أن العوامل الخارجية كان لها النصيب الأكبر في سقوط الأندلس؛ فقد كانت المواجهة الصليبية برعاية البابوية وكنائسها التي تهدد بالحرمان ملكاً وخلعاً وشعباً من لا يسهم في حرب المسلمين في الأندلس^(٢).

١- العوامل الداخلية:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن النصاري بعد أن قويت شوكتهم واتحدوا حرصوا على زيادة الضعف الداخلي في الأندلس، سواء أكان ذلك بإثارة الفتن، أم بتوفير الدخلاء والعملاء بأية طريقة، أم بمعاونة بعض الأندلسيين ضد البعض الآخر والتحريض بينهم، أم بالعمل على تجريد المجتمع الأندلسي من كل أسباب القوة المادية والمعنوية، فكان لهم نصيب واضح في نشر تلك المتاعب الداخلية، والعمل على بث المشاكل والمشاكل، وما أكثرها.

(١) انظر: نفع الطيب، المقرئ (٥٢٥/٤).

(٢) انظر: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٧١-٧٢).

فكان للعوامل الخارجية والداخلية أثرها في إضعاف الأندلس وإسقاطه، وهذه العوامل تزيد بعضها بعضاً، وتتنافس في الإنقال، وتترابط في الأثر^(١).

٢- ما قام به آخر ملوكها:

يرى الدكتور الحجي رحمة الله أن آخر ملوك غرناطة أضعافها ثلاثة مرات، كل واحدة منها إلى الأخرى، وقد كانت المرة الأولى يوم تنازل فتعهد من أجل فك حصار نفسه من الأسر، أم المرة الثانية فكانت يوم أقام الصراع ضد أبيه وعمه، وأما الثالثة فكانت يوم وَقَعَ صك الاستسلام وسلمها إلى الملكين الكاثوليكين^(٢).

٣- هجرة علماء الأندلس:

ذكر الدكتور الحجي أن هجرة علماء الأندلس منها قبيل سقوطها كان له أثر كبير في سقوط غرناطة آخر ممالك المسلمين هناك^(٣).

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر: محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها، عبد الرحمن الحجي، ط (١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، (ص ١٩).

(٣) انظر: هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٥).

المطلب الثالث:

جهود الدكتور الحجى في بيان انتشار الإسلام في الأندلس

ذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن غاية الفتح الإسلامي كانت نشر الدعوة الإسلامية وإقامة العدل في هذه الأرض؛ لذلك كان جيش الفاتحين جنودًا ودعاة، وقد كان بين الجيش دعاة عرفوا بصفة الدعوة، وتَمَيَّزُوا بفقهم وحفظهم، وكانوا من المكانة والفقه ما يؤهلهم أن يفقهوا المسلمين أنفسهم، وأن يدعوا غير المسلمين إلى الإسلام، فكانت مهمة الجيش فتح البلاد والدعوة إلى دين الله والتفرغ لها حين تنتهي الحرب، فهو في دعوة دائمة وجهاد مستمر في ميدان المعركة، أو داعية في الميادين الاجتماعية، وهو في كلا الحالتين داعية بالقول والعمل، وهذه صفة تَفَرَّدَ بها الجيش الإسلامي؛ فإنه كان داعيةً خيرٍ في حربه وسلمه، وفي كل الصور والأشكال؛ لذلك حين عرف الإسبان الإسلام أَقْبَلُوا عليه؛ لأنه دين الفطرة الذي انتشر بقوته الذاتية التي حَقَّقَتِ المَثَلِ الإنسانية الفريدة^(١).

والإسلام دين الفطرة كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويُنصِّرانه ومُجَسِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ١٨٧).

جدعاء؟» ثم يقول: أبو هريرة وأقرأوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] (١).

ويُرجع الدكتور الحجى رحمته الله سرعة انتشار الإسلام في الأندلس إلى سببين:

١ - أخلاق الفاتحين وسلوكهم:

حرص الفاتحون على نشر الإسلام، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واعتنوا بذلك عناية خاصة، وعملوا على إفهام الناس الإسلام وشرحه له، وتوجه إليهم الدعاة لهذه الغاية النبيلة؛ ولذلك كان الناس يُقبِلُونَ على الإسلام؛ إذ يرون فيه صفاء العقيدة وخلوصها لله تعالى، وهو ما لم يروه من قبل، أو يسمعوا عنه، أو يحلموا به كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (٢).

وكان أول عمل يقوم به الفاتحون إقامة المساجد، والأمثلة على هذا كثيرة، فقد أنشأ موسى بن نصير حالما نزل بالجزيرة الخضراء في الأندلس مسجد الرايات (٣).

وذكر الدكتور الحجى رحمته الله أنه قد كثر الدعاة الذين كانوا يرافقون الجيش الإسلامي الفاتح، بل كان أفراد الجيش الإسلامي كلهم دعاة؛ لأنه جيش عقيدة، فكلهم يفقه دينه، وأولويتهم الأولى هي خدمة الإسلام ونشره، وقد كانوا يشرحون الإسلام بأقوالهم وأفعالهم، ومن

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، رقم (١٣٥٩)، (٩٦/٢)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم ٢٢ (٢٦٥٨)، (٢٠٤٧/٤).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجى (ص ١٧٣).

(٣) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (١٣/٢).

الدعاة الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة^(١) الذي كان موسى يخرجهم مع العساكر للدعوة إلى الإسلام^(٢).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمه الله أن الفاتحين اتبعوا خططا عبروا بها عن الإسلام، وشرحوه بسلوكهم، وبذلوا جهداً في بيانه والدعوة إليه، وكان هذا هدفاً واضحاً لدى الفاتحين في أعمالهم كافة، يسيرون على ضوئه خلال المعارك التي كان الحرص على هذا فيها ظاهراً، وقد أتقنوا مهمتهم في إظهار جمال الدعوة الإسلامية قولاً وعملاً، حتى غدت القيم والتعاليم الإسلامية في أخلاق الفاتحين والدعاة مثلاً متحركة تُشاهدُ عياناً في شكلٍ خلابٍ يسر الناظرين، ويدهشهم؛ لذا أُقبلَ الإسبان على دين الله تعالى مختارين حريصين، ودخلوه أفواجا، حتى إن من لم يسلم منهم مارس بعض العادات الإسلامية، وتَسَمَّوْا بأسماء المسلمين، وتكلموا بلغتهم^(٣).

ولمس الناس من غير المسلمين حسنَ معاملة المسلمين لهم، فأثار ذلك دهشتهم، وقادهم إلى تَقَبُّلِ الإسلام وحب أهله، ومن جانب ضمن المسلمون حرية الاعتقاد لمن بقي من أهل الأندلس على دينه، واحترموا عبادتهم وأماكنها، وتركوا لهم حرية الاحتكام لدينهم؛ لذا كانت

(١) هو: المغيرة بن أبي بردة - واسمه نشيط - بن كنانة الكنايني القرشي، من بني عبد الدار بن قصي، تابعي دخل الأندلس مع موسى بن نصير وكان موسى يخرجهم أبداً على العساكر، ولى غزو البحر لسليمان بن عبد الملك سنة ثمان وتسعين (٩٨هـ)، والطالعة بالبعث من مصر لعمر بن عبد العزيز سنة مائة (١٠٠هـ)، وغزا القسطنطينية، ثم طلع بالجيش إلى إفريقية سنة (١٠٠هـ) فاستوطنها، ولما قتل أميرها سنة (١٠٢هـ) عَرَضَ عليه أهلها القيام بأمرهم إلى أن يأتي من يرسله يزيد بن عبد الملك فلم يقبل، وله رواية للحديث، وكان بعض نسله في إفريقية أيام مُجَدِّ بن سحنون المتوفى سنة (٢٥٦هـ)، ينظر: تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٢١هـ، (٢/٢٣٦)، والتكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار مُجَدِّ بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، تحقيق: عبد السلام المهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٩م، (٢/١٨٩)، والأعلام، للزركلي (٧/٢٧٦).

(٢) انظر: نفخ الطيب، المقرئ (٣/١٠).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٧٤-١٨٧).

الكنائس والمساجد في الأندلس متجاورة، ولم تُتخذ الكنائس مساجد إلا في حالات استبدالها أو هجرها بعد دخول الناس إلى الإسلام^(١).

وكان الفاتحون إذا أسروا أسيراً يعرضون عليه الإسلام، ويُبَيِّنُونَ له عيوب دينه بالحجة والدليل، وبهذه الطريقة أسلم على يد والي الأندلس عقبة بن الحجاج السلوي ألف رجل^(٢).

٢- المصاهرة:

أدى حسن معاملة المسلمين لغيرهم في الأندلس إلى ازدياد الصلات بين الطرفين، وارتباط عدد من العرب والبربر بعلاقات مصاهرة مع أهل الأندلس، وتعد هذه المصاهرة عاملاً من عوامل انتشار الإسلام في تلك البلاد، وهناك الكثير من الأمثلة التي استدلت بها الدكتور الحجى رحمه الله على هذه المصاهرات، ولعل أشهرها زواج أول ولاية الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة لذريق آخر ملوك القوط التي تكتفيها المصادر الإسلامية بـ (أم عاصم)، وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح وباءت بالجزية، وأقامت على دينها في ظل نعمتها إلى أن نكحها الأمير فحظيت عنده، وتروي المصادر أنه لما اختلفت سارة القوطية بنت ألمند بن غيطشة ملك القوط قبل لذريق مع عمها أرطباش ذهبت إلى الخليفة هشام بن عبد الملك تشكوه ظلامتها، فأنصفها، ثم تزوجت في الشام من عيسى بن مزاحم، وقدما الأندلس، وتزوج العديد من الأمراء والخلفاء الأمويين من نصرانيات، ومن هؤلاء الحكم

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ١٨٨)، وفجر الأندلس، حسين مؤنس (ص ٤٩٣).

(٢) انظر: نفح الطيب، المقرئ (١٩/٣).

المستنصر بالله تزوج من صبح البشكنشية، وتذكر المصادر أن الخليفة الأموي الناصر لدين الله هو حفيد امرأة من البشكنس اسمها (در) (١).

ويقول الدكتور الحجي رحمته الله: "بسبب تلك العوامل السالفة -ومنها المصاهرة- وغيرها كان دخول الناس في الإسلام مبكرًا" (٢).

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن من أهل الأندلس من أسلم منذ بداية الفتح، وهؤلاء الذين عُرفوا بـ (المسلمة)، وكانت المصاهرة المدخل الأوسع لاعتناق هؤلاء الإسلام بمحبة واختيار، كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن المصاهرة شملت المسلمين الجدد الذين تزوجوا من نصرانيات أسلمن بعد ذلك، وامتد ذلك حتى شاع بين الأمراء والحكام والخلفاء وعموم المسئولين (٣).

ويؤكد الدكتور الحجي رحمته الله على أن (٩٥%) من سكان إسبانيا كانوا مسلمين، وأن أكثر من ٩٠% من مسلمة الأندلس كانوا من أهل البلاد (٤).

- (١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٨٩)، والبيان المغرب، ابن عذاري (٣٢/٢، ١٥١، ٢٥٣)، ونفح الطيب، المقري (١/٢٦٧، ٢٨١).
- (٢) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ١٩٣).
- (٣) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٦).
- (٤) انظر: انتشار الإسلام في الأندلس، عبد الرحمن الحجي، مقطع على الشبكة العنكبوتية.

<https://youtu.be/i3fwohRUg4U> .

المطلب الرابع: جهود الدكتور الحجري في بيان العلاقات العلمية بين الأندلس والمشرق الإسلامي

كان لموقف الإسلام من طلب العلم والحث عليه أثر واضح في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية، فقد حث الإسلام على طلبه والسعي في تحصيله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة»^(١). يقول الدكتور الحجري: "وحيث يكون طلب العلم فريضة وعقيدة يجبها المؤمنون بما يحرص ورغبة يسعون إلى تحقيق متطلباتها دونما مغنم قريب، فإن الغرس سيكون ثابت الأصل سامق الفرع طيب النبع دائم الإنبات مستمر الجني"^(٢). والدكتور الحجري يشير بكلامه هذا إلى الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٣).

(١) سبق تخريجه (ص ٤٦)، وهو في صحيح مسلم.

(٢) دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجري (ص ٤٥).

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٤)، (١/٨١). وقد قال إسحاق بن راهويه: "طلب العلم واجب لم يصح الخبر فيه، إلا أن معناه قائم"، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، المؤلف: إسحاق بن منصور بن بھرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٢م، (٩/٤٦٥٤)، وقال ابن عبد البر في معنى قول إسحاق هذا: "يريد إسحاق -والله أعلم- أن الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل، ولكن معناه صحيح عندهم"، جامع بيان العلم وفضله (١/٥٢).

وقد قال الإمام السيوطي: "حديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) روي من حديث أنس وجابر وابن عمر وابن عباس وعلي وأبي سعيد، وفي كل طرقه مقال، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وأخرجه ابن ماجه عن كثير بن شنظير عن مجاهد بن سيرين عن أنس، وكثير مختلف فيه؛ فالحديث حسن"، ونقل عن الإمام المزي أنه قال: "هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن"، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، رقم

وحين دخل الإسلام الأندلس رحل بعض الأندلسيين إلى المشرق؛ لتأدية فريضة الحج وطلب العلم، يقول ابن خلدون: "ثم كانت الرحلة إلى المشرق؛ لاجتناء أنواره، وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره، والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره"^(١).

وقد غدت الرحلة لطلب العلم أهم الطرق لتبادل العلاقات بين الأندلس وغيرها، وكانت العلاقة بين المشرق الإسلامي والأندلس علاقةً ودِّ ومحبَّة؛ فقد ارتحل الأندلسيون إلى المشرق، وبادلهم المشاركة ذلك، وكان سفر كلٍِّ منهم للحج والسياسة وتلقي العلم والدراسة وقد استُقبل علماء المشرق ورجاهم في الأندلس الترحاب، ووجدوا فيها الأهل والتشجيع، ووُجدَ التبادل العلمي بين الأندلس والبلدان الإسلامية في المؤلفات وغيرها، وكانت الأندلس المنبع الدائم الثر والمنتجع الواسع المقصود الذي يمنح القائم فيه الشمس الدائمة والظل الممدود، ويكسب الإنسانية العلم النافع في أروقته الفسيحة المنيرة، وكانت على استعداد لاستقبال القادمين الراغبين في خيره من كل مكان؛ لذا اتجه الكثير من العلماء المشاركة إلى الأندلس كما اتجه عدد من الأندلسيين إلى الشرق الإسلامي، وقد تفقه أهل الأندلس على مذهب إمام دار الهجرة وفقه الأئمة مالك بن أنس الأصبحي المدني^(٢).

= (٢٨٣)، (ص ١٤١)، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، وقد صحح الشيخ الألباني هذا الحديث، تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٤، (ص ٤٨).

(١) والعبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون (٩/١).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٢٥، ٣٦٨-٣٦٩، ٣٧٢).

وبعد أن سار الأندلسيون في طريق الرحلة العلمية فإنه من الطبيعي أن يكون لتلك الرحلات نتائج هامة وآثار كبيرة، فبعد تلقيهم العلم على شيوخ المشرق وعلمائه كانوا يشدون رحالهم إلى وطنهم ناقلين العلوم التي درسوها معهم إلى الأندلس (١).

وعن فضل المشرق الإسلامي على مغربيه يذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن المشرق الإسلامي كان ميداناً للتلقي أو منبعاً للتصدير؛ فقد كان للأندلسيين مزاراً، يحملون من البضاعة (٢).

وقد أثرى العائدون إلى الأندلس طلبتهم بالعلم، سواء أكان الموجود بالكتب أم الذي جنوه عبر سنوات رحلاتهم، ولم ينحصر علمهم في مجال واحد، بل اهتموا بعلوم عدة، وعُتُوا بكتب التاريخ المشرقية التي سجلت أحداث العالم الإسلامي، وتعلموا على أيدي مؤرخين كبار، ولقي بعضهم جماعةً من رواة الأخبار والأشعار، وأدخلوا الكثير منها إلى الأندلس، وعنهم أخذ أهل الأندلس (٣).

وهكذا بقيت الأندلس مترابطةً مع الدول الإسلامية بروابط العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تُوحِّدُ المشاعر والوجهة والهدف والأسس الثقافية والبنية الاجتماعية، وتُقَوِّي صلوات القرى في وشيجة صادقة (٤).

- (١) انظر: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (٣١٦-٤٢٢ هـ = ٩٢٨-١٠٣٠ م)، سعد عبد الله البشري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (ص ٩٥-٩٦).
- (٢) انظر: الكتب والمكتبات في الأندلس، عبدالرحمن الحجى، من منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، عام: ٢٠٠٧م، (ص ١٨).
- (٣) انظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط (٢) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (٢/٢٤).
- (٤) انظر: أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (ص ١٣١).

المبحث الرابع

جهوده في إبراز المواقف المتطرفة والآراء الشاذة

حول التاريخ الإسلامي

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في بيان بعض الافتراءات حول النبي ﷺ

والصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وتفنيدها.

المطلب الثاني: جهوده في بيان فرية انتشار الإسلام بالسيف.

المطلب الثالث: جهوده في بيان حقيقة الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد.

المطلب الرابع: جهوده في بيان قضية حرق طارق بن زياد لسفن الفتح

وموقفه منها.

المطلب الأول: جهوده في بيان بعض الافتراءات

حول النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم وتفنيدها

إن الحرب ضد التاريخ الإسلامي شملت حماة الإسلام وتاريخه، فطعن الأعداء في قادة الإسلام وعلمائه، مبتدئين بالرسول الكريم ﷺ، فشككوا في أصل دعوته ومصدرها، وفي كل النيات والأهداف، وأولوا ما لم يستطيعوا التشكيك فيه؛ ليسير في نفس خطهم، وطال تشكيكهم حياة النبي ﷺ قبل الدعوة، وتوقفوا كثيراً عند كل هدف؛ ليطلقوا عليه ما أمكن من سهامهم، ثم امتد تشكيكهم إلى دعوته وحياته المكية والمدنية، ثم تناولوا تصرفات الخلفاء من بعده والقادة المسلمين، ثم الدول التي حملت مشعل نور الهداية الإسلامية^(١).

أولاً: جهود الدكتور الحجى في بيان افتراءات المستشرقين حول النبي ﷺ وتفنيدها:

كان النبي ﷺ يذهب إلى غار حراء الأيام والليالي ذوات العدد، يقضي وقته في عبادة ربه، والتفكير في الكون والحياة، ولا يُعْرَفُ متى بدأ ذلك قبل البعثة النبوية الشريفة، لكن تَبَيَّنَ من خلال المتابعات أنه كان قبل البعثة بثلاث سنوات كما ذكر الدكتور الحجى ﷺ^(٢).

وحديث تعبد النبي ﷺ في غار حراء صحيح، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك»^(٣).

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٦).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٩٣).

(٣) سبق تخرجه (ص ٢٢١)، وهو حديث مُتَّفَقٌ عليه.

ويذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١) حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني (٢) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]»، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني (٣) زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (٤)، وتكسب المعدوم (٥)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أنت

(١) المرجع السابق (ص ١٠٥-١٠٦).

(٢) قال ابن الأثير: "وفي حديث إبتداء الوحي «فأخذني جبريل فغطني»، الغط: العصر الشديد والكبس، ومنه الغط في الماء: الغوص، قيل: إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئاً"، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الغين، باب الغين مع الطاء، (٣٧٣/٣).

(٣) أي: لفوني، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الزاي، باب الزاي مع الميم، (٣١٣/٢).

(٤) تحمل الكل: أي: من لا يقدر على العمل والكسب، والكل العيال، وهو أحد معانيه، ويطلق على الواحد والجمع، والذكر والأنثى، وهو من الكلال أي: الإعياء، ثم استعمل في كل أمر ضائع أو أمر مثقل، ينظر فتح الباري، لابن حجر (١٨٠/١).

(٥) قال ابن الأثير: "في حديث المبعث قالت له خديجة: (كلا، إنك تكسب المعدوم، وتحمل الكل)، يقال: فلان يكسب المعدوم إذا كان مجدوداً محظوظاً: أي يكسب ما يُجرّمه غيره، وقيل: أرادت تكسب الناس الشيء المعدوم الذي

به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءًا تَنَصَّرَ في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع^(١)، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ^(٢).

ومن الافتراءات التي افتراها المستشرقون ما ذهب إليه المستشرق (مونتغمري وات)^(٣) من أن النبي ﷺ كان يذهب إلى غار حراء لا لِيَتَحَنَّثَ -يَتَعَبَّدَ- كما هو معروف، وإنما كان يذهب إلى الغار للاصطياف!، وقد علَّلَ ذلك بأن أغنياء مكة كانوا يذهبون إلى الطائف؛ هربًا

= لا يجدونه مما يحتاجون إليه، وقيل: أرادت بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف العين، باب العين مع الدال، (١٩١/٣).

(١) في تعريف الجذع قال ابن حجر: "الصغير من البهائم، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابًا؛ ليكون أمكنَ لنصره، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيرًا أعمى"، فتح الباري (٢٦/١).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٢٤)، وهو حديث مُتَّفَقٌ عليه.

(٣) هو: وليام مونتغمري وات، ولد في مدينة كريس فايف عام ١٩٠٩م، درس في عدد من الجامعات منها: أدنبرة، وأكسفورد، وحصل على درجة الأستاذية سنة ١٩٦٤م، عمل أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبرة منذ عام ١٩٤٧م حتى تقاعد عام ١٩٧٩م، وقد عمل رابعًا لكنائس عدة في لندن وأدنبرة، وتوفي عام ٢٠٠٦م، ومن مؤلفاته: مُجَدُّ في مكة، والفكر السياسي الإسلامي، وعوامل انتشار الإسلام، وغيرها، ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط (٣) ١٩٦٤م، (٥٥٤/٢)، والنبي مُجَدُّ في مؤلفات مونتغمري وات عن السيرة النبوية: دراسة تحليلية مقارنة، ماهر جواد كاظم الشمري، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عام: ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، (ص ٤٨-٥٢).

من حر مكة، أما هو ﷺ فلم يكن في وسعه مجاراتهم لفقره؛ ولذلك كان يذهب إلى غار حراء ليصطاف (١).

وقد فنّد الدكتور الحجري هذا الافتراء، ورد عليه ردًّا عقليًّا يبيّن بطلانه ووهاءه وضعفه، فذكر أن خديجة زوج الرسول الكريم ﷺ التي أحبته كل الحب، وأعجبت به كل الإعجاب كانت مستعدة لتهيئة كل ما يريد، خصوصاً وأن هذه الزوجة الوفية كانت كثيرة المال، وافرة الثراء، لها تجارة واسعة ترسلها إلى الأسواق مع ما ترسله قريش من قوافلها، وكانت قافلتها أحياناً تعدل قوافل قريش بأجمعها، أما كان بإمكان هذه الزوجة أن تُمدّه بما يوصله إلى الطائف للاصطياف فيها، وتجنّبه مشقة صعود الجبل للوصول إلى الغار الذي يستغرق مع الجهد المنهك ساعة من الزمن أو تزيد للوصول إليه (٢).

وهذا الافتراء من (وات) يُكذِّبُه الواقع ويخالفه؛ لأن هذا الجبل الذي كان يلجأ إليه الرسول ﷺ ما أصعب الصعود إليه والهبوط منه، ولم يكن غار حراء في سفح الجبل، بل كان أعلى من ذلك، ولا يصل إليه قاصده إلا بمرتقى صعب، وليس بالسهل، ومن ينظر إليه الآن يعلم أنه لا يمكن الوصول إليه إلا بشق الأنفس، وبذلك يتبين أن رحلة الصعود إليه تتطلب جهداً مضنياً وزمناً لا يقل عن الساعة، فلماذا كان النبي ﷺ يتحمل هذا العناء؟ ألم يكن يكفيه أن يلجأ إلى ظل شجرة أو ظل حائط إن كان فعلاً يفر من شدة الحرارة؟ (٣).

ويقول الدكتور الحجري مُتَعَجِّبًا: "وهل بعد هذه التفاهة المضحكة وأسلوب البحث المثير للسخرية نطلق على هذا وأمثاله بأنهم قادة الفكر، وزعماء البحث العلمي والإنتاج الأكاديمي

(١) انظر: مُجَدِّدٌ فِي مَكَّةَ، ويليام مونتغمري وات، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام: ١٤١٥هـ، (ص ١٠٩).

(٢) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجري، (ص ٣٧-٣٨).

(٣) انظر: خاتم النبیین ﷺ، مُجَدِّدٌ أَبُو زَهْرَةَ، دار الفكر العربي، مصر، عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (١/٢٦٦).

للوصل للحقيقة، أو أنه من المنصفين الذين عرّضوا الإسلام بأمانة، ومن المعتدلين الذين دافعوا عنه؟! (١).

ثانياً: جهود الدكتور الحجي في بيان افتراءات المستشرقين حول الصحابة رضي الله عنهم:

زعم الأب أو القس (لامنس) (٢) أن اتفاقاً قد تم بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم على الاستئثار بالحكم وتداوله فيما بينهم (٣)، وقد ردّد كلامه من المستشرقين (توماس أرنولد) (٤) الذي ذكر أن هؤلاء الثلاثة عملوا على تأمين انتخاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمجرد علمهم بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٥).

(١) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٩).

(٢) هو: هنري لامنس، ولد في مدينة (خنت) في بلجيكا سنة ١٨٦٢م، جاء في صباه إلى بيروت، وتعلّم في الكلية اليسوعية في بيروت، وبدأ حياة الرهبنة سنة ١٨٧٨م، وصار معلماً في الكلية اليسوعية سنة ١٨٨٦م، غادر بيروت، ثم عاد إليها سنة ١٨٩٧م ليعين معلماً للتاريخ والجغرافيا في الكلية اليسوعية، ولما أسس معهد الدروس الشرقية في هذه الكلية صار معلماً للتاريخ الإسلامي، وهو نموذج سيئ جداً للمستشرقين الباحثين في الإسلام، ومعروف بتعصبه الشديد ضد الإسلام، ويفتقر إلى النزاهة في البحث، والأمانة في النقل والفهم، ينظر: موسوعة المستشرقين، د/عبد الرحمن بدوي (ص ٥٠٣).

(٣) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبدالرحمن الحجي (ص ٤٠)، والنظريات السياسية الإسلامية، مُحمّد ضياء الدين الرئيس، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة السابعة، (ص ٣٨).

(٤) هو: توماس ووكر أرنولد، ولد في إنجلترا سنة ١٨٦٤م، درس في لندن، والتحق بجامعة كامبردج سنة ١٨٨٢م التي درس فيها تاريخ الإسلام، ولاهتمامه بالدراسات الإسلامية اختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة في الهند في الفترة من سنة ١٨٨٨م إلى سنة ١٨٩٨م، وفي سنة ١٨٩٨م عين أستاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور، وتلمذ عليه فيها الشاعر مُحمّد إقبال اللاهوري، وكان أرنولد أول من شغل كرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في مدرسة الدراسات الشرقية في جامعة لندن بعد تأسيسه، وفي عام ١٩٣٠م دعي إلى جامعة القاهرة أستاذاً زائراً، وبعد أن أمضى النصف الثاني من هذا العام الجامعي رجع إلى لندن، وهناك توفي إثر نوبة قلبية مفاجئة في يونيو ١٩٣٠م.

(٥) انظر: الخلافة: تاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني، توماس أرنولد، ترجمة: مُحمّد شكري العزاوي، وغانم النقاش، دار الوراق للنشر، ط(١) ٢٠١٦م، (ص ٢٣-٢٥).

وقد ردَّ الدكتور الحجي رحمته الله على هذه الفرية مُبَيِّنًا فضل الصحابة رضي الله عنهم فقال: "إن إخلاص هؤلاء جميعًا للإسلام معروف قبل الهجرة وبعدها، وكلُّ منهم له أروع المواقف" (١). ثم أخذ الدكتور الحجي يُعَدِّدُ فضائل هؤلاء الثلاثة الذين اتهمهم هذا القس الحاقد ومن تابعه، فذكر تضحياته في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته، ولعل أفضل ما يفند هذه الفرية موقف خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه من المرتدين وإصراره على قتالهم؛ نصرته لدين الله تعالى، وفي هذا يقول الدكتور الحجي رحمته الله: "فَلِمَ كل هذا الإصرار الذي قد يُعَرِّضُ كرسيه وحياته للخطر ويذهب هو ومؤامرتة؟" (٢).

وعن عمر بن الخطاب وأبي عبيدة يقول الدكتور الحجي: "أما عمر بن الخطاب فإن له سيرة ناصعة البياض أيضًا؛ فهو الآخر معروف بجهاده في سبيل الله وصلابته في الحق، وهذا ديدن كل المسلمين، خاصة الصحابة رضوان الله عليهم، إن عمر بن الخطاب لم يتسامح حتى مع أهل بيته وأبنائه ونفسه، أليس عمر بن الخطاب هو الذي حرم على نفسه، بل وأقسم في عام الرمادة ألا يذوق السمن واللحم واللبن حتى يذوقها كل الناس؟ ووصل إلى درجة ضَعْفَ معها جسمه، وهزل وتغير شكله، وشحب وجهه، واسود لونه، وكان أبيض، وكذلك شوهده في يوم شديد من أيام الصيف مُتَعَمِّمًا بعباءة وهو يطلي بالقطران بعيرًا من إبل الصدقة، وأبو عبيدة بن الجراح ألم يكن في أوقات المعارك يسهر الليل محافظًا على الجند، يتجول حول خيامهم، ويتفقد معسكرهم من غير تكليف من سلطة" (٣).

(١) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبدالرحمن الحجي (ص ٤١).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٤٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٣)، وانظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٥٥٥/٢)، وسيرة عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، تحقيق: طاهر النعسان الحموي، وأحمد قدرى الكيلاني، المكتبة التجارية، القاهرة، عام: ١٣٣١هـ، (ص ٦٢).

ويستدل الدكتور الحجي بما حدث في السنة الثامنة عشرة للهجرة (١٨هـ)، عندما وقع طاعون عمواس في الشام حيث كان أبو عبيدة، فأرسل إليه الخليفة أن يأتيه حال تَسَلُّمِهِ الكتاب، لكن أبا عبيدة أجابه قائلاً: "إني في جند من المسلمين، لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضائه، فخلني من عزمك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي"، ويؤكد الدكتور الحجي ﷺ على أن سيرة هؤلاء كلها بيضاء مشرقة، وعطرة عبقية، فماذا يفعل الأعداء معها، وأين يذهبون بها؟، فهؤلاء الثلاثة هم من خيار الصحابة، فهل يقومون بمثل هذه المؤامرة؟، وهل هذه المؤامرة خفيت على سائر الناس طيلة قرونٍ حتى جاء (لامنس) فاكتشفها؟!

ويرى الدكتور الحجي ﷺ أن هذا الكلام لا يقوله إلا رجل يريد الطعن في شخصيات الصحابة ﷺ، وهو كلام ليس له أي دليل من عقل أو تاريخ، بل إن حقائق التاريخ المجمع عليها تُثبِتُ أنه ليس أكبر من بهتان، فكيف يمكن أن يكون هؤلاء أصحاب مؤامرة وهم الذين ضحوا بكل شيء في سبيل الإسلام، ومواقفهم قبل الهجرة وبعدها معروفة؛ لشدة سطوعها، وقوة نورها، ولقد كان كل واحد منهم يريد أن يُقَلِّدَ غيره الخلافة، ويرفضها بحزم لنفسه.

لقد كان كل ما قام به هؤلاء الصحابة الكرام في منتهى الخدمة المخلصة، والتضحية البالغة التي ليس فيها لغير الله وابتغاء رضاه نصيب، فهل هذا هو مفهوم المؤامرة في نظر العميان؟ نعم، إنها مؤامرة من أعداء الإسلام للطعن في الإسلام ورجاله، إنها مؤامرة أنبتتها عقولهم المظلمة التي تمتلئ بالخبث والكيد الشديد، أيشترك عمر في مؤامرة وهو الذي هَدَّدَ بالقتل من يقول بموت الرسول ﷺ؟ فكيف تكون وفاته ﷺ بداية لتنفيذ مؤامرة يسعى إليها عمر ﷺ (١).

(١) انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٤)، وانظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٨٤/٨)، والبداية والنهاية، ابن كثير (٧٨/٧).

المطلب الثاني:

جهوده في بيان فرية انتشار الإسلام بالسيف

على الرغم من أن القرآن الكريم أكَّده على مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام الحنيف في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وعلى الرغم من حرص الإسلام على الرفق واللين في دعوة الغير في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] يقول على الرغم من كل ذلك إلا أن بعض المستشرقين حاول أن يروج لفرية انتشار الإسلام بالسيف.

يقول توماس أرنولد: "ولم ينجحوا -أي المسلمون- في نشر الإسلام فيما وراء بيئتهم إلا عن طريق الاضطهاد وإكراه على التحول إلى هذا الدين" (١). وقال أحد المستشرقين: "وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب" (٢)، ويذكر آخر أن المسلمين أصحاب عقيدة، ولكنهم اتصفوا بالتعصب الأعمى، وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام وبجار الدم والقسوة (٣).

(١) الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، عام: ١٩٧٠م، (ص ٢٨٥).

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، وعمر فروخ، المكتبة العصرية، صيدا، وبيروت، عام: ١٩٨٦م، (ص ٤١).

(٣) الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين، جميل المصري، دار القلم، دمشق، (ص ٧٣).

وقد ردَّ الدكتور الحجى رحمته الله على هذه الفرية بقوله: "أما هذه الفرية الظالمة وهي أن الإسلام انتشر بالسف فإن جميع الأحداث التاريخية وكافة التعاليم الإسلامية تُكذِّبُهَا وترفضُهَا، ولقد تحدث عن تسامح المسلمين كثير من غير المسلمين، وأشادوا به، وحتى من لم يملك حسن النية تجاههم، وما سمعنا في التاريخ أن شخصاً ما أسلم بالإكراه، علماً بأن المسلمين كانت لهم الغلبة في الحروب والفتوح، وهم أصحاب سلطان، فما شكنا منهم أحد في معاملة أو سلوك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]" (١).

وقد فند الدكتور الحجى رحمته الله هذه الشبهة وأبطلها بما يأتي:

١ - حرص الإسلام على حرية الاعتقاد:

يقول الدكتور الحجى "لم يحدث أبداً ولا مرة واحدة خلال التاريخ الإسلامي والأندلسي أن أُجبرَ أحدٌ على اعتناق الإسلام بأي أسلوب لا من قريب ولا من بعيد، حيث إن ذلك يتنافى مع طبيعة الإسلام ذاته ودعوته وحقيقته، فضلا عن نصوصه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]" (٢).

وقد قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية "أي: لا تُكْرَهُوا أحداً على الدخول في دين الإسلام؛ فإنه بيّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكرَهَ أحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، وَتَوَرَّ بصيرته دخل فيه على بَيِّنَةٍ، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيدُه الدخول في الدين مُكْرَهًا مقسوراً" (٣).

(١) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، عبد الرحمن الحجى (ص ٧٢).

(٢) أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٣١).

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١/٦٨٢).

فهذه الآية تؤكد أن الإكراه على اعتناق الإسلام أمرٌ مرفوضٌ، وأن حرية العقيدة مكفولة للجميع شريطة أن تصل إليهم الدعوة الإسلامية نقيّةً واضحةً، ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.

وقد جعل الإسلام الناس أحرارًا في معتقداتهم، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ودعا الإسلام إلى احترام معتقدات المخالفين، والمحافظة على دور العبادة الخاصة بهم، وأباح للمسلم الزواج من الكتابية، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]، وحثّ المسلمين على مناقشة المخالفين بالحجة والحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٢- دخول الناس الإسلام في مرحلة الضّعف في مكة:

كانت المرحلة المكية مرحلة ضّعفٍ، وقد ظلم فيها المسلمون ظلمًا عظيمًا، ومع ذلك دخل كثير من الناس في دين الله على الرغم من الأذى والتعذيب الذي كان يُلحقه المشركون بمن يعتنق الإسلام، فأين السيف في هذه المرحلة؟! (١).

وَضَعْفُ الْمُسْلِمِينَ وَمَا لَأَقْوَاهُ فِي الْمَرَحَلَةِ الْمَكِّيَّةِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَقَدْ مَرَّ فِي الْمَبْحَثِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْفَصْلِ أَمثلةٌ كَثِيرَةٌ عَلَى إِيْدَاءِ قَرِيشٍ وَالْكَفَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﷺ (٢).

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٣١).

(٢) انظر: (ص ٢٢٩-٢٣٥).

٣- تسامح المسلمين مع غيرهم:

عندما فتح الله للنبي ﷺ مكة ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في العفو والصفح، فقد قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»^(١).

وفي هذا يقول الدكتور الحجري: "ثم في رمضان من السنة نفسها -السنة الثامنة من الهجرة- تستسلم عاصمة الوثنية مكة المكرمة صلحًا، بعدما مارست أشد أنواع المواجهات للدعوة الإسلامية حتى القتل، ثم الحروب المتتابة الماحقة المهلكة المدمرة، مع ذلك هبوا طلقاء أحرارًا دون أي أذى"^(٢).

والطلاق من قريش كما قال النبي ﷺ^(٣)، وهم الذين عفا عنهم النبي ﷺ يوم فتح مكة^(٤)، وأطلقهم فلم يسترقهم، وهم الذين أسلموا في هذا اليوم^(٥).

وَبَيَّنَّ الدكتور الحجري سماحة النبي ﷺ والمسلمين مع غيرهم فيقول: "أما سمعتم كيف أن الرسول ﷺ عفا عن أهل مكة الذين تَفَنَّنُوا في تعذيب المسلمين وقتلهم واضطهادهم طوال العهد المكي ثلاثة عشر عامًا، وفي العهد المدني ومعاركه التي أرادوها قاضية على الإسلام وأتباعه ونبيه الكريم ﷺ بعد ثماني سنوات يوم تم فتحها -أي مكة- عفا عنهم قائلاً: اذهبوا

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨٥-٢٨٦).

(٢) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجري (ص ٢١٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ومن حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، رقم (١٩٢١٥)، (٥٤٧/٣١)، وَصَحَّحَهُ محققو المسند.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الطاء، باب الطاء مع اللام، (٣/١٣٦).

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/١٥٠).

فأنتم الطلقاء، ولم يطلب أيُّ مسلمٍ برد ما استلمته قريش من أملاكهم مقتدين برسول الله ﷺ" (١).

إن هذا الخلق النبيل في معاملة المسلمين غيرهم نابع من طبيعة الإسلام وسعة أفقه وقوة عقيدته وسماحة مبادئه، يقول الدكتور الحجي ﷺ: "إن تسامح العقيدة والمبدأ يسير طردياً مع سعة أفقها وقوتها؛ ولذلك فاق الإسلام كل ما عداه" (٢).

والذي يريد أن يُبينه الدكتور الحجي ﷺ بهذا أن الإسلام لو كان دين عنف، ويجبر الناس على الدخول فيه لأعمل النبي ﷺ السيف في أهل مكة الذين حاربوه وآذوه وأصحابه، وما عفا عنهم، لكنه أطلقهم؛ فدخلوا في دين الله أفواجاً.

٤- تعامل المسلمين مع أهل الأندلس بعد فتحها:

يؤكد الدكتور الحجي ﷺ على أن تاريخ الفتوحات الإسلامية خير شاهدٍ ودليلٍ على بطلان أن الإسلام انتشر بالسيف؛ فإنه لا يوجد فيه أدنى إكراه أو قسر على الدخول في الإسلام، ولا يوجد مثال واحد لأناس اعتنقوا الإسلام تحت وطأة الإكراه أو التعذيب، بل إن المسلمين حين فتحوا البلدان لم يتدخلوا قط في شئون دينها، ولم يرغبوا أحداً على تغيير عقيدته، بل اختارت الشعوب حسب قناعتها ورغبتها وتوجهها (٣).

ويبرهن على ذلك أنه لما فُتحتِ الأندلس لم يتدخل المسلمون في شيء من عقائد الأندلسيين، وتركوهم يعيشون بحرية تامة في قضائهم الخاص وحياتهم الدينية من الأديرة

(١) أندلسيات ، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٢).

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، عبدالرحمن الحجي (ص ٧٣).

(٣) انظر: أندلسيات ، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٠).

والأسقفيات والمطرانيات (الأبرشيات)، حتى إنه كان حول قرطبة وحدها في عهد ما من أيام الحكم الإسلامي في الأندلس أكثر من خمسة عشر ديرًا^(١).

ويقول الدكتور الحجي رحمه الله: "كما أبقى المسلمون جميع أماكن العبادة لغيرهم التي كانت قبل مجيئهم، لم يُهدم منها إلا ما كان في المناطق التي اعتنق كافة أهلها الإسلام"^(٢).

وقد كان هذا واضحًا منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس؛ فقد أعطى عبد العزيز بن موسى بن نصير الأمان والحقوق لـ (تدمير) صاحب مدينة (أريولة)، فقد جاء في الكتاب الذي كتبه عبد العزيز له: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لـ (تدمير بن غبدوش) أنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر، ولا ينزع عن ملكه، وأنهم لا يقتلون، ولا يُسَبِّون، ولا يُفْرَق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح، وأدى الذي اشترطنا عليه"^(٣).

بل إن المسلمين سمحوا للأندلسيين ببناء كنائس جديدة وما يريدون من الأديرة، وكانوا يقرعون نواقيسهم على الرغم مما كان يسببه هذا من إزعاج للمسلمين، وَيُعَدُّ قرع النواقيس دلالة واضحة على تسامح المسلمين مع النصراني وإعطائهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم، وهذه المعاملة كانت صورة مصغرة مما كان عليه المسلمون من تسامح جلبه الإسلام إلى إسبانيا^(٤).

(١) انظر: العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، عمر فروخ، من منشورات المكتب التجاري، بيروت،

ط (١) ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م، (ص ١٨٥)، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم (ص ١٣١).

(٢) أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٦٣٩).

(٣) بغية الملتبس، ابن عميرة الضبي (ص ٢٧٤).

(٤) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٦٤٥، ٦٤٠).

٥- شهادات الأعداء المنصفين:

يستدل الدكتور الحجي رحمه الله على بطلان فرية انتشار الإسلام بالسيف بشهادات المنصفين من غير المسلمين فيقول: "اتَّسَمَتْ معاملة المسلمين لغيرهم من أهل البلاد المفتوحة بالتسامح التام الذي أشاد به غير المسلمين وكثير من المؤرخين الأوربيين" (١).
وقد صدق الدكتور الحجي رحمه الله؛ فقد شهد بتسامح المسلمين وعدم اضطهادهم غيرهم وبعدم إجبارهم أحدًا على الدخول في الإسلام غير واحد من المستشرقين.
يقول غوستاف لوبون (٢): "وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرده عن آخرهم على ترك الإسلام، ولم ينتشر الإسلام بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، اعتنقته الشعوب التي قهر العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل فيها ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفس فيها، ويزيد عدد مسلمي الهند يومًا فيومًا مع الإنكليز الذين هم سادة الهند في الوقت الحاضر، يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تبعًا إلى الهند؛ لتنصير مسلميها على غير جدوى" (٣).

(١) المرجع السابق (ص ٦٣٨).

(٢) غوستاف لوبون: من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين، ولد عام ١٨٤١م، كان مدافعًا عن الحضارة العربية وحقوق المسلمين، وانتقد قومه الفرنسيين في ظلمهم أهل الجزائر، من مؤلفاته: حضارة العرب، والحضارة المصرية، وحضارة العرب في الأندلس، وتوفي عام ١٩٣١م، ينظر: غوستاف لوبون في الميزان، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط (١) ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، (ص ١٣-١٤).

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، عام: ٢٠١٧م، (ص ١٣٤-١٣٥).

وقال توماس آرنولد: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام ... أو عن أي اضطهاد مُنظَّمٍ قُصِدَ منه استئصال الدين المسيحي مِنْ قِبَلِ المسلمين" (١).

وقال لين بول (٢): "أما التسامح الديني فلم يَدَعُ للإسبانيين سببًا للشكوى؛ فقد تركهم العرب يعبدون كما يشاءون من غير أن يضطهدوهم، أو يلزموهم اعتناق عقيدة خاصة" (٣).



(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد (ص ٩٨-٩٩).

(٢) هو: ستانلي لين بول، مستشرق بريطاني ولد عام ١٨٣٢م، عالم في الآثار المصرية، وقد عين سنة ١٨٧٧م حافظًا للنقود في المتحف البريطاني، وأقام في هذا المنصب إلى أن توفي، من آثاره: فهرس النقود الشرقية في المتحف البريطاني في عشرة أجزاء، وفيه وصف شامل لجميع النقود الموجودة في المتحف البريطاني، وتوفي عام ١٨٩٥م، ينظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي (٢/٥٦٤).

(٣) قصة العرب في إسبانيا، لين بول، ترجمة: علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، (ص ٤٠).

المطلب الثالث:

جهوده في بيان حقيقة الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد

نقل الدكتور الحجي نص خطبة طارق عن المقرئ، وقد جاء فيها: "فلما بلغ طارقاً دنوه -أي اقتراب (لذريق)- قام في أصحابه، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم حثَّ المسلمين على الجهاد، وَرَغَّبَهُمْ، ثم قال: أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم، وتعوضت القلوب من رُغْبِهَا منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد أَلَقْتُ به إليكم مدينته الحصينة، وإنَّ انتهازَ الفرصة فيه لِمُمْكِنٌ إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذرکم أمراً أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بِالْأَرْزَقِ الْأَلَدِّ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً، ورضيكم ملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً؛ ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان؛ ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون

لكم ذكراً في الدارين، واعموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم (لذريق) فقاتلته إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله؛ فإنهم بعده يُخَذَّلُونَ" (١).

وقد أثارت هذه الخطبة شكوك الباحثين والدارسين في التاريخ الأندلسي في نسبتها إلى طارق بن زياد رضي الله عنه؛ لعدم إشارة المصادر الأندلسية ومعظم المؤرخين المسلمين -ولا سيما المتقدمين منهم- إليها، ولعدم ذكر أقدم رواة الفتوحات الإسلامية لها، وقد نقلها المقري عن مؤرخ لم يذكر اسمه، وهي أكثر ظهوراً في كتب المؤرخين الأدباء والمتأخرين، ويرى البعض أنها من إنشاء بعض المتأخرين، وصيغت على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان (٢).

وقد تشكك الدكتور عبد الرحمن الحجي رضي الله عنه في نسبة هذه الخطبة إلى طارق بن زياد رضي الله عنه؛ لما يأتي:

١- أن هذه الخطبة نقلها المقري عن ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ = ١٢١١-١٢٨٢م) الذي ذكرها في كتابه (وفيات الأعيان) (٣) حين ترجم لموسى بن نصير، وابن خلكان مشرقي عراقي من أربيل (٤).

ويذكر الدكتور الحجي رضي الله عنه أن أقدم نص أندلسي توجد فيه إشارة إلى خطبة طارق مع سطور قليلة منها بعد التقديم على أنها كلُّ الخطبة، كان هذا النص لعبد الملك بن حبيب

(١) نفع الطيب، المقري (١/٢٤٠-٢٤١)، وانظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (٥/٣٢١-٣٢٢).

(٢) انظر: دولة الإسلام، محمد عبد الله عنان (١/٤٧-٤٨).

(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان (٥/٣٢١-٣٢٢).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٦).

(٢٣٨هـ = ٨٥٢م)، وهو: "فلما بلغ طارقاً دنوه منه قام في أصحابه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم حَضَّ الناس على الجهاد، وَرَعَّبَهُمْ في الشهادة، ثم قال: أيها الناس، أين المفر والبحر من ورائكم، والعدو أمامكم؟ فليس لكم والله إلا الصدق والصبر، ألا وإني صادم إلى طاغيتهم بنفسي، لا أقصر حتى أخالطه، أو أقتل دونه"^(١).

ويتساءل الدكتور الحجي رحمته الله: هل يمكن أن تكون الخطبة مقحمة في نص عبد الملك بن حبيب منقولة عن ابن خلكان أو غيره، من إضافة الناسخ الذي اختصر هذا النص، وكانت المصادر المشرقية معتمدة، وإلا أفليس مستغرباً ألا تَرَدَّ عند غيره من كتاب الأندلس الذين وصلتنا كتابتهم؟ وذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي - القرن الثامن الهجري - أورد أول خطبة طارق مع اختلافٍ في كتابه (تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس) فقال: "فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال، فرأى طارقٌ ما الناس فيه من الشدة، فقام يَعِظُهُمْ، ويحضهم على الصبر، وَيُرَعِّبُهُمْ في الشهادة، ويسط في آمالهم، ثم قال: أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، فليس إلا الصبر منكم، والنصر من ربكم، وأنا فاعلٌ شيئاً، فافعلوا كفعلِي، والله لأقصدن طاغيتهم، فإما أن أقتله وإما أن أقتل دونه"^(٢)، وأشار الدكتور الحجي رحمته الله إلى التشابه بين نص علي بن عبد الرحمن ونص ابن حبيب، ورأى الدكتور الحجي رحمته الله أن ذَكَرَ قليل من المؤرخين المتأخرين - دون المتقدمين - لهذه الخطبة، وعدم شيوعها ومعرفة المؤرخين لها أمرٌ يُقَلِّلُ أو يمحو الثقة بواقعيتها^(٣).

(١) مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (٢٢٢/٥).

(٢) تحفة الأنفس، ابن هذيل (ص ٧٠-٧١).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٦-٧٧).

٢- أن أسلوب السجع الذي جاء في الخطبة لم يكن شائعاً في الزمان الذي قيلت فيه الخطبة؛ فالسجع والمحسنات المتكلفة قد عرفت في عصر متأخر عن القرن الأول، كما أنه ليس من المتوقع أن يعتني قائد جيش بهذا النوع من الصياغة المتكلفة^(١).

٣- عدم تلاؤم المعاني التي جاءت في الخطبة مع الروح الإسلامية العالية لدى الفاتحين، ومقدار حبهم للإسلام، ورغبتهم في إعلاء كلمته، والاستشهاد من أجل ذلك، ممثلين قول الله تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقد خلت خطبة طارق من هذه المعاني المعروفة المألوفة في خطب الجهاد^(٢).

٤- وجود عدد من الأخطاء العلمية التاريخية في الخطبة، وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

أ- الخطأ في استعمال كلمة (يونان) التي جاءت لتحقيق السجع، والشائع المعتاد بين المؤرخين الأندلسيين استعمال كلمات مثل: (الروم^(٣))، أو (القوط)، أو (العلوج)، أو (العجم)، أو (المشركون)، أو (الكفار)^(٤).

وقال الدكتور الحجي رحمته الله بعد أن ذكر هذا الخطأ: "ليس لدينا نصٌ يحتوي مثل هذا الاستعمال، غير أن ابن خلكان مشرقياً، وأورد هذا الاستعمال في غير الخطبة"^(٥).

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٧٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: نفح الطيب، المقرئ (١/٢٦٤).

(٤) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٢/١٤).

(٥) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٧-٧٨).

ب- من الأخطاء التاريخية التي وقعت في هذه الخطبة قوله: "وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك؛ لأن الذي انتخبهم موسى بن نصير، وليس الوليد(١).

ج- ومن الأخطاء التي وردت في الخطبة قوله: "وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً؛ فالجميع يعلم أن الجيش كان أكثرهم من البربر، وكان القائد أيضاً بربرياً(٢).

٥- كون طارق وأكثر الجيش من البربر؛ مما يجعل من المناسب أن يخاطبهم بلغتهم؛ إذ من المتوقع ألا تكون لغتهم العربية قد وصلت إلى مستوى عال(٣).

٦- تنافي الجمل الأخيرة من الخطبة: "ولم يعوزكم بطل عاقل"، "واكتفوا إليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله" مع أسلوب الفتح وحقيقة أهدافه، فضلاً عن مجانبتها لخططه العسكرية، ودقتها التنظيمية، ومتطلباتها الفنية(٤).

٧- مخالفة هذه الخطبة لأبيات نقلها المقري عن طارقٍ بمناسبة الفتح، وهي:

ركبنا سفيناً بالمجاز مقيرا عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوسنا وأموالاً وأهلاً بجنةٍ إذا ما انتهينا الشيء منها تيسراً
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرنا

يقول الدكتور عبد الرحمن الحجي رحمه الله: "وجهة هذه الأبيات تُعَايِرُ وجهة الخطبة، فهي

منسجمة المعاني الإسلامية، ومستمدة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٧٧).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ
حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١] (١).

يَتَبَيَّنُ مما سبق أن الدكتور الحجي يشكك في نسبة هذه الخطبة إلى طارق بن زياد رضي الله عنه؛
للأسباب التي ذكرها.

(١) المرجع السابق (ص ٧٩).

المطلب الرابع: جهوده في بيان قضية حرق طارق بن زياد لسفن الفتح وموقفه منها

ذكر هذه الحادثة في موطنٍ واحدٍ الإدريسيُّ في كتابه (نزهة المشتاق)، فذكر أن طارقاً
ﷺ لما جاز بمن معه من البربر، وتحصنوا بهذا الجبل أحس في نفسه أن العرب لا تثق به، فأراد
أن يزيح هذا عنه، فأمر بإحراق المراكب التي جاز عليها^(١).

وأخذ الحميري هذ عن الإدريسي فذكر أن جبل طارق سمي بهذا الاسم لأن طارقاً لما
جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل، وقدر أن العرب لا ينزلونه، فأراد أن ينفي عن نفسه
التهمة، فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها، فبرئ بذلك مما اتهم به^(٢).

وقال ابن الكردبوس: "ثم رحل طارق إلى قرطبة بعد أن أحرق المراكب: قاتلوا أو
موتوا"^(٣).

وهذه النصوص الثلاثة التي وردت عن الإدريسي وابن الكردبوس والحميري هي الأصل
الذي اعتمدت عليه كل المصادر التاريخية والأدبية التي أشارت إلى قصة الإحراق^(٤).

(١) انظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، عالم الكتب، بيروت، ط(١) ١٤٠٩هـ، (٢/٥٤٠).

(٢) انظر: الروض المعطار (ص ٢٢٤).

(٣) الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح بن عبد الله الغامدي، من منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة
الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط(١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (٢/١٠٠٧).

(٤) انظر: أسطورة إحراق طارق للسفن، عبد الحليم عويس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد: (٦٠٧)، عام:
٢٠١٦، (ص ٦٧).

وتدل هذه النصوص على أن طارقًا ما كاد يعبر بجيشه إلى الأندلس حتى أمر بإحراق السفن التي عبر عليها جيشه؛ لكي يدفع جنده إلى الاستبسال والموت أو النصر المحقق، ويقطع عليهم بذلك كل تفكير في التخاذل والارتداد(١).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن المصادر الأندلسية المبكرة لا تشير إلى قصة حرق السفن التي لا تخلو من ارتباطها بقصة الخطبة(٢).

وقد استبعد الدكتور الحجي حدوث هذا من طارق؛ لما يأتي:

١- قوة عقيدة الجيش واستعدادهم للشهادة يغني طارقًا عن ارتكاب هذا الفعل؛ فقد كان الجنود مستعدين للتضحية بأرواحهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، وهذا الهدف وهذه الغاية أقوى في الثبات والصبر والاستبسال من مجرد إحراق السفن(٣).

وقد وُجِدَ عدد من الصحابة والتابعين في جيش الفتح؛ مما يدل على مدى الاهتمام بالإسلام ونشره، والجهاد بكل طريق في سبيله؛ إعلاء لكلمة الله تعالى(٤).

٢- عدم امتلاك طارق هذه السفن؛ فهذه السفن قدمها الكونت (يوليان) للجيش في حملتهم الاستكشافية الأولى بقيادة طريف، ثم في الحملة الغازية بقيادة طارق(٥).

وفي ذلك يقول الدكتور الحجي رحمته الله: "إذا كانت السفن ليليان فليس من حق طارق التصرف بها، وإن كانت للمسلمين فليس حرقها عملاً عسكرياً سليماً أو مناسباً مادام يحتاج

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُجَّد عبد الله عنان (ص ٤٨).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٨٠).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٧٩-٨٠).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ١٧٩).

(٥) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُجَّد عبد الله عنان (١/٤٨).

إليها، وإلى النجدة والاتصال الدائم بالمغرب لأي غرض، وقد رأينا احتياجه إلى النجدة قبل خوض هذه المعركة، واحتاجها فيما بعد" (١).

٣- من الأدلة التي تبطل هذه الرواية رؤية طارق للنبي ﷺ يُبَشِّرُهُ بالنصر والفتح، وقد زادت هذه الرؤية حماس الجيش الإسلامي، وهو أمر يغني عن حرق طارق ﷺ السفن (٢).
ومما يُؤكِّد كلامَ الدكتور الحجى ﷺ أن فتح الأندلس كان في عهد التابعين، وقد دُوِّنت هذه الرواية لأول مرة في القرن الخامس الهجري، أي: بعد فتح الأندلس بأكثر من ثلاثة قرون، ولم تؤيدها أية رواية إسلامية أخرى (٣).

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٨٠).

(٢) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٢٢).

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، مُحمَّد عبد الله عنان (٤٩/١).

الفصل الرابع

جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي في خدمة الحضارة الإسلامية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية وأسسها وخصائصها.

المبحث الثاني: جهوده في إبراز إسهام العلماء المسلمين في علوم الكون والإنسان.

المبحث الثالث: جهوده في إبراز قيمة العمران في الحضارة الإسلامية.

المبحث الرابع: جهوده في إبراز خصائص الشخصية الحضارية النموذجية

للأمة الإسلامية.

المبحث الأول

جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية وأسسها وخصائصها

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان أسس الحضارة الإسلامية.

المطلب الثالث: جهوده في بيان خصائص الحضارة الإسلامية.

المطلب الأول:

جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية

الحضارة لغة:

يقال: حضر الرجل - بفتح الضاد، وقيل: بكسرهما، وهي لغة فيه - يحضر حضوراً، ورجلٌ حضرٌ: لا يصلح للسفر، والمحتضر: الذي يأتي الحضر، وهو خلاف البادي، والحضارة: الإقامة في الحضر، والحضر ضد البدو، قال الشاعر:

فمن تكن الحضارة أعجبتَه فأَي رجال بادية ترانا^(١)

والحضارة ضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي يكون في الحضر^(٢)، وللحضارة ارتباط بالحضر وال عمران، وهي تتفاوت بتفاوت العمران؛ فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل^(٣).

وعن اشتقاق كلمة الحضارة يقول الدكتور الحجي رحمه الله: "أما كلمة أو مصطلح الحضارة فقد اشتقت أصلاً من الحضر، الإقامة في المدن، والسكنى فيه، فهو عكس البداوة،

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦٣٣/٢)، ومقاييس اللغة (٧٦/٢)، ولسان العرب، لابن منظور (١٩٧/٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، [كُتِبَتْ مقدمتها ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م]، وصَوَّرَتْها: دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير، (١٨١/١).

(٣) انظر: والعبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون (٤٦٥/١).

العيش خارج المدن، والحَضْر يقتضي الاستقرار والإقامة، وليست كذلك البداوة أو السكنى خارج الحضر إلا في حدود"^(١).

الحضارة اصطلاحًا:

يُعرِّفُ الدكتور الحجى رحمته الله الحضارة بشكلٍ عامٍ فيقول: "أطلق مصطلح الحضارة على نتاج الإنسان وإنجازته ونُظمه، وما يحيا به، وما يحتاجه لشؤونه، وهي أمور شاركت فيها أمم وأجناس خلال التاريخ حيثما تقيم"^(٢).

ثم يذكر رحمته الله بعض خصائص الحضارة الإسلامية بشكلٍ خاصٍ فيقول: "ونعني بالحضارة الإسلامية من ناحية التنظيم الإسلامي القائم على العقيدة الإلهية، فأنشأت مجتمعًا فريدًا قدَّمَ ذلك الإنجاز والإنتاج الفكري المتميز؛ النظري والعملي، المتنوع الاتجاهات، المتجانس الروح، الموحد الهدف الذي أنبته الإسلام، ورعاه، ووجَّهه"^(٣).

وقد عرَّفَ ابن خلدون رحمته الله الحضارة بأنها "تَقْنُنُ في التَّرَفِ وإِحْكَامُ الصَّنَائِعِ المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجداته، والتأنق فيه تختص به، ويتلو بعضها بعضًا، وتتكرَّرُ باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملادِّ والتَّعْنُمِ بأحوال الترف، وما تتلوَّنُ به من العوائد"^(٤).

وقيل في تعريف الحضارة: هي "درجة عالية من الفعالية التاريخية، وأثر دائرة الوجود الجماعية لأمة متماسكة يربطها مفهوم واحد للحياة، هو ما منحها هويتها الثقافية المتميزة،

(١) أضواء على الحضارة والتراث ، عبدالرحمن الحجى (ص ٦٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٦٨).

(٣) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٩-١٠).

(٤) انظر: والعبر ودويان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، ابن خلدون (٢١٦/١).

وشبكة متضافرة من المصالح المتبادلة؛ لتحقق ذاتها في إنجازات نوعية وكمية على مختلف الأصعدة"^(١).

وقيل: هي "ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى الثمرة مقصودًا أم غير مقصود، وسواء أكانت هذه الثمرة مادية أم معنوية"^(٢).



(١) على عتبات الحضارة، بتول أحمد جندية، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط(١) ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، (ص ٣١).

(٢) انظر: الحضارة، حسين مؤنس، عالم المعرفة، (ص ١٣).

المطلب الثاني:

جهوده في بيان أسس الحضارة الإسلامية

للحضارة الإسلامية أسس ومقومات تركز عليها، ومن هذه الأسس ما يأتي:

أولاً: العقيدة:

العقيدة هي: الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه قلبه^(١).

وَيُبَيِّنُ الدكتور الحجى رحمه الله دور العقيدة الإسلامية في الحضارة الإسلامية فيقول:
"وهذه العقيدة الإسلامية هي التي أنتجت حضارة الإسلام الرائعة"^(٢).

ويذكر الدكتور الحجى رحمه الله العقيدة كأهم أساس من أسس الحضارة الإسلامية، فيرى أن الحياة العلمية قامت في الحضارة الإسلامية على أسس قوية قومية، تقرأ فيها مثلما تقرأ في غيرها عقيدة الإسلام وشريعته التي شملت كل نواحي حياة المسلم وأموره، والحياة العلمية جانب منها^(٣).

ويؤكد الدكتور الحجى رحمه الله على أهمية العقيدة كأساس من أسس الحضارة الإسلامية إذ يقول: "الحضارة الإسلامية حضارة إيمان بالله تعالى، الواحد الأحد، رباً كريماً، وخالقاً رحيمًا، ومُشْرِعًا حكيمًا، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، والإنسان يرتبط

(١) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط(١)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (ص ١١٩).

(٢) أضواء على الحضارة والتراث، عبدالرحمن الحجى (ص ١٧٣-١٧٤).

(٣) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبدالرحمن الحجى (ص ١٢).

بهذا الإيمان ومتطلباته ومتربياته، ألا وهي الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، وبرسالة محمد ﷺ شريعةً ومنهجًا وطريقًا لا يقبل الله غيره، والإيمان بالكتب، والملائكة، واليوم الآخر، والحساب، والجنة والنار، وكل ذلك حق وصدق، يغمر الإيمان به المسلم، وينطلق في ضوئه بكل أعماله في هذا الأساس، وأهل الأرض جميعًا مطالبون بذلك، وواجب التبليغ مُكَلَّفٌ به المسلم^(١).

وما ذكره الدكتور الحجي رحمه الله جاءت به نصوص القرآن والسنة؛ فقد قال الله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وعن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزًا يومًا للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث»، قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

فالمؤمنون جميعًا يؤمنون بأن الله واحدٌ أحدٌ، فرد صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه، ويُصَدِّقُونَ بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، ولا

(١) مقومات الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجي، مجلة المجتمع، العدد (٤٣١)، عام: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (ص ٢٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، رقم (٥٠)، (١٩/١)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم (٩٥)، (٣٩/١).

يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيُكْفِرُونَ بِبَعْضٍ، بَلِ الْجَمِيعَ عِنْدَهُمْ صَادِقُونَ بَارُونَ رَاشِدُونَ مُهْدِيُونَ هَادُونَ إِلَى سُبُلِ الْخَيْرِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ يَنْسَخُ شَرِيعَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، حَتَّى تُنْسَخَ الْجَمِيعَ بِشَرَعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِي تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شَرِيعَتِهِ^(١).

ومن لوازم عقيدة الإيمان بالله تعالى "إخلاص الألوهية له؛ فلا يجوز أن يتأله قلب غيره؛ لا بحب ولا خوف ولا رجاء، ولا إجلال ولا إكبار، ولا رغبة ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله"^(٢).

ومن لوازم هذه العقيدة أيضاً توحيد الربوبية، وهو: "أن الله خالق كل شيء وربه"^(٣).
ومن لوازم هذه العقيدة أيضاً توحيد أسماء الله وصفاته بما يفرضه الله من نسبة الكمال المطلق لله ﷻ دون أن يعترضه نقص أو عجز أو جهل أو نحوه، ولا يجوز أن ننسب إليه تعالى اسماً أو صفة إلا ما ورد نصاً في الكتاب والسنة، والله ﷻ بعث أنبياءه بإثباتٍ مُفَصَّلٍ، ونفيٍّ مجملٍ؛ فأثبتوا له الأسماء والصفات، وَنَفَوْا عَنْهُ مِمَّا تَلَاهُ الْمَخْلُوقَاتُ^(٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧٣٦/١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٨٧م، (ص ٤٥٢).

(٣) الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط (١) ١٤٠١هـ، (٢٩/٢).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (ص ٤٦٥).

ثم الإيمان بالملائكة "يتضمَّنُ الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً؛ فيؤمن المسلم بأنَّ الله ملائكةٌ خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿[الأنبياء: ٢٦-٢٧]"^(١).

ويوضح الدكتور الحجري رحمه الله أثر أساس العقيدة في حياة المسلمين فيقول: "وأثر هذا الإيمان واضح عملياً في حياة المسلمين، على كل إطار ومستوى، وامتلاك الإيمان نفساً لإنسانٍ ما قائدةٌ إياه لا محالة إلى تحريره الكامل من ألوان العبودية لنفسه أو لغيره؛ لأنه عبَّد نفسه لله رب العالمين، فغداً حرّاً حقيقياً، يعلو على كل ضرورة، ويسمو فوق كل اعتبار آخر، لا تشكله المخاوف، ولا تحوله المطامع، ولا تلونه المصالح، ولا تؤخره الشهوات، وسار في سلم السمو والارتفاع؛ فإن العبودية لله تعالى هي الحرية الحقة التي تمحو كل عبودية لغير الله تعالى، ومن يأبى الانضواء إلى سلطانها، ويشرد في تيه الضلالة بالخروج منها، ويهرب من أمنها استعبد نفسه لكل شيء هَيِّئاً رخيصاً هزيباً، ولكل ما عاش خارج دائرة الإيمان، كذلك يهون ويصير ضامراً وان كبر، قصيراً وإن علا، متهافتا وإن ملك، والحضارة الإسلامية غنية بكل تلك المعاني الرفيعة، أَيْبَةُ استضاءت بالعزة، وتحملت بالحق، وازدهرت بالخير الوفير"^(٢).

الأساس الثاني: الشريعة:

إن الحضارة الإسلامية بُنِيَتْ على الشريعة الإسلامية، وهذا ما يؤكد الدكتور الحجري رحمه الله بقوله: "وهذه العقيدة الإسلامية هي التي أنتجت حضارة الإسلام الرائعة، والتي بنيت

(١) أصول الإيمان، مُجَّد عبد الوهاب التميمي، تحقيق باسم فيصل، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط(٥) ١٤٢٠هـ، (ص ٨٨).

(٢) مقومات الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجري (ص ٢٩).

على شريعته، وعمل فيها ولها مجتمع عاش بالإسلام وله، ومنه أخذ كل تعاليمه"^(١).
والشريعة الإسلامية منهج كامل للحياة، مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، يحدد علاقة الإنسان بربه التي هي أسمى أنواع العلاقات، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويضبط علاقة الإنسان بكل من حوله في هذا الكون الذي أمر بتعميره، فهو يحكم السلوك في جميع النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.
و"هذه الشريعة المعصومة ليست تكاليفها موضوعة حيثما اتفق لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين، بل وُضِعَتْ لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معاً، وَرُوعِيَ فِي كُلِّ حُكْمٍ مِنْهَا إِمَّا حِفْظُ شَيْءٍ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسَةِ: (الدين والنفس والعقل والنسل والمال)، التي هي أس العمران المرعية في كل مِلَّةٍ، والتي لولاها لم تَجْرِ مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة، وإما حفظ شيء من الحاجيات؛ كأنواع المعاملات التي لولا ورودها على الضروريات لوقع الناس في الضيق والحرَج، وإما حفظ شيء من التحسينات التي ترجع إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وإما تكميل نوع من الأنواع الثلاثة بما يُعِينُ على تحقُّقه، ولا يخلو بابٌ من أبواب الفقه؛ عبادات ومعاملات وجنایات وغيرها من رعاية هذه المصالح، وتحقيق هذه المقاصد التي لم تُوضَعِ الأحكامُ إلا لتحقيقها"^(٢).

(١) أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ١٧٣-١٧٤).

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي، مقدمة المحقق، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز، ووضع تراجمه الأستاذ مُجَّد عبد الله دراز، وخرج آياته وفهرس موضوعاته الأستاذ عبد السلام عبد الشافي مُجَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م، (ص ٥).

وقيام الحضارة الإسلامية على أساس الشريعة مع العقيدة يجعلها متميزة متفردة، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "والحضارة الإسلامية بهذا الاعتبار لا بد أن تكون متفردة امتيازاً، أو مستقلة استعلاءً؛ لأنها تقوم على الإسلام عقيدةً وشريعةً، وهو دين الله العام الخالد، وشرعته السمحة البيضاء النقية، ورحمة للعالمين"^(١).

فالشريعة الإسلامية بشقيها: العبادات، والمعاملات تُمَثِّلُ الأساسَ الثاني من أسس الحضارة الإسلامية؛ فالمسلم لا ينطلق في الحياة، ولا يحدد علاقاته بما حوله ومن حوله، بل وبخالقه إلا وفق منهج رسمته له الشريعة الإسلامية الغراء^(٢).

والعودة إلى شريعة الله، والأخذ بمنهجه مطلبٌ دائمٌ، ومنقذٌ وحيدٌ، ومنجاةٌ واضحةٌ، وهي الطريق الفريد في هداية الإنسان وسعادته في الدارين، والله سبحانه وتعالى خالق الإنسان الرحيم الذي يعلم ما يُصْلِحُ شأنه في كل وقتٍ وحينٍ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

لذا "ستبقى الإنسانية بدون شريعة الله تعالى حائرة تائهة، لا تجد هدى، ولا تعرف رشداً، وهي حقيقة شرعية مثلما هي حقيقة أو شريعة كونية أو علمية، دائمة الصدق، لا تخص عَصْرًا أو مِصْرًا، وليست على قوم بعينهم حكراً" كما قال الدكتور الحجى رحمته الله^(٣).

ويشير الحجى رحمته الله إلى أثر الشريعة الإسلامية على الحضارة إذ يقول: "حين يقوم الداخل الإنساني على الخوف من الله تعالى وطاعته، وحب شريعته، والعمل للفوز في آخرته

(١) نظرة في الحضارة الإسلامية: دراسةً وفهمًا، عبد الرحمن الحجى، مجلة المجتمع، العدد (٤٣٠)، عام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (ص ٤٧).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية: قراءة في النظرية والتطبيق، عبد الباري مُجَدِّ الطاهر (ص ٢٤).

(٣) نظرة في الحضارة الإسلامية: دراسةً وفهمًا، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٧).

يعتني كثيراً بداخله كمن يملك بستاناً، عاش له، ورعاه، وينفق فيه كل يومه وليله، والخارج عنه لا يكون إلا لخدمة الداخل على السمت نفسه، يلتزم بعين المتطلبات، ويقف على الحدود نفسها، وهذه ظاهرة واضحة في المجتمع المسلم، وفي حضارته وإنتاجه بوضوح كامل، وظهور شامل^(١).

وصدق الدكتور الحجى رحمته الله؛ "فالشرائع كلها وبخاصة شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل، أي: في حاضر الأمور وعواقبها"^(٢).

وإن حضارة الإسلام لم تَعْتَنِ بالشكليات والمظاهر، ولا بالشهادات والألقاب إلا أن تكون مُعَبَّرَةً، بل إن الحقائق الداخلية هي التي تضيء على هذه الشهادات قيمتها، وتعطي لتلك الألقاب مكانتها، وإلا فهي طبل أجوف مهما علا صوته، وشق الأجواء هديره، وملاً الأسماع حراجه، لا يُقَدِّمُ نفعاً غير التطبيل، ولا يقيم غير التشويش، ولا يكيل غير الخسران، ولا يثبت أمام شيء، وسرعان ما ينشق عن الخواء، وينتهي من غير عناء، ومن غير دفع أو نفع أو بناء كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٣).

الأساس الثالث: الأخلاق:

جعل الدكتور الحجى رحمته الله الأخلاق أساساً من أُسُسِ الحضارة، ومُقَوِّمًا من مُقَوِّمَاتِهَا، وأفرده بالبيان؛ لأهميته، وفي ذلك يقول: "يستحسن أفراد الأخلاق هنا بالبيان مقومًا؛ لما له من أهمية، يتميز بارتباط السلوك به، وهو مسألة تتجاوز العادة والألفة أو التصرف الهامشي أو

(١) دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٢).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، تحقيق: مُجَدِّد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (٣/٣٦).

(٣) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٢).

الجزئي؛ لأنه يحسب الحياة، ويعرفها بكل جوانبها، ونظر فيه أثر العقيدة الإسلامية، ومراة نرى فيها العمل والتطبيق" (١).

والأخلاق علم قائم بذاته، به تُعرَّف أنواع الفضائل، وموضوعه الملكات النفسانية من حيث تعديلها بين الإفراط والتفريط (٢).

وترتقي الأخلاق الإسلامية مكانة عالية في الحضارة الإسلامية، وهي الأخلاق التي بيَّنها الله تعالى، ووَضَّحَهَا رسول الله ﷺ بقوله وفعله (٣).

وقد امتدح الله تعالى في القرآن الكريم رسوله ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال النبي ﷺ: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً» (٤)، وقال ﷺ: «أثقل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن» (٥)، وقال ﷺ: «إنما بُعثتُ لِأتمِّم مكارم الأخلاق» (٦).

والأخلاق كونها مقومًا من مقومات الحضارة الإسلامية هدفها تهذيب النفس البشرية وحفظها من أسباب آفات النفس وعيوبها، ولا بد من العودة إلى هذا المبدأ، والتمسك به؛ للرجوع بالحضارة الإسلامية إلى الواجهة (١).

(١) مقومات الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن الحجري (ص ٣٠).

(٢) انظر: مفتاح السعادة، طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، (٣٨٣/١).

(٣) مقومات الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن الحجري (ص ٣١).

(٤) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يُكره من البخل، رقم (٦٠٣٥)، (١٤-١٣/٨)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، رقم ٦٨ (٢٣٢١)، (١٨١٠/٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، رقم (٢٧٤٩٦)، (٤٧٢/٤٥)، وصَحَّحُه إسنادُه محققو المسند.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٨٩٥٢)، (٥١٣-٥١٢/١٤)، وصَحَّحُه محققو المسند.

وقد تميّزت الحضارة الإسلامية بأنها حضارة أخلاق، اعتمدتها أساسًا في كل الأمور، ولم تحِد عنها، والتزمت بها في جميع الظروف؛ لأنها عقيدة ودين، والأخذ بها التزام وأداء لمتطلباته الإيمانية، والتعامل بها طاعة لله، وقرى له، والأخلاق الفاضلة المستمدة من الإسلام هي قوام الخير والعدل والبناء والعمران والتقدم؛ لأن واجب الإنسان إعمار الحياة بالخير، وذلك منهج بالإسلام معلوم، ومنهجه به مرسوم في حياة أهله ومجتمعاته، وكلما كان التزام المسلمين به واضحًا، وولأوهم لمنهجه قويًا وجدوا برد الحياة، وبشريعة الإسلام الربانية، وعقيدته الحقّة يذوقون السعادة التي تمتد أروقتها لكل من يستظل بها^(٢).

□

(١) انظر: مقومات الثقافة الإسلامية، مُجد أحمد يعيش، الناشر: مؤتمر مكة (برعاية رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة)،

عام: ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، (ص ٣٠).

(٢) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجي (ص ١١٥).

المطلب الثالث:

جهوده في بيان خصائص الحضارة الإسلامية

استمدت الحضارة الإسلامية من أصولٍ مميزة، وقامت على أسسٍ فريدة، وتعدت من روافد ثرية كان لكل منها دوره في نشأتها وخصائصها وقيمتها، وأثره في إكساب تلك الحضارة اختلافًا جوهريًا، وتغايرًا وتباينًا واضحًا عن حضارات الأمم السابقة، وقد شهد بذلك جوستاف لويون حين قال: "إن العرب أنشأوا بسرعة حضارة جديدة، كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي قبلها"^(١)، وقد ذكر الدكتور الحجى رحمه الله أهم الخصائص التي تفردت بها الحضارة الإسلامية، وهي كما يأتي:

١- أن الحضارة الإسلامية حضارة إيمانية:

إن الحضارة الإسلامية حضارة إيمان بالله ﷻ وقدرته، وبرسالته السماوية، وقد استمدت قيمها من الإسلام بكل ما يحمله من قيم ومبادئ ومثل وأخلاق، وهو الدين الذي ربط العلم بالإيمان، وجمع بين المؤمنين والراسخين في العلم في سياقٍ واحدٍ: ﴿لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

ويؤكد الدكتور الحجى ﷻ على كون الحضارة الإسلامية حضارة إيمانية إذ يقول: "الحضارة الإسلامية حضارة إيمان بالله تعالى، الواحد الأحد، ربًا كريمًا، وخالقًا رحيمًا، ومُشَرِّعًا حكيمًا، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، والإنسان يرتبط بهذا الإيمان

(١) حضارة العرب، جوستاف لويون (ص ١٥٣).

ومتطلباته ومتربياته، ألا وهي الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، وبرسالة محمد ﷺ شريعةً ومنهجًا وطريقًا لا يقبل الله غيره، والإيمان بالكتب، والملائكة، واليوم الآخر، والحساب، والجنة والنار، وكل ذلك حق وصدق، يغمر الإيمان به المسلم، وينطلق في ضوئه بكل أعماله في هذا الأساس، وأهل الأرض جميعًا مطالبون بذلك، وواجب التبليغ مُكَلَّفٌ به المسلم^(١).

وكون الحضارة الإسلامية حضارةً إيمانيةً جعلها متميزةً فريدةً، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "والحضارة الإسلامية بهذا الاعتبار لا بد أن تكون منفردة امتيازًا، أو مستقلة استعلاء؛ لأنها تقوم على الإسلام عقيدةً وشريعةً، وهو دين الله العام الخالد، وشرعته السمحة البيضاء النقية، ورحمة للعالمين"^(٢).

ويشير الحجى ﷺ إلى أن الحياة العلمية في الإسلام قامت على أسس قوية قويمية، تقرأ فيها مثلما تقرأ في غيرها عقيدة الإسلام وشريعته التي شملت كل نواحي المسلم وأموره، ومنها الحياة العلمية التي ينتج الإيمان فيها العزة والغزارة؛ عزة بالله، وغزارة آثارها ونتائجها^(٣). ومن هذا المنطلق اكتسبت الحضارة الإسلامية طابعها الذي نمت في ظله، وبفضل التمسك به حققت ما حققته من سمو ورفعة، حتى غدت أعظم حضارة عرفها العالم أجمع في العصور الوسطى.

٢- أن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية:

قضت الحضارة الإسلامية على العنصرية، وأحلت محلها الأخوة، وجعلت التقوى المعيار الوحيد للتفاضل والتميز، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

(١) مقومات الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٩).

(٢) نظرة في الحضارة الإسلامية: دراسةً وفهمًا، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٧).

(٣) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٢).

وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال الرسول ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجري رحمه الله من الأمثلة على هذا أن أبا ذر الغفاري عيّر بلالاً الحبشي بأمه قائلاً له: "يا ابن السوداء"، فذهب بلال إلى رسول الله ﷺ يشتكي أبا ذر، فقال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٢)، فندم أبو ذر، وطلب من بلال أن يضع رجله على وجهه؛ ليكفر عن خطئه، لكن بلالاً لم يفعل؛ أخوة وسماحة، ويقول الدكتور الحجري ﷺ: "لقد كرم الإسلام بلالاً إنساناً تقياً، ورفع قدره بقدر إيمانه وجهاده من أجل إعلاء كلمة الله تعالى"^(٣).

ورسالة الإسلام رسالة عالمية، جاءت لجميع الأمم والشعوب، ودعت إلى عالم تسود فيه العدالة والحرية والطمأنينة والسلام^(٤).

والإسلام وحده هو الذي أعلى شأن الإنسان، وأنار له الطريق، ووضح له سبل السعادة، يقول الدكتور الحجري رحمه الله: "فالإسلام هو الدعوة الحقيقية الوحيدة التي طلع نورها للكون، والتي كرمت الإنسان، وحققت إنسانيته بعيداً عن المظاهر، فأوجدت له طريقاً جديدةً، عرّف بها النور الذي أضاء الحياة، وسلمته كل الأسلحة والإمكانات التي تُسعدّه والآخريين،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (٢٣٤٨٩)، (٤٧٤/٣٨)، وصحّح إسناده محققو المسند.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، رقم ٣٨ (١٦٦١)، (١٢٨٢/٣).

(٣) أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجري (ص ١٤٨).

(٤) انظر: الإسلام والغرب، صفوت مصطفى خليلوفيتش، ترجمة هدير أبي النجاء، دار السلام، القاهرة، ط(١) ٢٠٠٧م، (ص ١٠٤).

وَصَحَّحَتْ نَظَرَتُهُ إِلَى الْكُونِ وَالْإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ وَخَالَقَهَا جَلَّتْ قَدْرَتُهُ، وَرَسَمَتْ عِلَاقَتَهُ بِكُلِّ ذَلِكَ" (١).

ومما يدل على إنسانية هذه الحضارة أنها كفلت حرية الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "ولم يَتَّخَلَّ أبناءُ تلك الحضارةِ مَرَّةً عن فضيلة حرية الضمير، وهي الأساس الذي تقوم عليه عظمة الشعوب؛ فَقَدْ قَبِلَ المسلمون في المدن التي ملكوها كنائسَ النصرى وبيعَ اليهود، ولم يخش المسجد معابد الأديان التي سبقتهم، فعرف حقها، واستقر إلى جانبها غير حاسد لها ولا راغب في السيادة عليها، ونمت على هذا ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر الميلادي أجمل الحضارات وأغناها في العصور الوسطى، ونهضت بالبلاد نهضات" (٢).

وَحَقًّا كما قال الدكتور الحجى رحمة الله: "اتضح صفة الحضارة الإسلامية الحقة؛ حيث إنها إسلامية الصفة، إلهية الصبغة" (٣).

٣- أن الحضارة الإسلامية حضارة شاملة:

إن الحضارة الإسلامية شاملة، تشمل جوانب الحياة كلها، ويؤكد الدكتور الحجى على هذا بقوله: "وليست الحضارة الإسلامية الفكرية والعلمية هي الثمرة الوحيدة التي أنتجها الإسلام ... فالإسلام هو الدعوة الحقيقة الوحيدة التي طلع نورها للكون، والتي كَرَّمَتِ الإنسان، وحققت إنسانيته بعيدًا عن المظاهر، فأوجدت له طريقًا جديدةً، عَرَفَ بها النور الذي

(١) الحضارة الإسلامية في الاندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ١١).

(٢) أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٤).

(٣) أضواء على الحضارة والتراث، عبدالرحمن الحجى (ص ١٧٢).

أضياء الحياة، وَسَلَّمَتْهُ كل الأسلحة والإمكانات التي تُسَعِدُهُ والآخريين، وَصَحَّحَتْ نظرته إلى الكون والإنسان والحياة وخالفها جَلَّتْ قدرته، وَرَسَمَتْ علاقته بكل ذلك" (١).

ويذكر الدكتور الحجى رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الحياة العلمية قامت في الحضارة الإسلامية على أسس قوية قومية، تقرأ فيها مثلما تقرأ في غيرها عقيدة الإسلام وشريعته التي شملت كل نواحي حياة المسلم وأموره، والحياة العلمية جانبٌ منها (٢).

٤ - أن الحضارة الإسلامية حضارة وافية:

اهتم الإسلام باحترام العهود والمواثيق والالتزام بها، ووضع لذلك أصولاً وقواعد، والوفاء بهذه العهود والمواثيق جزء من العقيدة الإسلامية، يظل الالتزام بها قائماً مهما كانت الظروف، حتى ولو أضر تطبيقها بمصلحة معينة، أو أعاق منفعة خاصة، ومن هنا كان التلازم بين النص والتطبيق كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٣).

ويعد صلح الحديبية واحداً من المعاهدات التي جرت بين المسلمين ومشركي مكة الذين كانت مكة في قبضتهم بزعامه قريش، وقد التزم المسلمون بينوده كلها (٤).

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن سهيل بن عمرو جاء النبي ﷺ فقال: "ها، اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في الاندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ١١).

(٢) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ١٢).

(٣) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ١١).

(٤) انظر: جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤).

رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: مُحَمَّد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله، إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب مُحَمَّد بن عبد الله» - قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها» - فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله، لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَةً (١)، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟!، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا مُحَمَّد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرِّدُ إلى المشركين وقد جئتُ مسلمًا، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذِّبَ عذابًا شديدًا في الله، فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقًا؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فليم نعطي الدنيا (٢) في ديننا إدا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: فإنك آتبه ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا

(١) أي: قهراً، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الضاد، باب الضاء مع الغين، (٩٠/٣)، وفتح الباري، ابن حجر (٣٤٣/٥).

(٢) أي: الخصلة المذمومة الحقيرة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الدال، باب الدال مع النون، (١٣٧/٢)، وفتح الباري، ابن حجر (١١٧/١).

على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(١).

فكان من ضمن البنود: أنه من أتى مُحَمَّدًا ﷺ من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع مُحَمَّدٍ ﷺ لم يردوه عليه^(٢).

وقبل الانتهاء من كتابة العهد ألقى أبو جندل ابن كبير مفاوضي قريش سهيل بن عمرو بنفسه أمام الرسول الكريم ﷺ وصحابته يرسف قيوده، وكان مسلمًا مستضعفًا، لم يستطع الهجرة؛ فقد حبسه أبوه، وَقَيْدُهُ فِي الْبَيْتِ، يَلْقَى أَلْوَانَ الْعَذَابِ، فوجد في غياب أبيه فرصة للالتحاق بالمسلمين، لكن الرسول ﷺ رده على أبيه قائلاً: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب؛ فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم»^(٣).

يقول الدكتور الحجي ﷺ: "لم يكن العالم يعرف أو يفهم قبل الإسلام وخارجه على الدوام الخلق العالي وحسن التعامل في السلم والحرب، غير بقايا من أديان الله السابقة متناثرة مُشَوَّهَةٌ فِي أَكْثَرِهَا، فجاء بها الإسلام قولًا وفعلاً، التزم بذلك المسلمون التزامًا مثاليًا، علا كلَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، (١٩٥/٣-١٩٦).

(٢) انظر: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى بن راشد العازمي، المكتبة العامرية، الكويت، ط (١) ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، (٣/٣٢٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢/٣١٨).

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (١٨٩١٠)، (٢١٢/٣١-٢٢٠)، وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ مُحَقِّقُو الْمَسْنَدِ.

اعتبار، وسما فوق كافة النوازع النفسية، قَدَّمَهُ المسلمون في كل مكان وزمان، وهم أولى بالقدوة لغيرهم في وقت غدا الاعتداء والنهب وقتل المغلوب لدى الكثير قبل مجيء النور وخارج عالمه بَعْدَهُ دستورًا مُعْتَرَفًا به، حتى بعدما رأوا مُثَلَّ الخير العملية لم يزداهم ذلك إلا افتراسًا وانتهابًا ووحشيةً وَجُبْنًا وَصَغَارًا^(١).

٥- أن الحضارة الإسلامية حضارة أصلية النتاج:

يقول الحجى رحمه الله: "النظر في نتاج المسلمين العلمي والعملية والإنساني في الحضارة الإسلامية التي شادها بمنهج الإسلام دين الله تعالى يثير الدهشة والإعجاب؛ لشموله وكميته ونوعيته، أصالةً في العلم، وعمقًا في التفكير، ودقةً في الفهم، وكثرةً في التأليف، وشمولًا للنظرة والمعرفة والفكرة، رغم توفر التخصص"^(٢).

٦- أن الحضارة الإسلامية حضارة تسامح:

أشار الدكتور الحجى إلى تسامح الحضارة الإسلامية، وذكر أن المسلمين سمحوا لغيرهم بمماسة شعائر دينهم دون تضييق، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "ولم يَتَّخَلَّ أبناء تلك الحضارة مَرَّةً عن فضيلة حرية الضمير، وهي الأساس الذي تقوم عليه عظمة الشعوب؛ فَقَدْ قَبِلَ المسلمون في المدن التي ملكوها كنائسَ النصراني وبيعَ اليهود، ولم يخش المسجد معابد الأديان التي سبقته، فعرف حقها، واستقر إلى جانبها غير حاسد لها ولا راغب في السيادة عليها، ونمت على هذا ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر الميلادي أجمل الحضارات وأغناها في العصور الوسطى، ونهضت بالبلاد نهضات"^(٣).

(١) جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٢).

(٢) دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٩).

(٣) أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٤).

وقد كانت الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة تنفذ من وراء الحجب، وتدخل إلى النفوس والقلوب، فتلين لها القلوب، وتخضع لها النفوس، وتُهذَّبُ بها الأخلاق، وتسمو بها^(١).
ومن صور تسامح الحضارة الإسلامية أن المسلمين لما فتحوا البلدان -ومنها الأندلس- أبقوا أماكن عبادة غير المسلمين، يقول الدكتور الحجى رحمته الله: "كما أبقى المسلمون جميع أماكن العبادة لغيرهم التي كانت قبل مجيئهم، لم يُهدم منها إلا ما كان في المناطق التي اعتنق كافة أهلها الإسلام"^(٢).

وقد كان هذا واضحاً منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس؛ فقد أعطى عبد العزيز بن موسى بن نصير الأمان والحقوق لـ (تدمير) صاحب مدينة (أريولة)، فقد جاء في الكتاب الذي كتبه عبد العزيز له: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لـ (تدمير بن غبدوش) أنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر، ولا ينزع عن ملكه، وأنهم لا يُقتلون، ولا يُسبَّون، ولا يُفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح، وأدى الذي اشترطنا عليه"^(٣).

وَبَيَّنَّ الدكتور الحجى سماحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين مع غيرهم فيقول: "أما سمعتم كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عفا عن أهل مكة الذين تَفَنَّنُوا في تعذيب المسلمين وقتلهم واضطهادهم طوال العهد المكي ثلاثة عشر عاماً، وفي العهد المدني ومعاركه التي أرادوها قاضية على الإسلام وأتباعه ونبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعد ثماني سنوات يوم تم فتحها -أي مكة- عفا عنهم قائلاً: اذهبوا

(١) انظر: أضواء على الثقافة، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط(٩) ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م، (ص ٢٧٢).

(٢) أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (ص ٦٣٩).

(٣) بغية الملتبس، ابن عميرة الضبي (ص ٢٧٤).

فأنتم الطلقاء، ولم يطلب أيُّ مسلمٍ برد ما استلمته قريش من أملاكهم مقتدين برسول الله ﷺ" (١).

والطلاق من قريش كما قال النبي ﷺ (٢)، وهم الذين عفا عنهم النبي ﷺ يوم فتح مكة (٣)، وأطلقهم فلم يسترقهم، وهم الذين أسلموا في هذا اليوم (٤).

إن هذا الخلق النبيل في معاملة المسلمين غيرهم نابع من طبيعة الإسلام وسعة أفقه وقوة عقيدته وسماحة مبادئه، يقول الدكتور الحجري ﷺ: "إن تسامح العقيدة والمبدأ يسير طردياً مع سعة أفقها وقوتها؛ ولذلك فاق الإسلام كل ما عده" (٥).

إن مرونة الحضارة الإسلامية جاءت مقرونة بمسحة أصلية من التسامح لم يقتصر على تَقَبُّلِ كُلِّ ما يَنفَع، وكل ما لا يتعارض مع أحكام الدين والعقل والأخلاق من عناصر الحضارات الأخرى، إنما اتسعت دائرة أفق ذلك التسامح لتشمل أتباع الديانات الأخرى غير الإسلامية، وبخاصة أهل الكتاب من مسيحيين ويهود (٦).

(١) أندلسيات، عبدالرحمن الحجري (ص ٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ومن حديث جرير بن عبد الله البجلي ؓ، رقم (١٩٢١٥)، (٥٤٧/٣١)، وَصَحَّحَهُ محققو المسند.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الطاء، باب الطاء مع اللام، (١٣٦/٣).

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر (١٥٠/١).

(٥) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبدالرحمن الحجري (ص ٧٣).

(٦) انظر: مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، مُجَدِّدِ علي ضناوي، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (ص ٤٢-٤٧).

٧- أن الحضارة الإسلامية حضارة تحث على العلم:

إن من أعظم الخصائص التي تميزت بها حضارة الإسلام حثها على العلم، وقد كان أول ما أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ قوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١).

يقول الدكتور الحجى: "وحيثما يكون طلب العلم فريضة وعقيدة يجبها المؤمنون بها بحرص ورغبة، يسعون إلى تحقيق متطلباتها دونما مغنم قريب فإن الغرس سيكون ثابت الأصل، سامق الفرع، طيب النبع، دائم الإنبات، مستمر الجني"^(٢).

وذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن العلم أحد معطيات هذا المجتمع المسلم الذي اعتبر العلم جزءاً من عقيدته الإسلامية، ومن مستلزمات شريعته الربانية التي حثت عليه، وأوجبته، فَكَوَّنَتْ الحضارة الإسلامية مجتمعاً متعلماً بالعلم باعتباره فرضاً شرعياً، والسعي إليه وفيه؛ طلباً وبذلاً، محبة وإخلاصاً يكون قربي إلى الله تعالى، وحرصاً على رضاه ﷻ، وليس أدل على ذلك

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٤)، (١/٨١). وقد قال إسحاق بن راهويه: "طلب العلم واجب لم يصح الخبر فيه، إلا أن معناه قائم"، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، المؤلف: إسحاق بن منصور بن بھرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج (٩/٤٦٥٤)، وقال ابن عبد البر في معنى قول إسحاق هذا: "يريد إسحاق -والله أعلم- أن الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل، ولكن معناه صحيح عندهم"، جامع بيان العلم وفضله (١/٥٢).

وقد قال الإمام السيوطي: "حديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) روي من حديث أنس وجابر وابن عمر وابن عباس وعلي وأبي سعيد، وفي كل طرقة مقال، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وأخرجه ابن ماجه عن كثير بن شنظير عن محمد بن سيرين عن أنس، وكثير مختلف فيه؛ فالحديث حسن"، ونقل عن الإمام المزي أنه قال: "هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن"، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، رقم (٢٨٣)، (ص ١٤١)، وقد صحح الشيخ الألباني هذا الحديث، تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام (ص ٤٨).

(٢) دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٥).

من أن البيروني حين حضرته الوفاة دار الحديثُ بين بعض عواده عن مسألةٍ في الميراث، فطلب البيروني إيضاحها، فقال أحدهم: تسأل عنها وأنت في حالك هذه؟ فقال: لأن أذهب إلى الله وأنا أعرفها خير من أن أذهب إليه وأنا أجهلها، وما إن خرج العواد حتى سمعوا البكاء عليه^(١).



(١) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبدالرحمن الحجى (ص ٨٩-٩٢).

المبحث الثاني

جهوده في إبراز إسهام العلماء المسلمين في علوم الكون والإنسان

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في بيان تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة

الأوربية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان إسهام علماء المسلمين في العلوم الطبيعية.

المطلب الثالث: جهوده في بيان إسهام العلماء المسلمين في العلوم الإنسانية.

المطلب الأول:

جهوده في بيان تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية

عاشت أوروبا حياة بائسة الحال، نافقة المآل قبل الفتح الإسلامي للأندلس وبعده حتى مقدم الفتح الحضاري العظيم الذي رفع الجهل عن كاهل إسبانيا، ثم بقية أوروبا بعد انتقال جوانب للحضارة الإسلامية إليها، ولم تعرف أوروبا معاني الحضارة الإنسانية مثل الجوار الأوروبي إلا بعد مقدم الإسلام^(١)، وكانت أوروبا قبل الفتح الإسلامي أشبه بالبهائم، وغلب عليهم الجهل والبلادة، وفشا فيهم العمى والغباوة^(٢)، وكانوا أهل غدر ودناءة، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم، وتصح أبدانهم، وثيابهم أضيق الثياب، وهي مفرجة يبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم^(٣).

وَيُبَيِّنُ الدكتور الحجى رحمته الله حال أوروبا بوصف دقيق إذ يقول: "حين كانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان كانت الأندلس تحمل إمامة للعلم وراية الثقافة في العالم، فكانت أوروبا تمر حقيقة بالعصور المظلمة لتلك الفترة الطويلة من القرون، وإن بدأ اتصالها بالعالم الإسلامي قبل ذلك بمُدَّةٍ، حيث بدأت تزيل ثوب الجهالة، وبينما كان شارلمان ونبلاؤه يحاولون

(١) انظر: شعر العلماء في الأندلس، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، (ص ١٥ - ١٦).

(٢) انظر: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد الرحمن الحجى، (ص ٨١).

(٣) انظر: طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، عام: ١٩١٢م، (ص ٨-٩).

أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم كانت الأندلس قد قطعت وتقطع الخطوات الواسعة نحو نور الحضارة"^(١).

ويقول المستشرق إدوار بروي^(٢) مُبَيِّنًا فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا: "ظهر الإسلام كالشهاب الساطع، فَحَيَّرَ العقول بفتوحاته السريعة القاصمة، وباتساع رقعة الإمبراطورية الجديدة التي أنشأها، نحن أمام شعب كان للأمس الغابر مجهول الاسم، مغمور الذكر، فإذا به يَتَّحِدُ ويتضام في بوتقة الإسلام، هذا الدين الجديد الذي انطلق من الجزيرة العربية، اكتسحت جيوشه ببضع سنوات الدولة الساسانية، وهمدت منها الأركان، ورفرت بنوده فوق الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية في آسيا وإفريقيا، باستثناء شطر صغير منها يقع غربي آسيا الصغرى، ولم تلبث جيوشه أن استولت بعد قليل على معظم إسبانيا وصقلية، وأن تقتطع لأمدٍ من الزمن -يقصر أو يطول- بعض المقاطعات الواقعة في غربي أوروبا وجنوبيها، ودفعت جيوشه بعنف شديد أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي، وهددت غالباً^(٣) والقسطنطينية بشر مستطير، وقد تماوت الدول أمام الدفع العربي كالأكر، وتدحرجت التيجان عن رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها النظيم، وهذه الأديان التي سيطرت على الشعوب والأقوام الضاربة بين سيرداريا^(٤) والسنغال ذابت كما يذوب الشمع أمام النار بعد أن أَطَلَّ على الدينَا دينٌ جديدٌ له من الأتباع والمريدين اليوم ما يزيد على ثلاثمائة مليون،

(١) الحضارة الإسلامية في الأندلس (ص ٢٨-٢٩).

(٢) إدوارد بيروي: ولد عام ١٩٠١م، وهو أستاذ جامعي، ومؤرخ فرنسي متخصص في دراسات القرون الوسطى، وتوفي عام ١٩٧٤م، ينظر: موقع ويكيبيديا:

https://arz.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%AF_%D8%A8%D9%8A%D8%B1%D9%88%D9%89#%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B6%D9%88%D9%8A%D9%87

(٣) غالباً: لعله أرد بلاد الغال، وهي فرنسا الآن، ينظر: الأعلام، للزركلي (٣/٣١٢).

(٤) سيرداريا: تقع في بلاد ما وراء النهر، وهي في كازاخستان حالياً، ينظر: موجز عن الفتوحات الإسلامية، طه عبد

المقصود عبد الحميد أبو غنيّة، الناشر: دار النشر للجامعات، القاهرة، (ص ٧).

وانجلي غبار الفتح وصلصة السلاح عن إمبراطورية جديدة ولا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع، وعن مدينة ولا أروع، عول عليها الغرب في تطوره الصاعد ورقيه البناء بعد أن نفخ الإسلام في قسم مواتٍ من التراث القديم روحًا جديدةً عادت معه إليه الحياة، فنبض وشع وأسرى، ولهذا الأسباب مجتمعة كان لا بد من أن يَحْتَلَّ تاريخُ العالم الإسلامي محلاً مرموقاً في ثقافة رجل العصر" (١).

وينقل الدكتور الحجي رحمه الله عن المستشرق الهولندي (دوزي) قوله: "إن في كل الأندلس لم يوجد رجلٌ أميٌّ، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس" (٢).

ويؤكد الحجي رحمه الله على دور المسلمين في نهضة أوروبا فيذكر أنه نتيجة للأفكار التي تسربت إلى أوروبا من الأندلس الإسلامية بدأت تعي تدريجياً، وتُصلح من أحوالها، ونشأت أفكار جديدة أدت إلى التقدم العلمي والتغيرات السياسية والاجتماعية، وظهرت الحركات التي دعت إلى التحرر من ظلم السياسيين والإقطاعيين، وإلى توحيد الأجزاء المختلفة في البدان الأوربية؛ لذا كان فضل المسلمين على أوروبا عظيماً (٣).

وهذا التأثير الذي أحدثه علماء المسلمين في العالم أجمع كان نتيجة لما وهبه الإسلام لهؤلاء المفكرين والعلماء من حرية الرأي، واحترام العقل، وإطلاق العنان له للبحث في العلوم الطبيعية، وقد كفى الإسلام العلماء في الإجابة عما وراء الطبيعة، وعن المصير، والخلق وبدائته ونهايته؛ فقد أجاب الإسلام على الأسئلة الفلسفية الملحة؛ لذا كان تأثير الحضارة الإسلامية في

(١) تاريخ الحضارات العام، بروي إدوار، ترجمة يوسف أسعد، دار عويدات، باريس، وبيروت، ط (٣) ١٩٨٦م، (١٠٩/٣).

(٢) الحضارة الإسلامية في الأندلس (ص ٢٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ٦٧).

العالم الغربي المسيحي كبيراً خلال العصور الوسطى؛ إذ انتقلت كثيرٌ من المؤلفات العلمية من مختلف العلوم والفنون إلى أوروبا، وتُرجمت إلى اللغات اللاتينية مرات متعددة، وكانت تدرس في المؤسسات والمعاهد والجامعات، ويعتمد عليها كمراجع أساسية؛ ولذلك يعترف كثيرٌ من المستشرقين بعظمة الدور الذي قامت به الثقافة الإسلامية في إثراء الفكر الأوربي لفترة طويلة من الزمن استمرت لقرون عدة^(١).

ويبين الدكتور الحجي رحمه الله كيف انتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا فيقول: "انتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا خلال معابر عديدة: الأندلس، وصقلية، والحروب الصليبية في المشرق"^(٢).

وكان اتصال الأوروبيين بالحضارة العربية الإسلامية منذ القرن الحادي عشر قد ساعد على أن تشرع أوروبا في نهضة علمية بلغت القمة في أوائل القرن الثالث عشر، وإن جزءاً من حضارة النهضة كان نتيجة تفاعل الحضارة الأوربية مع الحضارة العربية الإسلامية، وكان هذا الاتصال والتفاعل من خلال وصول العرب إلى إسبانيا (الأندلس) وجزيرة صقلية، ومن خلال الحروب الفرنجية، ومجيء طلاب العلم والمعرفة من غرب أوروبا إلى الحضارة الإسلامية، وكان أثر الحضارة الإسلامية مبدعاً، لم يقف عند حد التغيرات السياسية التي ترتبت عن الفتوحات الإسلامية، بل كان هذا الأثر أشد ما يكون وضوحاً في الميدان الحضاري^(٣).

وإن الحضارة الحالية بمنهجيتها وإنتاجها العلمي والتقني ما هي إلا ثمرة من ثمرات تتلمذها على جوانب من الحضارة الإسلامية وبعض علومها التي برع فيها المسلمون في وقت لم

(١) انظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، دار الفكر، ط(٢) ١٤٠١هـ - ١٩٨١، (ص ١١٧).

(٢) أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٦٠٦).

(٣) انظر: تاريخ الحضارات العام، بروي إدوار (ص ٦١).

يكن للأوروبيين بديل عن الأخذ عن العالم الإسلامي بالإجبار وبلا أدنى اختيار؛ إذ ليس هناك باب للعلم غيره، ولم يقتصر فضل الحضارة الإسلامية على مد أوروبا بالعلم، بل خلصتهم من عدا الكنييسة للعلم، وأنبتت فيهم التفتح للعلم والتعلق به والرغبة فيه، وأشعرتهم بضرورته، وعلمتهم منهجيته التي سبقت نقل العلوم من الحضارة الإسلامية الي الغرب، لكن الحضارة الأوروبية أظهرت بعدها لكل ذلك عقوقاً من ناحيتين: الأولى: رفضها الأصول التي قامت عليها الحضارة الإسلامية الناشئة في أحضان الإسلام، والثانية: تنكرها لكل معنى إسلامي حملته منقولاتها، فحاربت دعوة العقيدة والشريعة وما يرتبط بها، وحاربت أمة جماعة وأفراداً وما يتصل بها دون هوادة، مسلطةً عليها كل سلاح، متلفة كل ذمة، متنمرة من غير مبالاة كما ذكر الدكتور الحجي رحمه الله^(١).

(١) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي (ص ٣٦-٣٧).

المطلب الثاني:

جهوده بيان إسهام علماء المسلمين في العلوم الطبيعية

لا شك أن العلم من مصادر القوة للأمم، وهو من أسباب رفعتها وعزها، وصفحات التاريخ القديم والحديث خير شاهد على ارتباط القوة بالعلم، فأينما وجد العلم وجدت القوة، ولعل من أسباب قوة الإمبراطورية الإسلامية اهتمام الإسلام بالعلم والمتعلمين، وقد دام عز الأمة، وعلا كعبها، وزادت قوتها حين كانت تهتم بالعلم، وترعى العلماء، حتى وصلت حدودها إلى مشارف الصين شرقاً، وإلى حدود فرنسا غرباً^(١).

وَيُبَيِّنُ الدكتور الحجي رحمته الله إسهام علماء العرب والمسلمين في العلوم المختلفة، هؤلاء العلماء الذين سجلوا أسماءهم بحروف من نور في تاريخنا العلمي والثقافي على مر العصور، وكان لهم تأثير كبير في مختلف الميادين على الحضارة الأوروبية، وفيما يأتي عرض للمجالات التي أسهم فيها علماء المسلمين:

أولاً: في مجال الطب:

يعد علم الطب من أوسع مجالات العلوم الحياتية التي كان للمسلمين فيها إسهامات بارزة على مدار عصور حضارتهم الزاهرة، وكانت تلك الإسهامات على نحو غير مسبوق شمولاً وتميزاً وتصحيحاً للمسار، حتى إنه لِيُحْيِي للمطلع على هذه الإسهامات الخالدة أنه لم يكن هناك طبُّ قبل حضارة المسلمين.

(١) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم إبراهيم الكردي، الهيئة المصرية للكتاب، عام: ١٩٧٤م، (ص ١١).

وقد حثَّ الرسول ﷺ على التداوي؛ فقد روى أسامة بن شريك أن رسول الله ﷺ قال: «تداووا؛ فإن الله ﷻ لم يضع داءً إلا وضع له دواءً، غير داء واحد: الهرم»^(١).

وقد أشار الدكتور الحجى رحمه الله إلى عدد من علماء المسلمين الذين برزوا في الطب، ومن ذكرهم الدكتور الحجى رحمه الله:

١- أبو القاسم خلف بن عباس أبو القاسم الزهراوي القرطبي:

قال الدكتور الحجى رحمه الله: "حَلَفَ المسلمون في الأندلس ثروة كبيرة في هذا الميدان، وجاءوا بأشياء حديثة، بعضها لا يزال معمولاً به حتى اليوم، فأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي القرطبي هو صاحب كتاب الموسوعة الطبية (التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي تُرجم بعضه إلى اللاتينية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وهو كتاب في الجراحة، أورد فيه آراء جديدة أكد عليها المؤلف، وتمكن من سحق الحصاة في المثانة، وتشريح الأجسام الحية والميتة، وأجرى عمليات في العيون والأسنان والولادة، وكان يتخذ الخيوط اللازمة لخياطة الجروح من أمعاء بعض الحيوانات"^(٢).

والزهراوي كان من أهل الفضل والدين والعلم، وعلمه الذي يسبق فيه علم الطب، وله فيه كتاب كبير مشهور كثير الفائدة، سمَّاهُ كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف)^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث أسامة بن شريك ﷺ، رقم (١٨٤٥٤)، (٣٠/٣٩٤-٣٩٥)، والإمام الترمذي في سننه، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، رقم (٢٠٣٨)، (٣/٥٦١-٥٦٢)، وقال الإمام الترمذي بعده: "وهذا حديث حسن صحيح"، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح".

(٢) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٥٧-٥٨).

(٣) انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس (ص ٢٠٩).

وذكره أبو محمد بن حزم، وأثنى عليه، وقال: "ولئن قلنا: إنه لم يُؤلَّفَ في الطب أجمع منه للقول والعمل في الطبائع لَنَصُدُقَنَّ"^(١).

وذكر جوستاف لوبون أن أبا القاسم الزهراوي القرطبي هو أشهر جراحي العرب، وأنه تخيل كثيراً من آلات الجراحة، ورسمها في كتبه، ووصف عملية سحق الحصاة في المثانة على الخصوص، وقد عدت -بغير حقٍ- من اختراعات العصر الحاضر، ولم يعرف الزهراوي في أوروبا إلا في القرن الخامس عشر، وذاع صيته فيها، وقد جاء كتابه في الجراحة دقيقاً من الناحية العلمية، وقد طبعت الترجمة اللاتينية الأولى سنة ١٤٩٧م، ويذكر جوستاف لوبون أن الطبعة الأخيرة له حديثة جداً -بالنسبة إلى زمان جوستاف لوبون-، تمت عام ١٨٦١م، ونقل جوستاف عن عالم فيزيولوجي أنه قال: "كانت كتب أبي القاسم المصدر العام الذي استقى منه جميع مَنْ ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر"^(٢).

٢- ابن الخطيب الغرناطي:

يقول الحجى مبيناً جهل أوروبا بالطب: "ويوم انتشر مرض الطاعون في أوروبا في منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ووقف القوم هنالك حياله مكتوفي الأيدي على اعتبار أنه من قضاء الله وضع الطبيب الغرناطي المسلم ابن الخطيب كتابه (حقيقة السائل عن المرض الهائل)؛ ليؤكد فيه نظرية العدوى، ويبرهن عليها"^(٣).

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٨/٢٢٢).

(٢) حضارة العرب، جوستاف لوبون (ص ٥٠٦).

(٣) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٩).

وقد أكد ابن الخطيب في هذا الكتاب أن مرض الطاعون ينتقل بالعدوى، ويختفي في ثياب المريض، محاولاً بذلك الإشارة إلى وجود الجراثيم، وهو ما لم يكن معروفاً في ذلك الوقت^(١).

٣- ابن النفيس:

يُبيِّنُ الدكتور الحجي رحمته الله مكانة ابن النفيس في الطب فيقول: "كان ابن النفيس إماماً مُتَقَدِّمًا في علم الطب راسخاً فيه، فاق به كثيراً غيره، ولعله يعتبر أول أو أكبر من درس وعرف علم وظائف الأعضاء (Physiology)، وأنه أبكر من كتب عن الدورة الرئوية من الأطباء الأوروبيين، كان بعد ابن النفيس بنحو ثلاثة قرون، رغم أنه لم يكن كشفًا حقيقيًا مِنْ قَبْلِهِمْ، بل اعتمادًا كليًا على ما تُرجمَ لهم من العربية إلى اللاتينية مما كتبه ابن النفيس وغيره ابتداءً ممن سبقه أو لحقه"^(٢).

ويُذَكِّرُ أن ابن النفيس كان إماماً في علم الطب لا يُضاهى في ذلك ولا يُداني استحضارا واستنباطا، واشتغَلَ على كبر، وله فيه التصانيف الفائقة، والتوليف الرائقة، صَنَّفَ كتاب (الشامل) في الطب، تدل فهرسته على أنه يكون في ثلاثمائة سِفْرٍ، هكذا ذكر بعض أصحابه، وَبَيَّضَ منها ثمانين سِفْرًا، وكانت وفقًا بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة، وكتاب (المهذب) في الكحل، وشرح (القانون) لابن سينا في عدة أسفار، وغير ذلك في الطب، وهو كان الغالب عليه^(٣).

(١) انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل السامرائي وآخرون (ص ٣٥٨-٣٥٩).

(٢) ابن النفيس: مؤلفاته (٢-٣)، مقال منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧٤٣)، عام ٢٠٠٧م، (ص ٦٦).

(٣) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط (١) ١٤٢٣هـ، (٩/٦١٦).

ويعد ابن النفيس أول من أكتشف الدورة الدموية الصغرى، وهي دورة الدم في الرئتين حيث يخرج الدم من البطن الأيمن من القلب، في الشريان الرئوي إلى الرئتين لينقي (يأخذ الأكسجين من الهواء فيها ويطلق ما عداه) ثم يعود إلى البطن الأيسر من القلب ليتغذى به الجسم كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١).

وقد اشتغل الأطباء المسلمون بمختلف فروع الطب والجراحة، وبكل ما يصيب جسم الإنسان من عِلَلٍ، وكان من إنجازاتهم الطبية أنهم استطاعوا إجراء عملية تنظيف المعدة من التسمم باستخدام أنبوب المعدة، وقد نسبت هذه الطريقة زورًا إلى الطبيب (براون سيكوراد) (٢) الذي عاش في أوائل القرن العشرين، لكن الأطباء المسلمين سبقوه إليها بقرون عدة، وكان الأطباء المسلمون أول من أكتشف أن بعض الأمراض تنتقل بالعدوى مثل الجدري والكوليرا والطاعون، وقد اكتشفوا أمراضًا جديدةً، وشخصوها بدقة بالغة؛ فقد كان الطبيب ابن زهر

(١) ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الصغرى (٣-٣)، عبد الرحمن الحجي، مجلة المجتمع، العدد (١٧٤٤)، عام ٢٠٠٧م، (ص ٦٦).

(٢) هو: تشارلز إدوارد براون سيكارد، المعروف أيضا باسم تشارلز إدوارد، ولد في بورت لويس موريشيوس لأب أمريكي وأم فرنسية، وحضر الكلية الملكية في موريشيوس، وتخرج في الطب في باريس في عام ١٨٤٦م، ثم عاد إلى موريشيوس بنية الممارسة هناك، وكان عالمًا فسيولوجيًا وعصبيًا، وهو أول من وصف ما يسمى الآن متلازمة براون سيكارد عام ١٨٥٠م، وفي عام ١٨٥٢م ذهب إلى الولايات المتحدة، وعين في كلية الطب في ولاية فرجينيا، وفي وقت لاحق عاد إلى باريس، وفي عام ١٨٥٩م هاجر إلى لندن، وأصبح طبيبًا في المستشفى الوطني للشلل والصرع، وبقي هناك خمس سنوات تقريبًا، وشرح وجهات نظره حول أمراض الجهاز العصبي في العديد من المحاضرات التي جذبت اهتمامًا كبيرًا، وفي عام ١٨٦٤م عبر مرة أخرى المحيط الأطلسي، وعين أستاذًا في علم وظائف الأعضاء وعلم الأمراض العصبية في جامعة هارفارد، لكنه تنازل عن هذا المنصب في عام ١٨٦٧م، وفي عام ١٨٦٩م أصبح أستاذًا في مدرسة الطب في باريس، ولكنه عاد مرة إلى أمريكا عام ١٨٧٣م، وعمل في مدينة نيويورك، ثم عاد إلى باريس ليخلف كلود برنارد في عام ١٨٧٨م كأستاذ للطب التجريبي في كولييج دو فرانس، وظل هناك حتى وفاته عام ١٨٩٤م.

انظر: موقع ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%84%D8%B2_%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%88%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D9%83%D8%A7%D8%B1%D8%AF

الأندلسي أول من وصف خراج الخيزوم والتهاب الناصور الناشف الانسكابي (مرض البواسير)^(١).

وابن زهر الإشبيلي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت له شهرة عظيمة، وكان مُجَرَّبًا مُصَلِّحًا لعلم المداواة، وجمع دراسة الجراحة والطب والصيدلة، وتشمل مباحثه في الجراحة على بيان صحيح في الكسر والانخلاع^(٢).

ثانياً: الفلك:

ارتبط علم الفلك عند المسلمين بالشعائر الدينية، فظهرت الحاجة إلى دراسته؛ لتحديد أوقات الصلاة بحسب الموقع الجغرافي والفصل الموسمي، وكذلك تحديد اتجاه القبلة، ومتابعة حركة القمر لتحديد بدء الصوم والحج، وغير ذلك.

وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تهتم بالفلك والكون، وتحث المسلمين على النظر والتأمل في ملكوت السموات والأرض، من ذلك قوله: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ^(٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ^(٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿[يس: ٣٧-٤٠].

وقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٤٥) إِنَّ فِي

(١) انظر: العلوم عند العرب: أصولها وملاحمها الحضارية، عباس عطيتو، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، عام:

١٩٩٥م، (ص ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) انظر: حضارة العرب، جوستاف لوبون (ص ٥٠٧).

أَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿١﴾ [يونس: ٥-٦].

وقد كان اهتمام المسلمين بتعيين القبلة التي يولون وجوههم شطرها أينما كانوا خمس مرات كل يوم حافزاً قوياً للاهتمام بالفلك ودراسته دراسة سليمة، وقد اطلع المسلمون في بداية تطويرهم لعلم الفلك على ما خَلَفَهُ علماء الحضارات السابقة، فقاموا أولاً بترجمة الكتب الفلكية التي أَلْفَهَا اليونان والكلدان والسريان والفرس والهنود، ولم يقتصروا على الترجمة، وإنما صَحَّحُوا كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها القدماء، وتوسعوا في المباحث الفلكية^(١).

ويؤكد الحجي رحمته الله على فضل المسلمين وسبقهم في هذا العلم بقوله: "لقد جعل المسلمون هذا العلم بعيداً عن الخرافات والتنجيم، وأنتجوا فيه الكتب والنظريات الكثيرة التي تُرجمت إلى اللغات الأوروبية، وليست جداول ألفونسو العاشر الفلكية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي إلا منقولاتٍ عن اللغة العربية، وكان للمسلمين المراصد العلمية في طليطلة وقرطبة، كما وضعوا التقاويم كتقويم سعد بن عريب أيام الحكم المستنصر، كما كانت لهم آلات متعددة للرصد"^(٢).

وقد أعد سعد بن عريب هذا التقويم بالحروف العبرية، وهو عربي اللغة، وضعه سنة (٣٤٩هـ-٩٦١م)، واستخرج المستشرق الهولندي (دوزي) نصه العربي، وسماه (تقويم قرطبة

(١) انظر: المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، ط(١) ١٩٦٣م، (ص ١١١-١١٢).

(٢) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٥١).

لسنة ٩٦١م)، وقارن بينه وبين تقويم الأسقف ربيع بن زيد، فَتَبَيَّنَ أن الثاني ترجمةٌ للأول مع زيادات يسيرة^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجى جهود بعض علماء المسلمين في علم الفلك على النحو

الآتي:

١- أبو القاسم المجريطي:

يقول الدكتور الحجى رحمته الله: "ومن الفلكيين الأندلسيين أبو القاسم مسلمة المجريطي،

وقد تُرجمت كثيرٌ من كتب الفلك إلى اللاتينية"^(٢).

وكان أبو القاسم المجريطي إمام الرياضيين بالأندلس في وقته، وأعلم من كان قبله بعلم

الفلك وحركات النجوم، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب، وشغف بتفهم كتاب بطليموس^(٣)

المعروف بالمجسطي، وله كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج^(٤) البتاني، وعُني بزيج مُجد

بن موسى الخوارزمي، وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي، ووضع أوساط الكواكب فيه

لأول تاريخ الهجرة، وزاد فيه جداول حسنة^(٥).

(١) انظر: الأعلام، للزركلي (٤/٢٢٧).

(٢) أندلسيات، عبدالرحمن الحجى (ص ٦١٠).

(٣) هو: بطليموس القلودي، صاحب كتاب المجسطي وغيره، إمام في الرياضة كامل فاضل، من علماء يونان، كان في

أيام أندياسيوس وفي أيام أنطيموس من ملوك الروم، وبعد أبرخس بمائتين وثمانين سنة، ينظر: إخبار العلماء بأخبار

الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (ص ٧٨).

(٤) الزيغ: كتاب في الجدوال الفلكية، أشهر من صنف فيه البتاني والبيروني وغيرهما، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام

(١/٢٨٢).

(٥) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، تحقيق: نزار

رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (ص ٤٨٣).

وقد اهتم المجريطي اهتمامًا خاصًا بعلم الفلك، وكانت له فيه بعض الأعمال التي تسترعي الانتباه، فقد اعتنى برصد النجوم، كما قام بدراسة كتاب المجسطي لبطليموس دراسة متأنية مستفيضة، ووضع له بعض الشروح المطولة التي تدل على مقدار فهمه ومدى خبرته في هذا الفرع من العلم، كما درس ريج الخوارزمي، وأضاف إليه، وَعَدَّلَ بعضَ جداوله^(١).

٢- عباس بن فرناس:

يذكر الدكتور الحجي رحمته الله أنه عندما يذكر علم الفلك فلا بد من ذكر عباس بن فرناس الذي اشتهر في أكثر من علم، وَلُقِّبَ بحكيم الأندلس في عصره^(٢).
وعباس بن فرناس حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات والفنون، وهو مولى بني أمية، وبيته في برابر تاكرنا^(٣)، وكان فيلسوفًا حاذقًا، وشاعرًا مُفْلِقًا، مع علم التنجيم، وكان كثير الاختراع والتوليد، واسع الحيل، حتى نسب إليه السحر وعمل الكيمياء^(٤).
ويذكر الحجي رحمه الله أنه كان لابن فرناس في بيته مختبر فيه آلة مِنْ صُنْعِهِ على هيئة السماء، يُخِيلُ للنظر فيها أنه يرى النجوم والغيوم والبروق^(٥).

ويُعَدُّ ابن فرناس أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل، وأول من فك الموسيقى، وصنع الآلة المعروفة بالمتقانة ليعرف

(١) انظر: علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، أحمد مدحت إسلام، دار الفكر العربي، عام: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (ص ٩٨).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجي (ص ٥٢).

(٣) تاكرنا: مدينة بالأندلس بمقربة من إستجة، وهي مدينة أزلية، إليها تنسب الكورة، وبها بلاط من بناء الأول لم يتغير، وإقليم تاكرنا مضاف إلى إقليم إستجة، ومن مدن تاكرنا مدينة رنده، وهي قديمة، ولها آثار كثيرة، صفة جزيرة الأندلس، للحميري (ص ٦٢).

(٤) انظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي (١/٣٣٣).

(٥) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجي (ص ٥٣).

الأوقات على غير رسم ومثال، واحتال في تطيير جثمانه، وكسا نفسه الريش، ومد له جناحين، وطار في الجو مسافة بعيدة، ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه، فتأذى في مؤخره، ولم يدر أن الطائر إنما يقع على زمكه -أي: منبت ذنب الطائر-، ولم يعمل ابن فرناس لنفسه ذنبًا؛ حتى يهبط بسلام^(١).

ثالثا: الرياضيات:

يقول الدكتور الحجي رحمته الله مُبَيِّنًا فضل المسلمين على علم الرياضيات: "تَقَدَّمَ علم الرياضيات في الأندلس، وَقَبْلَهُ في الشرق الإسلامي تَقَدَّمَ عَظِيمًا، وَأَضَافَ المسلمون لهذا العلم كثيرًا من الأفكار والنظريات الجديدة، وإن كثيرًا من الاصطلاحات المتعلقة بهذا العلم في أوروبا حتى اليوم تدل على مقدار تأثيرهم به، فالأرقام الأوروبية الحالية عربية الأصل، ربما مُحَوَّرَةٌ مِنْ أصلٍ هنديٍّ، والصفير الذي حل مشاكل كثيرة في العمليات الرياضية نُقِلَ إلى أوروبا من الأندلس، ولا زال صفير (Cipher) أو زيرو (zero) ليست إلا كلمة الصفير العربية، حتى معنى هذه الكلمة لغويًا نُقِلت من العربية بمعنى عديم القيمة"^(٢).

وقد كان للعرب الفضل الأكبر في إدخال النظام العشري إلى أوروبا، وقد دخلت الرياضيات العربية إلى أوروبا على يد (ليوناردو دي بيزا)^(٣) في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد عرف العرب الصفير، ومنه اشتقت كلمتا (Cipher و Zero) قبل أن يعرفه الغرب بثلاثة قرون،

(١) نفع الطيب، المقري (٣/٣٧٤).

(٢) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٣).

(٣) هو: ليوناردو فيبونتشي، ويقال: ليوناردو بيزا، ولد في بيزا غربي إيطاليا عام ١١٧٥م، وهو رياضي إيطالي عظيم، وهو الذي أدخل الأرقام الهندية (العربية) إلى أوروبا في كتابه الحساب سنة ١٢٠٢م الذي عُدَّ بفضلته وبفضل كتابه الهندسة العملية (١٢٢٠م) أعظم عالم رياضيات في أوروبا في القرون الوسطى، وتوفي سنة ١٢٤٠م، انظر: المستشرقون، نجيب العقبي (١/١٢٨).

وأقر علماء الغرب أن فكرة الصفر تُعدُّ من أعلى الهدايا الفكرية التي قدَّمها العرب إلى الغرب الأوروبي^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمه الله جهود بعض العلماء المسلمين في علم الرياضيات على النحو الآتي:

١- الخوارزمي:

ذكر الدكتور الحجي رحمه الله أن الخوارزمي يُعدُّ أول من برز في علم الرياضيات، وأنه قد عرفه الأوروبيون باسم (Algrismus)، وكلمة الجبر (Algebra) مشتقة من أحد مؤلفاته، وقد اقتبس العالم الأوروبي (الكسندر دي فيلادي) من مؤلفات الخوارزمي علم الحساب في نحو سنة ١٢٢٠م، واستفاد من الخوارزمي عالم الرياضيات (حنا الهالفسكي) في نحو سنة ١٢٥٠م، وبقي إنتاجهما العلمي مرجعًا لتلقين الحساب غرب أوروبا عدة قرون، كما ترجم (جيرار الكريمويني)^(٢) كتاب (الجبر والمقابلة) للخوارزمي^(٣).

وقد كتب الخوارزمي رسائل قيمة في علوم عدة، وكتب عن الأرقام الهندية، وجمع أزياجًا فلكية ظلت قرونًا كثيرة - بعد أن روجعت في بلاد الأندلس الإسلامية - هي المعمول بها في جميع البلاد الممتدة من قرطبة إلى شنغان في الصين، وهو الذي وضع أقدم الجداول المعروفة في حساب المثلثات، واشترك مع تسعة وثلاثين من العلماء في وضع موسوعة جغرافية للخليفة المأمون، وأورد في كتابه حساب الجبر والمقابلة حلولًا تحليلية وهندسية لمعادلات الدرجة الثانية،

(١) انظر: إسهامات العرب في النهضة الأوربية الحديثة رؤية جديدة، مُجد أحمد، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٥) - (١١٦)، (ص ٢٩٧).

(٢) جيرار الكريمويني، أو جيرار دي كريموينا، ولد عام ١١١٤م، وهو مستشرق و مترجم إيطالي، أقام في طليطلة، ونقل إلى اللاتينية فلسفة الكندي وغيرها، وتوفي سنة ١١٨٧م، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام (١/٢٠٦).

(٣) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٤).

وقد ضاع الأصل العربي لهذا الكتاب، لكن جرارد الكريمونائي (Gerard of Cremona) تَرْجَمَهُ في القرن الثاني عشر، وظلت ترجمته تدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر، ومنه أخذ الغرب كلمة الجبر، وَسَمَّوْا بِهَا ذَلِكَ الْعِلْمَ الْمَعْرُوفَ^(١).

٢- البتاني:

يعد المسلمون أول من اخترعوا الكسور العشرية في الحساب، كما استخدموا الرموز في الرياضيات، فاستعملوا (س) للمجهول، و(ح) للجذر، وفي المثلثات أوجدوا المماس، وحلوا المعادلات المكعبة، وكل ذلك تُرجم إلى أوروبا، وإن أول رسالة في الرياضيات طُبعت في أوروبا عام (١٤٩٣م) كانت مأخوذة من جداول البتاني كما ذكر الدكتور الحجي رحمه الله^(٢).

وأبو عبد الله البتاني (٨٥٠-٩٢٩م) يعرف عند الأوروبيين باسم البتجنس (Albatagnus)، وهو الذي ارتقى بعلم حساب المثلثات إلى أبعد من مبادئه التي كان عليها في أيام (هبارخوسن) و(بطليموس)، وذلك حين استبدل المثلثات بالربعات في حل المسائل، واستبدل جيب الزاوية بالقوس كما كان يفعل (هبارخوسن)^(٣).

رابعاً: الكيمياء:

يقول الدكتور الحجي موضِّحاً فضل المسلمين في علم الكيمياء: "أما في الكيمياء فإن الأسماء العربية التي بقيت في الأوروبية لهذا العلم تشير إلى هذا التأثير، لقد توصل المسلمون إلى كثير من الصناعات بواسطة المواد الكيماوية في الصبغ والدبغ وصناعة المعادن وتركيب العطور،

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، ومُجَّد بدران، وعبد الحميد يونس، ومُجَّد علي أبو درة، وفؤاد أندراوس، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ، دار الجيل، بيروت، لبنان، عام النشر: المجلد (١-١٠) بتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، والمجلد (١١) بتكليف المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (١٨١/١٣).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٤).

(٣) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (١٨١/١٣).

وإذا كان بعض مركبات البارود (نترات البوتاسيوم) قد اخترعها الصينيون واستعملوها، إلا أن المسلمين وحدهم هم الذين اخترعوا ملح البارود كمادة متفجرة دافعة قابلة لإطلاق القذائف، وعنهم أخذته إنكلترا ثم بقية أوروبا^(١).

وقد عرف العرب ملح البارود في أثناء تجارهم مع الصين، وسمّوه (الثلج الصيني)، ونقلوا سر صناعة البارود إلى البلاد الغربية، واستخدمه العرب في إسبانيا في الأغراض الحربية، ولعل سير روجر بيكين^(٢) - وهو أول من ذكره من الأوربيين - قد عرفه من دراسته لعلوم العرب^(٣).

وقام العرب باكتشافات هائلة، من بينها الماء الملكي، وحمض الكربون، وحمض الآزوت، ونترات الفضة، ويُعدُّ جابر بن حيان أشهر الكيميائيين العرب الذين عرفتهم أوروبا؛ فقد ترجمت كتبه إلى اللاتينية، وظلت تعتمد عليها مراجع حتى القرن السابع عشر، وهو صاحب الفضل في معرفة أوروبا ملح النشادر وماء الذهب والبوتاس وزيت الزاج، ومن كتبه التي تُرجمت كتاب (السبعين)، وكتاب (الخواص الكبير)، وقد أخذ الأوربيون من كتب الرازي تقسيم المواد

(١) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٥).

(٢) روجر بيكون، ولد عام ١٢١٤م، وهو إنجليزي تلقى العلم في أكسفورد وباريس عام ١٢٤٠م، ونال الدكتوراه في اللاهوت، ودرس الطب، ولما شرع يكتب رسالة فيه اضطر إلى السفر إلى إيطاليا؛ بحثاً عن مظانه في المصنفات العربية، وعاد إلى أكسفورد عام ١٢٥١م فعلم فيها، وأنفق ألفي جنيه على اقتناء الكتب والآلات، ودعا إلى تشجيع تدريس اللغات الشرقية في جامعات أوروبا لأغراض علمية، وألوع بعلوم الرياضيات والفلك والكيمياء، وأكب على كتب بطليموس وابن الهيثم والرازي، فإذا نتيجة دراسته اختراع المحجر، ومادة تشتعل في الماء، ونوع من البارود، وتنبؤه بالطيران، ووضع قاعدة لصنع المتفجرات، فلقب بدكتور المعجزات وقد اعتمد في فلسفته على ابن سينا الذي وصفه بأنه عميد الفلسفة بعد أرسطو، من أشهر آثاره: رسائل في العدسات المحرقة، وفي طاقة الاختراع والطبيعة العجيبة، وفي تقدير الحوادث الطبيعية، والكتاب الأكبر في أربعة مجلدات، وما زال الإقبال عليه شديداً حتى اليوم، وموجز الدراسات الفلسفية، وموجز الدراسات اللاهوتية، كما ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء، وسر الأسرار، وتوفي عام ١٢٩٤م، انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي (١/١٣١-١٣٢).

(٣) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (٤/٢٥٠-٢٥١).

الكيميائية إلى نباتية وحيوانية ومعدنية ومشتقة، ومن أهم كتبه التي ترجمت كتاب (سر الأسرار)^(١).

خامسا: العمارة والهندسة:

ذكر الدكتور الحجي رحمه الله أن المباني الأندلسية - التي لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم - قمة في الهندسة المعمارية، فقصُرُ الزهراء مثلاً لم يبقَ منه أثر، وأعيد بناء بعضه وترميمه نتيجة للتنقيبات الحديثة، وهي تلك المدينة التي وصفها المؤرخون بالروعة والدقة الهندسية والفخامة، وأن (الزهراء) كانت مُبَلَّطَةً بقطع الرخام المنقوش بمهارةٍ على ألف شكل، وهي مدينة تقوم على سفح جبل العروس، على بعد خمسة أميال شمال غربي قرطبة، وأن المسلمين في الأندلس استطاعوا جلب المياه من المناطق البعيدة الجبلية إلى المدن في قنوات الرصاص في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وأن مسجد قرطبة الجامع العظيم الذي كانت فيه حوالي ألف وثلاثمائة (١٣٠٠) عمود لم يبقَ غير نصفها تقريباً، وأنه نجد في إشبيلية وغرناطة الآثار التي تتم على رقي هذا الفن في الأندلس^(٢).

لقد كان للعمارة الإسلامية تأثير واضح على أوروبا بشكل عام، وعلى إسبانيا بشكل خاص؛ حيث تعد إسبانيا المدرسة الفنية الإسلامية للعمارة والزخرفة، وكان المهندسون المعماريون والمزخرفون يقصدونها لمشاهدة روائع الفن الإسلامي ودراستها، وبخاصة في مدينة قرطبة التي أسماها الأوروبيون أنفسهم جوهرة العالم، وكانت ذات طابع إسلامي فريد من نوعه، وبها القصور والمساجد والأسواق والحمامات والطرق الطويلة ذات الإضاءة الصناعية^(٣).

(١) انظر: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، عالم المعرفة، وهي سلسلة شهرية يصدرها المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عام: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص ١٨١).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٥-٥٦).

(٣) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي (ص ٢٥).

وقد ذكر غير واحد من المعمارين الغربيين أن تأثير العرب واضحٌ في كثيرٍ من الكنائس الفرنسية، مثل كنيسة مدينة ماغْلُون (١١٧٨ م) التي كانت ذات صلات بالشرق، وكنيسة (كانده مين ولوار)، وكنيسة (غاماش)، وأن التأثير المعماري للعرب في أوروبا عظيم في الأبنية الحربية والمدنية، وأن هناك مدنًا لا تزال بيوتاتها تبنى على الطراز الإسلامي، مثل مدينة (إشبيلية) في إسبانيا^(١).

سادساً: الصناعة:

ازدهرت صناعة الورق في الأندلس، ويعتبر الورق من الخدمات الكبيرة التي أسداها الإسلام إلى أوروبا والعالم^(٢)، وقد أنشئ أول مصنع للورق في أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي؛ فساعد على ظهور حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية في مختلف العلوم والفنون^(٣).

وازدهرت أيضًا صناعة الفخار والفسيفساء الملونة والمنسوجات، وكان في المرية وحدها (٤٨٠٠) نول، وفي قرطبة (١٣٠٠٠ حائك)، ومن ثم انتقلت هذه الصناعة من الأندلس إلى أوروبا، ثم إلى إيطاليا وفرنسا وغيرها، وقد اشترك المسلمون هناك في تأسيس معاملها، ووصلت صناعات المعادن والزجاج والصناعات الزخرفية الأخرى إلى مستوى كبير كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله^(٤).

(١) انظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون (ص ٥٩٥-٥٩٦).

(٢) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٦١١).

(٣) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي (ص ٢٧).

(٤) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٥٧-٥٨).

المطلب الثالث:

جهوده في بيان إسهام العلماء المسلمين في العلوم الإنسانية

كانت الإمامة للأندلس في العلم والنور، ومنها ابتداء مشغل التقدم الإنساني الذي لا يقوم على الحقد لأي جنس أو دين، ومن هذا المنهل ارتوت حضارات العالم وأوروبا، ونقلت إلى لغاتها الكتب الإسلامية في مختلف العلوم التي درست في الجامعات الأوروبية قرونًا طويلةً، وعاشت تتغذى من هذه المائدة الغنية^(١)، وقد كان للدكتور الحجى رحمه الله دورٌ كبيرٌ في بيان فضل العلماء المسلمين في إثراء العلوم الإنسانية على النحو الآتي:

أولاً: اللغة:

يُبيِّنُ الدكتور الحجى رحمته الله تأثر اللغات الأوروبية باللغة العربية فيقول: "وإن المفردات الكثيرة والاصطلاحات والتعابير العربية في اللغة عمومًا وفي العلوم المختلفة التي لاتزال في اللغات الأوروبية لتُشيرُ خيرَ إشارةٍ إلى مقدار التأثير بالحضارة الإسلامية، وإن كثيرًا من الكلمات العربية كانت معروفة في اللغات الأوروبية في عصر النهضة، وبطل استعمالها، ولا تزال حتى اليوم مثلًا ما يقارب الألف من الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية، ونجد مثل ذلك أو أكثر في غيرها من اللغات الأوروبية"^(٢).

لقد كان للغة العربية تأثيرٌ كبيرٌ في اللغات الأوروبية، واستمر هذا طيلة وجودها في الطرف الجنوبي من أوروبا؛ في الأندلس وصقلية وما حولهما من الجزر حتى آخر القرن الخامس

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٧٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٧١).

عشر، وإذا كان وجود اللغة العربية قد تقلص في تلك البلاد فإنه قد ترك بصماته على ألسنة أهلها المتكلمين بالإسبانية أو البرتغالية أو غيرها^(١).

ثانياً: الأدب:

بلغت الحضارة الإسلامية مكانة عالية، وأصبح الأدب عامًّا بين الرجال والنساء والأطفال، وقد نُقِلَتْ بعض كتب الأدب إلى اللغات الأوروبية، وتأثر بعضُ الكُتَّابِ الأوروبيين بالنتاج الأدبي العربي، ومن هؤلاء الكاتب الإسباني الكبير (ثيرفانتس)^(٢)، و(دانتي)^(٣) الإيطالي

(١) انظر: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، ليلي صديق، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس، عام: ٢٠٠٦م، (ص ١٢٦).

(٢) هو: ميغيل دي ثيربانتس سافيدرا، ولد في إسبانيا عام ١٥٤٧م، وهو مسرحي وروائي وشاعر إسباني، من أشهر أعماله رواية (دون كيخوتي دي لامنتشا)، وقد تركت حياة ثيرفانتس الحافلة بالأحداث أثراً بليغاً في أعماقه، ويظهر ذلك في روح السخرية والدعابة التي تُميِّزُ أعماله، وهو من بين أشهر الشخصيات الإسبانية في العالم؛ لذلك قامت إسبانيا بتكريمه بوضع صورته على قطعة من عُملَتِهَا، وأُسمت جائزة باسمه، وقد توفي سنة ١٦١٦م.
انظر: موقع ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84_%D9%85%D9%8A%D8%BA%D9%8A%D9%84_%D8%AF%D9%8A_%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%B3

(٣) هو: دانتي أليجييري، ولد في فلورنسا عام ١٢٦٥م، ينتمي إلى أسرة يقال: إنها تنحدر من أصل روماني نبيل، وكان رجلاً واسع الثقافة، دؤوباً على القراءة والدرس، وكان جندياً لا يتأخر عن أداء واجبه عند الحرب، وقد شغل مناصب عامة وسياسية، وهو أعظم شعراء إيطاليا، ومن رجالات الأدب العالمي، حُلِّدَ اسمه بملحمته الشعرية (الكوميديا الإلهية)، وتوفي سنة ١٣٢١م، انظر: الكوميديا الإلهية، ترجمة: حسن عثمان، دار المعارف، مصر، ط(٣) ١٩٨٨م، (ص ٢١-٣٣)، والمنجد في اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهادي(١/٢٣٨).

في الكوميديا الإلهية، حتى إنه يقال: إن (شكسبير)^(١) الكاتب الإنكليزي المعروف كان متأثراً في بعض أو إحدى رواياته بالأدب العربي كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٢).

ولم تعرف أوروبا الأدب إلا بعد أن تُرجم لها عددٌ كبيرٌ من كتب الأدب العربي، وإن أول كتاب طُبِع في إنجلترا في سنة (١٨٨٢هـ-١٤٧٧م) كان مترجماً عن العربية أو موضوعاً على أساس منه، وهو كتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) لأبي الوفاء ميثّر بن فاتك، فلقد حرر الأدب العربي المخيلة الأوروبية من الضيق والجمود كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٣).

ومن الثابت أن (دانتي) الشاعر الإيطالي كان قد استمد معظم أفكاره في الكوميديا الإلهية من مصادر إسلامية كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والفتوحات المكية لابن عربي، وقد نشطت في (قشتالة) في النصف الثاني من القرن الثالث عشر في عهد الفونس العاشر، وتحت رعايته كتابة التاريخ على الطريقة الحولية؛ اقتداءً بالطريقة الإسلامية في تدوين التاريخ، فدونت حوليات كان من أشهرها الحولية التاريخية الكبرى لإسبانيا، وقد اعتمد واضعوها على مصادر تاريخية عربية ككتب الرازي وتاريخ ابن علقمة الذي كان في بلنسية، وشهد أحداثها، وَدَوَّنَ ذلك في كتابه (البيان الواضح في العلم الفادح)^(٤).

(١) هو: وليم شكسبير، ولد عام ١٥٦٤م، وهو شاعر إنجليزي مشهور، من رجال الأدب العالمي، من مسرحياته: هملت، وروميو وجوليت، وتاجر البندقية، وتوفي سنة ١٦١٦م، انظر: المنجد في اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهاني (٣٣٥/١).

(٢) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٠٧-٦٠٨).

(٣) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٧-٣٩).

(٤) انظر: الإسلام في الأندلس وصقلية، أمين الطيبي، مجلة كلية التربية، جامعة الفاتح الليبية، العدد (١٣)، ١٩٨٠-١٩٨١م، (ص ٩٣).

وأشاد بأثر الأدب العربي في نهضة أوروبا المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه)^(١) التي جعلت موضوع رسالتها ليل درجة الدكتوراه بعنوان: (أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية)، وَبَيَّنَتْ فضل العرب على حضارة أوروبا خاصة وعلى الحضارة الإنسانية بشكل عام في كتابها الشهير (شمس العرب تسطع على الغرب) الذي تقول فيه: "إن الناس عندنا -أي في ألمانيا- لا يعرفون إلا القليل عن جهود العرب الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب"، وتقول: "حان الوقت للتحدث عن شعب قد أثَّرَ بقوة على مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير"^(٢).

ويقول المستشرق جب: "خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثَّرت بثقافتها وفكرها العربي في شِعْرِ العصور الوسطى وَنَثَرَهَا"^(٣).

ثالثاً: في مجال الموسيقى:

يقول الحجي رحمه الله مُبَيِّنًا تأثر أوروبا بالموسيقى العربية: "وعن الأندلس انتقلت الموسيقى وآدابها وتقاليدها وآلاتها إلى أوروبا وإلى الشمال الإسباني ثم إلى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا وغيرها، واستعربت حتى المعاني والصور، وإن الحب الرقيق في الأدب الفرنسي ليس إلا اقتباساً

(١) زيغريد هونكه: ولدت في شمال ألمانيا عام ١٩١٣م، وعاشت سنتين في طنجة بالمغرب، وزارت عدداً من الدول العربية، منها مصر، وعرفت باعتدالها في الكتابة عن الحضارة الإسلامية، من أشهر كتبها: شمس العرب تسطع على الغرب، وتوفيت سنة ١٩٩٩م، انظر: منهج المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في الكتابة عن الحضارة الأندلسية من خلال كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، راوية شافع، مجلة العمارة والفنون، العدد السادس، (ص ١١-١٢).

(٢) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، وراجعته ووضع حواشيه مازن عيسى الخوري، دار الجبل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (ص ١١).

(٣) تراث الإسلام، هـ. ا. ر. جب، عزَّبه وعلق عليه: عبد اللطيف محمود حمزة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام: ١٩٣٦م، (ص ١٩٠).

من الأدب العربي الذي بسط قواعده ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة في الألفة والألاف) الذي ترجم إلى عدة لغات أوروبية^(١).

ولا تزال إلى الآن بعض الآلات الموسيقية لديهم تحمل أسماءها العربية، وبخاصة في إسبانيا، مثل العود (Lute)، ورباب (Rebcca)^(٢).

ويذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن الأستاذ (كورت زكس) يرى أن (البيانو) -وهي الآلة الأوروبية- تطورت من آلة موسيقية أندلسية كانت تسمى الشقير (Echequier)^(٣).

رابعاً: الفلسفة:

تأثر الأوربيون بالعلوم الفلسفية والفكرية عند العرب؛ ففي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي نُقِلَتْ إلى اللاتينية كثير من كتب فلاسفة المسلمين، وبخاصة كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن طفيل^(٤).

وقد ذكر الدكتور الحجى رحمه الله جهود بعض الفلاسفة المسلمين وفضلهم على الغرب، وممن ذكرهم ابن رشد، وابن باجه، وابن طفيل، وتفصيل ذلك هلى النحو الآتي:

١- ابن رشد:

ذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) أعظم فيلسوف أندلسي ترك أثراً واضحاً في الغرب^(٥).

(١) الحضارة الإسلامية في الأندلس ، عبدالرحمن الحجى (ص ٤٠).

(٢) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي (ص ٢٦).

(٣) الحضارة الإسلامية في الأندلس ، عبدالرحمن الحجى (ص ٤١).

(٤) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي (ص ٢٤).

(٥) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس ، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٧).

ويعد ابن رشد أكبر شارح لفلسفة أرسطو؛ فقد أعجب بأرسطو إعجاباً شديداً جعله يضع ثلاثة شروح على فلسفته، وفي ذلك يقول رينان: "ألقى أرسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسرته، وشرح غامضه، ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة أرسطو نظرة خارقة ففسرها، وشرح غامضها"^(١).

وكان ابن رشد خلال ذلك قد بلغ ذروة مجده العلمي، وكتب كثيراً من مصنفاته الفلسفية والطبية، وتعدُّ شروح فلسفة أرسطو أهم مؤلفات ابن رشد الفلسفية، ويقال: إن الذي أوعز إليه بكتابتها أستاذه ابن طفيل، وهي تشغل عدة مؤلفات ورسائل، هي جوامع كتب أرسطوطاليس في الطبيعيات والإلهيات، وقد عرف التفكير الغربي ابن رشد في عصر مبكر، وعرفه بالأخص فيلسوفاً وطبيباً من أعظم الفلاسفة والأطباء المسلمين، بل من أعظم الفلاسفة والأطباء في كل قطر وكل عصر، واشتهر ابن رشد في الغرب بالأخص بشروحه لفلسفة أرسطو، وهي شروح ترجمت إلى اللاتينية، وذاعت في دوائر التفكير الغربي منذ القرن الثالث عشر الميلادي^(٢).

ويشير الدكتور الحجى رحمة الله إلى أن القديس (توما الإكويني)^(٣) ممن تأثر بفلسفة ابن رشد إذ يقول: "ولم يكن القديس الفرنسي (توما الإكويني) المتوفى سنة (١٢٧٤م) الذي يُعتبر من أكبر فلاسفة اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى إلا عالة في آرائه على فلسفة ابن رشد،

(١) انظر: المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة في الحضارة الأوربية، سعيد عاشور (ص ٨٩).

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (٧٢٣/٤).

(٣) توما الأكويني: ولد بين نهاية عام ١٢٢٤م وبداية عام ١٢٢٥م في إيطاليا الجنوبية، وهو فيلسوف ولاهوتي، وقد لقب بـ (المعلم الجامع) للكنيسة، وبـ (المعلم الملائكي)، وقد منح درجة الأستاذية في اللاهوت عام ١٢٥٦م، ومنذ ذلك الحين انصرف إلى التعليم إلى نهاية حياته، وقد استوفى في اثنين وعشرين عاماً شرح أرسطو عاملاً على دمج فكره بالمذهب المسيحي، وتوفى سنة ١٢٧٤م، انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرايشي (ص ٢٤١-٢٤٤).

ولقد تُرجمت كتب ابن رشد إلى اللاتينية، وبقيت فلسفته مهيمنة على الفكر الفلسفي الأوروبي من أواخر القرن السابع الهجري الثاني عشر الميلادي إلى آخر القرن السادس عشر الميلادي، حتى إن مجمع باريس اللاهوتي أصدر قرارَ الحرمان في سنة (١٢٦٩م) لكل من يُردّد كلامَ ابن رشد في النفس والإنسان وغيرها من المسائل الفلسفية^(١).

وقد بلغ من تأثير القديس (توما) بفلسفة ابن رشد أن كتاب الخلاصة يحوي بعض المذاهب الإسلامية الأصل؛ مما يثبت أن الأثر الذي تركه ابن رشد في عقلية الغرب لم يكن مجرد شروح لكتابات أرسطو، وإنما كان أبعد وأعمق من ذلك بكثير^(٢).

ويؤكد هذا غوستاف لوبون فيقول: "أبعد فلاسفة العرب صينياً هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذي كان له أعظم تأثير في أوروبا، أجل، يُعدُّ ابن رشد عادةً شارحاً لفلسفة أرسطو فقط، ولكنني أرى أن هذا الشارح سبق أستاذه في بعض الأحيان سبباً يُثيرُ العجب، وأن فلسفته مقبولةٌ في كثير من الأمور أكثر من تلك"^(٣).

٢- ابن باجه:

يذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن ابن باجه (ت ٥٣٣هـ) كان من أهم فلاسفة الأندلس، وأنه من الأسماء اللامعة في الفلسفة، ومن كان لهم إنتاج غزير في هذا العلم^(٤).

ويقول **ول ديورانت** عن ابن باجه: "كان ابن باجه أو أفمباس (Avempace) كما اختار الأوروبيون أن يسموه فيما بعد قد بلغ وهو لا يزال في شبابه مرتبة عليا غير عادية في العلوم الطبيعية، والطب، والفلسفة، والموسيقى، والشعر"^(١).

(١) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٤٢).

(٢) انظر: المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، سعيد عاشور (ص ٩١-٩٢).

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون (ص ٤٦٠).

(٤) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٧).

٣- ابن طفيل:

يذكر الدكتور الحجي رحمه الله أن أبا بكر محمد بن طفيل كان من أهم فلاسفة الأندلس، وأنه من الأسماء اللامعة في الفلسفة، وممن كان لهم إنتاج غزير في هذا العلم، وأنه صاحب قصة حي بن يقظان التي تُرجمت إلى اللاتينية سنة ١٩٧١م وإلى الهولندية سنة ١٦٧٢م، ونقلت إلى أكثر اللغات الأوروبية^(٢).

ويعد ابن طفيل أحد فلاسفة المسلمين المتحققين بجميع أجزاء الفلسفة، وقد قرأ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة، وله تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، ومن رسائله في الطبيعيات رسالة سماها (رسالة حي بن يقظان)، غرضه فيها بيان مبدأ النوع الإنساني على مذهبهم، وهي رسالة لطيفة، كبيرة الفائدة في ذلك الفن، وكان ابن طفيل أحد حسنات الدهر في ذاته وأدواته^(٣).

خامساً: الجغرافيا والرحلات:

ازدهرت التجارة الإسلامية، وأصبح للمسلمين مراكز تجارية في بلدان غالبية سكانها غير مسلمين، وكان المسلمون يتمتعون فيها بمكانة، وكانوا مصدر ثقة لأولئك السكان؛ نظراً للمثل التي كانوا يتحرونها ديناً كما ذكر الدكتور الحجي رحمه الله^(٤).

إن اتساع الدولة الإسلامية وحب المسلمين للتنقل والترحال في سبيل التجارة وطلب العلم جعلهم يهتمون بعلم الجغرافيا، وينبغون فيه؛ فقد جابوا البلاد من شرق آسيا إلى مجاهل

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت (٣٦٨/١٣).

(٢) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٧).

(٣) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط (١) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، (ص ١٧٦-١٧٧).

(٤) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٦٠٨).

إفريقيا، وأقاموا علاقات تجارية مع بلاد لم يسمع الأوروبيون بها في العصور الوسطى، أو شكُّوا في وجودها^(١).

وإن باع المسلمين في ميدان الجغرافيا والرحلات معروفٌ جدًّا، وإن المسلمين هم الأوائل الذين ارتادوا الأماكن والبحار، وفتحوا الطريق للعالم فيما بعد ليقوموا برحلات الاستكشاف، وما اخترعوه من الوسائل لخدمة هذا العلم برًّا وبحرًا تَحَدَّثَ عنه كثيرون، ومن هؤلاء الجغرافيين والرحالة الرازي، وأبو عبيد البكري، والإدريسي، وابن جبیر، وابن بطوطة، وغيرهم كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٢).

وقد تُرجمَ نتائج علماء المسلمين إلى اللاتينية، مثل كتاب الشريف الإدريسي (نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والآفاق)، وهو مُزَوَّدٌ بأكثر من خريطة، وقد اعتمد عليه الأوروبيون أكثر من ثلاثة قرون^(٣).

ولهذا الكتاب أهمية خاصة؛ فقد احتوى على عدد كبير من الخرائط يزيد على سبعين خريطة، ووضع عليها كل البيانات اللازمة لمساعدة مَنْ يَطَّلِعُ عليها؛ لذا كان سِفْرًا كاملاً في وصف البلدان وفي علم الجغرافيا، وظل مرجعًا لعلماء أوروبا مدة طويلة زادت على ثلاثة قرون، وامتدت حتى نهاية القرن السادس عشر^(٤).

ويذكر المستشرق غوستاف لوبون أن أشهر جغرافي العرب هو الإدريسي، وأنه من كتب الإدريسي التي ترجمت إلى اللاتينية تعلمت أوروبا علم الجغرافيا في القرون الوسطى، وأن خريطة الإدريسي التي نشرت صورتها، والتي اشتملت على منابع النيل والبحيرات الاستوائية

(١) انظر: المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، سعيد عاشور (ص ١١٨).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٢-٤٣).

(٣) انظر: المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، سعيد عاشور (ص ١٢٠).

(٤) انظر: علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، أحمد مدحت إسلام (ص ١٣٥).

الكبيرة على هذه الأماكن التي لم يكتشفها الأوروبيون إلا في العصر الحاضر، هذه الخريطة عي أكثر خرائطه طرفاً؛ فهي تُثبِتُ أن معارف العرب في جغرافية إفريقيا أعظم مما ظنَّ زمنًا طويلاً^(١).

وَتُرْجِمَ أيضاً كتاب الرحالة ابن بطوطة العربي المشهور (١٣٠٤-١٣٧٧م) إلى اللاتينية، وكان يدرس بالجامعات الأوروبية خمسة قرون، وقد سجل فيه مشاهداته في الصين والهند الشرقية وإفريقيا، وقد قدم علماء المسلمين النظريات والآراء حول كروية الأرض، كما قدموا تجاربهم ورحلاتهم الكثيرة حول العالم^(٢).

ويؤكد الدكتور الحجي رحمته الله على هذا إذ يقول: "فكرة كروية الأرض قال بها المسلمون، وبرهنوا عليها بنفس ما يبرهن الناس به اليوم، وهو أن الشمس لا تطلع على جميع بلاد العالم في وقتٍ واحدٍ، ولا تغرب عنها في وقتٍ واحدٍ، وكذلك بيان مسألة المد والجزر"^(٣).

ومن أعظم المفخر العربية على أوروبا في هذا المجال أن رحلة كولومبس التي اكتشف فيها أمريكا كانت على هدى خريطة للكردينال (بترس الأيلي)، وقد نقلها بدوره عن أصولها العربية في أوائل القرن الخامس عشر، أي قبل رحلة كولومبس بثمانين عامًا، هذا بجانب نظريات البيروني التي أعلن فيها كروية الأرض في الوقت الذي كانت الكنيسة وأوروبا كلها تعتقد أن الأرض مسطحة^(٤).

ويؤكد الدكتور الحجي رحمته الله أن بعض التقارير التي كتبها الرحالة الجغرافيون المسلمون تعتبر حتى الآن المصادر الأولى وربما كانت الوحيدة عن تلك الأقطار ولتلك الفترة، خاصة ما

(١) انظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون (٤٨٥-٤٨٦).

(٢) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم إبراهيم الكردي (ص ٨٨-٨٩).

(٣) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٣).

(٤) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي (ص ٨٩-٩٠).

يتعلق بمناطق بعيدة كمؤلفات البكري والإدريسي والتزويني، وبعضها يُعدُّ أيضاً مصادر تاريخية ودراسة اجتماعية في الجغرافيا البشرية^(١).

وعن أهمية كتب العرب في الجغرافيا يقول غوستاف لوبون: "وكتب العرب التي انتهت إلينا في علم الجغرافيا مهمة إلى الغاية، وكان بعضها أساساً لدراسة هذا العلم في أوروبا قرونًا كثيرةً"^(٢).

ويقول غوستاف لوبون عن فضل العرب والمسلمين في الجغرافيا وعلى الغرب: "يكفي ما أتى به العرب من عمل كبير لإثبات قيمتهم، فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عُدَّت أول أساس للخرائط، فَصَحَّحُوا أَغَالِيطَ الْيُونَانِ الْعَظِيمَةَ فِي الْمَوَاضِعِ، وَالْعَرَبُ مِنْ نَاحِيَةِ الرِّيَادَةِ هُمَ الَّذِينَ نَشَرُوا رِحَالًا عَنِ بَقَاعِ الْعَالَمِ الَّتِي كَانَ يَشْكُ الْأُورِيبِيُّونَ فِي وُجُودِهَا فَضْلًا عَنْ عَدَمِ وَصُولِهِمْ إِلَيْهَا، وَالْعَرَبُ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَدَبِ الْجُغْرَافِيِّ هُمَ الَّذِينَ نَشَرُوا كِتَابًا قَامَتْ مَقَامَ الْكُتُبِ الَّتِي أَلْفَتْ قَبْلَهَا؛ فَاقْتَصَرَتْ أُمَّمُ الْغَرْبِ عَلَى اسْتِنْسَاحِهَا قُرُونًا كَثِيرَةً"^(٣).

سادساً: التاريخ:

كان للمؤرخين العرب في إسبانيا وصقلية في فترة الحروب الصليبية أثرٌ كبيرٌ على كتابة التاريخ، وقد كان عدد مؤرخي العرب كبيراً، حتى إن أحد الكتاب قد عدَّ ألفاً ومائتي (١٢٠٠) مؤرخ عربي^(٤).

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٣).

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون (ص ٤٨٤).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٨٦).

(٤) أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب "جوستاف لوبون نموذجاً"، عبد العزيز عبد المطلب السيد، دار العلم والإيمان، عام: ٢٠١٤م، (ص ١٠٧).

وقد تحدّثَ الدكتور الحججي رحمه الله عن فضل المسلمين في مجال كتابة التاريخ والتأليف فيه، وذكر من المؤرخين المسلمين من يأتي:

١- ابن خلدون:

لقد جعل المسلمون التاريخ علماً قائماً بذاته، له أصوله، ويُعتبر ابن خلدون من أبرز من كتب في علم أو فلسفة التاريخ، ومن المجددين فيه، ولقد تُرجمت مقدمته إلى لغات مختلفة مراتٍ عدة، ومنها استمد (أوغست كونت)^(١) العالم الاجتماعي الفرنسي كثيراً من آرائه ونظرياته كما ذكر الدكتور الحججي رحمه الله^(٢).

ويتصف ابن خلدون بروح النقد، وقد ألفَ تاريخ البربر، وقد بدأ كتابه بمبادئ رائعة في النقد التاريخي، وترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية^(٣).

وَتعدُّ مقدمة كتابه (العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر) المعروفة باسم (مقدمة ابن خلدون) أهم عمل ذاعت بسببها شهرته في العلم، وأنه واضع فلسفة التاريخ، ومؤسس علم الاجتماع^(٤).

٢- ابن حيان:

يرى الدكتور الحججي رحمته الله أن ابن حيان من أكبر علماء التاريخ، ولم يكن ذلك بسبب التأليف فقط، وإنما لطريقته النقدية التحليلية أيضاً؛ فقد كانت له طريقته الخاصة في العرض، وكان

(١) هو: أوغست إيزيدور ماري فرانسوا - كزافييه كونت، ولد في مونبلييه عام ١٧٩٨م، وأنشأته والدته على الديانة الكاثوليكية، وفي عام ١٨٣٠م نشر المجلد الأول من (الدروس في الفلسفة الوضعية) وهو أهم عمل لمؤسس الوضعية، وقد جمع أوغست كونت تلاميذه حوله وأسس الجمعية الوضعية، وتوفي في باريس عام ١٨٥٧م، انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ص ٥٤٠-٥٤٤).

(٢) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحججي (ص ٤٥٩).

(٣) انظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون (ص ٤٦٩).

(٤) انظر: من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي (ص ٧٤-٧٧).

أحياناً يذكر التاريخ الهجري للحادثة والمقابل الإفرنجي، ويحدد ساعة الحادث، وهو ما قد يقل وجوده لدى المؤرخين في ذلك الوقت، وإن كانت هذه ليست أهم الأمور، ولكنه لم ينسَ حتى مثل هذه، والأهم أنه كان دقيقاً في نقده، يتحدث عن الشخص ذكراً ما له وما عليه، مَعْلَلًا الحوادث، مُبَيِّنًا أصولها القريبة والبعيدة^(١).

وَيُعَدُّ ابن حبان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، وأفصح الناس بالتكلم فيه، وأحسنهم تنسيقاً له، من كتبه (المقتبس في تاريخ الأندلس)، وله (المبين) في تاريخ الأندلس أيضاً، وهو أكبر من المقتبس، وكتاب في تراجم الصحابة^(٢).

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ٤٥).

(٢) انظر: الأعلام، للزركلي (٢/٢٨٨-٢٨٩).

المبحث الثالث

جهوده في إبراز قيمة العمران في الحضارة الإسلامية

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في بيان قيمة العمارة الدينية في الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان قيمة العمارة المدنية في الحضارة الإسلامية.

المطلب الثالث: جهوده في بيان قيمة العمارة الحربية في الحضارة

الإسلامية.

المطلب الأول:

جهوده في بيان قيمة العمارة الدينية في الحضارة الإسلامية

كان المسلمون منذ فجر الإسلام وفي زمن الفتوحات الإسلامية يشيدون المساجد بادئ ذي بدء؛ رغبة في إضافة الصبغة الإسلامية على المدينة، وما يلبث العمران أن ينمو حول المسجد، يقول الحجي مُبَيِّنًا مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي: "يمثل المسجد في تاريخ الإسلام أساسَ العمران في المدينة الإسلامية التي يريد طبعها بطابعه، كما يمثل أساس الحياة في المجتمع المسلم، ويكون المنار الهادي في شؤون حياة المسلمين"^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمه الله أهم المساجد التي بقيت آثارها على النحو الآتي:

أولاً: المسجد الجامع بقرطبة:

عندما استقر الأمير عبد الرحمن في الأندلس، واستتب له الأمن فيها أمر ببناء جامع يليق بعظمة الإسلام والمسلمين في عاصمته قرطبة، وهذا الجامع يُعدُّ من أهم منجزات الأمير عبد الرحمن المعمارية، ولم يكتمل البناء في عهده، وإنما أتم بناءه من جاء بعده من الأمراء والخلفاء، حتى غدا هذا المسجد أعظم آيات الفن المعماري، لا في الأندلس وحدها بل في العالم أجمع كما ذكر الدكتور الحجي رحمه الله^(٢).

فحين انطلق المسلمون من جزيرتهم لم يملكوا شيئاً ذا قيمة من فن العمارة أو غيره، لكنهم استفادوا مما وجدوه في البلدان المفتوحة، وَحَوَّزُوا فيه، وصهروه في بوتقة الإسلام، ثم ساروا فيه إبداعاً وتنمية ورعاية؛ لأنهم كانوا يملكون العقيدة الإسلامية التي هي أساس كل خير

(١) أندلسيات ، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٣٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٥١٤).

وإبداع وتقديم، وهذا ما حدث في الأندلس -إسبانيا والبرتغال اليوم- يوم دخلها المسلمون فاتحين؛ فإنه لم تكن لديهم الأجهزة الفنية، ولا يملكون المهندسين المعماريين، وحين افتتح المسلمون قرطبة ابتداءً ببناء المسجد التابعي حنش الصنعاني، وكان من الطبيعي أن يقنع الفاتحون بهذا المسجد البسيط؛ إذ كانوا مجرد محاربين وافدين حديثي عهد بالبلاد، وليس منهم من كان عارفاً بفن البناء، ثم إنهم كانوا يجهلون مواطن الحجر ومصادر استخراج الرخام وغيره من مواد البناء، وبعد مرور الزمن تكاثر عدد المسلمين الجدد الوافدين إلى الأندلس، وكثرت أعدادهم فلم يعد المسجد يتسع لهم، ووضعوا سقائف يُصَلُّونَ تحتها فازدحمت بهم، ولما جاء عبد الرحمن الداخل أولى هذا المسجد عناية فائقة، وساهم في الإضافة إليه أو تجديده وتجميله، ثم زيد فيه زيادات هامة^(١).

وَيُعَدُّ جامع قرطبة من غرائب الأرض، ولا يوجد في بلاد الأندلس أو بلاد الإسلام أكبر منه^(٢)، وقد وُسِّعَ فيه على مر الزمان، وكان كلما كثر العمران وزاد السكان وُسِّعَ فيه، وحين دخل الأمير عبد الرحمن الأندلس هدم المسجد القديم الذي بني أول الأمر؛ لكثرة الداخلين في الإسلام، وصغر حجم المسجد، فاتفق الأمير عبد الرحمن مع نصارى الأندلس على بيع كنيستهم، ووافق النصارى على ذلك، فهدم المسجد القديم، وأمر بإعادة بنائه على شكل جديد، وبصفات معمارية معينة^(٣).

(١) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم (ص ٣٨٢-٣٨٣).

(٢) انظر: نفح الطيب، المقرئ (١/٤٦٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/٦).

وذكر الدكتور الحجى رحمته الله أن الأمير عبد الرحمن الداخل توفي قبل أن يكتمل بناء المسجد الجامع، فأتم ابنه هشام بناءه ومئذنته وسقائف لصلاة النساء وميضأة مجهزة^(١). ثم تعاقب خلفاء بني أمية في الزيادة فيه، ولم يزل يُزَادُ فيه؛ ففي عهد عبد الرحمن الناصر أمر بهدم المئذنة القديمة التي بناها هشام بن عبد الرحمن الأول، وبنى مكانها مئذنة جديد سنة (٣٤٠هـ - ٩٥١م)^(٢)، ولهذه المئذنة مطلعان مفصول بينهما، يلتقي الراقون بهما في أعلى المئذنة، وكان لكل مطلع منهما مائة وسبع درجات، بلغ ارتفاعها ثمانين ذراعًا حتى مكان المؤذن، ومن مكان المؤذن إلى أعلاها عشرون ذراعًا، ثم نصب بأعلى المئذنة سفود بارز، رُكِبَتْ فيه ثلاث تفاحات من الذهب والفضة^(٣).

وذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن طول كل جانب من مئذنة الناصر ثمانية أمتار ونصف المتر، وكانت كلها منقوشة ومزخرفة بألوان متعددة، لكنها أصيبت فيما بعد، وكادت أن تنهار، ورُمِّمَتْ بعد أن تَهَدَّمَتْ بعضها، وسار الحكم المستنصر بن الناصر على نهج أبيه في الاهتمام بعمارة المسجد الجامع بقرطبة، فأضاف إلى بيت الصلاة الزيادة الحكيمية التي زودته بكل قيمته البنائية الأصلية، وأسبغت عليه عناصر معمارية زخرفية مبتكرة، كانت معينًا لا ينضب، استلهمت منه جميع الفنون الأندلسية الآتية، وبنى المستنصر أيضا ميضات جديدة، وأجرى إليها الماء من عينٍ بجبل قرطبة في أنابيب الرصاص التي حفظت داخل قنوات حجرية متقنة بالبناء، ويبدو أن طريقة إيصال الماء من منابعه إلى الأحواض أو بعض الدور والمرافق العامة بأنابيب الرصاص كانت معروفة تماما في هذا الوقت، حيث كانت تصب هذه المياه في

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٧٤٦).

(٢) انظر: نفح الطيب، المقرئ (١/٥٤٥-٥٦٣).

(٣) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم (ص ٣٩٠).

أحواض من الرخام في المسجد، وما يزيد منها عن حاجته يجري إلى سقايات على أبواب الجامع بجهاته الثلاث: الشمالية والشرقية والغربية يشرب منها المصلون، وكان ابتداء جريان الماء سنة (٣٥٦هـ-٩٦٦م)^(١).

وعندما توفي الحكم المستنصر ولي من بعده ابنه هشام سنة (٣٦٦هـ-٩٧٦م)، وكان صغيراً لم يتجاوز الحلم، وكان والده الحكم قد استوزر له مُحَمَّد ابن أبي عامر الذي أثبت جدارة في عهد الحكم، فكان أول اهتماماته المسجد الجامع بقرطبة، وكما أضاف الخلفاء من قبلة إصلاحاتٍ وزياداتٍ للجامع كان هو الآخر سبباً لذلك، بل زاد فيه زيادة لم يشهدها تاريخ الجامع من قبل، وقد شهدت له كتب التاريخ الإسلامي بذلك، فقد بدأ المنصور في زيادة الجامع سنة (٣٧٧هـ-٩٨٧م)، فبدأ بتوسيع الجانب الشرقي، وأضاف إليه مائتين وخمسة وأربعين (٢٤٥) عموداً وقوساً، واهتم بالميضأة، وأنشأ صهريجاً عظيماً يمد الجامع بالماء^(٢).

وقد أضاف الخليفة المنصور في الجامع أحد عشر بلاطاً، عرض كل واحدة ستة عشر ذراعاً، وتطلبت تلك الزيادة هدم بعض المنازل المجاورة للجامع، وقد أرسل من يتفاوض مع أصحاب المنازل المجاورة للجامع، فتم الاتفاق مع أصحابها، وطُيِبَ الخليفة المنصور نفوس أصحابها، وأرضاهم إما بشرائها أو بتعويضهم أراضي في أماكن يختارونها^(٣).

وأصبح للمسجد بعد هذه الزيادة واحد وعشرون باباً، كانت جميعها ملبسة بالنحاس، ومخرمة تخريماً رائعاً، وكان يحتوي على مقاصير مسقفة للنساء، وكان عدد أعمدته أو سواريه بين ألف وأربعمائة وثلاثة عشر وألف وأربعمائة وسبعة عشر (١٤١٣ و ١٤١٧) عموداً أو سارية

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٤٧-٧٤٨).

(٢) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٢/٢٥٣، ٢٨٧).

(٣) انظر: جغرافية الأندلس، لأبي عبيد البكري، تحقيق: عبد الرحمن الحجي (ص ١٠٢-١٠٣).

من الرخام، وقبابه وجدار المحراب وما يليه أجري فيها الذهب على الفسيفساء، وكانت ثريات المقصورة من فضة كما ذكر الدكتور الحجي رحمه الله^(١).

وأنفق الأمير عبد الرحمن الداخل في بناء هذا المسجد نحو ثمانين ألف دينار، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

وَأَبْرَزَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَوَجْهِهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ جُيُنٍ وَعَسْجَدِ
وَأَنْفَقَهَا فِي مَسْجِدِ أَسْهُ التُّقَى وَمِنْحَتُهُ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
تَرَى الذَّهَبَ النَّارِيَّ بَيْنَ سَمُوكِهِ يَلُوحُ كَلَمَعِ الْبَارِقِ الْمُتَوَقِّدِ^(٢)

وقد وصف هذا الجامع غير واحدٍ من الجغرافيين المسلمين؛ فقد وصفه الإدريسي بالتفصيل، فأجاد في وصفه، يقول الإدريسي: "وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمسجد المسلمين مثله بنيةً وتنميقًا وطولًا وعرضًا ... ولهذا المسجد الجامع قبلة تُعَجَّرُ الواصفين أوصافُها، وفيها إتقان يُبْهَرُ العقولَ تنميقُها ... ومع يمين المحراب المنير الذي ليس بمعمور الأرض مثله ... ولهذا الجامع عشرون بابًا ... وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة (المئذنة)، الغربية الصفة، الجليلة الأعمال، الرائعة الأشكال، التي ارتفاعها في الهواء مئة ذراع"^(٣).

ويقول عنه الحميري: "إنه الجامع المشهور أمره، الشائع ذِكْرُهُ، مِنْ أَجْلِ مَصَانِعِ الدُّنْيَا كَبْرَ مَسَاحَةِ، وَإِحْكَامِ صِنْعَةِ، وَجَمَالَ هَيْئَةِ، وَإِتْقَانِ بِنْيَةِ، تَهَمُّمِ بِهِ الْخُلَفَاءِ الْمُرَوَّانِيِّينَ، فَزَادُوا فِيهِ

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٤٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٤٨/٨).

(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الأدرسي (٥٧٥/٢-٥٧٨).

زيادة بعد زيادة، وتتميمًا إثر تميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحاُ في الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف" (١).

ويُعَدُّ المسجد الجامع من الناحية الفنية أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء، ويعد من الناحية العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الدينية والعلمية، ويفد إليها طلاب المسلمين والعجم للدرس والتحصيل كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٢).

وكان تعظيم جامع قرطبة عند المسلمين سببًا في قدومهم إلى قرطبة لزيارته والاحتفال فيه بالمناسبات الدينية الهامة، باعتباره أكبر مساجد المغرب والأندلس قاطبة وأعظمها (٣).

وظل المسجد كذلك حتى سقطت قرطبة عام (١٢٣٦م)، فتحول هذا البناء الشامخ إلى كنيسة، ومع ذلك لا يزال علماء المسلمين يُعْظِمُونَهُ حتى الآن، وفي عام (١٩٧٨م) قام الدكتور الحجى رحمه الله بزيارته مع وفد من الطلبة من جامعة الإمارات العربية المتحدة، وحين دخل الدكتور الحجى رحمه الله المسجد مدَّ سجادته، وأخذ يصلي تحية المسجد، وعلى الرغم من منعه من ذلك إلا أنه أتم صلاته، وتكرر هذا الأمر في عام (١٩٨٥م) مع وفد من الجامعة نفسها، وحاولوا منعه من أداء الصلاة ثانيةً، لكنه أتم أداء صلاة تحية المسجد، بل إنه رفع صوته بالأذان بعد انقطاعه نحو سبعة قرون (٤).

ثانيًا: المسجد الجامع بإشبيلية:

هذا المسجد لم يبق منه في الوقت الحاضر سوى جزء من الصحن، والجزء الأدنى من المئذنة، ويؤكد الدكتور الحجى رحمه الله على هذا عند زيارته لمدينة إشبيلية فيقول: "لم يبق من

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (ص ٤٥٦).

(٢) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٧٤٤).

(٣) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، عبد العزيز سالم (ص ٣٧٩).

(٤) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٣٦-٢٣٧).

مآثر إشبيلية غير المئذنة التي بناها المنصور الموحد حوالى سنة (٥٨٠-١١٨٤م)، يبلغ ارتفاعها الآن أقل بقليل من مائة متر، وفي سنة (١٤٠٢م) بدئ بإنشاء كنيسة إشبيلية فوق مسجدها^(١).

وكان هذا الجامع يشبه جامع قرطبة في نظامه العام، وفي عدد بلاطاته، فقد كان يحتوي هذا المسجد على أحد عشر بلاطاً -أي رواقاً- على جدار القبلة، والبلاط الأوسط في المسجد من أكثر البلاطات ارتفاعاً، وكانت مئذنة المسجد تستند على الجدار الشمالي، وتبرز خارج الجدار قليلاً، وكان بهو الجامع مغروساً بالأشجار، ويختلف هذا المسجد عن جامع قرطبة في صغر مساحته، وأنه لم يزد فيه، وكان لهذا المسجد مئذنة تنصب في منتصف الجدار الشمالي، وتتصف بأنها مربعة من الخارج، ومستديرة من الداخل، ويبلغ طول كل جانب من جوانبها الأربعة (٨٨،٥م)، ونظامها يشبه نظام المآذن القرطبية التي ترجع إلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، مثل مئذنة (سان خوان) ومئذنة (سانتا كلارا)، وأقيمت مئذنة الجامع من الأحجار التي تخلفت من السور الروماني القديم الذي تخرب عند الفتح الإسلامي للمدينة، بدليل أنه عثر بين أحجار المئذنة على حجر عليه نقوش لاتينية؛ مما يدل على أن هذه الأحجار اتخذت من آثار رومانية قديمة، وقد أصيب المسجد ببعض الأضرار أثناء غارة النورمان على إشبيلية سنة (٢٣٠هـ-٧٤٤م)، وهدم الجزء الأعلى من المئذنة بزلزال عنيف، فجدد المعتمد بن عباد بناءها في شهر واحد، وتاريخ البناء مسجل على لوحة اكتشفت في الجدار القبلي بقاعدة المئذنة^(٢).

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٧٥١).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، عبد العزيز سالم (ص ٤٠١-٤٠٢).

وذكر الدكتور الحجى أنه بعد سقوط إشبيلية تحول المسجد الجامع إلى كنيسة، وأنه قد رآها خلال زيارته للآثار الإسلامية بالأندلس، وهي كنيسة عظيمة تلي في فخامتها كنيسة القديس بطرس في روما، وقد استمر العمل فيها أكثر من قرن ونصف، وأقيمت في موضع مسجد إشبيلية الكبير الجامع بعد هدمه، وقد ذكر المرشد السياحي للدكتور الحجى رحمه الله أن المسجد الجامع هُدمَ نتيجة زلزال، وهي معلومات خاطئة درسها، أو تم تقديمها له من الدورات السياحية التي يجب عليه وعلى أمثاله دخولها؛ إذ عليه أن ينجح في الامتحان المطلوب ليكون دليلاً سياحياً مجازاً، لكن الدكتور الحجى رحمه الله صحَّح له هذا، وذكر له أن المسجد الجامع هدم تهديمًا بالمعاول بعد سقوط إشبيلية، وقد جاءت مناسبة أخرى ليتأكد لهذا المرشد ما ذكره الدكتور الحجى رحمه الله عياناً وبرهاناً حين وصلوا إلى فناء المسجد أو صحنه الذي ما تزال بعض أجزائه باقيةً على شيء من حالها حتى اليوم، ولم تتهدم بالزلزال المزعوم، في حين يتهدم المسجد بالزلزال قبل أكثر من سبعة قرون، فسكت! (١).

ثالثاً: مسجد باب المردوم بطليطلة:

ذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن مسجد باب المردوم بطليطلة حُوِّلَ إلى كنيسة بعد استرداد قشتالة لطليطلة بقليل بقوة السلاح، وحطم المحراب ليقام الهيكل مكانه (٢). وعلى الرغم من صغر مساحة هذا المسجد إلا أنه يعتبر أهم مسجد في الأندلس بعد جامع قرطبة؛ لاحتفاظه بقباب تسعة قائمة على الضلوع المتقاطعة، وهي تمثل أول مراحل التطور التي مرت بها قباب جامع قرطبة، ويعرف الجامع اليوم باسم باب مردوم؛ نسبةً إلى باب مجاور له ما زال قائماً، وكان المسجد مربع الشكل على نظام الكنائس البيزنطية، لا يتجاوز

(١) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، ط (١) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (ص ١٩-٢٠).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٨٦).

طول الجانب منه ثمانية أمتار، وقد شُيِّدَتْ جدرانُهُ من الحجر الجيري والآجر وفقًا للأسلوب الذي اختصت به طليطلة^(١).

ذلك ما فعله المسلمون في الأندلس وفي قرطبة، وهذا مثل ما كانوا يفعلونه في دمشق والإسكندرية؛ لأن المسجد هو الأساس الذي يعتمد عليه المسلمون في صبغ المدن المفتوحة بالصبغة الإسلامية، ومنه تتفرع الطرق الكبرى المؤدية إلى أبواب المدينة، وحول الساحة تقام الأسواق والحمامات والفنادق، ولم يكن المسجد محلاً للعبادة فقط، بل كانت تنعقد فيه الاجتماعات السياسية، وتُورَّعُ الجيوش، وتُدرس العلوم المختلفة.

(١) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، عبد العزيز سالم (ص ٤٠٢-٤٠٣).

المطلب الثاني:

جهوده في بيان قيمة العمارة المدنية في الحضارة الإسلامية

لم يشرع المسلمون في بناء المدن والقصور إلا في عهد بني أمية، وهو العصر الذي نبتت فيه بذور الفن الإسلامي الأندلسي، وقد تحدث الدكتور الحجي رحمته الله بشيء من التفصيل عن كثير من مظاهر العمران المدني في المدن والقصور والحمامات في الأندلس على النحو الآتي:

أولاً: المدن:

ذكر الدكتور الحجي رحمه الله ضمن ما ذكر من مظاهر العمران المدني في الحضارة الإسلامية بعض المدن الأندلسية، ومن هذه المدن ما يأتي:

١ - مدينة قرطبة:

افتتح المسلمون قرطبة في محرم سنة (٩٣هـ - ٧١١م)، ولم يتخذوها عاصمة لهم في مبدأ أمرهم، بل كانت إشبيلية هي العاصمة، وبعد مرور خمس سنوات من الفتح الإسلامي انتقلت العاصمة إلى قرطبة التي بقيت تزدهرًا، وتتسع عمرانًا، ويرتفع فيها منار العلم في مختلف الأصول كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١).

وتكسیر قرطبة ومساحتها التي دار السور عليها دون الأرباض طولاً من القبلة إلى الجوف ألف وستمائة ذراع، واتصلت العمارة بها أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً، وفرسخين عرضاً، وذلك من الأميال أربعة وعشرون في الطول، وستة في العرض، وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي المسمى بـ (الوادي الكبير) الذي ليس في الأندلس وادٍ يُسَمَّى باسم عربي غيره، ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الإسلامي إلى سنة أربعمائة، ثم

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٧٤٣).

انحطت، واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن، إلى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها سنة ستمائة وثلاث وثلاثين (٦٣٣هـ)^(١).

وذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن قرطبة كانت تحتوي على واحد وعشرين ربضا -أي حيًّا-، وأنه بلغ عدد دورها في أيام الخلافة الأندلسية مائتين وعشرين ألف (٢٢٠٠٠٠) دور، وبلغ عدد حوانيتها بما يقرب من تسعة آلاف، وحماماتها ما دون الألف بقليل، ومساجدها يقل قليلاً عن أربعة آلاف، وأنه لم يبق من هذه العمرانات إلا القليل^(٢).

و"قرطبة أم المدائن، وسرة الأندلس، وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والإسلام، ونهرها أعظم أنهار الأندلس، وبها القنطرة التي هي إحدى غرائب الأرض في الصنعة والإحكام، والجامع الذي ليس في بلاد الأندلس والإسلام أكبر منه"^(٣).

٢- مدينة إشبيلية:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن إشبيلية افتتحها الجيش الإسلامي بقيادة موسى بن نصير أوائل سنة ٩٤هـ، وكانت أيام الأندلس خمسة قرون ونصف صدر حواضره، وعروس قواعده، وتقع على الوادي الكبير إلى غربي الأندلس، وتبعد عن المحيط الأطلسي مئة كيلو متر^(٤).

وإشبيلية من أعظم قواعد الأندلس شأنًا، وأتقنها بنيانًا، وأكثرها آثارًا، وكانت دار ملك روم رومة قبل غلبة القوطيين على الأندلس، فلما غلب القوطيون عليها استوطنوا طليطلة،

(١) انظر: نفخ الطيب، المقرئ (٤٥٨/١).

(٢) انظر: أندلسيات، عبدالرحمن الحجي (ص ٧٤٤).

(٣) نفخ الطيب، المقرئ (٤٦٠/١).

(٤) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبدالرحمن الحجي (ص ١٧-١٨).

وأقروا بها ملكهم، وبقي بمدينة إشبيلية علماء أهل رومة وكتّابهم ورؤسائهم، وقد حاصرها موسى بن نصير أشهرًا؛ ففتحها الله عليه، وهرب منها علوجها إلى مدينة باجة^(١).

وهي مدينة قديمة البناء، يقال: إن أصل تسميتها (إشبالي) أي: المدينة المنبسطة^(٢). وذكر الدكتور الحجي رحمه الله أن إشبيلية الحاضرة لا تزال تحتفظ بكثير من جمالها، فهي مملوءة بالساحات الواسعة، والحدائق والمنتزهات البارعة، ونهرها عذب فياض ملآن، وترى فيها بقايا قليلة من الآثار الإسلامية في تلك الجزيرة، لا سيما القصر، وبقايا مسجدها الجامع، وبعض آخر من متناثر الآثار^(٣).

٣- مدينة الزهراء:

بدأ الناصر ابتناء الزهراء -وهي المدينة الخليفة- سنة (٣٢٥هـ-٩٣٦م)، وهي تقع على بعد خمسة أميال إلى الشمال الغربي من قرطبة عند أقدم جبل العروس، وقد اكتمل نموها في مدى أربعين سنة، لكن لم يبقَ منها -بعد ذلك- إلا القليل، وقد بدأ التنقيب عنها أوائل القرن العشرين، وأعيد ترميم بعض أقسامها كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله^(٤).

وجاء في بعض المصادر التاريخية أن سبب بناء هذه المدينة أن الخليفة الناصر ماتت له سرية، وتركت مالا كثيرا، ورأى أن يفك بهذا المال أسرى المسلمين، فلم يوجد أسير، فقالت الجارية -وكان عبد الرحمن الناصر يحبها حبًا شديدًا-: ابن لي بهذا المال مدينة، وسَمَّيها باسمي،

(١) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (١٤/٢).

(٢) انظر: جغرافية الأندلس، لأبي عبيد البكري، تحقيق: عبدالرحمن الحجي (ص ١٠٧).

(٣) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبدالرحمن الحجي (ص ١٨).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٣٥١).

ولما كان الناصر يهيم بالجارية حباً وافق، وأمر ببناء المدينة تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة، وسميت المدينة (الزهراء) على اسم الجارية، وتبعد عن قرطبة ثلاثة أميال^(١).

ويرفض الدكتور الحجى رحمه الله هذا السبب، ويرى أن سبب بناء الخليفة الناصر هذه المدينة أن الأندلس ازدهرت في عهده ازدهاراً في كل الميادين، حتى غدت أكبر قوة حضارية في أوروبا، وأكبر معبر مرور جوانب من الحضارة الإسلامية إليها، فازدحمت الدروب نحو الأندلس وحاضرتها الأم قرطبة بالوفود القادمة - لا سيما من أوروبا - خاطبةً ودهاء، وطالبةً علمها، فرأى الناصر أن قصر الخلافة بقرطبة بدأ يضيق بهذه الوفود، وبمهام الدولة ودواوينها؛ لذا قرر إقامة دار للدولة أوسع وأفخم؛ كي لا يضايق العاصمة، أو يزعجها، فبنى هذه المدينة لتستوعب مهمات الدولة، وتتسع لإيواء وفودها والاستقبالات الرسمية^(٢).

ويستدل الدكتور الحجى رحمة الله على هذا بما في هذه المدينة من أماكن كثيرة خاصة بالسفراء؛ ففيها قاعات لسكنهم، وأخرى لاستقبالهم، ويذكر الدكتور الحجى رحمه الله أنه زار مدينة قرطبة أيام دراسته في الجامعة، والتقى بأحد كبار علماء الآثار الإسبان الذي كان مسؤولاً عن إعادة بناء مدينة الزهراء التي اندثر كثير منها، وبَيَّنَّ له القاعات التي أعيد بناؤها، وأهداه رسمًا للقاعات التي يُستقبل فيها السفراء، والتي سميت بدار الملك، ويرى الدكتور الحجى رحمه أن هذه المدينة تستحق أن تُسمَّى مدينة السفراء^(٣).

وكان بناء مدينة (الزهراء) في غاية الإتقان والحسن، وبها من المرمر والعمد الكثير، وأجري فيها المياه، وأحدق بها البساتين، وفيها يقول الشاعر:

(١) انظر: نفع الطيب، المقرئ (١/٥٢٣).

(٢) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٠-٥١).

(٣) انظر: سبب بناء مدينة الزهراء وحكايتي مع عالم الآثار الإسباني (كاستيخون)، عبد الرحمن الحجى، مقطع فيديو على

اليوتيوب، <https://youtu.be/mvumTycy8Q>.

وقفت بالزَّهراء مستعبراً معتبراً أُنْدب أشتاتا
 فقلت: يا زهرا ألا فارجمي قالت: وهل يرجع من ماتا؟
 فلم أزل أبكي وأبكي بها هيهات يغني الدمع هيهاتا^(١)

وقد زار الدكتور الحجي رحمه الله مدينة (الزهراء) مع وفد من طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة، وكان العمل في ترميمها لا يزال قائماً خلال زيارتهم، ويُشيدُ الدكتور الحجي رحمه الله بروعة بناء هذه المدينة (الزهراء) فيقول: "كأنَّ نرى صُورًا من مآثر الفن المعماري الإسلامي الأندلسي بروعته الفنية الجمالية، وألوانه الزاهية المتناسقة، وهندسته المعمارية القوية في تلك العقود والزخارف والرؤوس والأعمدة البيضاء المرمرية أو الملونة، كُنَّا نحاول أن نُفَرِّقَ بين قطع مدينة الزهراء الأصلية والأخرى التقليدية التي تصنع على مثلها فنجد الأولى أكثر روعة، وبأجمل الألوان، وبأرق صناعة تدوقية، وأناقة فنية، ودقة جمالية، رغم قِدَمِ العهد، وأثر الهدم، وتهدد الاندثار"^(٢).

وقد رثا هذه المدينة الكثير من الشعراء، ومما قيل في رثائها:

ألا إنَّ أيَّامًا هَفَّتْ بِإِمامِها
 لَجائِرَةٌ مُشْتَطَّةٌ فِي احْتِكامِها
 فلمْ يُولَمِ الدُّنْيا عِظامُ حُطُوبِها
 وأحداثِها إلَّا قلوبِ عِظامِها
 تأمَلْ فَهَلْ مِنْ طالِعٍ غَيْرِ آفلِ
 هُنَّ وَهَلْ مِنْ قاعِدٍ لِقامِها
 وعائِنُ فَهَلْ مِنْ عائِشٍ بِرِضاعِها
 من الناسِ إلَّا مَيِّتٌ بِفِطامِها
 كأنَّ نفوسَ الناسِ كانتِ بِنَفْسِها
 فلَمَّا تَوَارى أَيْقَنْتُ بِجِمامِها

(١) نفع الطيب، المقرئ (١/٥٢٧-٥٢٨).

(٢) مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجي (ص ٥٢).

فَطَارَ بِهَا يَأْسُ الْأَسَى وَتَقَاصَرَتْ يَدُ الصَّبْرِ عَنْ أَعْوَالِهَا وَاحْتَدَامِهَا^(١)

٤ - مدينة الزاهرة:

ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن الحاجب المنصور مُجَّد بن أبي عامر اهتم بعد توليه الأندلس بالجانب العمراني، وأنشأ مدينة (الزاهرة) شرقي قرطبة سنة (٣٦٨هـ-٩٧٨م) على الوادي الكبير، وقد بنيت في عامين تقريباً؛ لتحل محل مدينة (الزهراء)، أو تنافسها، وقد احتوت -مثل الزهراء- على دواوين الدولة، وبعض مرافقها الأخرى^(٢).

وقد أقام الحاجب المنصور في مدينة (الزاهرة) قصره، وانتقل إليها بعد سنتين من البناء، واتخذ فيها الدواوين للأعمال، والحجر للغلمان، والسقائف للحراس، والقصور للولد والخاصة، والاصطبلات للظهر والكراع، وعمل داخلها الخزائن الوثيقة، وانتقل إليها، ورتب فيها مقاعد الوزراء، وكتب أن تجلب إليها وظائف الجبايات والأموال، وعطل قصر الخلافة، وسد بابه، ونصب رسم الشرطة تلقاءه، وأدار عليها السور الحرير الوثيق، وكَثُرَ حولها البناء حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة^(٣).

٥ - مدينة سالم:

ابتنى الناصر مدينة (سالم) سنة (٣٣٥هـ) بالثغر الأوسط الشرقي، وأنفذ العهد إلى قواد الثغر بالاجتماع إليه؛ لبنائها، فسارعوا إلى أمره، وبنيت أحسن بناء، ونقل إليها البناؤون من بلاد الثغر؛ للاختطاط لديارها، والرباط بها، فتم ذلك في صفر من هذه السنة، واطمأنت الدار بمن نزلها من المسلمين، واكتمل بناؤها وعمرائها على مرور الأيام^(٤).

(١) البيان المغرب، ابن عذاري (٢/٢٣٣).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (ص ٣٥٢).

(٣) انظر: نفع الطيب، المقرئ (١/٥٧٩).

(٤) انظر: البيان المغرب، ابن عذاري (٢/٢١٤).

ويرى الدكتور الحجى رحمه الله أن هذه المدينة قد بُنيت قبل هذا التاريخ الذي يمثل ترميمها للمرة الثانية، ولعل الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أعاد بناءها وتعميرها وتخطيطها في هذا التاريخ^(١).

٦- مدينة المريّة:

يقول الحجى رحمته الله: "بنى المريّة الخليفة الناصر سنة (٣٤٤هـ-٩٥٨م)، غدت -فيما بعد- قاعدة الأسطول الأندلسي في جنوبه الشرقي على البحر المتوسط، كما أصبحت مدينة تجارية صناعية مهمة؛ فهي من أكبر موانئ الأندلس ومراصده البحرية، يقيم فيها أسطول أندلسي كبير؛ إذ كانت مرفأً للحط والإقلاع"^(٢).

وقد أراد الخليفة عبد الرحمن الناصر أن تكون مدينة (المريّة) مرأى السفن التي تحاول غزو الأندلس، وكان الناصر من أكثر خلفاء بني أمية وُلَعًا واشتغالًا بالتشييد والتعمير والبناء، وكان يربط بين البنين والعظمة؛ لذلك اهتم جدًّا بهذه المدينة، وأعطاهما من وقته زمنًا كبيرًا، وأعد لها من الأموال والعمال والمهندسين ما يكمل بناءها في فترة وجيزة، وعمل على تحصينها، وأحاطها بسور حصين، وبالمدينة بساتين تسقى من وادي بجانة، وهي بجانب كونها زراعيةً مدينة صناعية أيضًا؛ فقد كان بها كثير من الصناعات، وكان بها ثمانمائة طرازٍ حريزٍ، ويعمل بها الحلل والديباج، وتصنع فيها آلات النحاس الحديد، وكانت بها الكثير من الفواكه الرخيصة^(٣).

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (ص ٣٥٢).

(٢) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (ص ٣٥٢).

(٣) انظر: صفة جزيرة الأندلس، الحميري (ص ١٨٤).

ثانياً: القصور:

ذكر الدكتور الحجى رحمه الله ضمن ما ذكر من مظاهر العمران المدني في الحضارة الإسلامية بعض القصور الأندلسية، ومن هذه القصور ما يأتي:

١ - قصر إشبيلية:

ومن الآثار الإسلامية في الأندلس قصر إشبيلية والذي يعرف باللغة الإسبانية باسم (Alcazar)، ويرجع تاريخه إلى أيام الفتح الإسلامي الأول، وكان في مبدأ الأمر بيتاً صغيراً أقام فيه موسى بن نصير، ثم أقام فيه ولاة إشبيلية بعد ذلك، ثم جددوه ووسّعوه، وفيه أيضاً أقام بنو عباد، واهتم به المعتمد، وتأنق في زينته وأثاثه، وسماه (المبارك)، وورثه الموحدون، ثم المسيحيون بعد ذلك وأجروا عليه تغييرات كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (١).

وقد زار الدكتور الحجى رحمه الله قصر إشبيلية مع مجموعة من طلاب جامعة الإمارات العربية المتحدة، ووصفه بقوله: "عندما تجتاز مدخل القصر إلى ساحته أو باحته الكبرى فإنك لاشك ستبهر وأنت محاط بالأبهاء الجميلة، والزخارف البارعة التي تطفح عراقة الفن الرفيع، والجمال البديع، والذوق الأنيق، حتى ليكاد كل شيء فيه يشغلك عن الآخر، ويتكون القصر الإشبيلي الأندلسي من طابقين، لا يزال ثانيهما منتجاً للملوك الإسبان، لولا بعض الترميمات والإضافات المشوهة التي أجريت في الطابق الأول لَصَفَتْ له أندلسيته الناصعة في فنيته المعمارية المتميزة، أما الثاني فهو بناء إسباني؛ تقليداً للفن الأندلسي، وشتان بينهما، قام به المدجنون، وهم المسلمون الذين بقوا تحت الحكم النصراني في إسبانيا" (٢).

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٧٥١).

(٢) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجى (ص ١٩).

ويضم الطابق الأول أفننة عدة، لكل منها اسمه الخاص، وهي: قاعة العدل، وفناء الصيد، وفناء العذارى، وبهو كارلوس الخامس، وبهو السفراء، وجناح فيليب الثاني، وفناء العرائس، وجناح الملوك الأندلسيين، وجناح ملوك الكاثوليك^(١).

يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "ما زالت هذه الأبهاء تدعوك لإيثارها بالدهشة والاهتمام، وتتفحص زخارفها الملونة الزاهية، وتتساءل عن مواطن جمالها المتناسق المعبر رغم تجرعها الغصص المتلون، حتى لكأنك تقرأ حزنها الباكي، أو تقرأ عليك مأساتها البادية، حكاية متصلة من الأوصاب والأوجاع بعد ترحيلها الأهل والأحباب، وانتهاء حياة العز والثناء، من كل لون خبر، فبدا جمالها وحيويتها مثقلة بكآبة لا تخلو من إباء، وبالقيود كَبَلَّتْهَا الأحقاد"^(٢).
ويوجد في زخرفة القصر كثير من العبارات والتحيات والأدعية الإسلامية، وبعض الآيات القرآنية، وهي مقلدة منقولة عن نظائرها في بعض الصروح الأندلسية المعاصرة؛ ففي أبواب السفراء نُقِشَتْ عبارة (الملك لله) يميناً ويساراً على مصاريع الأبواب^(٣).

٢- قصر الحمراء:

زار الدكتور الحجى رحمه الله قصر (الحمراء)، ويصفه بقوله: "كنا نتجول في بهو السفراء، ننقل أنظارنا إلى جوانبه المختلفة، وحيثما تدير رأسك في جدار وقبة البهو تجد الزخارف الفنية بجمالها الجذاب، وخلابة مناظرها، وتناسقها الفني البديع، وليس في كل هذا الفن أي نصيب لغلاء موادها البنائية كالذهب أو نادر الخشب، بل هي من أرخص المواد، وهذا يضيف خاصية أخرى، يجعل جمالها كامناً في الفنية ذاتها وحدها، فنية غير موقته البهاء

(١) انظر: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مُجَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط(٢) ١٩٧٤هـ-١٩٩٧م، (ص ٥٨).

(٢) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجى (ص ١٩).

(٣) انظر: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مُجَّد عبد الله عنان (ص ٦٠).

والروعة والجاذبية، بل فنية الاحتمال والقوة والنصاعة والاصطبار كما يلحها اليوم عبر القرون الماضية وإلى أن يشاء الله رغم عوامل التأثير أو التهديم والإساءة، وإن كان غلاء المواد يضيف لها مزيداً، ويضع فيها جديداً، وهو ذو أهمية في أمور خاصة كذلك تقوم عليها، وتكون بها، وقد لا تصلح بدونه لا سيما كالزينة والتجميل والتكريم، لكن الحديث هنا في مجال الإشارة إلى التفنن والزخرفة والتنوع والدقة والأناقة والذوق الرفيع والقوة والأصالة والخبرة، وهو تعبير عن الفنية الراقية بروعتها المتميزة المبكرة والابتكارية والسابقة، ورغم بعض التشويهات التي أصابت حيطان بهو السفراء فلم تذهب روعتها، وترى بجانب زخارف الفن الكتابة المزخرفة، ويمكنك أن تقرأ عبارات غير قليلة؛ حيث زخرفت بآيات أو سور من القرآن الكريم كلام الله المنزل رسوله مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فهو دستور المسلمين، وبناء حياتهم، ومصدر أمورهم، وقوام نفوسهم وعقولهم، وأصل تقدمهم في كل الميادين، فرأيناهم فيها جميعاً مبرزين وسابقين ومتفنين كما هو الحال فيما تبقى من فن العمارة الإسلامية في الأندلس وغيرها التي تعبر عن مستوى ما وصلوا إليه، وإن هذه العمارة ليس أبرع ما في الحضارة الإسلامية، بل هي واحدة من الثمار، توفرت في ذلك الجو الكريم الذي لا نتظر منه إلا كل خير، وإنتاج طيب ومشرق رائع في كل وجهة وجانب، وهو ثمرة طبيعية، ولكن يبقى المهم هو المجتمع والجو والحياة الإسلامية التي تنبت هذه وغيرها، وإن الذي نراه في المآثر العمرانية في الأندلس وغيرها هو بعض ما بقي لنا ماثلاً مشهوداً ودليلاً، ولكن ما اندثر أو ذهب مع أهله من الصور الإنسانية الرائعة الفريدة المتميزة التي لا تكون إلا بالإسلام، ذهبت أعيانها، وبقيت أخبارها في الكتب مدونة في المتبقي من ذلك الإنتاج المسطور - كان أروع وأبدع" (١).

(١) مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٤-٣٥).

ويذكر الحجى رحمته الله أن هذا القصر ينقسم إلى جناحين كبيرين: الأول جناح قمارش الذي يضم قاعة السفراء والبرج، الثاني جناح الأسود الذي يتوسطه فناء الأسود، وفي كل من هذه الأجنحة القاعات ولأفنية والأروقة الجميلة^(١).

إن المتبقي من حمراء غرناطة يعتبر درة المآثر الأندلسية العمرانية المتبقية، وهي كذلك تاج الفن المعماري في الوقت الحاضر، ولا غرابة؛ فشهرة قصر (الحمراء) عالمية، تجتذب بقوة وكثرة مزيداً من السواح المعجبين، وذلك وحده كفاية ومدعاة للعناية بها، وقد امتدت خيوط التعلق بها إلى مناطق العالم كافة، يذكرونها بالإعجاب والاندھاش والثناء، وليس من قادم إلا ويريد أن يُطيلَ الوقوف فيها والبقاء بها، كما يتمنى العودة إليها بمزيد من الرغبة الملحة والتعلق الحنون والشوق الملهوف، وهي أمنية غالية لا تحتمل منا طويلاً انتظاراً لثُلَّتَيْ^(٢).

ويعد قصر الحمراء اليوم من أروع الآثار الإسلامية في الأندلس وأبدعها، سواء في إسبانيا أو البرتغال، ويمتاز بعقوده الرائعة، وزخارفه البديعة، وأعمدته الرشيقية، وأناقته المتناهية، وروعة عمرانها، وجمال زخارفه البارعة المتفردة^(٣).

ثالثاً: الحمامات:

يتحدث الدكتور الحجى رحمته الله عن الحمامات التي كانت بقرطبة وغيرها من مدن الأندلس فيقول: "يوم كانت قرطبة وغيرها من مدن الأندلس ينعم أهلها بالحمامات العامة الشيقية الأنيقة؛ حيث كان عددها في قرطبة (٩١١)، في هذا الوقت كانت عادة الغسل والاستحمام تعتبر في عدد من الدول الأوروبية منكراً ووثنية"^(٤).

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٧٥٤).

(٢) انظر: مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٤-٣٨).

(٣) انظر الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مُجَّد عبد الله عنان (ص ١٩٢).

(٤) أندلسيات، عبد الرحمن الحجى، (ص ٧٤٠).

وللحمامات شأن كبير في المدن الإسلامية؛ لأن النظافة عند المسلمين من الإيمان، بل هي شرط لازم لأداء الصلاة والعبادة بشكل عام، وكان بقرطبة تسعمائة حمام^(١)، وذلك حين كان مسيحيو العصور الوسطى ينهون عن النظافة، ويعدون لها عمل الوثنيين، وكان الرهبان يفتخرون بقذارتهم^(٢).

وتبقى من الحمامات الكثيرة التي كانت تكتظ بها قرطبة آثار حَمَامَيْنِ، أحدهما: يقع في شارع الحمام (Calle del Bano)، والآخر في شارع (لا سي كرميدياس) بجوار الجامع، وهذا الحمام الأخير ما زال يحتفظ بقاعته الوسطى، وبها عقود مفرطحة، وأخرى متجاوزة على شكل حدوة الفرس، تحملها عشرة أعمدة، تيجانها من نوع التيجان الخلافية، وكانت تعلو هذه العقود قبوة، لم يبق منها أي أثر في الوقت الحاضر؛ إذ تحولت هذه القاعة إلى صحن مكشوف للهواء، بينما احتفظت الغرف المجاورة بقبواتها، ولهذا الحمام غرفة تعلوها قبوة كانت تتخللها مضاهي لإنفاذ الضوء، وقد سُدَّتْ جَمِيعُهَا^(٣).

(١) انظر: نفح الطيب، المقرئ (١/٥٤٠).

(٢) انظر: جغرافية الأندلس، البكري، تحقيق: عبد الرحمن الحجي (ص ٨٠).

(٣) انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، عبد العزيز سالم (ص ٤١٧).

المطلب الثالث:

جهوده في بيان قيمة العمارة الحربية في الحضارة الإسلامية

أخذت العمارة الحربية حيزاً كبيراً عند عدد من الأمم والشعوب، وتعد في الحضارة الإسلامية واحدة من أهم فنون العمارة التي عرفها التاريخ الإسلامي، وهي واحدة من ثلاثة أنظمة عمرانية تفتخر بها الحضارة الإسلامية.

وقد احتفظ الأندلس في وقتنا الحاضر بتراث هائل من الحصون والقلاع الإسلامية التي تنطق بالدور الكبير الذي قامت به، وتُعَبِّرُ بقايا الأسوار والأبراج عن الجهاد المرير الذي قام به المسلمون للاحتفاظ بوطنهم، والدفاع عن شرفهم وكرامتهم، وقد ظلت هذه العمارة الإسلامية مثلاً يحتذى به أهل العمارة المدججة والمسيحية حتى عصر النهضة، وقد أنشئت الحصون والأسوار، وحُصِّصت لها الرواتب العالية كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (١).

وكانت تحيط بالمدن الأندلسية الإسلامية أسواراً عالية، وحصوناً منيعة، تحميها من الغارات والغزوات، وقد ذكر الدكتور الحجى رحمة الله بعضها على النحو الآتي:

١- سور المرية:

ذكر الدكتور الحجى رحمة الله أن مدينة المرية مدينة اقتصادية وزراعية، وتساهم مساهمة فعالة في دعم الاقتصاد الأندلسي؛ لذلك كان لابد من الاهتمام بها وتحصينها، ووقوع المدينة على البحر ساعد على وجود الأساطيل الحربية والسفن التجارية بها، وهي تُعدُّ من أكبر المرفئ للأساطيل الأندلسية، كما أن موقعها الاستراتيجي ساعد على الدفاع عن الأندلس (٢).

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٣٣٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٣٥٢-٣٦٦).

ومدينة (المرية) بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (سنة ٣٤٤هـ-٩٥٩م)، وكان سبب بنائها قدوم الجوس إليها، وتطوفهم بساحلها؛ لذلك قرر العرب اتخاذها مرآي، وابتنت بها محارس، وكان الناس يرابطون فيها، وبني عليها أول الأمر سور من تراب، وبالمدينة أبواب كثيرة، وبها قسبة محصنة تمتد من الشرق إلى الغرب، ولها باب يؤدي إلى داخل المدينة، وباب آخر في الجهة الشرقية يؤدي إلى خارج أسوار المدينة، وسور المدينة عرضه خمسة أشبار، والمدينة تقع على جبلين: جبل على قصبته، وجبل على ربضها، وأرباضها متصلة بجبال المدينة^(١).

٢- سور إشبيلية:

بُني سور إشبيلية أيام عبد الرحمن الأوسط بعد أن كتب إليه عبد الملك بن حبيب أن بنيان سور مدينة إشبيلية وتحصينها أكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، فعمل برأي عبد الملك في بنيان سور إشبيلية، ولم يثن ذلك عزمه عن بنيان الزيادة في جامع قرطبة، فكما معاً كما أراد الأمير عبد الرحمن كما ذكر الدكتور الحجي رحمه الله^(٢).

وقد رفع على سور إشبيلية أبراج منيعة عالية الارتفاع، كان الهدف منها مراقبة العدو قبل وصوله إلى أسوار المدينة، ولم يصمد هذا السور طويلاً؛ فقد تهدم في عصر الفتنة، ولم يتمكن الخلفاء من إعادة بنائه؛ لانشغالهم بالاضطرابات والثورات والفتن التي جعلت الأندلس تذهب في مهب الريح^(٣).

(١) انظر: صفة جزيرة الأندلس، الحميري (ص ١٨٣-١٨٤).

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٢٧٥).

(٣) انظر: صفة جزيرة الأندلس، الحميري (ص ٣٠).

٣- حصن مجريط:

اهتم الأمير مُحمَّد بن عبد الرحمن الحكم بمصالح المسلمين في الأندلس، وله آثار جلييلة في هذا الشأن، وقد واصل الجهاد في عهده، وفتح الفتوح العظيمة؛ ولذلك كان له عناية بالقلاع والحصون؛ لتحصين الثغور، ومن الحصون التي أمر ببنائها، وأشرف على العمل فيها بنفسه حصن (استبرش) الذي تم بناؤه للحفاظ على غلال مدينة (سالم)، وحصن (مجريط)؛ لموقعه الاستراتيجي، وأهميته الحربية، ونشاطه التجاري والثقافي كما ذكر الدكتور الحجي رحمته الله (١).

وكانت مجريط مدينة صغيرة، وقلعة منيعة، وكان لها في زمن الإسلام مسجد جامع، وخطبة قائمة، وظل هذا الحصن يدافع عن دولة الإسلام، وبعد أن استولى على طليطلة سقط في أيدي الأعداء آخر صحن الإسلام (٢).

وقد ذكر الدكتور الحجي رحمته الله أن حصن مجريط غدا عاصمة إسبانيا حتى اليوم، فليس مجريط غير مدريد الحالية التي اتخذها فيليب الثاني (٣) عاصمة لإسبانية سنة (٩٦٩هـ- ١٥٦١م)، وبذلك تكون مدريد هي العاصمة الأوروبية التي بناها المسلمون الأندلسيون، ويُنسب إليها عددٌ من العلماء الأندلسيين (٤).

وتعد العمارة الحربية في الأندلس إلى جانب المعالم الحضارية الأخرى من الشواهد العجيبة على عظمة التراث الإسلامي الثري والمتجدد، وقد غمر العمران كافة الأندلس، أينما

(١) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٥٣).

(٢) انظر: صفة جزيرة الأندلس، الحميري (ص ١٧٩-١٨٠).

(٣) فيليب الثاني: ولد عام ١٥٢٧م، وهو أشهر من حمل هذا الاسم من ملوك إسبانيا، ملك إسبانيا وهولندا والبرتغال، وأرسل أسطول (الأرمادا) لفتح إنجلترا فدمرتة العواصف، ويُعد عصره أوج السيطرة الإسبانية في أوروبا، وتوفي عام ١٥٩٨م، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام (٤٣٣/٢).

(٤) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة (ص ٣٥٤).

يذهب أهله والمقيمون فيه والقادمون إليه يرون العمران بكل أنواعه غطى البلاد كافة كما يقول

الشاعر:

لاحت قراها بين خضرة أيكها كالدرد بين زبرجد مكنون^(١)



(١) انظر: شعر العلماء في الأندلس، عبدالرحمن الحجي (ص ١٩٤).

المبحث الرابع

جهود الدكتور عبدالرحمن الحجي في إبراز خصائص الشخصية الحضارية النموذجية للأمة الإسلامية

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: جهوده في بيان دور العقيدة الإسلامية في تكوين الشخصية

المتحضرة للأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان صفات الشخصية الحضارية للأمة الإسلامية.

المطلب الأول: جهوده في بيان دور العقيدة الإسلامية في تكوين الشخصية المتحضرة للأمة الإسلامية

لكل بناءٍ أساسٌ يقوم عليه، والدين الإسلامي بناء متكامل، يشمل حياة المسلم منذ ولادته حتى مماته، ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء المتكامل يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقاً لها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فالإسلام يُعنى بالعقيدة، ويوليها أكبر عناية، سواء أكان من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها أم من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها؛ لذا نجد أن الرسول ﷺ مكث عشر سنين بمكة ينزل عليه القرآن، وكان في غالبه يَنْصَبُ على البناء العقدي، حتى إذا ما تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه ﷺ نزلت التشريعات الأخرى بعد الهجرة إلى المدينة^(١).

وهذا البناء يقود إلى الاستقامة، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "هذا البناء هو وحده الذي يقود إلى الاستقامة، وهو ما يريده الله تعالى من وراء هذا المنهج الرباني الفريد، كل قضاياها مترابطة، جميعه يجري منسباً، حتى ليصبح حُجْمَةً واحدةً، وجسماً واحداً في كيانٍ متحركٍ"^(٢).

(١) انظر: مفهوم العقيدة، عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ص ٣)، الكتاب منشور على موقع الألوكة.

<https://www.alukah.net/sharia/0/94558/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9>

(٢) الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٥٥).

والاستقامة كانت نصيحة رسول الله ﷺ لأحد الصحابة بعد الإيمان؛ فعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك -أو غيرك- قال: «قل آمنت بالله، فاستقم»^(١).

ولقد ذكر الدكتور الحجى أثر العقيدة الإسلامية ودورها في تكوين شخصية المسلم المتحضر؛ فهي تُحرِّره من عبودية غير الله، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "وامتلاك الإيمان نفساً لإنسانٍ ما قائدةٌ إياه لا محالة إلى تحريره الكامل من ألوان العبودية لنفسه أو لغيره؛ لأنه عبْدَ نفسه لله رب العالمين، فعدا حرّاً حقيقياً، يعلو على كل ضرورة، ويسمو فوق كل اعتبار آخر ... فإن العبودية لله تعالى هي الحرية الحقة التي تمحو كل عبودية لغير الله تعالى"^(٢).

وما قاله الدكتور الحجى رحمه الله أمر الله به تعالى في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

والعقيدة الإسلامية تحث المسلم على العمل والإنتاج والعمران، وهذا ما يؤكد الدكتور الحجى رحمه الله بقوله: "وهذه العقيدة الإسلامية هي التي أنتجت حضارة الإسلام الرائعة، والتي بنيت على شريعته، وعمل فيها ولها مجتمع عاش بالإسلام وله، ومنه أخذ كل تعاليمه"^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم ٦٢ (٣٨)، (١/٦٥).

(٢) مقومات الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٩).

(٣) أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ١٧٣-١٧٤).

وليس أدل على ما قال الدكتور الحجى رحمه الله من الحديث الذي رواه أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها»^(١).

والعقيدة الإسلامية تؤثر في المسلم فتكسبه الأخلاق الحسنة والصفات الجميلة، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "يستحسن أفراد الأخلاق هنا بالبيان مقومًا؛ لما له من أهمية، يتميز بارتباط السلوك به، وهو مسالة تتجاوز العادة والألفة أو التصرف الهامشي أو الجزئي؛ لأنه يحسب الحياة، ويعرفها بكل جوانبها، ونظر فيه أثر العقيدة الإسلامية، ومرآة نرى فيها العمل والتطبيق"^(٢).

وهذه الصفات التي أوضح الدكتور الحجى رحمه الله دور العقيدة في تكوينها في شخصية المسلم هي من أهم الصفات التي يحتاج إليها الإنسان لكي يرتقي بنفسه وأمتة إلى أسمى درجات الرقي والحضارة.

وقد ذكر الدكتور الحجى رحمه الله أيضًا أن من آثار العقيدة في حياة المسلمين وتكوين الشخصية المتحضرة أنها أنشأت مجتمعًا مترابطًا يحرص على المعاني الحضارية المتمثلة في الوحدة والاجتماع، وإعلاء روح الأخوة، وتكريم الإنسان، كما تكسب هذه العقيدة المسلمين العزة والرفعة، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

١ - إعلاء روح الأخوة، والحرص على الوحدة والاجتماع:

كان العرب في الجاهلية يتفاضلون ويتفاخرون بالأنساب، فلما جاء الإسلام جمع كلمتهم، وصاروا يدًا واحدة على اختلاف أنسابهم ومواطنهم، واجتمعوا تحت راية واحدة هي

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (١٢٩٠٢)، (٢٠١/٢٠). وقال محققو المسند:

"إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم".

(٢) مقومات الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن الحجى (ص ٣٠).

راية الإسلام، وأصبحت عقيدة التوحيد أنبل وأقدس وأعظم رباط يُوحِّد بين قلوب المسلمين على اختلاف الديار والقوميات واللغات، وصارت الأخوة الإيمانية أصدق تعبير عن الوحدة المشتركة^(١).

وذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن هذه القضية تُؤسِّسُ أمرًا عجيبيًا، لا يمكن أن يحدث أبداً في أي مجتمع، ولا بأي منهج، ولا يحلم به أحدٌ إلا بهذا الدين ومنهجه الإلهي العظيم الكريم^(٢).

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وإذ يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢- تكريم الإنسان:

لقد هدمت العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين القبلية، وأزالت التعصب للجنس، وألغت كافة الفوارق، وأذابت كل أسباب التمايز؛ فلا فضل لأحد على أحد إلا بمقدار الالتزام بالإسلام وحسن العمل به والصدق في تطبيقه والاستقامة على طريقه، وكل ما عدا ذلك من نسب أو حسب أو منصب لا يرفع أحداً، ولا يخفضه، حتى غدا الإسلام هو النسب الحقيقي والرباط الكريم، به يتفاضل الناس ويتفاوتون كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٣).

فقد قضت الحضارة الإسلامية على العنصرية، وأحلَّت محلها الأخوة، وجعلت التقوى المعيار الوحيد للتفاضل والتمييز، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

(١) انظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري (ص ٣٤٠).

(٢) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٥٧).

(٣) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤٥).

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال الرسول ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمَر على أسود، ولا أسود على أحمَر إلا بالتقوى»^(١).

وقد ذكر الدكتور الحجى رحمه الله من الأمثلة على هذا أن أبا ذر الغفاري عَيَّرَ بلالاً الحبشي بأمه قائلاً له: "يا ابن السوداء"، فذهب بلال إلى رسول الله ﷺ يشتكي أبا ذر، فقال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٢)، فندم أبو ذر، وطلب من بلال أن يضع رجله على وجهه؛ ليكفر عن خطئه، لكن بلالاً لم يفعل؛ أخوة وسماحة، ويقول الدكتور الحجى رحمه الله: "لقد كَرَّمَ الإسلامُ بلالاً إنساناً تقيّاً، ورفعَ قَدْرَهُ بقدرِ إيمانه وجهاده من أجل إعلاء كلمة الله تعالى"^(٣).

ومن الأمثلة التي ذكرها الدكتور الحجى على تكريم الإنسان في الشريعة الإسلامية أن التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح كان أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي مفلفل الشعر، ومع ذلك كان إمام أهل مكة وعالمها، يرجع إليه الناس في الفتوى، ويتخرج على يديه الألوفاً من البيض، وهو عندهم محمل الإكبار والحب والتقدير^(٤).

والإسلام وحده هو الذي أعلى شأن الإنسان، وأنار له الطريق، ووضح له سبيل السعادة، يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "فالإسلام هو الدعوة الحقيقية الوحيدة التي طلع نورها للكون، والتي كَرَّمَتِ الإنسان، وحققت إنسانيته بعيداً عن المظاهر، فأوجدت له طريقاً جديدةً،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (٢٣٤٨٩)، (٤٧٤/٣٨)، وَصَحَّحَ إِسْنَادُهُ مُحَقِّقُو الْمَسْنَدِ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، رقم ٣٨ (١٦٦١)، (١٢٨٢/٣).

(٣) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص ١٥٠).

عَرَفَ بِهَا النور الذي أضاء الحياة، وَسَلَّمَتْهُ كل الأسلحة والإمكانات التي تُسَعِدُهُ والآخريين، وَصَحَّحَتْ نظرتهُ إلى الكون والإنسان والحياة وخالقها جَلَّتْ قدرتهُ، وَرَسَمَتْ علاقتهُ بكل ذلك" (١).

ومما يدل على تكريم الإنسان في العقيدة الإسلامية ترك حرية الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين، يقول الدكتور الحجي رحمه الله: "ولم يَتَحَلَّ أبناءُ تلك الحضارةِ مرَّةً عن فضيلة حرية الضمير، وهي الأساس الذي تقوم عليه عظمة الشعوب؛ فَقَدْ قَبِلَ المسلمون في المدن التي ملكوها كنائسَ النصارى وبيعَ اليهود، ولم يخش المسجد معابد الأديان التي سبقتها، فعرف حقها، واستقر إلى جانبها غير حاسد لها ولا راغب في السيادة عليها، ونمت على هذا ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر الميلادي أجمل الحضارات وأغناها في العصور الوسطى، ونهضت بالبلاد نهضات" (٢).

٣- العزة والرفعة:

يوضح الدكتور الحجي رحمه الله أن العقيدة الإسلامية عبَّدت المسلمين لربهم فقط، وحررتهم من العبودية لغيره، وفي هذا عزهم ورفعتهم، فيقول: "وأثر هذا الإيمان واضح عملياً في حياة المسلمين، على كل إطار ومستوى، وامتلاك الإيمان نفساً لإنسانٍ ما فائدة إياه لا محالة إلى تحريره الكامل من ألوان العبودية لنفسه أو لغيره؛ لأنه عبَّد نفسه لله رب العالمين، فغدا حراً حقيقياً، يعلو على كل ضرورة، ويسمو فوق كل اعتبار آخر، لا تشكله المخاوف، ولا تحوله المطامع، ولا تلونه المصالح، ولا تؤخره الشهوات، وسار في سلم السمو والارتفاع؛ فإن العبودية لله تعالى هي الحرية الحقة التي تمحو كل عبودية لغير الله تعالى، ومن يأبى الانضواء إلى سلطانها،

(١) الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجي (ص ١١).

(٢) أندلسيات، عبد الرحمن الحجي (ص ٣٤).

ويشرد في تيه الضلالة بالخروج منها، ويهرب من أمنها استعبد نفسه لكل شيء هينًا رخيصًا هزيرًا، ولكل ما عاش خارج دائرة الإيمان، كذلك يهون ويصير ضامرًا وان كبر، قصيرًا وإن علا، متهافتا وإن ملك، والحضارة الإسلامية غنية بكل تلك المعاني الرفيعة، أئبئة استضاءت بالعزة، وتجملت بالحق، وازدهرت بالخير الوفير^(١).

ويُرجع الدكتور الحجي رحمه الله عزَّ المسلمين وتمكينهم إلى التزامهم بالعقيدة الإسلامية وشريعته الربانية فيقول: "لا يرجع انتصار المسلمين إلى التفوق العسكري، بل إلى نوع البناء العسكري للفرد ... ذلك من نوع البناء العام للمجتمع الذي يقوم على العقيدة الإسلامية وشريعته الربانية"^(٢).

ويرى الدكتور الحجي رحمه الله أنه لا توجد عقيدة أقوى من الإسلام، ولا أملك منه لمعاني العز والتمكين؛ فلا يمكن البتة أن تقعد بأمة نكبة، أو تفت في عضدها نكسة ما دامت مؤمنة بكل كيانهما بهذه العقيدة التي منها استمدت وجودها، وبنورها اهتدت^(٣).

ويقول الدكتور الحجي رحمه الله: "إن تفوق المسلمين مُستَمَدُّ دومًا من إيمانهم بعقيدتهم، ليس أبدًا من سوء أحول الآخرين، كما أن الإسلام ينبع تفوقه وسبقه من ذاتيته القوية، وعقيدته النقية، وتشريعه المكين؛ لأنه وحي الله عزَّ وجلَّ"^(٤).

(١) مقومات الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن الحجي (ص ٢٩).

(٢) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٤١-٤٢).

(٣) انظر: أندلسيات، عبدالرحمن الحجي (ص ٥٨٧).

(٤) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، عبدالرحمن الحجي (ص ٧٢).

المطلب الثاني:

جهوده في بيان صفات الشخصية الحضارية للأمة الإسلامية

بنت العقيدة الإسلامية مجتمعاً كريماً قوياً أميناً في كل شيء، بدءاً من النفس الإنسانية ومروراً بكل ميادين المجتمع ومبانيه الأخرى؛ فأصبح المجتمع يمتلك كل المواصفات التي تجعله عزيزاً متحضرًا، وقد ذكر الدكتور الحجي رحمته الله جملة من الصفات التي تميز شخصية المسلمين الحضارية على النحو الآتي:

أولاً: التزام المسلمين بمنهج الله وشريعته:

استطاع الإسلام أن يجعل التزام المسلمين بشريعة الله ومنهجه أمرًا ذاتيًا، يقوم به المسلم الذي يراقب ربه، ويتعامل به في أمور حياته كلها، ويضبط به علاقاته مع ربه أولاً، وكل من حوله ثانيًا، وقد بيّن الدكتور الحجي رحمته الله هذا بقوله: "المنهج الإلهي القرآني المنير الفريد ليس بنودًا مُدَوَّنةً تأخذ وضعًا فلسفيًا تقوم به وعليه دولة ونظام، لكنه منهجٌ مُتَفَرِّدٌ، يصنع أفرادًا نواةً لمجتمعٍ متحضرٍ جديدٍ، مؤمنًا به وملتزمًا التزامًا قائمًا ذاتيًا، باعتباره دينًا إلهيًا، ومنهجًا حضاريًا آمن به، آخذًا بكل سلوكياته وخلقياته وتعاملاته في أمور الحياة كافة"^(١).

وقد أمرنا الله تعالى باتباع منهجه في أمور حياتنا كلها فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

(١) دولة المدينة المنورة، عبدالرحمن الحجي (ص ٢١-٢٢).

قال الإمام ابن كثير: "يقول تعالى أمرًا عبادة المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك" (١).

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الالتزام بما أنزل الله حين نزل قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿المائدة: ٩٠-٩١﴾.

فإنه لما أتى الأمر الجازم بتحريم الخمر مع الميسر نصًا قاطعًا أقوى من لفظ التحريم؛ حيث قرنها بتحريم الأنصاب والأزلام -أي: الشرك بالله تعالى- استجاب المسلمون له أروع استجابة، كأن التحريم كان أملهم ومأربهم ومطلبهم، وهذا ثمرة البناء الرباني الكريم على منهج الله تعالى، وهذا هو الفرق بينه وبين كل ما عداه من المناهج الوضعية الأرضية الجاهلية غابرًا وحاضرًا ومستقبلًا في علاج النفس الإنسانية والمجتمع والحياة (٢).

وهذه الاستجابة من المسلمين الذين كانوا يعاقرون الخمر ليل نهار، والذين كانت الخمر عندهم كالماء بالنسبة لجميع الكائنات الحية إعجاز تدل على كون هذا التشريع من عند الله تعالى، وقد نجح هذا التشريع الرباني في معالجة هذا الأمر العظيم في مدة وجيزة من الزمان بعد أن هيأ النفوس لقبوله، وهذا ما عجزت عنه كل الدول الغربية في العصر الحديث (٣)، أما

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٦٥/١).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجي (ص ٢٦٥-٢٦٦).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الرزقاني (١/٥٦-٥٧، و٢/٣٥٣)، والمسكرات من الناحية النفسية، لملك غلام مرتضى (ص ١١٦).

المسلمون الذين تربوا على الإسلام والإيمان الذي غرس في نفوس أفراد غرس الحق، وأحيا ضميرهم بالتعاليم الصالحة، والأسوة الحسنة التي لم يصنعها شيء قبل الإسلام فلم يتكلف الإسلام في تحريم الخمر عليهم مثل الجهود المبذولة في العالم الغربي، فقد صدر التحريم من الله سبحانه وتعالى، واستجابت لها النفوس، وهذا هو الإعجاز التشريعي في القرآن^(١).

وقد تمت هذه المعجزة لأن المنهج الرباني أخذ النفس الإنسانية بطريقته الخاصة؛ فهو رها وخالفها، ويعلم ما يصلحها، وما يصلح لها، فغرس فيها مراقبته سبحانه وتعالى والخوف منه، وعالج فطرتها، فملاً فراغها باهتمامات كبيرة؛ حتى صار هم الصحابة إخراج الناس من جاهليتهم إلى نور الإسلام، فلم يعد لديهم فراغ لمعاقرة الخمر، ولا حاجة إلى نشوة السكر والخمر كما يرى الدكتور الحجى رحمه الله^(٢).

وما قاله الدكتور الحجى من كون التزام المسلمين بمنهج الله تعالى وشريعته أمرًا ذاتيًا يقوم به المسلم الذي يراقب ربه هو منزلة الإحسان التي أخبر عنها النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام: ما الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٣).

إن امتثال الصحابة الكرام ﷺ في الانتهاء عن تناول الخمر بهذا الشكل القوي معجزة من معجزات الإسلام؛ إذ استجابوا بشكل كامل وجماعي، وأراقوا ما لديهم منه، ولم يؤجلوا، ولم

(١) انظر: الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٣٠-٢٣١).

(٢) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٦٦-٢٦٧).

(٣) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، رقم (٥٠)، (١٩/١)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم (٩٥)، (٣٩/١).

يبعوا ما لديهم منه لغيرهم حتى لغير المسلمين، بل لم يعطوه لأحد، فما أن سمعوا بالخبر حتى نَقَدُوهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْسِرُوا، حتى قالوا: "انتهينا يارب" كما ذكر الدكتور الحجى رحمته الله (١).

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: "حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] إلى آخر الآية، فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وكانوا يشربون الخمر، حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين، أم أصحابه في المغرب خلط في قراءته، فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مُفِيقٌ، ثم أُنزِلَتْ آية أغلظ من ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] فقالوا: انتهينا ربنا" (٢).

ويقول الدكتور الحجى: "وانتهى المسلمون كافة، وأريقت زقاق الخمر، وكسرت دنائها في كل مكان، كل ذلك بمجرد سماع الأمر، انتهى المسلمون كافة، مَجَّ الَّذِينَ كَانَتْ فِي أَفْوَاهِهِمْ جِرَعَاتٌ مِنَ الْخَمْرِ مَا فِي أَفْوَاهِهِمْ حِينَ سَمِعُوا الْأَمْرَ، لَمْ يَبْلَعُوهَا وَهِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَهُمْ شَارِبُونَ، وَلَمْ يَتَمَّ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ سَيْطَرَةِ الدَّوْلَةِ وَتَقْنِيَاتِهَا وَإِشْرَافِهَا وَرِقَابَتِهَا، بَلْ تَمَّ بِسُلْطَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَلَا مَا أَعْظَمَهُ مِنْ سُلْطَانِ جَدِّ بَلِيغٍ" (٣).

(١) انظر: السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ٢٧١).

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٨٦٢٠)، (٢٦٧/١٤-٢٦٨)، وَحَسَّنَ مُحَقِّقُو الْمَسْنَدِ هَذَا الْحَدِيثَ لِغَيْرِهِ.

(٣) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبدالرحمن الحجى (ص ٢٦٩).

ويقول الدكتور الحجى رحمه الله: "المنهج الرباني مفخرة الحياة الإنسانية، ونوعية حضارتها الفاضلة الكريمة التي تُحوّل هذه التعاليم الإلهية إلى واقع علمي تُبقيها حيةً متألّفةً ووضاءةً، يتعلم منها المسلمون ديناً، وينتفع بها غيرهم أخلاقاً وسلوكاً واعجاباً، يعرفونه من خلال سلوك المسلمين واقعاً مُعاشاً مثلما اليوم وقبله من معرفة تاريخه المجيد الفريد"^(١).

ثانياً: الحرص على الشورى وعدم الاستبداد بالرأى:

تعد الشورى من الصفات التي تميزت بها الشخصية المسلمة، وقد أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة المسلمين؛ فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].؛ لذلك كان النبي ﷺ يُكثِرُ من مشاورة أصحابه في قضايا الحرب والسلم، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ"^(٢).

ومن الأمثلة التي ذكرها الدكتور الحجى رحمه الله على تطبيق الشورى في حياة المسلمين

ما يأتي:

١- يوم بدر:

ذكر الدكتور الحجى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استشار الصحابة الكرام يوم بدر، وكان يقصد الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة الكبرى على أنهم يحمونه، وينصرونه داخل المدينة فأجابه سعد بن معاذ بقوله الإيماني الذي جعل الرسول ﷺ يستبشر بذلك مُظهِراً به وعد الله ﷻ الذي أرادته^(٣).

(١) الإشارات والبشارات النبوية ، عبدالرحمن الحجى(ص ٢١٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب المواعدة والمهادنة، ذكر ما يستحب للإمام استعمال المهادنة بينه وبين أعداء الله إذا رأى بالمسلمين ضعفاً يعجزون عنه، رقم (٤٨٧٢)، (١١/ ٢١٦-٢١٧).

(٣) انظر: الإشارات والبشارات النبوية ، عبدالرحمن الحجى(ص ١٦٣).

الملك: ٨٦-٩٦هـ = ٧٠٥-٧١٥م) قبل اتصالاته بـ (يوليان) أو اتصال هذا الأخير بموسى، لقد ترددت الخلافة بادئ الأمر بالقيام بمثل هذا العمل الكبير؛ خوفاً على المسلمين من المخاطرة في مفاوز، أو إيقاعهم في مهالك، لكن موسى أقنع الخليفة الوليد بالأمر، ثم تمّ الاتفاق على أن يسبق الفتح اختبار المكان بالسرايا أو الحملات الاستطلاعية^(١).

وقد ذكر ابن الأثير أمر (يوليان) ودعوته موسى بن نصير لفتح الأندلس ثم قال: "فكتب موسى إلى الوليد بما فتح الله عليه، وما دعاه إليه (يوليان)، فكتب إليه الوليد: حُضَّهَا بالسرايا، ولا تُعَزِّرْ بالمسلمين في بحر شديد الأهوال، فكتب إليه موسى: إنه ليس ببحر متسع، وإنما هو خليج يَبِينُ - يظهر - ما وراءه، فكتب إليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وإن كان الأمر على ما حكيت"^(٢).

ثالثاً: العدل والإنصاف:

إن مما تتميز به الشخصية المسلمة العدل والإنصاف، ولقد طُبِّقَ تطبيقاً رائعاً في الصدر الأول من الإسلام، وفي كل مراحل التاريخ الإسلامي التي التزم أهلها بتعليمات الإسلام وأخلاقه، وقد ذكر الدكتور الحجى رحمه الله بعض الأمثلة التي تبرز صفة العدل والإنصاف عند المسلمين على النحو الآتي:

١- عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإنصافه لليهودي الذي رآه يتسول:

ذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن من الأمثلة التي تدل على عدل المسلمين وإنصافهم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى يوماً يهودياً يتسول، فسأله عن سبب فعله هذا، فقال له اليهودي: السن والحاجة والجزية، فقاده عمر إلى داره وقضى حاجته لوقته، ثم قال

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٠).

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣٩/٤).

لخازن بيت المال: "انظر هذا وضرباءه؛ فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم"، وقد تعجب الدكتور الحجري رحمه الله من المستوى الأخلاقي الرفيع الذي صنعه الإسلام بأهله، فعلى الرغم مما كان من اليهود من مواقف عدائية وغدر وحرب ضد الإسلام إلا أن ذلك لا يحول بين تحقيق العدل والحق؛ فقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨] (١).

وما ذكره الدكتور الحجري رحمه الله عن عمر مع اليهودي رواه القاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة في كتابه (الخراج) عن أبي بكره قال: "مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ (٢) له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه؛ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم"، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه (٣).

٢- إنصاف شريح القاضي نصرانياً على الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام:

من الأمثلة التي ذكرها الدكتور الحجري على عدل المسلمين وإنصافهم أن الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام افتقد درعه يوماً ما، ووجدها عند رجل نصراني، فاختصمه إلى شريح القاضي، فقال عليٌّ مُدْعِيًا: الدرع درعي، ولم أبع، ولم أهب، فسأل شريح النصراني في ذلك

(١) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجري (ص ٨٢).

(٢) الرضخ: العطية القليلة، انظر: لسان العرب، ابن منظور (١٩/٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الراء، باب الراء مع الضاد، (٢٢٨/٢).

(٣) الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، (ص ١٣٩).

فقال: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذبٍ، فالتفت القاضي إلى أمير المؤمنين عليّ فقال: يا أمير المؤمنين، إن النصراني صاحب اليد على الدرع، وله بذلك حقُّ ظاهر عليها، فهل لديك بَيِّنَةٌ على خلاف ذلك تؤيد ما تقول؟ فقال أمير المؤمنين: أصاب شريحٌ، ما لي بينة، فقضى شريحٌ بالدرع للنصراني، فأخذ النصرانيُّ الدرعَ وانصرف بضع خطوات ثم عاد فقال: أمّا إني أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه، فيقضي لي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق، فقال علي: أما وقد أسلمتَ فهي لك كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(١).

والقصة التي ذكرها الدكتور الحجى رحمه الله رويت مسندة، وقد ضعفها غير واحد من العلماء^(٢).

٣- الإنصاف مع أهل القسطنطينية بعد فتحها:

ذكر الدكتور الحجى رحمه الله أن المسلمين لما فتحوا القسطنطينية بقيادة مُحمَّد الفاتح عاملوا أهلها بالتسامح والعفو والإنصاف، حتى إن أهلها من النصارى لم يكونوا يتوقعون هذه المعاملة من المسلمين، وكانوا ينتظرون أن يثار المسلمون منهم، فلما رأوا هذه المعاملة الحسنة من

(١) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبدالرحمن الحجى (ص ٨٣).

(٢) أخرج هذه القصة وكيع القاضي في أخبار القضاة، ترجمة القاضي شريح بن الحارث الكندي، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغى، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط (١) ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م، (٢٠٠/٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ترجمة القاضي شريح بن الحارث الكندي، الناشر: مطبعة السعادة، مصر، عام: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، (٤/١٤٠-١٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب إنصاف الخصمين، رقم (٢٠٤٦٥)، (١٠/٢٣٠-٢٣١)، وَضَعَفَهُ.

وقد ضَعَفَ هذه القصة غير واحد من العلماء، ومنهم من اتهم بعض رواةها بالكذب، انظر: البدر المنير، لابن الملقن (٥٩٦/٩-٥٩٩).

المسلمين في وقت الغلبة والقوة أعادوا النظر في موقفهم من الإسلام، ودخل الكثير منهم فيه رغبة وطواعية بحبٍ وإخلاص^(١).

رابعاً: الوفاء بالعهود والمواثيق:

عندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة كانت اليهود هي القوة المسيطرة عليها، وكان الأوس والخزرج يلجأون إلى اليهود ويحالفونهم، وقد عقد معهم الرسول ﷺ بعض المعاهدات التي تُؤمّن لهم الحياة الكريمة في ظل الدولة الإسلامية، لكن طبيعة اليهود الغدر والخيانة وعدم الوفاء، فنقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ، وقد أشار القرآن الكريم إلى طبيعة اليهود مع العهود فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]، والعهد هنا ما عقده رسول الله ﷺ مع اليهود من عهود ومواثيق بألا يجاربه، ولا يعاونوا عليه^(٢)، وعلى الرغم من كل ما جاء في المعاهدة ووفاء الرسول ﷺ بالعهود فقد نقضوها تماماً، وحرصوا على المسلمين، ونالوا منهم بكل سبيل كما بيّن الدكتور الحجى ﷺ^(٣).

أما المسلمون فقد اهتموا بالعهود والمواثيق، والتزموا بها، والوفاء بهذه العهود جزء من العقيدة الإسلامية، وقد أشار الدكتور الحجى ﷺ إلى ما حدث في صلح الحديبية الذي كان من المعاهدات التي جرت بين المسلمين ومشركي مكة الذين كانت مكة في قبضتهم بزعامة قريش، وقد التزم المسلمون ببنوده كلها^(٤).

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن سهيل بن عمرو جاء النبي ﷺ فقال: "ها، اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

(١) انظر: أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجى (ص ٨٣-٨٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/٦٩).

(٣) انظر: دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى (ص ١٣٢).

(٤) انظر: جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٤).

قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه مُحَمَّد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: مُحَمَّد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله، إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب مُحَمَّد بن عبد الله» - قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها» - فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله، لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُعْطَةَ (١)، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا مُحَمَّد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرُدُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُدِّبَ عذاباً شديداً في الله، فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فَلِمَ نعطي الدنيا (٢) في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول

(١) أي: قهراً، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الضاد، باب الضاء مع الغين، (٩٠/٣)، وفتح الباري، ابن حجر (٣٤٣/٥).

(٢) أي: الخصلة المدمومة الحقيرة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الدال، باب الدال مع النون، (١٣٧/٢)، وفتح الباري، ابن حجر (١١٧/١).

الله، ولست أعصيه، وهو نصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(١).

فكان من ضمن البنود: أنه من أتى محمدًا ﷺ من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد ﷺ لم يردوه عليه^(٢).

وقبل الانتهاء من كتابة العهد ألقى أبو جندل ابن كبير مفاوضي قريش سهيل بن عمرو بنفسه أمام الرسول الكريم ﷺ وصحابته يرسف قيوده، وكان مسلماً مستضعفاً، لم يستطع الهجرة؛ فقد حبسه أبوه، وقيدته في البيت، يلقي ألوان العذاب، فوجد في غياب أبيه فرصة للالتحاق بالمسلمين، لكن الرسول ﷺ رده على أبيه قائلاً: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب؛ فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، (١٩٥/٣-١٩٦).

(٢) انظر: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى بن راشد العازمي (٣/٣٢٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٢/٣١٨).

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (١٨٩١٠)، (٢١٢/٣١-٢٢٠)، وحسن إسناده محققو المسند.

يقول الدكتور الحجي رحمه الله: "لم يكن العالم يعرف أو يفهم قبل الإسلام وخارجه على الدوام الخلق العالي وحسن التعامل في السلم والحرب، غير بقايا من أديان الله السابقة متناثرة مُشَوَّهة في أكثرها، فجاء بها الإسلام قولاً وفعلاً، التزم بذلك المسلمون التزاماً مثاليّاً، علا كل اعتبار، وسما فوق كافة النوازع النفسية، قَدَّمَهُ المسلمون في كل مكان وزمان، وهم أولى بالقدوة لغيرهم في وقت غدا الاعتداء والنهب وقتل المغلوب لدى الكثير قبل مجيء النور وخارج عالمه بَعْدَهُ دستوراً مُعْتَرَفاً به، حتى بعدما رأوا مُثُلَ الخير العملية لم يزداهم ذلك إلا افتراساً وانتهاباً ووحشيةً وَجُبْنًا وَصَعَارًا"^(١).

والتاريخ الإسلامي مليء بنماذج مشرفة مشرقة، التزم أصحابها بمنهج الله تعالى، واقتدوا برسوله صلوات الله عليه فقد أمضى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهداً غير مكتوب أبرمه جنديّ مدينة في العراق أيام فتوحاته، وفعل هذا في الشام في مدينة مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، حتى إن أهلها فَضَّلُوا المسلمين وحكمهم على حكم أهل ملتهم، وافتتح المسلمون سمرقند^(٢)، وكانت بينهم وبين أهلها معاهدة، فلما أراد القائد المسلم إجراء تعديلاتٍ فيها رفض أهلها

(١) جوانب من الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن الحجي (ص ١٢).

(٢) سمرقند: بفتح السين والميم، ويقال لها بالعربية (سمران)، وهي بلد معروف مشهور، قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وقيل: بناها شمر أبو كرب؛ فسميت شمر كنت، فأعربت فقيل: سمرقند، لما ولي سعيد بن عثمان خراسان في سنة (٥٥٥هـ) زمن معاوية رضي الله عنه عبر النهر، ونزل على سمرقند محاصراً لها، وحلف لا يبرح حتى يدخل المدينة، ويرمي القهндز بججر أو يعطوه رهناً من أولاد عظمائهم، فدخل المدينة، ورمى القهندز بججر فثبت فيه؛ فتطير أهلها بذلك، وقالوا: ثبت فيها ملك العرب، وأخذ رهاقهم، وانصرف، فلما كانت سنة (٨٧هـ) عبر قتيبة بن مسلم النهر، وغزا بخارى والشاش، ونزل على سمرقند، وهي غزوته الأولى، ثم غزا ما وراء النهر عدة غزوات في سنين سبع، وصالح أهلها على أن له ما في بيوت النيران وحلية الأصنام، فأُخْرِجَتْ إليه الأصنام فسلم حليها، وأمر بتحريقها، فقال سدنتها: إن فيها أصناماً من أحرقتها هلك، فقال قتيبة: أنا أحرقتها بيدي، وأخذ شعلة نار وأضرمتها فاضطربت، فوجد بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب خمسين ألف مثقال، وقالوا: ليس في الأرض مدينة أتزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند، ينظر: معجم البلدان، للحموي (٢٤٦/٣-٢٤٨).

ذلك، وأرسلوا وفدًا إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عيّن قاضيًا للنظر في الموضوع، فما كان من القاضي إلا أن أصدر أمرًا للقائد العسكري المسلم بالخروج من البلد، وإعادة الحال إلى وضعه السابق الذي كان عليه أولاً؛ مما جعل أهل البلد يتعجبون ويعجبون بهذا العدل الذي ما سمعوا بمثله، فضلًا عن أن يروه؛ لذلك دخلوا فرحين في دين الله أفواجًا، وعَدَا البلد مسلمًا كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (١).

وقد اتصف المسلمون بهذه الصفة وهم في موقف القوة والقدرة، ومن ذلك أن الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله عَقَدَ معاهدةً مع بعض دول إسبانيا النصرانية التي نقضت المعاهدة، واعتدوا على حدود الدولة الإسلامية في الأندلس، فجهز الخليفة جيشًا قاده بنفسه إلى الشمال؛ لمواجهة هذه التحرشات، ولما رأوا هذه القوة ومدى إصرار الخليفة فَضَّلُوا العودة إلى المعاهدة، فاكتفى الناصر بذلك كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٢).

خامسًا: بناء معمرة:

إن الشخصية الإسلامية شخصية تسعى إلى إعمار الأرض لا الخراب والتدمير، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

قال ابن كثير في تفسيره: "أي: جعلكم عُمَّارًا، تعمرونها، وتستغلونها" (٣).

والعقيدة الإسلامية أكسبت المسلم الحرص على العمل والإنتاج والعمران، وهذا ما يؤكد الدكتور الحجى رحمه الله بقوله: "وهذه العقيدة الإسلامية هي التي أنتجت حضارة

(١) انظر: الإشارات والبشارات النبوية، عبد الرحمن الحجى (ص ٢١٧-٢١٨).

(٢) انظر: جوانب من الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن الحجى (ص ١٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/٢٨٦).

الإسلام الرائعة، والتي بنيت على شريعته، وعمل فيها ولها مجتمع عاش بالإسلام وله، ومنه أخذ كل تعاليمه" (١).

وقد حثَّ الإسلامُ المسلمين على الازدهار والتعمير والنهضة وإعمار الأرض في جميع النواحي والمجالات؛ فالإعمار غريزة أودعها الله في البشر؛ لتكون رائدة العمل، وباعثة الأمل في نشر العمران وتثبيت دعائم الحضرة، وليس أدل على ذلك من الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها» (٢).

يقول الدكتور الحجى رحمه الله: "يوم انطلق المسلمون يحملون الدعوة إلى كل مكان ما كانوا يملكون من هذه الأمور شيئاً، لكنهم بسرعة مذهلة، وَهَيْمَةً عاليةً تعلموا وعلموا، أقاموا كل لون من الهندسة المعمارية وغيرها؛ لأنهم أولاً عَمَّوْا نفوسهم وحياتهم بالإسلام، ابتنوها بشرع الله، أقاموها على كتاب الله تعالى، بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٣).

وقد أنشأ المسلمون العمارات والمنارات على أحسن مثال بمنتهى الجمال فناً وقوةً وبراعةً، وامتازت العمارة الإسلامية التي لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم بكونها قمةً في الهندسة المعمارية، وهذه الآثار تنم عن رقي هذا الفن في الأندلس كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله (٤).

(١) أضواء على الحضارة والتراث، عبدالرحمن الحجى (ص ١٧٣-١٧٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (١٢٩٠٢)، (٢٥١/٢٠)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم".

(٣) أندلسيات (ص ٢٢٢).

(٤) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبدالرحمن الحجى (ص ٥٦-٥٧).

سادساً: الإفادة من علوم السابقين وتطويرها:

لم يحرم الإسلام الإفادة من خبرات الأمم السابقة ما لم تتعارض مع الشريعة الإسلامية؛ لذا أفاد الرسول ﷺ من علوم الفرس بحفر الخندق في غزوة الأحزاب بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه كما سبق.

ولقد أفاد المسلمون مما لدى الأمم الأخرى التي سبقتها، لكنهم المسلمين زادوا على ما اقتبسوه مما كان نافعا، وأضافوا إليه مبتكرات جديدة لم يدركها الآخرون^(١).

ويرى الدكتور الحجى رحمه الله أنه لم يعتمد المسلمون على النقل فقط، بل أبدعوا وابتكروا وأضافوا؛ لذلك لم يكن فضل المسلمين على الغرب مجرد نقل تراث اليونان وغيرهم بأمانة، ولولاهم لربما ضاع هذا التراث أو تشوّه، بل قدّم علماء المسلمين الإنجازات الكثيرة في مختلف الميادين، وحلّفوا ثروة حضارية كبيرة في الأندلس، وجادوا بأشياء حديثة، بعضها لا يزال معمولاً به حتى اليوم كما سبق^(٢).

ويدل على ذلك النظر في إنتاج المسلمين العلمي والعملية والإنساني في الحضارة الإسلامية التي شادها بمنهج الإسلام، وهذا مما يثير الدهشة والإعجاب؛ لشموله وكميته ونوعيته أصالةً في العلم، وعمقاً في التفكير، ودقةً في الفهم، وكثرةً في التأليف، وشمولاً للنظرة والمعرفة والفكرة^(٣). وقد كانت الأندلس أحد معابر حضارة الإسلام الى أوروبا، وعلى أساس منه قامت حضارة اليوم كما ذكر الدكتور الحجى رحمه الله^(٤).

(١) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٦٤).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في الأندلس، عبد الرحمن الحجى (ص ٥٨).

(٣) انظر: دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى (ص ٢٩).

(٤) انظر: أندلسيات، عبد الرحمن الحجى (ص ٤٩٦).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه وتعالى على توفيقه وامتنانه ببلوغ خاتمة هذا البحث حول شخصية علمية ثقافية فذة، هو الدكتور عبد الرحمن علي الحجى رحمه الله، وإنني أرجو أن أكون قد أوضحت جهوده، وأبرزت آراءه الثقافية، وبينت إسهامه في خدمة الثقافة الإسلامية، وبعد هذه الرحلة الطيبة في صحبة هذا المفكر الفذ توصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: أبرز النتائج:

- ١- أن لدراسة المفكرين والأعلام أثراً كبيراً في ثقافة الفرد والمجتمع، فهي مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، كما أن لها الأثر في العظیم صناعة القدوات الحسنة التي يقتدي بها أفراد المجتمع المسلم.
- ٢- أن النسبة إلى (الحجى) في آخر اسم الدكتور ليست نسبة نسب وقرابة، بل هو لقب يعود إلى رحلة الحج التي قام به جده؛ فلقتب العائلة بالحجى.
- ٣- استخدم الدكتور الحجى رحمه الله جميع الوسائل في سبيل خدمة الثقافة الإسلامية؛ كالتأليف، ونشر المقالات الدورية، والرحلات العلمية، ولقاءات الإذاعة والتلفاز.
- ٤- خدم الدكتور الحجى الثقافة الإسلامية بالاهتمام بمصدرها الأساسيين: الكتاب والسنة، وناضل في الدفاع عنها، وإنه لم يأل جهداً في خدمة كتاب ربه عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد كان يبرهن ويؤكد دائماً على كون القرآن كلام الله المعجز الذي تعددت وجوه إعجازه، وأنه آخر الكتب السماوية إلى أهل الأرض؛ لذلك تكفل الله

- بحفظه، وأن من وجوه إعجازه ما تضمنه من معجزات، وما حواه من أمور علمية، وما جاء فيه من إعجاز في التشريع، وإخبار عن الغيب.
- ٥- جهود الدكتور الحجي رحمه الله في خدمة السيرة النبوية واضحة جدًّا؛ فقد أرخ حياة النبي ﷺ منذ ولادته إلى التحاقه بالرفيق الأعلى.
- ٦- بيّن الدكتور الحجي رحمه الله عوار مناهج التفسير في دراسة التاريخ عمومًا، ووضّح مواطن الخلل فيها، وبيّن مصادمتها للإنسانية في العموم.
- ٧- يرى الدكتور الحجي رحمه الله أن النظرة القومية متناقضة مع التاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ الإسلامي ليس تاريخًا قوميًّا؛ فقد أسهم في أحداثه الكبيرة رجالٌ من مختلف القوميات.
- ٨- كان للدكتور الحجي جهودٌ بارزةٌ في بيان التفسير الإسلامي للتاريخ؛ فذكر مصادر التاريخ الإسلامي، وبيّن كيفية فهم التاريخ، وكشف وسائل الأعداء في دراسة التاريخ الإسلامي، ورأى أن التاريخ الإسلامي هو التاريخ التطبيقي للشريعة الإسلامية كلها، وأن دراسته دراسةٌ للإسلام من الناحية التطبيقية؛ لذلك كانت المصادر الشرعية من قرآن وسنة من مصادر التاريخ الإسلامي.
- ٩- أسهم الدكتور الحجي رحمه الله في نقد آراء المستشرقين، وكشف زيفها، ورَدَّ عليها.
- ١٠- يرى الدكتور الحجي أن التاريخ الإسلامي مرتبط بالعبقيرة الإسلامية من حيث الدافع والتأثر، ومن حيث المحرك والصبغة الدائمة.
- ١١- نجح الفاتحون المسلمون في نشر دينهم ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم بين سكان الأندلس، وقد تأثر بحضارتهم مَنْ بقوا على دينهم.
- ١٢- من جهود الدكتور الحجي بيان الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، وأهمها أنها حضارة إيمانية.

- ١٣- أوضح الدكتور الحجى رحمه الله كيف نجح المسلمون في الأندلس في صناعة حضارة متميزة متفوقة في شتى المجالات، وذكر أن هذه الحضارة كان لها أكبر الأثر في النهضة الأوروبية.
- ١٤- ركز الدكتور الحجى رحمه الله على أن الحضارة الإسلامية في الأندلس جمعت بين التقدم الحضاري المادي بمختلف جوانبه والقيم النابعة من عقيدتهم الإسلامية السمحة.
- ١٥- بين الدكتور الحجى رحمه الله أن العمران والرقي الحضاري بلغ في الأندلس في العهد الإسلامي مبلغًا لم تبلغه دولة أخرى، وقد غدت قرطبة في عهد المسلمين جوهرة العالم.

ثانياً: التوصيات:

- ١- الإفادة من سيرة الدكتور عبد الرحمن الحجى رحمه الله وشخصيته العلمية والعملية؛ لكونه مفكرًا ومثقفًا غيورًا على دينه وأمته وتاريخها.
- ٢- دراسة السيرة النبوية من منظور الدكتور عبد الرحمن الحجى.
- ٣- طباعة كتب الدكتور الحجى رحمه الله التي لم تظهر إلى النور بعد، وتزويد المكتبة الإسلامية بها، ومنها إعجاز القرآن والنبوة، والنموذج في تطبيق الشريعة الإسلامية، التاريخ الإسلامي : آفاق الحضارية وموازنة الإنسانية. والاندلس تاريخاً وحضارة، الفتح الإسلامي للأندلس، الدبلوماسية النبأها، الهجرة النبوية وثمارها.
- ٤- عمل المشروعات التي اقترحها الدكتور الحجى رحمه الله من قِبَلِ المختصين وأهل العلم والإفادة منها، ومنها مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، إنشاء مجلة علمية محكمة لنشر الدراسات التاريخية.

٥- إتاحة كتب الدكتور الحجي رحمه الله ومجوثه ومقالاته على الشبكة العنكبوتية؛ ليفيد منها الباحثون وأهل العلم وعموم المسلمين.

٦- دراسة دور المرأة المسلمة التاريخي في تراث عبدالرحمن الحجي .

٧- دراسة العلاقات الدبلوماسية الاندلسية مع أوروبا الغربية من منظور الدكتور عبدالرحمن الحجي .

هذا ما استطعت الوقوف عليه وإبرازه، فإن كان صواباً فمن الله وحده عز وجل، وإن كان فيه خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه.

والله أسأل أن يرحم الدكتور عبد الرحمن الحجي، وأن يغفر له، وأن يثقل ميزانه بما قدم من جهد ووقت في خدمة الإسلام، وأن يتقبل سعيه، وينفع به الإسلام والمسلمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿[الصفات: ١٨٠-١٨٢].﴾

الملاحقات

إفادة بصحة ما جمع في السيرة الذاتية

إفادة

اطلعتُ على الترجمة التي جمعتها الباحثة/ عزة مبارك الزهراني عن والدي الدكتور عبدالرحمن الحجّي (رحمه الله) في رسالتها لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بالسعودية، وهي بعنوان (الدكتور عبد الرحمن علي الحجّي وجهوده في الثقافة الإسلامية: دراسة تحليلية).

وقد جاءت الترجمة للوالد (رحمه الله) في الفصل الأول من هذه الرسالة، وتحدثت فيه الباحثة عن حياته الشخصية والعلمية والعملية، وقد اطلعت على ما كتبت الباحثة وجمعت من سيرة الوالد من المصادر التي أمكنها الوقوف عليها والوصول إليها، وأشهد أن المعلومات الواردة في هذا الفصل صحيحة، وقد أعطيت الباحثة هذه الإفادة بناء على طلبها؛ لتضمها إلى ملاحق الرسالة.

وقد حررت هذه الإفادة بتاريخ 2 ذو القعدة 1444 هـ، الموافق 2023/5/22م.

والله ولي التوفيق.



أحمد عبدالرحمن الحجّي
ابن الراحل عبدالرحمن الحجّي والمهتم بترائه

شهادة ميلاد الدكتور عبد الرحمن الحجي

وزارة الشؤون الاجتماعية
مدينة النقص العامة
أحصاء بوجوب التائق رقم ٥٦ لسنة ١١٥٥ للهجرة

اسم الدكتور رقم ١٥٦٥
الا
اسم الاب والجد
اسم الام والجد
رقم سجل النقص العام
سجل الاقامة الامتدادية

مكان الميلاد
الابواب السكنية

العلاقات العائلية الثابتة
رقم السكن والسكنة والشمار
نوع السكن

الجنسية
الديانة
الخدمة او المرفة
محل بقاء بكتابة
والسكن السكنية

تاريخ الولادة (عام الم)
اسم الم
السن
رقم التائق
رقم التائق
رقم التائق
رقم التائق

التعليمات
رقم التائق
التاريخ
عدد الاولاد عند فتح دفتر
اسم الزوج
اسم الزوج الكامل
أولاد

مادة ٢/٢٢

اسم عبد الرحمن
١٩٧٧/٥/٤٨

شهادة الجنسية العراقية للدكتور الحجي

رقم الملف: ٢٠٠٧٧٧

المملكة العراقية

شهادة الجنسية العراقية

بناءً على تحقق اكتساب عبد الرحمن علي الحجي الجنسية العراقية بموجب موثوقه الشخصية وأوصائه في اثناء الجنسية العراقية وفق المادة ١٨ من قانون الجنسية العراقية لسنة ١٩٧٤ وتعديلاته تشييداً بأنه عراقى الجنسية وقد منحته شهادته في بغداد في اليوم الثالث عشر من شهر آب سنة ١٩٤٥

التوقيع
مدير مصلحة الأحوال المدنية

أوصاف حامل الشهادة

الطول ١ متر ٥٠ سنتمتر

لون العينين سوادان

شكل الأنف مستدق

وصف القم متوسط

لون الشعر احمر

وصف اللحية /

وصف الشارب /

وصف الوجه صمدور

لون الوجه احمر

العلامات الفارقة بيضاء

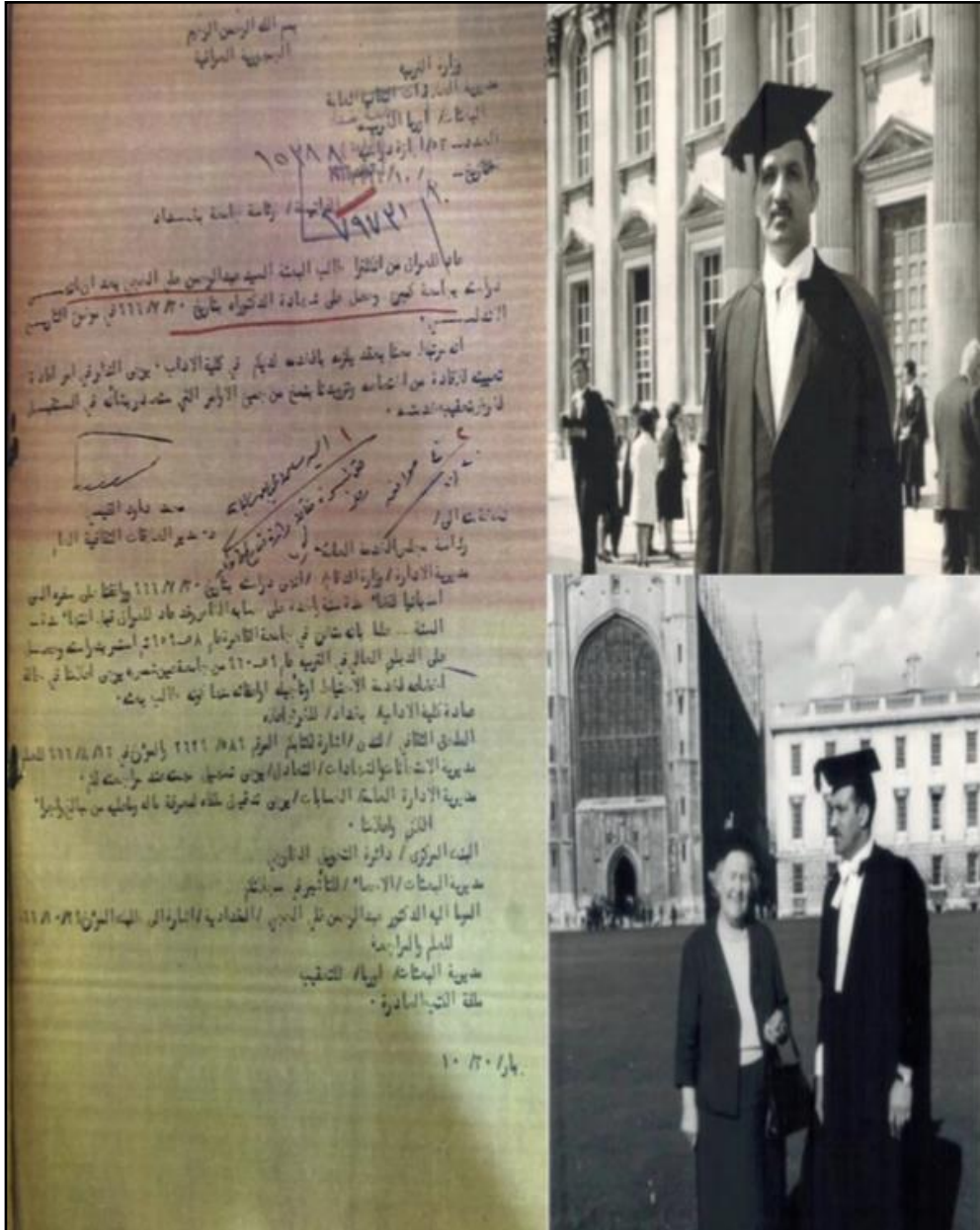
٢٠٠٧/١٩
نقوداً بائناً سنة
أتمنونه لها

صورة الشخصية

بصمة إبهام اليد اليسرى

مدير مصلحة الأحوال المدنية

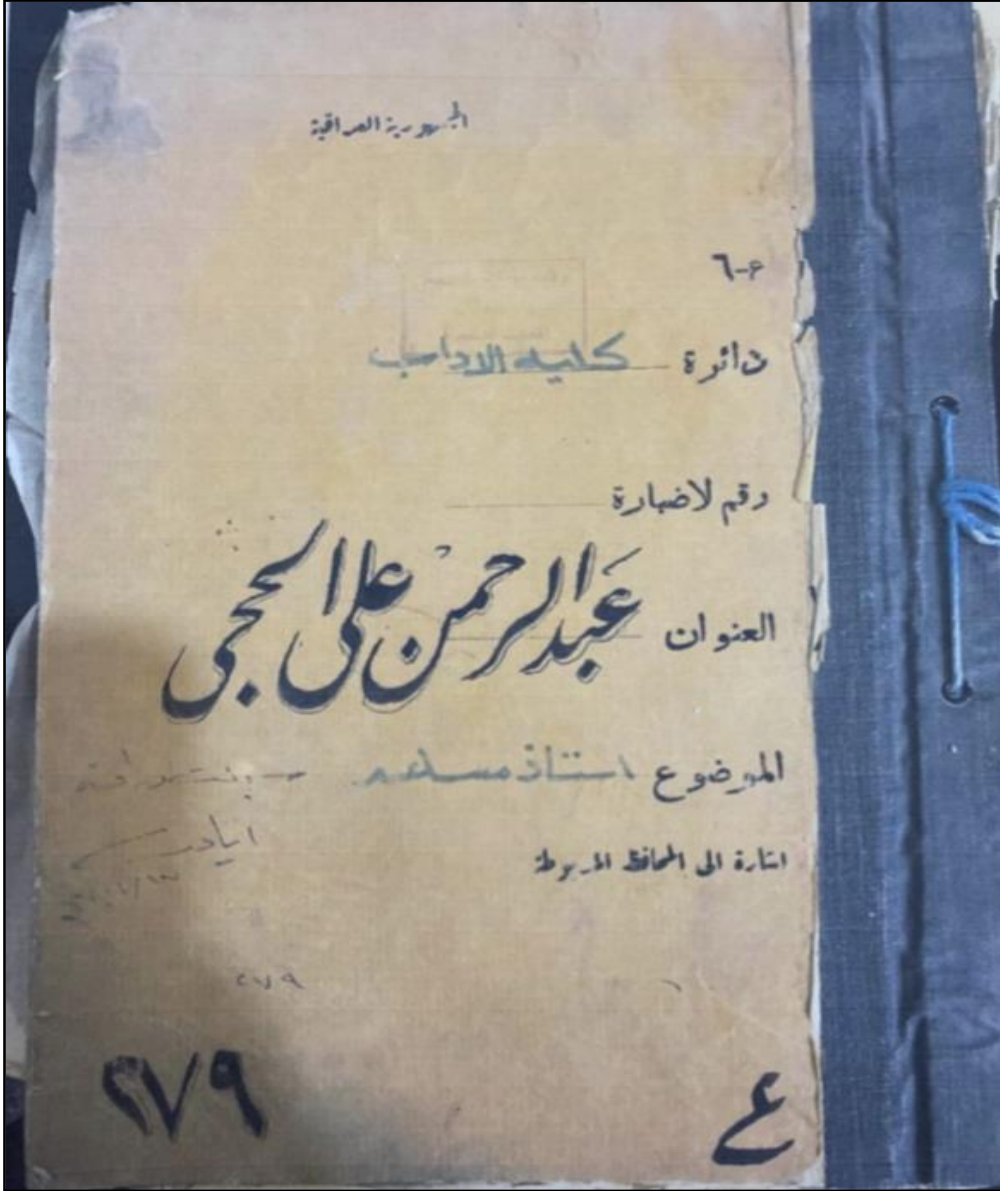
حصوله على الدكتوراه



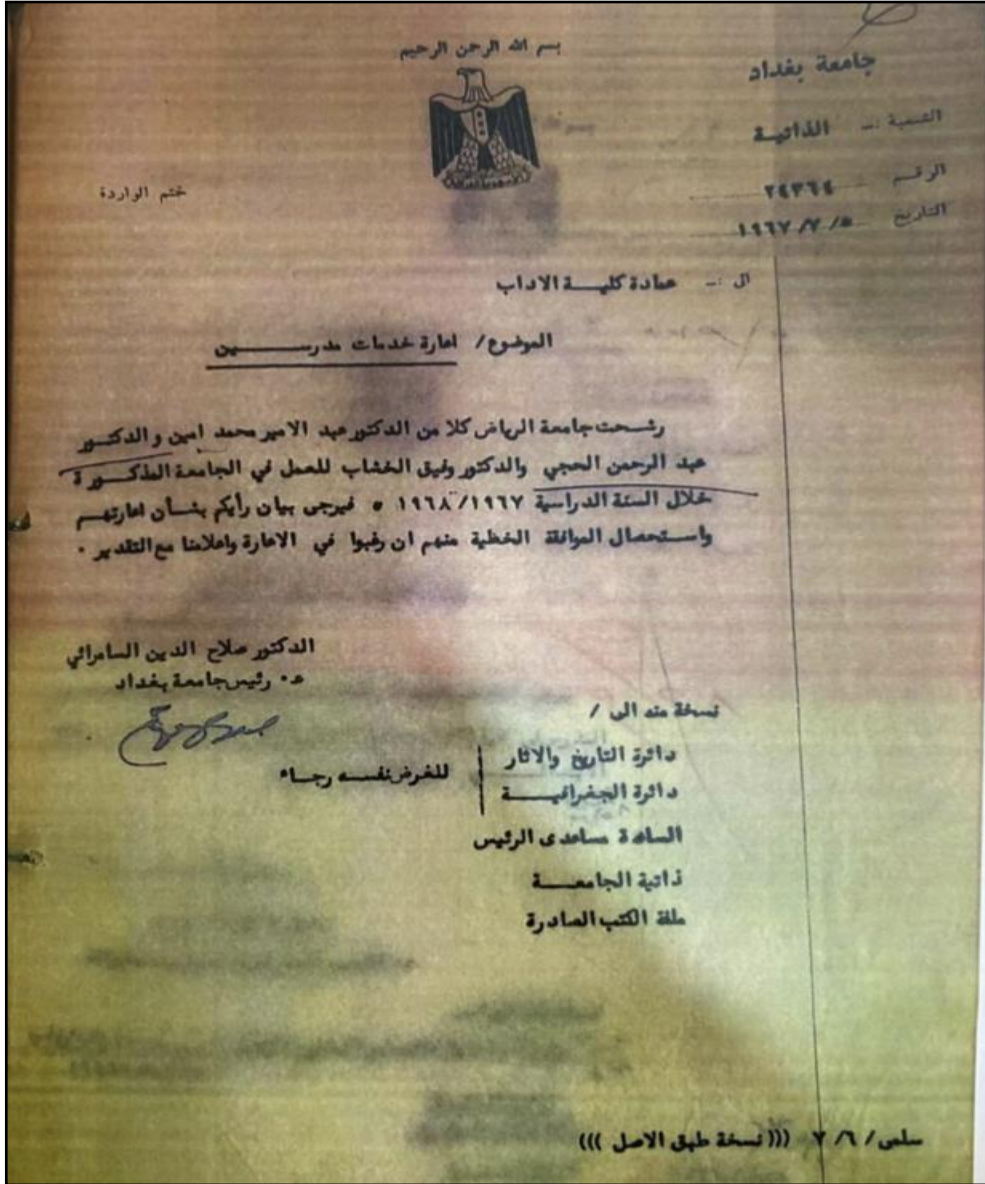
شهادة دار المعلمين



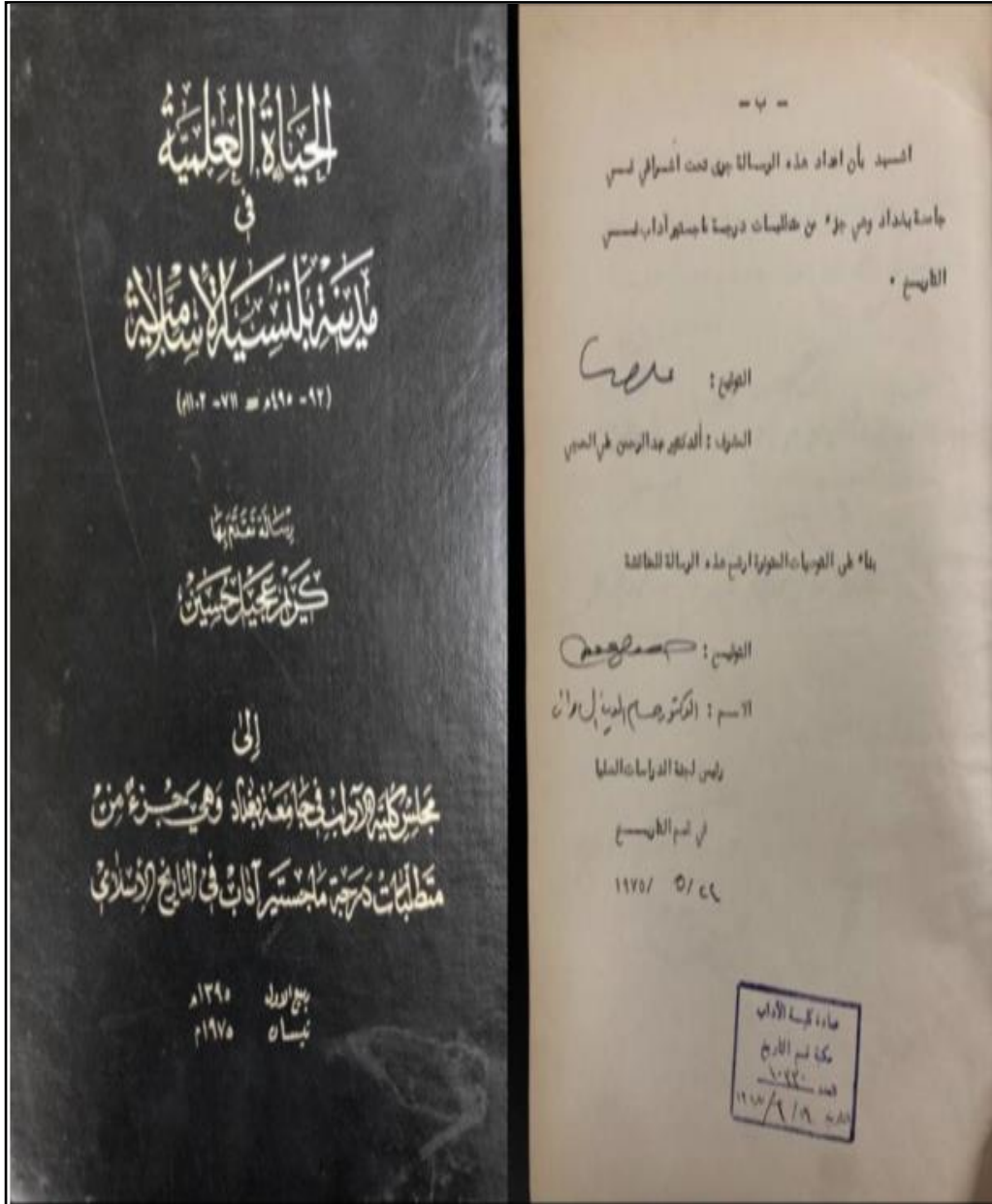
ممارسة التعليم في كلية الآداب في العراق



عمله في الرياض



إشرافه على رسالة علمية

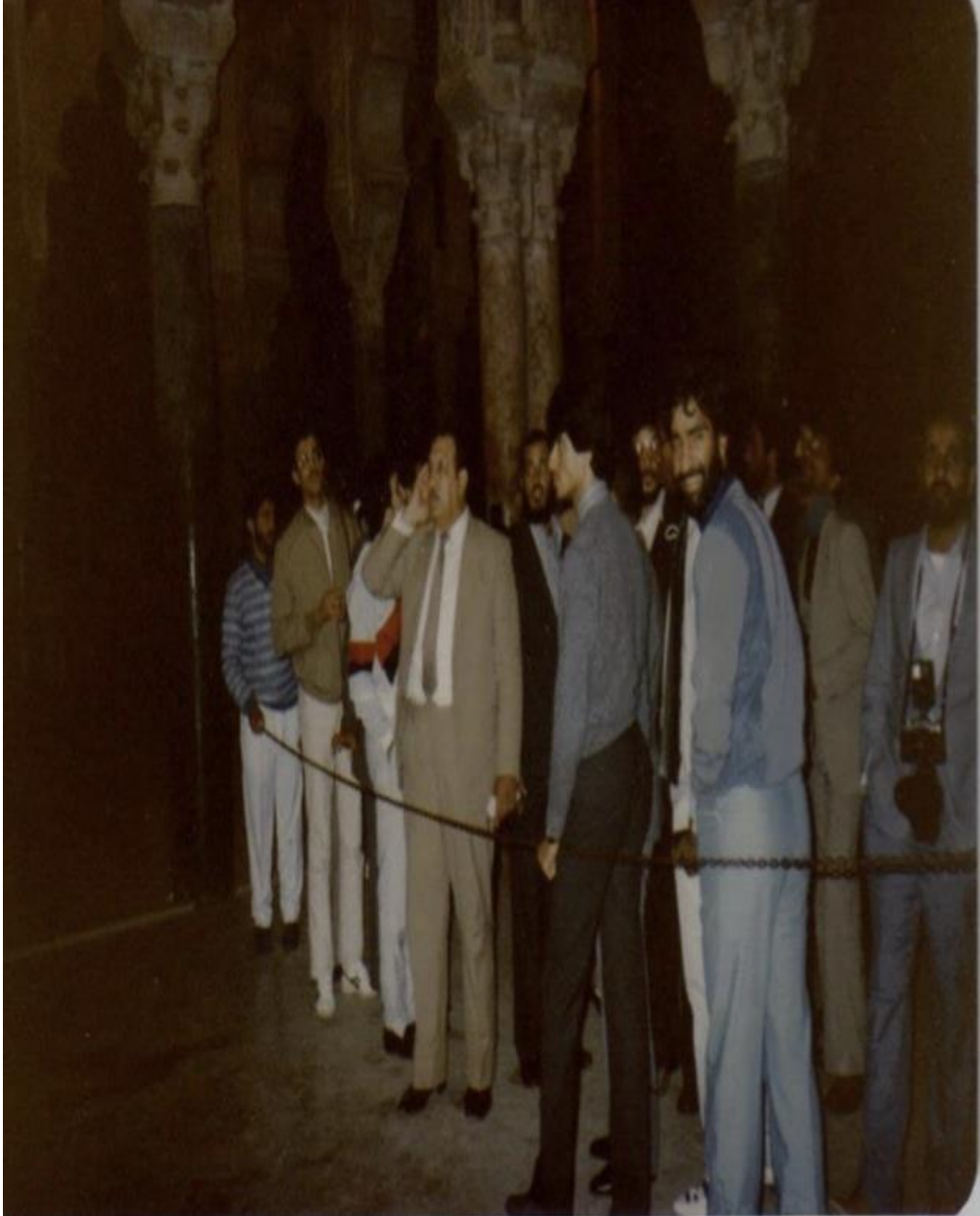


تقرير سري عن العلم عبد الرحمن الحججي

يفيد بحسن خلقه مع طلابه



رفعه للأذان في قرطبة



الفهارس العلمية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية
البقرة (٢)		
١٢٧	٢	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
٨٥	٢٣-٢٤	﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾
١٤٨	٤٣	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾
٤٨١	٢٠٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾
٢٦٠	٢١٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
١٠٢ ، ٤٨٤ ، ١٠٤	٢١٩	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾
٣٧١ ، ٣٧٠	٢٥٦	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾
٣٩٣	٢٨٥	﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
آل عمران (٣)		
٢٢	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْقَسَطٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
٩٢	٤٤	﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾
٨٢	٤٩	﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنَفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
٩٠، ١٢٧	٦٢	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾
٢٩٠، ٢٨٩	٦٤	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾
٩	١٠٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
٢٦٤، ٢٦٢	١٢٣	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
١٧٣	١٤٥	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْتُمْ مُؤْجَلًا ﴾
٤٨٥	١٥٩	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾
النساء (٤)		
٩	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدِجٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾
١٤٩	١١	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾
١٤٩	١١	﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا ﴾
١٠٣، ٤٨٤، ١٠٤	٤٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٠٤، ٣٠٣	٦٩	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾
٩٠، ١٢٨	٨٧	﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾
٤٠١	١٦٢	﴿ لَنْ كُنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
(٥) المائة		
١١٨، ١٤٨، ١٤٤	٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
٣٧٢	٥	﴿ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾
٩١	١٦-١٥	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَقَدْ وَكَّتُ مِيثَاقًا ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾
١٠٤، ٤٨٤، ٤٨٢	٩١-٩٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِمَّنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾
(٦) الأنعام		
١٥٠	٨٢	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾
٢٣	٩٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٢٤	٩٢	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾
٨٥	١١٥	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾
١١٧، ٤٧٥، ٤٧٤	-١٦٢ ١٦٣	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾
(٧) الأعراف		
٨١	-١٠٤ ١٢٢	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَةً مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾
١٣٣، ١١٨	١٥٨	﴿ قُلْ يَتَّبِعْتُمُ النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
٢٢	١٧٦	﴿ فَأَقْصِبِ الْفَصْحَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
(٨) الأنفال		
٢٦١	٧	﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾
٢٢٧	٣٠	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾
٣٨١	٣٩	﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَقِّي لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهُ لِيَسْتَعِذَّ اللَّهُ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾
٢٦٤، ٢٦٢	٤١	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٤٩٠	٥٦	﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾
٤٧٧	٦٣	﴿ وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
		وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾
التوبة (٩)		
٢٩٨	٣٦	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾
١٣٨	٤٠	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
٩٢	٥٦	﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾
٢٥٠	١٠٨	﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾
٢٥١	١٠٨	﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ﴾
٣٨٣	١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنَلُونَهُ وَيُقَنِّلُونَهُ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
٢٨٥	١١٧	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
يونس (١٠)		
٤٢٤	٦-٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي آخِذَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
٨٤	٣٨	﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٣٧٠	٩٩	﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾
هود (١١)		
٨٤	١٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٩٢ ، ٨٧	٤٩	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
٤٩٤	٦١	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
يوسف (١٢)		
٩٠ ، ٢٢ ١٢٨	١١١	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
إبراهيم (١٤)		
٣٠٧ ، ١٢٠	١	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾
١٨٩	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
الحجر (١٥)		
١٥٣ ، ١١٠	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
٢٢٥	٩٤	﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
الحل (١٦)		
١٤٤، ١٢٠، ١٤٧، ١٥٤	٤٤	﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
١٠٢	٦٧	﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا سَكَرًا وَرِزْقًا ذَلِكَ لآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
١٢٠	٨٩	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
٣٧٠	١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
الإسراء (١٧)		
٢٤١	١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾
١٧٣	٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
٢٨٣	٨١	﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾
١٢٣	٨٢	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾
٨٤	٨٨	﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾
الكهف (١٨)		
٢١	٦٥	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢١	٨٨-٨٣	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ^(٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانْتَهَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ^(٨٤) فَأَنْبَغُ سَبَبًا ... ﴾
طه (٢٠)		
٢٠٦	٢١	﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾
٢٣٥	١٤	﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾
الأنبياء (٢١)		
١٨٨	١٠	﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾
٣٩٥	٢٧-٢٦	﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ^(٣٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾
٢١٧	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
الحج (٢٢)		
٢٥٥	٣٩	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَنْ يُرْسِلُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ نَهْيِهِمْ لِقَدِيرٍ ﴾
٣٧١	٤١	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَءَامَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾
الفرقان (٢٥)		
١١٨ ، ٨٤	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ۗ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
النمل (٢٧)		
٩١	٧٦	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾
العنكبوت (٢٩)		
٣٧٢	٤٦	﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيهِمْ أَسَنُ ﴾
الروم (٣٠)		

الصفحة	رقم الآية	الآية
٩٣	٧-١	﴿ الْم ١ ﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿ ٢ ﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ ٣ ﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٤ ﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ... ﴾
١٩٨	٩	﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
٣٥٥	٣٠	﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ الْتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾
لقمان (٣١)		
١٥٠ ، ٢١	١٣-١٢	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿ ١٢ ﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يُعْطِيهِ ۖ يَبْنِي لَكَ دُشْرَكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
الأحزاب (٣٣)		
٢٧٠	١١-٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ لَمْ تَرَوْهَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿ ٩ ﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿ ١٠ ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾
٩	٧١-٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ ٧٠ ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
سبا (٣٤)		
٢٨٦ ، ١٣٣	٢٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

الصفحة	رقم الآية	الآية
		﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
يس (٣٦)		
٤٢٤	٤٠-٣٧	﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾
الصفات (٣٧)		
٥٠١	-١٨٠ ١٨٢	﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
ص (٣٨)		
١٣٣، ١١٨	٨٧	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾
الزمر (٣٩)		
١٢٥	٢٣	﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشْنَاهُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ ذَٰلِكَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾
فصلت (٤١)		
١٠٠	١٢-٩	﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيًّا مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا... ﴾
٩٠، ١١١ ١٩٣، ١٢٨	٤٢-٤١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتَبُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
١٩٩، ٩٩	٥٣	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ

الصفحة	رقم الآية	الآية
		يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٢﴾
الشورى (٤٢)		
١٢٠	٥٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾
الزخرف (٤٣)		
١٢٢	٤٣	﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾
الأحقاف (٤٦)		
١٥٤	٩	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٧﴾﴾
محمد (٤٧)		
١٧٣	١٢	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿٤٨﴾﴾
الفتح (٤٨)		
٩٤	١٦	﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمِ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقْنِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾
٩٤	٢٧	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٥٠﴾﴾
٢٧٤	١٨	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾
الحجرات (٤٩)		
٤٧٧	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿٥٢﴾﴾
١٨٠	١١	﴿لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ ﴿٥٣﴾﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٠	١١	﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾
١٨٤، ٤٧٨، ٤٠٣	١٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
الذاريات (٥١)		
٣٩٦	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
النجم (٥٣)		
١٣٠، ٩١، ١٥٤، ١٤٢	٥-١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾
القمر (٥٤)		
٩٥	١	﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾
الحشر (٥٩)		
٢٥٢	٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
١٢٤	٢١	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّن خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
الممتحنة (٦٠)		
٤٨٨	٨	﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُم عَنِ الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
الملك (٦٧)		
١٩٩، ١٠١	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
القلم (٦٨)		
٣٩٩	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
المدثر (٧٤)		
٢٢١	٢-١	﴿بِأَيِّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُرْفَانَدْرٌ﴾
القيامة (٧٥)		
١٠٩	١٧-١٦	﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾
العلق (٩٦)		
٣٦٤، ٢٢٠	٣-١	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾
الكافرون (١٠٩)		
٣٧٢	٦	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
المسد (١١١)		
٢٢٥	١	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
٢٦٨	أنت وحشي... أنت قتلت حمزة
٢٨٥	أتحب ذلك؟
٢٤٠	أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
٣٩٩	أتقل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن
٢٢٥	أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟
٢٧٣	ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية
٢٩١	إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده
٢٢٤	ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتنيك أمري
١٣٤ ، ١١٩	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي
١٧٤	اغزوا باسم الله في سبيل الله
٢٦٥	استو يا سواد
١٨٤	اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة
١٤٢	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه
٣٠١	أما بعد، أيها الناس، إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم
٤٨٣	أن تعبد الله كأنك تراه
١٣٥	أن يمزقوا كل ممزق
٢٧٤	أنتم اليوم خير أهل الأرض
٤٩٥ ، ٤٧٦	إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها
٢٧٥	إنّا لم نجئ لقتال أحد
٢٣٣ ، ١٨٥	إنّ بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده

الصفحة	الحديث
٢٩٦	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ
٣٢	إِنَّمَا بَعِثْتُ لَأَتَمَّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ
٣٩٩	إِنَّمَا بَعِثْتُ لَأَتَمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
٣٩٩	إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا
٢٧٠ ، ٢٦٩	إِنَّهُ لَمَنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ
٣٠٣	إِنَّهُ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخِيرُ
٢٤٥	إِنِّي أُرِيْتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ
٣٩٣	الْإِيمَانُ أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَبَلْقَائِهِ، وَرَسُولِهِ، وَتُوْمِنَ بِالْبَعْثِ
٤٠٥ ، ٢٧٧	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... اكتب باسمك اللهم
٢٩٠	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلٍ عَظِيمِ الرُّومِ
٢٢٢	بَلِي، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَنَبِيهِ
٤٢٠	تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللَّعْنَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً
٢١٠	ذَٰكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ
٢٦٣	سِيرُوا وَأَبْشُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ
٢٣٠	صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنْ مَوَّعَدَكُمْ الْجَنَّةَ
١٤٣	صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي
٤١١ ، ٣٥٩	طَلَبَ الْعِلْمَ فَرِيضَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
٢٧٣	فَإِنْ قَتَلَ زَيْدٌ أَوْ اسْتَشْهَدَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ
١٤١	قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا
٢١٥	قَدْ حَضَرْتَهُ مَعَ عَمُومَتِي، وَرَمَيْتَ فِيهِ بِأَسْهَمٍ
٤٧٥	قَلَّ أَمْنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ
٢٦٤	قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

الصفحة	الحديث
٢٣١	كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه
٢١٤	كنت أنبل على أعمامي
١٤٤	كيف تقضي إذا عرض لك قضاء
٣٠٣	لا إله إلا الله، إن للموت سكراتٍ
٢٣٩	لا تبكي يا بنية؛ فإن الله مانعٌ أباك
٢٧٢	لا خير في جيفته، ولا في ثمنه
١٨٤	لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي
٢٨٢	لا يأتيني إلا أنصاري
١٥٠	لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَاْفِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَاْفِرُ الْمُسْلِمَ
٢١٥	لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً، ما أحب أن لي به حمر النعم
٢٣٢	لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيه
٢٢٦	لقد لقيت من قومك ما لقيت
٢٣٤	اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك
٢٢٨	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي
٢٣٥	اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب
٢٩٢ ، ١٣٦	اللهم مزق ملكه
٢٦٦	لو كان المطعم بن عدي حيًّا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له
١٥٠	ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه
٣٦٤ ، ٢٢٠	ما أنا بقارئ
٢٧٦	ما خلأت الفصواء
٨٢	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
٣٥٤	ما من مولود إلا يولد على الفطرة

الصفحة	الحديث
٣٠٣	ما من نبي يمرض إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة
٣٠٠	مروا أبا بكر أن يصلي بالناس
٢٩١	مزق الله ملكه
٣٧٣ ، ٢٨٣	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
٣٥٩	من سلك طريقًا يلتمس به علمًا سَهَّلَ اللهُ به طريقًا إلى الجنة
٢٤٣	من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة
٢٥٣	مَهَيَّمٌ... ما سقت فيها... أولم ولو بشاة
١٣١	ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله
٢٨١	نصرت يا عمرو بن سالم
٢٤٩	هذا إن شاء الله المنزل
٢٤١	هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي
٢١٦	هلموا ثوبًا... لتأخذ كل قبيلة بناحية الثوب ثم ارفعوه جميعًا
٢٥٠	هو هذا
٢٣	وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
١٢٦	وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله
٢١١	وتحبين ذلك؟.. إن ذلك لا يحل لي
٢٨٣	والطلاق من قريش
٢٦٠	والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرم
٤٣	ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنة
٢٨٤	وهل ترك لنا عقيل دارًا
٢٨٥	وهل ترك لنا عقيل من ربا ع أو دور
٤٩٢	يا أبا جندل، اصبر واحتسب

الصفحة	الحديث
٤٧٨ ، ٤٠٣	يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية
٢٩٧	يا أيها الناس، أتدرون في أي شهر أنتم
٤٧٨ ، ٤٠٣	يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد
٢٩٧	يا أيها الناس، أي يوم هذا
٢٤١	يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا
٢٢٥	يا صباحاه... رأيتكم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل
٢٧٩	يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب
١٤٩	يرحم الله ابن عفرأ

فهرس الأعلام المترجم لها

الصفحة	اسم العلم
٨٣	ابن حجر: أحمد بن علي بن مُجَدَّ شهاب الدّين أبو الفضل العسقلاني
١٣٩	ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو مُجَدَّ الأندلسي الظاهري
١٦٠	ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُجَدَّ بن خلدون الإشبيلي المالكي خلدون
٨٤	ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبو الفداء القرشي
٤١٥	إدوارد بيروي
١١٣	إرنست رينان
١٦٤	أرنولد تويني
١٥٩	أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس
١٣٠	أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام
٤٤٥	أوغست إيزيدور ماري فرانسوا كزافييه كونت
٨٨	الباقلاني: مُجَدَّ بن الطيب بن مُجَدَّ بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلائي
٤٢٦	بطليموس القلوذي
٣٢٦	بلاي أو بلايو أو بلاجيوس
٣١٧	تدمير بن غوبادوش أو جوبادوش
٤٢٣	تشارلز إدوارد براون سيكارد
٤٣٩	توما الإكوبيني
٣٦٧	توماس أرنولد
١٥١	توماس كارليل
٣٣٥	جهور بن مُجَدَّ بن جهور بن عبيد الله
٤٢٩	جيرار الكرموني، أو جيرار دي كرمونا

الصفحة	اسم العلم
٤٠	حلمي مُجَّد القاعدود
٥٣	حمد بن مُجَّد بن جمعة بن صراي
٤٠	خالد يوسف الشطي
١٤٢	الخطابي: حمد، ويقال: أحمد بن مُجَّد أبو سليمان الخطابي البستي
٤٣٥	دانتي أليجييري
٣٤٢	داود بن عائشة
١٦٨	ديكارت: رينيه ديكارت
٤٣١	روجر بيكون
٢٨	زكية بنت أحمد
٤٣٧	زيغريد هونكه
٣٧٧	ستانلي لين بول
١٣٧	سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك المدلجي الكناني
١٢٠	الشافعي: مُجَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان أبو عبد الله الشافعي الهاشمي
٣٣١	شارلمان: أو شارل الكبير
٣٧	صالح مُجَّد السندي
٨٧	الطبري: مُجَّد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري
١٣٤	عبد الله بن حدافة بن قيس بن عدي القرشي السهمي
٢٨	علي بن مُجَّد بن خطاب بن عمر بن موسى بن إسماعيل العبادي
٣٩	عماد الدين خليل الطائي
٣٧٦	غوستاف لوبون
٣١١	غيطشة بن أبقة
٤٧١	فيليب الثاني
١٦٥	فولتير: فرانسوا ماري آرويه

الصفحة	اسم العلم
١٦٠	فيكو جيان باتيستا
١٤٣	القرطبي: مُجَّد بن أحمد بن أبي الفرح أبو عبد الله القرطبي المالكي
١٦٦	كارل ماركس
١٣٣	كسرى بن برويز بن هرمز بن أنوشروان
٣١١	لذريق
٤٢٨	ليوناردو فيبونتشي، ويقال: ليوناردو بيزا
٣٣٧	المتوكل بن الأفتس: عمر (المتوكل) بن مُجَّد (المظفر) بن عبد الله بن مُجَّد بن مسلمة أبو حفص التجيبي
٤١	مرتضى عبد الرزاق مجيد
١١٤	مريم جميلة، وقبل الإسلام: (مارغريت ماركوس)
٣٥٦	المغيرة بن أبي بردة: نشيط بن كنانة الكناني القرشي
٢٥٩	محمود شيت خطاب الدليمي
٣٦٥	مونتغمري وات: وليام مونتغمري وات
٣٥	منجد مصطفى بهجت
٤٣٥	ميغيل دي ثيربانتس سافيدرا
١٦٨	ميكافيلي: نيقولا ميكافيلي
١٣٢	النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن أبو زكريا محيي الدين النووي
٣٦٧	هنري لامنس
١٦٣	هيجل: جورج فلهم فريدريش هيجل
٤٣٦	وليم شكسبير
٣١٠	يوليان: يدعى: (يُليان، جوليان، يولييان، وليان، بليان، إيان، جليان)

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة بالعربية:

- (١) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مُجَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط(٢) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٢) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن مُجَّد بن محمود الفزوي، دار صادر، بيروت.
- (٣) الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مُجَّد أبو الفضل، الهيئة العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- (٤) أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب "جوستاف لوبون نموذجاً"، عبد العزيز عبد المطلب السيد، دار العلم والإيمان، عام: ٢٠١٤م.
- (٥) أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، دار الفكر، ط(٢) ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- (٦) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤٢٤هـ.
- (٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حَقَّقَهُ، وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- (٨) أحكام القرآن، للطحاوي، تحقيق سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، ط(١) ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- (٩) الإحكام في أصول الأحكام، قوبلت على الطبعة التي حققها: الشيخ أحمد مُجَّد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- (١٠) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- (١١) أخبار القضاة، للقاضي وكيع، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط(١) ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- (١٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٢) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (١٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط(٧) ١٣٢٣هـ.
- (١٤) أسباب نزول القرآن، للواحدي علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، وقد قال المحقق: قمت -بتوفيق الله وحده- بتخريج أحاديث الكتاب تحريجًا مستوفى على ما ذكر العلماء، أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد، دار الإصلاح، الدمام، ط(٢) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (١٥) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى.
- (١٦) الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط(١) ١٤٠١هـ.
- (١٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط(١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (١٨) الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغمراوي، مطبعة السعادة، ط(١) ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م.
- (١٩) الإسلام: أصوله ومبادئه، محمد عبد الله السحيم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط(١) ١٤٢١هـ.

- (٢٠) الإشارات والبشارات، عبد الرحمن الحجي، دار القلم، دمشق، ط(١) ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.
- (٢١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١٥هـ.
- (٢٢) أصول الإيمان، مُحَمَّد عبد الوهاب التميمي، تحقيق باسم فيصل، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط(٥) ١٤٢٠هـ.
- (٢٣) أصول التشريع الإسلامي، للشيخ علي حسب الله، دار المعارف، مصر، ط(٥) ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- (٢٤) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط(٩) ٢٠٠١م.
- (٢٥) أضواء على الحضارة والتراث، عبد الرحمن الحجي، الكويت، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط(١) ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م.
- (٢٦) إعجاز القرآن الكريم، أد/ فضل حسن عباس، الناشر: جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ط(٢) ١٩٩٧م.
- (٢٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٨) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- (٢٨) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط(٥) ١٩٩٧م.
- (٢٩) الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط(١٥) ٢٠٠٢م.
- (٣٠) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، لسان الدين الخطيب، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣١) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة يحيى بن هبيرة بن مُحَمَّد بن هبيرة الذهلي الشيباني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

- (٣٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٩٨٧م.
- (٣٣) الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: د/صالح بن عبد الله الغامدي، من منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط(١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- (٣٤) الأم، للإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط(٢) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- (٣٥) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م.
- (٣٦) أندلسيات، د/ عبد الرحمن الحجي، مكتبة أهل الأثر، الكويت، وشركة وعي الدولية، مصر، ط(١) ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- (٣٧) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط(١) ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- (٣٨) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط(١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (٣٩) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة أبي جعفر الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، ١٩٦٧م.
- (٤٠) بيان إعجاز القرآن، للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، تحقيق: محمد خلف الله، ود/محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط(٣) ١٩٧٦م.
- (٤١) بيان المختصر، لأبي الثناء الأصفهاني محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم ابن أحمد بن محمد، تحقيق: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط(١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (٤٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط(٣) ١٩٨٣م.

- (٤٣) تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية، تحقيق: إبراهيم الإياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢) ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- (٤٤) تاريخ الإسلام، تحقيق: د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط (١) ٢٠٠٣م.
- (٤٥) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نسان جديدان، تحقيق: د/أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، عام: ١٩٧١م.
- (٤٦) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجى، دار القلم، بيروت، ط (٩) ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- (٤٧) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المحقق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- (٤٨) تاريخ الرسل والملوك، مُجَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، دار المعارف، مصر، ط (٢) ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- (٤٩) تاريخ سبته، مُجَّد بن تاويت، من منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط (١) ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- (٥٠) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل السامرائي وآخرون، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط (١) ٢٠٠٠م.
- (٥١) تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط (٢) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- (٥٢) تاريخ المسلمين في الأندلس، مُجَّد سهيل طقوس، دار النفائس، ط (٣) ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- (٥٣) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، عبد العزيز سالم، دار المعارف، لبنان.
- (٥٤) تاريخ ابن يونس المصري، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٢١هـ.

- (٥٥) تأمل واعتبار: قراءات في حكايات أندلسية، عبد الرحمن الحجى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط (١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- (٥٦) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، المكتب الإسلامي، ومؤسسة الإشراف، ط (٢) ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- (٥٧) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٥٨) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/ مصطفى خالدي، ود/ عمر فروخ، المكتبة العصرية، صيدا، وبيروت، عام: ١٩٨٦م.
- (٥٩) التبيان، ابن بلقين، تحقيق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، عام: ١٩٩٥م.
- (٦٠) تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدأبادي المعتزلي، دار المصطفى، شبوا، القاهرة، مصر.
- (٦١) تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق: د/ عبد الإله أحمد نبهان، ود/ محمد فاتح صالح، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط (١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (٦٢) تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- (٦٣) التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط (١) ١٤١٦هـ.
- (٦٤) التفسير الديني للتاريخ، محمود الشراوي، الناشر: مطبوعات الشعب، مصر.
- (٦٥) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- (٦٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط (٢) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- (٦٧) التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار مُجَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٩م.
- (٦٨) التمهيد، أبو بكر الباقلاني مُجَّد بن الطيب، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م.
- (٦٩) تهذيب اللغة، مُجَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: مُجَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(١) ٢٠٠١م.
- (٧٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١) ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (٧١) الثغر الأعلى الأندلسي: دراسة في أحواله السياسية، خليل إبراهيم صالح السامرائي، مطبعة أسعد، بغداد، عام ١٩٧٦م.
- (٧٢) الثقافة الإسلامية علمًا وتخصيصًا ومادةً علميةً، عبد الله إبراهيم الطريفي وآخرون، الرياض، ط(١) ١٤١٧هـ.
- (٧٣) الثقافة الإسلامية، اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، عام: ١٤٤٢هـ.
- (٧٤) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي، المحقق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط(١) ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- (٧٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط(٢) ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- (٧٦) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، للحميدي مُجَّد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبي عبد الله بن أبي نصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٩٦٦م.
- (٧٧) جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، د/وفاء عبد الله بن سليمان المزروع، مكتبة دار القاهرة، مصر، ط(١) ٢٠٠٣م.

- (٧٨) جوامع السيرة، لابن حزم أبي مُجَدَّ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط (١) ١٩٠٠م.
- (٧٩) جوانب من الحضارة الإسلامية، مكتبة الصحوة، بيروت، ط (١) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٨٠) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- (٨١) الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الإرشاد، بيروت، ط (١) ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- (٨٢) الحضارة، حسين مؤنس، عالم المعرفة.
- (٨٣) حفظ الله للسنة وصور من حفظ العلماء لها وتنافسهم فيه، أحمد السلوم، شركة البشائر الإسلامية، ط (١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٨٤) الحلة السرياء، ابن الأبار، تحقيق: د/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٨٥م.
- (٨٥) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مجهول المؤلف، تحقيق: عبد القادر زمامة، وسهيل زكار، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط (١) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٨٦) حلية الأولياء، أبو نعيم، الناشر: مطبعة السعادة، مصر، عام: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- (٨٧) خاتم النبين ﷺ، مُجَدَّ أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (٨٨) خبر الواحد وحجته، المؤلف: أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- (٨٩) الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن مُجَدَّ، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.
- (٩٠) دراسات أصولية في القرآن الكريم، مُجَدَّ إبراهيم الحفناوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، مصر، عام النشر: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- (٩١) دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، مكتبة الفلاح، الكويت، عام: ١٩٩٨م.
- (٩٢) دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي، عبد الرحمن الحجى، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧م.
- (٩٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبع تحت مراقبة: مُحمَّد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط(٢) ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م
- (٩٤) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة تحقيق: د/ مُحمَّد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.
- (٩٥) دلائل النبوة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، حققه: د/ مُحمَّد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط(٢) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (٩٦) دولة الإسلام في الأندلس، مُحمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٩٧) دولة المدينة المنورة، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، دمشق، ط(١) ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.
- (٩٨) ديوان ابن اللبانة الأندلسي، منجد مصطفى بهجت، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط(٢) ٢٠٠٦م.
- (٩٩) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن مُحمَّد بن مُحمَّد، ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- (١٠٠) ديوان المعاني، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- (١٠١) الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق نور الدين عتر، ط(١) ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(١٠٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للعلامة محمود مُجَّد شاكِر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٠٣) الرسالة، مُجَّد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد مُجَّد شاكِر عن أصل بخط الربيع بن سليمان كتبه في حياة الشافعي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط(١) ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

(١٠٤) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، حسين حسني معدي، دار الكتاب العربي، دمشق، ط(١) ١٤١٩هـ.

(١٠٥) الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت، ط(٦) ١٤٢٢هـ.

(١٠٦) روح الدين الإسلامي: عرضٌ وتحليلٌ لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، عفيف عبد الفتاح طَبَّارة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٩٩٣م.

(١٠٧) الروض المعطار في خبر الأقطار، مُجَّد بن عبد الله بن عبد المنعم الحَميري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط(٢) ١٩٨٠م.

(١٠٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم مُجَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(١٠٩) الزهد والرقائق، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، قام بنشره: مُجَّد عفيف الزعبي، بإذن خطي من محققه حبيب الرحمن الأعظمي، ووكيل مجلس إحياء المعارف ب ناسك.

(١١٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى لمكتبة المعارف، عام النشر: الأجزاء من الأول إلى الرابع: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، والجزء السادس: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، والجزء السابع: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(١١١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

- (١١٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١١٣) السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، المؤلفة: شيخة بنت مفرج المفرج، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- (١١٤) السنة قبل التدوين، د/ محمد عجاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط (٣) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ٠٩٣.
- (١١٥) سنن الترمذي، تحقيق: د/ بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٩٩٦م.
- (١١٦) سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط (١) ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- (١١٧) السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط (١) ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- (١١٨) سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وغيره، دار الرسالة العالمية، ط (١) ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- (١١٩) سير أعلام النبلاء، للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، تقديم: د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٣) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١٢٠) سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط (١) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- (١٢١) سيرة عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، تحقيق: طاهر النعسان الحموي، وأحمد قدرى الكيلاني، المكتبة التجارية، القاهرة، عام: ١٣٣١هـ.
- (١٢٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، صححه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك، وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية، بيروت، ط (٣) ١٤١٧هـ.

- (١٢٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكّي، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (١٢٤) السيرة النبوية: منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، الطبعة الأولى.
- (١٢٥) السيرة النبوية، لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط (٢) ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- (١٢٦) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (١٢٧) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (١٢٨) شعر العلماء في الأندلس، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- (١٢٩) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمنى، تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود/ يوسف مُجّد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط (١) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- (١٣٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٤) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- (١٣١) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، مُجّد صامل السلمي وآخرون، دار روائع المملكة، جدة، ط (٢) ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- (١٣٢) صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، عام: ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صوّرها بعنايته: د/ مُجّد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام: ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة، بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

(١٣٣) صحيح وضعيف تاريخ الطبري، حققه وخرج رواياته وعلق عليه: مُجَّد بن طاهر البرزنجي، إشراف ومراجعة: مُجَّد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، وبيروت، ط (١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(١٣٤) صفة جزيرة الأندلس، الحميري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط (٢) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(١٣٥) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط (٢) ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، وسير أعلام النبلاء.

(١٣٦) صيد الخاطر، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط (١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(١٣٧) الضوء اللامع، السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت.

(١٣٨) طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، عام: ١٩١٢م.

(١٣٩) طبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٠٣هـ

(١٤٠) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، المحقق: د/ محمود مُجَّد الطناحي، ود/ عبد الفتاح مُجَّد الحلوي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط (٢) ١٤١٣هـ.

(١٤١) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة أبو بكر بن أحمد بن مُجَّد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤٠٧هـ.

(١٤٢) طبقات الشافعيين، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د/ أحمد عمر هاشم، ود. مُجَّد زينهم مُجَّد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(١٤٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد أبي عبد الله مُجَّد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي، المعروف بابن سعد، السيرة النبوية، ذكر بعثة رسول الله ﷺ الرسل بكتبه إلى الملوك

يدعوهم إلى الإسلام، وما كتب به رسول الله ﷺ لناس من العرب وغيرهم، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٩٦٨ م.

(١٤٤) طبقات المفسرين، للداوودي محمد بن علي بن أحمد شمس الدين المالكي، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٤٥) طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط (١) ١٣٩٦ هـ.

(١٤٦) العبر في خبر من عبر، للذهبي، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٤٧) العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، د/ عمر فروخ، من منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط (١) ١٣٧٨ هـ-١٩٥٩ م.

(١٤٨) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، د/ سعيد بن وهف القحطاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط (١)، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م.

(١٤٩) علم التاريخ واتجاهات تفسيره، أنور محمود زناتي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط (١) ٢٠٠٧ م.

(١٥٠) علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، أحمد مدحت إسلام، دار الفكر العربي، عام: ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م.

(١٥١) علو الهمة، للدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار القمة، ودار الإيمان، مصر، عام النشر: ٢٠٠٤ م.

(١٥٢) العلوم عند العرب: أصولها وملاحمها الحضارية، عباس عطيتو، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، عام: ١٩٩٥ م.

(١٥٣) على عتبات الحضارة، بتول أحمد جندي، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط (١) ١٤٣٢ هـ-٢٠١١ م.

(١٥٤) العمدة في فلسفة القيم، عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط (١) ١٩٨٦ م.

- (١٥٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، تحقيق: د/نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- (١٥٦) غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين ابن الجزري مُجَّد بن مُجَّد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.
- (١٥٧) غوستاف لوبون في الميزان، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط(١) ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- (١٥٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، عام النشر: ١٣٧٩هـ.
- (١٥٩) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب مُجَّد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، وبيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (١٦٠) فتح القدير، للشوكاني مُجَّد بن علي بن مُجَّد بن عبد الله اليمني، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، ط(١) ١٤١٤هـ.
- (١٦١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، أد/ موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط(١) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- (١٦٢) الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين، جميل المصري، دار القلم، دمشق.
- (١٦٣) فجر الأندلس، لحسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ط(١) ١٩٥٩م.
- (١٦٤) فلسفة التاريخ عند فيكو، عطيات أبو السعود، مؤسسة هنداوي، عام: ٢٠٢١م.
- (١٦٥) فوات الوفيات، لابن شاکر الکتبي مُجَّد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط(١) ١٩٧٣-١٩٧٤م.

- (١٦٦) في الثقافة الإسلامية، د/ عادل العوضي، ود/ فائزة العوضي، الشركة الكويتية العربية، ط(١) ٢٠٠٤م.
- (١٦٧) قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب، مؤسسة علوم القرآن، ومنار للنشر والتوزيع، ط(١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (١٦٨) القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(٨) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- (١٦٩) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (١٧٠) القومية العربية والوحدة من منظور البعث الاشتراكي، د/ إلياس فرح، منشورات الطليعة العربية، تونس، ١٩٨٩م.
- (١٧١) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (١٧٢) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- (١٧٣) الكتب والمكتبات في الأندلس، من منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، عام: ٢٠٠٧م.
- (١٧٤) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط(٣) ١٤١٤هـ.
- (١٧٥) اللواء الركن محمود شيت خطاب: المجاهد الذي حمل سيفه في كتبه، لعبد الله محمود، دار القلم، دمشق، ط(١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- (١٧٦) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، د/ محمد بن عبد الله العوشن، دار طيبة.
- (١٧٧) مباحث في إعجاز القرآن، د/ مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط(٣) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- (١٧٨) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحمَّد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- (١٧٩) محاسن التأويل، للقاسمي مُحمَّد جمال الدين بن مُحمَّد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: مُحمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤١٨هـ.
- (١٨٠) محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها، عبد الرحمن الحجى، ط(١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- (١٨١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي مُحمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ.
- (١٨٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد سليمان المزيني، دار الجوزي، الدمام، ط(١) ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- (١٨٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله مُحمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ مُحمَّد، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت، وصيدا، ط(٥) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- (١٨٤) مختصر التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، مركز طروس للنشر والتوزيع، الكويت، ط(١) ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.
- (١٨٥) المدارس التاريخية الحديثة، د/ الهادي التيموري، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط(١) ٢٠١٣م.
- (١٨٦) المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، ط(١) ١٩٦٣م.
- (١٨٧) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزؤغلي بن عبد الله المعروف به، تحقيق وتعليق: مُحمَّد بركات، وكامل مُحمَّد الخراط، وعمار ربحاوي، وغيرهم، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط(١) ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

- (١٨٨) مريم جميلة: المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام ومن أمريكا إلى باكستان بحثا عن الحقيقة والإيمان، تأليف: ذاكر الأعظمي، دار القلم، دمشق، ط(١) ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- (١٨٩) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، الناشر: الجمع الثقافي، أبو ظبي، ط(١) ١٤٢٣هـ.
- (١٩٠) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، المؤلف: إسحاق بن منصور بن بھرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط(١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٢م.
- (١٩١) المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، المحقق: الفريق العلمي لمكتب خدمة السنة، بإشراف أشرف بن محمد نجيب المصري، الناشر: دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، الجمهورية العربية السورية، ط(١) ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- (١٩٢) المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، عام: ١٩٦٥م.
- (١٩٣) المستشرقون والسنة، أد/ سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الريان، بيروت، لبنان.
- (١٩٤) المسكرات من الناحية النفسية، لملك غلام مرتضى، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: ربيع الثاني، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة ١٤٠٢هـ.
- (١٩٥) المسلمون في المغرب والأندلس، محمد زيتون، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، عام: ١٩٨٤م.
- (١٩٦) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١) ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- (١٩٧) مسند الدارمي المعروف به، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بھرام بن عبد الصمد الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط(١) ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.
- (١٩٨) مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٣) ١٩٨٥م.

- (١٩٩) مع الأندلس لقاء ودعاء، عبد الرحمن الحجى، دار القلم، ط(١) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- (٢٠٠) مع الدكتور الحجى ذكريات ومواقف، صالح مُجَّد السنيدي، كتاب الذِّكر والدُّعاء، باب فضل الإِجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، تحقيق: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- (٢٠١) المعالم الأثرية في السنة والسير، مُجَّد بن مُجَّد حسن شَرَّاب، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، وبيروت، ط(١) ١٤١١هـ.
- (٢٠٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط(٤) ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٢٠٣) معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ط(١) ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.
- (٢٠٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط(١) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- (٢٠٥) معجم البلدان، للحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، دار صادر، بيروت، ط(٢) ١٩٩٥م.
- (٢٠٦) معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط(٣) ٢٠٠٦م.
- (٢٠٧) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية.
- (٢٠٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط(١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- (٢٠٩) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط(١) ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- (٢١٠) المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، [كُتِبَتْ مقدمتها ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م]، وصَوَّرَتْهَا: دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير.
- (٢١١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن عبد الغني كحالة الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: ١٩٩٤م.
- (٢١٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام مُجَدِّد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٢١٣) معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ودار قتيبة، دمشق، وبيروت، ودار الوعي، حلب، ودمشق، ودار الوفاء، المنصورة، والقاهرة، ط (١) ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- (٢١٤) المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، تحقيق: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٥٥م.
- (٢١٥) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٣) ١٤٢٠هـ.
- (٢١٦) مفتاح السعادة، طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٢١٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله مُجَدِّد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُجَدِّد أجمل الإصلاحي، وسليمان بن عبد الله العمير، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ط (٣) ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- (٢١٨) مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط (٤) ٢٠٠٥م.
- (٢١٩) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، تحقيق: مُجَدِّد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- (٢٢٠) مقدمات في الثقافة الإسلامية، مفرح سليمان القوسي، الرياض، ط (٣) ١٤٢٤هـ.
- (٢٢١) مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، مُجَّد علي ضناوي، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- (٢٢٢) مقدمة في أصول التفسير، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- (٢٢٣) مقومات الثقافة الإسلامية، مُجَّد أحمد يعيش، الناشر: مؤتمر مكة (برعاية رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة)، عام: ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- (٢٢٤) الملل والنحل، للشهرستاني مُجَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- (٢٢٥) من العلماء العرب الذين أثروا في الحضارة الأوروبية، إبراهيم الكردي، الهيئة المصرية للكتاب، عام: ١٩٧٤م.
- (٢٢٦) من فلسفة التشريع الإسلامي، فتحي رضوان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢) ١٩٧٥م.
- (٢٢٧) مناهل العرفان في علوم القرآن، مُجَّد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.
- (٢٢٨) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط (٢٨) ٢٠٠٨م.
- (٢٢٩) منزلة السنة في الإسلام، الدار السلفية، الكويت، ط (٤) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- (٢٣٠) منطلقات طالب العلم، مُجَّد حسين بن يعقوب السلفي المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط (٢) ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- (٢٣١) المنهاج شرح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (٢) ١٣٩٢هـ.
- (٢٣٢) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي، مقدمة المحقق، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز، ووضع تراجمه الأستاذ مُجَّد عبد الله دراز،

- وخرج آياته وفهرس موضوعاته الأستاذ عبد السلام عبد الشافي مُجَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (٢٣٣) موسوعة الديار الأندلسية، مُجَّد عبده حتاملة، المكتبة الوطنية، ط (١) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- (٢٣٤) الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- (٢٣٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط (٤) ١٤٢٠هـ.
- (٢٣٦) ميزان الاعتدال، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط (١) ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
- (٢٣٧) النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط (١) ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (٢٣٨) النبي مُجَّد في مؤلفات مونتجمري وات عن السيرة النبوية: دراسة تحليلية مقارنة، ماهر جواد كاظم الشمري، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عام: ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- (٢٣٩) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤٠٩هـ.
- (٢٤٠) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، د/ عبد الرحمن الحجى، مكتبة الصحوة بيروت، ط (٣) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٢٤١) النظريات السياسية الإسلامية، د/ مُجَّد ضياء الدين الرئيس، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة السابعة.
- (٢٤٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن مُجَّد المقرئ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط (١) ١٩٦٨م.

- (٢٤٣) النكت في إعجاز القرآن، للرماني علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، تحقيق: مُجَّد خلف الله، ود/ مُجَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط(٣) ١٩٧٦م.
- (٢٤٤) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن مُجَّد بن مُجَّد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٢٤٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُجَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٢٤٦) هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة: ظروفها وآثارها، عبد الرحمن الحجى، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٢٤٧) هؤلاء علموني، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، عام: ٢٠١١م.
- (٢٤٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- (٢٤٩) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي عبد الملك بن مُجَّد بن إسماعيل، تحقيق: د/ مفيد مُجَّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

ثالثاً: الكتب المترجمة:

- (١) الأبطال، توماس كارليل، ترجمة مُجَّد السباعي، دار الكاتب العربي، بيروت، عام: ٢٠١٧م.
- (٢) الإسلام والعرب، روم لاندو، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط(٣) ١٩٧٧م.
- (٣) الإسلام والغرب، صفوت مصطفى خليلوفتيش، ترجمة هدير أبي النجاء، دار السلام، القاهرة، ط(١) ٢٠٠٧م.

- (٤) البنيوية فلسفة موت الإنسان، روجيه غارودي، ترجمة جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط(١) ١٩٧٩م.
- (٥) تاريخ الحضارات العام، بروي إدوار، ترجمة يوسف أسعد، دار عويدات، باريس، وبيروت، ط(٣) ١٩٨٦م.
- (٦) التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي، ألبان ج ويد جري، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٦م.
- (٧) تراث الإسلام، هـ. ا. ر. جب، عزّبه وعلق عليه: عبد اللطيف محمود حمزة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام: ١٩٣٦م.
- (٨) حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتز، مؤسسة هنداوي، عام: ٢٠١٣م.
- (٩) حياة مُحمَّد، ترجمة: مُحمَّد عادل زعيتز، دار إحياء الكتب العربية.
- (١٠) الخالدون مائة: أعظمهم مُحمَّد رسول الله ﷺ، مايكل هارت، المكتب المصري الحديث، إنتاج جدران المعرفة للنشر الإلكتروني المجاني.
- (١١) الخلافة: تاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني، توماس أرنولد، ترجمة: مُحمَّد شكري العزاوي، وغانم النقاش، دار الوراق للنشر، ط(١) ٢٠١٦م.
- (١٢) الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، عام: ١٩٧٠م.
- (١٣) دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط(٥) ١٩٨١م.
- (١٤) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، وراجعه ووضع حواشيه مازن عيسى الخوري، دار الجبل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- (١٥) العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، عالم المعرفة، وهي سلسلة شهرية يصدرها المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عام: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (١٦) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، ومُحَمَّد بدران، وعبد الحميد يونس، ومُحَمَّد علي أبو درة، وفؤاد أندراوس، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ، دار الجيل، بيروت، لبنان، عام النشر: المجلد (١-١٠) بتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، والمجلد (١١) بتكليف المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- (١٧) قصة العرب في إسبانيا، لين بول، ترجمة: علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر.
- (١٨) القومية في السياسية والتاريخ، فردريك هرتز، ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة د/ إبراهيم صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١١م.
- (١٩) القومية، ستيفن جروزي، ترجمة: مُحَمَّد إبراهيم الجندي، ومُحَمَّد عبد الرحمن إسماعيل، مؤسسة هنداوي، ط(١) ٢٠١٥م.
- (٢٠) كتاب الأمير، نيقولا ميكافيللي، ترجمة: أكرم مؤمن، دار ابن سينا، القاهرة، مصر.
- (٢١) الكوميديا الإلهية، ترجمة: حسن عثمان، دار المعارف، مصر، ط(٣) ١٩٨٨م.
- (٢٢) المادية التاريخية: دراسة في نظرية المجتمع الماركسية، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، روسيا.
- (٢٣) مُحَمَّد في مكة، ويليام مونتغمري وات، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام: ١٤١٥هـ.

رابعاً: الدوريات:

- ١) ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الصغرى (٣-٣)، مقال منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧٤٤)، عام ٢٠٠٧م.
- ٢) ابن النفيس: مؤلفاته (٣-٢)، مقال منشور في مجلة المجتمع، العدد (١٧٤٣)، عام ٢٠٠٧م.
- ٣) الاتجاهات الحديثة في دراسة التاريخ، د/ جواد علي، مجلة الرسالة، العدد، ٩ - ٨ - ١٩٤٨م.
- ٤) أسطورة إحراق طارق للسفن، د/ عبد الحليم عويس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد: (٦٠٧)، عام: ٢٠١٦م.
- ٥) الإسلام في الأندلس وصقلية، أمين الطيبي، مجلة كلية التربية، جامعة الفاتح الليبية، العدد (١٣)، ١٩٨٠-١٩٨١م.
- ٦) إسهامات العرب في النهضة الأوربية الحديثة رؤية جديدة، مُجد أحمد، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٥-١١٦).
- ٧) أمي الحبيبة وداعاً، أحمد عبد الرحمن الحجى، غير منشور.
- ٨) التاريخ الإسلامي: رصد مساره، وسبر أغواره، الحلقة، د/عبد الرحمن الحجى، مجلة المجتمع، العدد، ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٩) جهود الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحجى في التاريخ الأندلسي، عماد الدين خليل، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م.
- ١٠) الدكتور الحجى خاتمة الفاتحين، د/ عامر ممدوح، مقال منشور في مجلة روى، العدد الخامس، فبراير عام: ٢٠٢٣م.
- ١١) عاشق السيرة النبوية وتاريخ الأندلس د/عبد الرحمن الحجى كما عرفته، خالد يوسف الشطي، مجلة روى، العدد الخامس.
- ١٢) عبد الرحمن الحجى الأستاذ والإنسان، عبد الواحد عبد الجبار التركي، مجلة روى، العدد الخامس.
- ١٣) عبد الرحمن الحجى سيرة ومسيرة، أحمد الحجى، وهو غير منشور.

- (١٤) عبد الرحمن علي الحجى سيرة ومسيرة، احمد عبد الرحمن الحجى، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م.
- (١٥) العقلانية بين التاريخية والمنطقية، أحمد زيغمي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد، ٢٠١٥م.
- (١٦) في ذكرى العلامة عبد الرحمن الحجى، قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، مجلة روى، العدد الخامس، عام: ٢٠٢٣م.
- (١٧) الفيلسوف الإنكليزي توماس كارليل وقراءته في السيرة النبوية: عرض ونقد، للباحثين: سعيد محمد علي بواعنة، وعبد الرزاق أحمد رجب، وهو بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد، العدد، ربيع الثاني ١٤٤١هـ-ديسمبر ٢٠١٩م.
- (١٨) القومية بين التزوير والتبرير، عبد الرحمن الحجى، مجلة المجتمع، العدد، ذو القعدة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- (١٩) مدرسة الحوليات ودورها في الكتابات والمناهج التاريخية، د/ صليحة بوزيد، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد الأول، العدد الثاني، أكتوبر، ٢٠٢٠م.
- (٢٠) مقال تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، ليلي صديق، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس، عام: ٢٠٠٦م.
- (٢١) مقومات الحضارة الإسلامية، مقال منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٣١)، عام: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٢٢) منهج المستشرق الألمانية زيغريد هونكه في الكتابة عن الحضارة الأندلسية من خلال كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، د/راوية شافع، مجلة العمارة والفنون، العدد السادس.
- (٢٣) نظرة في الحضارة الإسلامية: دراسةً وفهمًا، مقال منشور في مجلة المجتمع، العدد (٤٣٠)، عام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

خامساً: الرسائل الجامعية:

- (١) الحِكم من المعاملات والمواثيق والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم، أبو بكر بن مُجَدِّ فوزي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٧هـ-١٤٢٨هـ.
- (٢) الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، سعد عبد الله البشري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٣) الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، كريم عجيل حسين، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب بجامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، ط(١) ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- (٤) السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لآراء، رسالة ماجستير للباحثة أمل عبید عوض الثبتي، والرسالة بإشراف أد/ مُجَدِّ بن صامل السلمي، بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، عام ١٤٢٤هـ.
- (٥) السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، مُجَدِّ بن مصطفى بن عبد السلام الديسي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، عام: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

سادساً: المواقع الإلكترونية: (الإنترنت):

- (١) أهمية دراسة السيرة النبوية، عبد الرحمن الحجى، مقطع على الشبكة العنكبوتية، <https://youtu.be/rjrnWiKhWw8>.
- (٢) حكايات جدي وطدت صلتي بالتاريخ، حمد بن صراي، ٢ سبتمبر ٢٠٢١م، <https://www.alkhaleej.ae/2021-09-02>
- (٣) ذكرى الدكتور عبد الرحمن الحجى، مُجَدِّ السرار، مركز ابن القطان لدراسة الحديث والسيرة النبوية العطرة، <https://www.arrabita.ma/blo>
- (٤) عبد الرحمن الحجى شيخ المؤرخين والأندلسي العتيق، قصي أبو يوسف، ١٩ يناير ٢٠٢١م، [/https://www.msf-online.com](https://www.msf-online.com)

(٥) عبد الرحمن الحجي عاشق الأندلس وتراثها كما عرفته، حلمي مُجد القاعود، الجمعة ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ، ١٩ من يناير ٢٠٢١م، <https://www.msf-online.com>

(٦) عبد الرحمن الحجي المؤرخ الفارس، أحمد عبد المحسن العساف، ٢٧ يناير ٢٠٢١م، <https://ahmalassaf.com/869>

(٧) ليالي أندلسية، وهو لقاء مع أحمد عبد الرحمن الحجي، منشور على اليوتيوب: <https://youtu.be/jWI3wzfuQC4>

(٨) مجلس العزاء الدكتور عبد الرحمن الحجي، مقطع على الشبكة العنكبوتية، <https://youtu.be/kEO8U0Pr5EU>

(٩) مع الدكتور عبد الرحمن الحجي لقاء ووداع، عبد المنعم جمعة صالح، صفحة غياث، منشورات الفيس بوك، facebook.com/15207790715499

(١٠) مفهوم العقيدة، د/عبد الرحمن بن معلا اللويح، الكتاب منشور على موقع الألوكة.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	Abstract
٥	الإهداء
٦	الشكر والتقدير
٩	المقدمة
١٠	أهمية الموضوع وسبب اختياره
١٠	مشكلة البحث
١١	أهداف البحث
١١	حدود الدراسة
١١	منهج البحث
١٢	الإجراءات المتبعة في البحث
١٢	الدراسات السابقة
١٤	خطة البحث
١٦	التمهيد: التعريف بالثقافة الإسلامية، وأهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في خدمة الثقافة الإسلامية
١٧	أولاً: التعريف بالثقافة الإسلامية
٢١	ثانياً: أهمية دراسة دور العلماء والمؤلفين في خدمة الثقافة الإسلامية
٢٥	الفصل الأول: التعريف بالدكتور عبد الرحمن علي الحجي، وحياته العلمية

الصفحة	الموضوع
٢٦	المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته
٢٧	المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده
٢٨	المطلب الثاني: أسرته، ونشأته
٣٠	المطلب الثالث: زواجه، وأبناؤه
٣٢	المطلب الرابع: صفاته، وأخلاقه
٣٨	المطلب الخامس: وفاته
٣٩	المطلب السادس: ثناء العلماء عليه
٤٢	المبحث الثاني: حياة الدكتور الحجى العلمية
٤٣	المطلب الأول: بداية طلبه العلم
٥٢	المطلب الثاني: أساتذته، وتلاميذه
٥٤	المطلب الثالث: آثاره العلمية، ومؤلفاته
٦٣	المبحث الثالث: حياة الدكتور الحجى العملية
٦٤	المطلب الأول: المناصب التي تولاها
٦٦	المطلب الثاني: إشرافه العلمي
٦٧	المطلب الثالث: نشاطه العلمي
٧٦	الفصل الثاني: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجى في خدمة مصادر الثقافة الإسلامية
٧٧	المبحث الأول: جهود الدكتور الحجى في خدمة القرآن الكريم
٧٨	المطلب الأول: جهوده في البرهنة على كون القرآن من عند الله تعالى
١٠٩	المطلب الثاني: جهوده في البرهنة على كون القرآن محفوظاً

الصفحة	الموضوع
١١٧	المطلب الثالث: جهوده في بيان تميز القرآن على غيره من كتب الأديان والفلسفات
١٢٢	المطلب الرابع: جهوده في الدعوة إلى العودة إلى القرآن
١٢٩	المبحث الثاني: جهود الدكتور الحجي في خدمة السنة النبوية
١٣٠	المطلب الأول: جهوده في البرهنة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم
١٤٠	المطلب الثاني: جهوده في بيان مكانة السنة النبوية في الإسلام وعلومه
١٥٣	المطلب الثالث: جهوده في البرهنة على كون السنة النبوية محفوظة
١٥٦	الفصل الثالث: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجي في خدمة التاريخ الإسلامي
١٥٧	المبحث الأول: جهوده في بيان اتجاهات تفسير التاريخ وتقويمها
١٥٩	المطلب الأول: نبذة عن اتجاهات تفسير التاريخ قديماً وحديثاً
١٧٠	المطلب الثاني: جهوده في بيان منهج التفسير المادي للتاريخ وتقويمه
١٨٠	المطلب الثالث: جهوده في بيان منهج التفسير القومي للتاريخ وتقويمه
١٩٢	المطلب الرابع: جهوده في بيان منهج التفسير الإسلامي للتاريخ وتقويمه
٢٠٥	المبحث الثاني: جهوده في خدمة السيرة النبوية
٢٠٦	المطلب الأول: مفهوم السيرة في اللغة والاصطلاح
٢٠٩	المطلب الثاني: تأريخه لحياة النبي - ﷺ - قبل البعثة
٢١٩	المطلب الثالث: تأريخه لحياة النبي - صلى الله عليه وسلم - من البعثة إلى الهجرة
٢٤٩	المطلب الرابع: تأريخه لحياة النبي - ﷺ - بعد الهجرة
٣٠٥	المبحث الثالث: جهوده في خدمة تاريخ الأندلس
٣٠٦	المطلب الأول: جهوده في بيان حال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي

الصفحة	الموضوع
٣٠٩	المطلب الثاني: جهوده في بيان العهود التي مرت بها الأندلس من الفتح حتى السقوط
٣٥٤	المطلب الثالث: جهوده في بيان انتشار الإسلام في إسبانيا
٣٥٩	المطلب الرابع: جهوده في بيان العلاقة العلمية بين الأندلس والمشرق الإسلامي
٣٦٢	المبحث الرابع: جهوده في إبراز المواقف المتطرفة والآراء الشاذة حول التاريخ الإسلامي
٣٦٣	المطلب الأول: جهوده في بيان بعض الافتراءات حول النبي - ﷺ - والصحابة - رضوان الله عليهم - وتفنيدها
٣٧٠	المطلب الثاني: جهوده في بيان فرية انتشار الإسلام بالسيف
٣٧٨	المطلب الثالث: جهوده في بيان حقيقة الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد
٣٨٤	المطلب الرابع: جهوده في بيان قضية حرق طارق بن زياد لسفن الفتح وموقفه منها
٣٨٧	الفصل الرابع: جهود الدكتور عبد الرحمن علي الحجى في خدمة الحضارة الإسلامية
٣٨٨	المبحث الأول: جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية وأسسها وخصائصها
٣٨٩	المطلب الأول: جهوده في بيان مفهوم الحضارة الإسلامية
٣٩٢	المطلب الثاني: جهوده في بيان أسس الحضارة الإسلامية
٤٠١	المطلب الثالث: جهوده في بيان خصائص الحضارة الإسلامية
٤١٣	المبحث الثاني: جهوده في إبراز إسهام العلماء المسلمين في علوم الكون

الصفحة	الموضوع
	والإنسان
٤١٤	المطلب الأول: جهوده في بيان تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية
٤١٩	المطلب الثاني: جهوده في بيان إسهام علماء المسلمين في العلوم الطبيعية
٤٣٤	المطلب الثالث: جهوده في بيان إسهام العلماء المسلمين في العلوم الإنسانية
٤٤٧	المبحث الثالث: جهوده في إبراز قيمة العمران في الحضارة الإسلامية
٤٤٨	المطلب الأول: جهوده في بيان قيمة العمارة الدينية في الحضارة الإسلامية
٤٥٧	المطلب الثاني: جهوده في بيان قيمة العمارة المدنية في الحضارة الإسلامية
٤٦٩	المطلب الثالث: جهوده في بيان قيمة العمارة الحربية في الحضارة الإسلامية
٤٧٣	المبحث الرابع: جهوده في إبراز خصائص الشخصية الحضارية النموذجية للأمة الإسلامية
٤٧٤	المطلب الأول: جهوده في بيان دور العقيدة الإسلامية في تكوين الشخصية المتحضرة للأمة الإسلامية
٤٨١	المطلب الثاني: جهوده في بيان صفات الشخصية الحضارية للأمة الإسلامية
٤٩٨	الخاتمة
٥٠٣	الملحقات
٥١٤	الفهارس العلمية

الصفحة	الموضوع
٥١٥	فهرس الآيات القرآنية
٥٢٨	فهرس الأحاديث النبوية
٥٣٣	فهرس الأعلام المترجم لها
٥٣٦	فهرس المصادر والمراجع
٥٦٥	فهرس الموضوعات

